



THE  
LIBRARY  
OF THE  
MUSEUM OF  
COMPARATIVE ZOOLOGY  
AND ANATOMY  
HARVARD UNIVERSITY

٤١

٢٥١

89278  
M992shA  
v.1  
c.1

شرح

# ديوان المتنبي

وَضَعَهُ

عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ آمَنَّا بِهَذِهِ الطَّبَعَةَ بِالدَّقَّةِ وَالنَّبَسْطِ وَالِاسْتِيْعَابِ . بِمَحِيَّتِ تَلَاوُحِ  
فِي هَذَا الشَّرْحِ جَمِيعِ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّيِّ وَشَرَحَتْ فِيهِ الشُّوَاهِدَ وَالنَّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا  
وَصَارَ بِذَلِكَ مُعْنِيًا عَنْ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة

يُطْلَبُ مِنَ الْمَكْتَبَةِ التِّجَارِيَةِ الْكُبْرَى بِأَوَّلِ شَارِعِ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ بِبَصْرَةَ

لصاحبها : مصطفى محمد



مَطْبَعَةُ السَّعَادَةِ

ميدان احمد ماهر باشا (باب الخلق سابقا)

١٣ شارع الجذوى ت ٧٩٤٧٩ س ٧٨-٨٠

## مقدمة الطبعة الأولى

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد : فهذا شرح ديوان المتنبي \* أُخْرِجُهُ بعد شرحي ديوان حَسَّان الذي أخرجته في العام الماضي ، وراه القراء وعرفوا من مقدمته ما كابدت فيه

(٥) أبو الطيب المتنبي : هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي ، ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة في محلة تسمى كندة ، فنسب إليها ، وليس هو من كندة التي هي قبيلة ، بل هو جعفي القبيلة — بضم الجيم وسكون العين — وهو جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج — واسمه مالك — بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . نشأ بالكوفة — كما ترى — ويقال : إن أباه كان سناء بالكوفة ، ثم انتقل إلى الشام بولده ، ونشأ ولده بالشام ، وإلى هذا أشار بعض الشعراء في هجو المتنبي حيث قال :

أَيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْلَ مِنَ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا

عَاشَ حِينًا يَدْبِعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَاءَ وَحِينًا يَدْبِعُ مَاءَ الْمُحَيَّا

قدم الشام في صباه ، وجمال في أقطاره ، وما زال إلى أن ادعى النبوة في بادية السماوة ، ونبهه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج إليه لؤلؤ — أمير حمص نائب الأخشيدية — فأسره وتفرق أصحابه وحبس طويلا ، ثم استنابه وأطلقه ، ومن ثم سمى المتنبي ؛ ثم التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان — سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة — وما زال منقطعاً له حتى وقع بين المتنبي وبين ابن خالويه — النحوي — كلام في مجلس من مجالس سيف الدولة ، فوثب ابن خالويه على المتنبي ، فضرب وجهه بمفتاح كان معه ، وأشجه ، وخرج ودمه يسيل على ثيابه ، ففضب ، وفارق سيف الدولة ،

وفي الحق : إني لم أعان في المتنبي ما عانيتُ في حسان — على بُعد ما بينهما —  
وذلك أن المتنبي رَبُّ المعاني الدقاق — كما قال — فللذهن في شعره جولان  
وما دام هناك ذهنٌ يَلْفَفُ ، وذوقٌ يَسْتَدِقُّ ، وملكةٌ يَبَيِّنُهُ ، وبَصَرٌ  
بمذاهب الشعر : أمكن إدراك ما يترامى إليه مثل المتنبي ، ولو بشيء من

وذهب إلى مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، ومدح كافور الأخشيدى ، وكان  
يقف بين يدي كافور ، وفي رجله خفان ، وفي وسطه سيف ومنطقة ، ويركب  
بأحبين من مماليكه ، وهما بالسيوف والمناطق ، ولما لم يرضه كافور هجاه وفارقه  
ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمائة ، ووجه كافور خلفه رواجل إلى جهات شتى ،  
فلم يلحق ، وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله ، فلما رأى تغاليه في شعره وسموه  
بنفسه ، خافه ، وعوتب فيه ، قال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم  
أما يدعى المملوك مع كافر؟ فحسبكم ، ولما كان بمصر مرض وكان له صديق  
يفشاه في عاتقه ، فلما أبل انقطع عنه ، فكتب إليه : وصلتني - وصلك الله - معتلا  
وقد عتني مبلا ، فان رأيت أن لا تحبب العلة لي ، ولا تكدر الصحة علي - فعلت  
إن شاء الله . ولما رحل عن كافور قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه  
الديلمي ، فأجزل جأزته . ( وكذلك مدح ابن العميد ) ولما رجع من عند عضد الدولة  
قاصداً بغداد ثم إلى الكوفة في شعبان لثمانية خلون منه - عرض له فاتك بن الجهل  
الأسدي في عدة من أصحابه ، وكان مع المتنبي أيضا جماعة من أصحابه ، فقاتلوه ، فقتل  
المتنبي وابنه محسد وغلماه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية ،  
وقيل جبال الصافية - من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول - وذلك  
يوم الأربعاء لست بقين - وقيل لثلاث بقين ، وقيل ليلتين بقيتا - من شهر رمضان  
سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، ولما قتل : رثاه أبوه القاسم مظفر بن علي الطبرسي بقوله :

لا رعى الله سربَ هذا الزمانِ إذ دهانا في مثلِ ذلك اللسانِ  
ما رأى الناسَ ثانيَ المتنبي أي ثابن يرمى ليكر الزمانِ  
كان من نفسه الكبيرة في جيش وفي كبرياء ذي سلطانِ  
هو في شعره نبي ولكن ظهرت معجراته في المعاني

« اه ملخصا من ابن خلكان ،

الجهْد اللذِّ ، والتعب المريح ، ذلك إلى أن المتنبي مخدوم ، وشروحه متوافرة ،  
ومادته زاخرة ، فكان شرحه لذلك يكاد يكون هينا لينا ، لا إرهاق فيه لخاطر ،  
ولا إعنتات لروية . وهنا قد يبدو لك أن تقول : وإذا كان المتنبي مخدوماً  
وشروحه متوافرة - كما تزعم - فعلام هذا الشرح وما حاجتنا إليه ؟ فعلى رسلك

### شيء من أخلاقه وشأنه

حدث علي بن حمزة قال : بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة ، وذلك أنه  
ما كذب ولا زنى ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خلال مذمومة ، وذلك أنه ما صام  
ولا صلى ولا قرأ القرآن . . . أما هذه الأخيرة - وهي أنه ما قرأ القرآن - فإني أظن  
الراوى يريد أنه ما قرأ القرآن تهجداً وتعبداً ، وإلا فإن مثل المتنبي في فضله وأدبه  
ودهانه لا يفوته أن يقرأ القرآن الكريم ويتدارسه ويستظهره ! وأى قيمة لأديب  
لم يقرأ القرآن ؟ ! وتال ابن فرجه : كان المتنبي رجلاً ذاهية مر اللسان ، شجاعاً ، حاذقاً  
للآداب ، عارفاً بأخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يبذره إلا بخله وشهره على المال . . .

أقول : وهذا بخل المتنبي هو على الحقيقة مما استتبعه طمأحه وكبرياؤه وسموه إلى الرفعة  
والمجد والعلاء . وقد سئل في ذلك فقال : إن لبخل سبياً ، وذلك أنى أذكر - وقد وردت  
في صباى من الكوفة إلى بغداد - فاتخذت خمسة دراهم في جانب مندبل ، وخرجت أمشى  
في أسواق بغداد ، فررت بصاحب دكان يبيع الفاكية ، فرأيت خمس بطيخات باكورة  
فاستحسنتها ونويت أن أشتريها بالدراهم التي معي ، فتقدمت إليه وقلت : بكم هذه الخمس  
بطا طيخ ؟ . . . فقال - بغير اكتراث - اذهب ، فليس هنا من أكلك ؛ فتماسكت معه  
وقلت : أيها الرجل : دع ما يغيظ واقصد الثمن ، فقال : ثمنها عشرة دراهم ؛ فاشددة  
ما جهني به ما استطعت أن أخاطبه في المساومة ، فوقف حائراً ، ودفعت له خمسة  
دراهم فلم يتبل ، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الحان ذاهباً إلى داره ، فوثب  
إليه صاحب البطيخ من دكانه ودعا له وقال : يا مولاي : ها بطيخ باكورة يا جارتك  
أحمله إلى منزلك ، فقال الشيخ : ويحك ! بكم هذا ؟ فقال : بخمسة دراهم ، فقال :  
بل بدرهمين ، فباعه الخمسة بدرهمين ، وحملها إلى داره ودعا له ، وعاد إلى دكانه

يا هذا . فالمتنبى وإن كانت شروحه كثيرة إلا أنها كثيرة قلة . . ذلك أن المتنبى وإن كان من حسن حفظه أن شرحه وعلق عليه ، ونقده وتعصب له وعليه ، نيف وخسون أدبياً ، بيد أن المتداول من شروحه إنما هو العكبرى والواحدى واليازجى حسب : أما الواحدى : فلأنه لم يُطبع إلا فى أوربة وفى الهند فقط ، كانت لذلك نسخة قليلة التداول فى أيدى الناطقين بالصاد لندرتهم وغلاء ثمنه ، ومن ثم كان فى حكم غير المتداول . ثم هو - الواحدى - ومثله العكبرى كلاهما موضوع ذلك الوضع انطلق البالى العقيم - بعثرة الأبيات وإثبات البيت ثم شرحه ، وهكذا دواليك - وضع لا يتفق ومزاج هذا الجيل ، ولا سيما من يتغنى بحفظ الديوان واستظهاره ، هذا إلى التحريف الكثير الذى ألم بالواحدى والعكبرى معاً ، وهنالا يسع المرء إلا أن يأسف كل الأسف وتتقطع نفسه حشرات جراً .

مسروراً بما فعل ؛ فقلت : يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك ! استمت على فى هذا البطيخ وفعلت فعلتك التى فعلت ، وكنت قد أعطيتك فى ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولاً !! فقال اسكت : هذا يملك مائة ألف دينار ... وأنا لأزال على ماتراه حتى أسمع الناس يقولون : إن أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار . . .

وقد كان أبو الطيب مغروراً إلى أقصى حدود الغرور ، وكان ذا طمّاح وزهو وكبرياء ، بل كان لا يطاق غطرسة وشموغا وخيلاء ، ولا تنس قصته مع الحاتمي وما جره عليه هذا الكبر . وكان أبو الطيب مصاباً بذلك الداء : داء جنون العظمة . . - وكثيراً ما يصيب هذا الداء التواضع والعبقريين - ولك أن تجعله علة ، ولك أن تجعله معلولاً . . . وقد كان أبو الطيب عزهاة لا تطيبه النساء . . وكان لا يشرب الخمر . . . وجملة القول أن أبا الطيب كان ذا شخصية من الشخصيات الغريبة ، وكان عظيماً ، وكان عبقرياً ، وكانت حياته لذلك زاخرة بكل ما يجلب له الحب والإشفاق والإجلال من قوم ، وبكل ما يجلب عليه الحسد والبغض والعداء من آخرين : شأن كل عبقرى عظيم . والله أعلم . .

ذلك الداء الخبيث العياء الذي ألمَّ - ولا يزال يُلمُّ - بالمطبوعات العربية - داء التصحيف والتحريف - حتى لا يكاد يسلم منه كتاب عربي ، فذهب بحال التأليف وشوّه خلقها وصارَ بها إلى حيثُ تنبوعها الأحداق ، وتتجافى عن قراءتها الأذواق ، ويتخاذل الذهن ، ويتراجع الفكر . ولست أدري : ما مصدر هذا الداء ، ولا من تقع عليه تبعه هذا الجرم : هل هو الناسخ ؟ - بل للماسخ - [ ولقد حاولت - أخيراً - أن أنسخ رسالة في سرقات المتنبي بدار الكتب المصرية ، وكلفت أحد النساخين في تلك الدار بنسخها ، ولما أتمّ نقل الكراسة الأولى ذهبت إليه وأخذنا نقابل ما نسخ على الأصل ، فوجدت الأصل لا يكاد يوجد فيه بيت صحيح ، ووجدت ما نسخ منه ضعفاً على إباله . . . فما كان إلا أن انصرفت نفسي عن المسألة برمتها ] . . أم هو الطابع وجهله وتهاونه !

ولقد لقيت الألقى في تصحيح « بروفات » - أو تجارب - المتنبي ، ومن قبله حسان ، حتى لا أكون مغالياً إذا قلت : إن الجهد الذي يبذل في سبيل التأليف أهونُ على المرء من الجهد الذي يقاسى في سبيل التصحيح .

وتصور مقدار ما يعرُّو الإنسان من الميض والامتعاض حين يرى الكتاب - بعد هذا العناء الذي يبذل في التصحيح - لم يسلم من الأغاليط . ولا تنس أن المؤلف قد لا يفتن إلى الخطأ المطبعي أثناء التصحيح ويمرّ به مرّاً ، وعذره في ذلك واضح : وهو أنه إنما يقرأ ما في ذهنه ، لا ما هو بين عينيه ؛ ومن هنا كان له - للمؤلف - هو الآخر نصيب من هذا الخطأ وإن كان عذره في ذلك قائماً . . .

أقول : إن عيب الواحدى والعكبرى هو ما ذكرت : وضع لا يتفق وروح العصر ، وتحريف كثير شائع في الكتابين ، ذلك إلى هفوات تلحق كلاً على حدّته ، وقصور أو تقصير أو إقصار يلمُّ بساحته ؛ فإذا أردت أن تجزىء

بالعكبرى - مثلاً - وتستغني به عن غيره فإنه لا يبغي كل الغناء ، وكذلك الواحدى .  
ويزيد الواحدى على العكبرى أنه لا يحفل بتفسير المفردات ولا بالإعراب ، وبأنه  
لا يفسر كثيراً من الأبيات ، فكأنه موضوع للمنتهين . ولذا لا يوثاقى الشادين . أما  
اليازجى أو اليازجيان - الشيخ ناصيف وابنه الشيخ إبراهيم - فهما - على فضلهما  
الذى لا ينكر ، وعلى ما طنطن به الثانى فى ذيل الشرح ، مما قد يخرج منه القارىء ،  
وهو مفعم يقيناً بأن هذا الشرح هو سيد الشروح ، وهو وحده الشرح الذى  
طبّق المفصل وأصاب مقطع الحق وأوفى على الغاية ، أقول : إنهما - على الرغم من  
ذلك - يصدق عليهما قول الواحدى فى ابن جنّى : وأما ابن جنّى فإنه من الكبار  
فى صنعة الإعراب والتصريف ، والمحسنين فى كل واحد منهما بالتصنيف ، غير أنه  
إذا تكلم فى المعانى تبدد حماره ، ولجّ به عشاره . . . نعم ، وحسبك أن ترجع إلى  
ما قاله - أى اليازجيان - فى شرح هذا البيت على انسجامه ووضوحه وروعته :

لحا الله ذى الدنيا مُناخاً لِرَاكِبِ  
فَكَلُّهُ يَبْعِدُ الِهِمَّ فِيهَا مَعْدَبُ

قالا : يذم الدنيا . يعنى أنها دار شقاء حتى إن من لا هم له لا يخلو فيها من  
العذاب ، فما الظن بصاحب الهموم ؟ ! ولست أدرى : كيف لم يفتننا إلى معنى هذا  
البيت وهو من الوضوح والجلال - كما ترى - . . . على أنهما - فى شرحهما  
عامة ، لافى شرح هذا البيت - لم يحيدا عن الواحدى والعكبرى قيداً أنملة ؛ فهما  
عمدتهما ، وعليهما معولهما ، فإذا حاولا أن يتفصيلاً منهما ، ويستقلاً بالشرح  
دونهما ، ويأتيا بشيء من عندهما : زلت قد ماها ، وكبا جوادها ، أو تبدد حمارها . .  
ووقعا فى مثل ما وقعا فى هذا البيت . . .

ذلك : إلى أن القسم الذى تولى شرحه الشيخ ناصيف قصر فيه ومَرَضَ  
ولم يتعرض لشرح المعانى ، وإنما اقتصر على شرح المفردات ، وإلى أنهما

- اليازجيين - تركا كثيراً من شعر المتنبي الذي يريان فيه خشياً لوجه الأدب ،  
وإلى أنهما لم يتعرضا لسرقات المتنبي وذكر الأشباه والنظائر أصلاً ، وهذه مزية  
من المزايا قد وفيناها حقها في هذا الشرح ...

على أننا لا نبغس الناس أشياءهم ، ولا ننكر خصائص الطبائع البشرية  
وما قد يعرفها الخطرة بعد الخطرة : من الفتور والانتكاس ، وانغلاق الذهن ،  
وتبدل الحس ، وإظلام البصيرة ، وغرور الروح ، وخمود الذكاء ، حتى لقد يخفى  
أحياناً على العليم الأملعي وجه الصواب وهو منه على حبل الذراع وطرف التمام  
- كما يقولون - فيعتسف الطريق ، ويتخبط تخبط العشواء ...

وهذا ابن جنى - الإمام العالم المجتهد الثبت الثقة ، بل فيلسوف اللغة العربية ،  
العليم بخصائصها ، الطب البصير بدقائقها - تراه في شرحه على المتنبي على الرغم من  
ذلك ، ومن أنه كان معاصراً للمتنبي - متعصباً له محامياً عنه ، وكان إذا سأل  
المتنبي سائل عن معنى بيت من أبياته يقول : اسألوا الشارح - يعني ابن جنى - .  
وكان ابن جنى يراجع المتنبي في كثير من شعره ويستوضحه المعنى الذي يغزوه .  
وبرغم ذلك تراه في كثير من المواضع - كما قال الواحدى - وقد تبدل حماره ،  
ولجَّ به عثاره .

وهكذا تبعت جميع من تعرض للمتنبي بالشرح أو النقد - كابن فورجيه ،  
والعروضى ، والتبريزى ، وابن وكيع ، وابن القطاع ، وابن الأفيلى - فوجدت لهم  
جميعاً بجانب حسناتهم سيئات ، وإلى سدادهم زلات وهفوات .

وهذا حقاً من غريب طبائع البشر ؛ فسبحان من تفرد بالسكال ! !

ولقد وجدت ذلك من نفسى : مع أن الطريق معبد ، والمادة متوافرة ؛ فقد  
أكون - فى بعض الأوقات - مستجماً ، نشيطاً ، مهزوزاً . مرهف الطبع . مصقول  
الذهن ، صافى الحس ، منبسط النفس ؛ فأشرح ما أشرح - من قوافى المتنبي -  
فأتى بما أرضى به عن نفسى ، ويعرونى له من الطرب ما يستخفى ، وأكون

في أوقات أخرى منقبض النفس ، مظالم الحس ، مغلق الذهن ، قدما ، بليداً ،  
لا أكاد أذهن شيئاً ، وأكون مضطراً إلى العمل ؛ فأشرح - وأنا على هذه  
الحال - بعض الآيات ، ثم أعود في وقت أكون فيه على جمام من نفسى إلى  
ما شرحت ، وأنظر ماذا قلت ، فأدهش : كيف يصدر هذا من رجل له بقية من  
فهم ؟ وأتهم نفسى ، حتى لا أكاد أصدق أن شيئاً من هذا ندد به القلم . . .

ثم لا تنس اختلاف القرائح والأفهام والنزعات ، وأن هذا ينزع في تفكيره  
نزعة لغوية ، وذلك نزعة نحوية ، وذلك نزعة فلسفية منطقية ، وآخر قد تأثر  
بالأدب والفن وحسن التخيل ، وأن هذا أصح تمييزاً من ذلك ، وأنفذ بصيرة ،  
وأبعد مدارك ، وأصنى نفساً ، وألطف حساً ، وأكثر ألمعية ، إذا أذنت أذناه شيئاً  
شاءها ذهنه . فإذا هم أراغوا تأويل بيت من آيات المعانى الدقاق : تشعبت آراؤهم ،  
وذهب كلٌّ في تأويله مذهباً قد يباين مذهب الآخر ، تبعاً لتباين قرائحهم  
ومحصلاتهم ، كما قال المتنبي :

ولَكِنْ تَأْخُذُ الْآذَانَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَّاحِ وَالْعُلُومِ

وإليك شيئاً يحور إليه سر هذا التباين الذى نرى بين الشراح في تأويلاتهم  
لمثل شعر أبي الطيب . ذلك أن المتنبي كان رجلاً ما كراً باقعة داهية ، فكان من  
دهائه يعمد إلى بعض المعانى التى سبق إليها فيحاول أن يبعد بها عن أصلها ويعمىها  
على الناظر فيها ويريفها ويديرها عن ذلك حتى لا يُفطنَ إلى أن غيره أبو عُذْر هذا  
المعنى ، فيلجأ إلى التعمية والجمجمة والتعقيد والإبهام ؛ لأن تلك طريقته - كما  
سنبينه - فيجىء البيت متنافر اللحمه ملتاث التعبير ، لا يشف ظاهره عن باطنه ،  
ولا يتجاوب أوله وآخره ، حتى لكأنه ضرب من الرُّقَى ، فيظن بعض الشراح أن  
هناك معنى دقيقاً عميقاً فيكده ذهنه ، ويجهد فكره ، ويسافر في طلب المعنى أميالا  
وهو لا يفوت أطراف بنانه ، وينضى إليه رواحله ذهنه وهو على حبل ذراعاه ،  
فيعتسف ويشتط وينحرف عن جادة الصواب ، كما قال المتنبي :

أَبْلَغَ مَا يُطَلَّبُ النَّجَاحُ بِهِ السَّطَبُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الرَّزْلُ

وهناك شيئاً يرجع إليه ذلك التعقيد الذي نراه في بعض شعر المتنبي . هو أن  
أبا الطيب له حساد كثيرون من أهل الفضل ومن نخوة الشعراء وأعيان البيان  
يتعثر بهم على أبواب سيف الدولة في حاب ، وتقع عينه عليهم أنى ذهب - في الشام  
وفي مصر وفي بغداد وفي فارس - وكانوا له بالمرصاد يتلمسون له الهفوة والمأخذ ،  
وكان كثير - ممن يمدحهم كذلك - شعراء أدباء - وناهيك بسيف الدولة  
وابن العميد - فكان لذلك كله - يحشد لكثير من قصائده ويتعمل لها ،  
ويتنطس في ألفاظه ومعانيه ، ويحتفل ، ويمعن في الاحتفال إلى ما وراء طبعه ؛  
فيجىء بعض نظامه كترًا جافًا معقدًا حرم طلاوة الطبع ورواقه ، وفقد نصف  
الجمال الشعري .

وهنا لا نرى مندوحة من أن نعرض لشيء لم يفتن إليه أحد ، أو فطنوا إليه  
ولم يصفوه ، أو وصفوه ولكن لم يصفوه الوصف الذي هو به أليق ،  
ذلك أن المتنبي - للأسباب التي أسلفناها ، ولسبب آخر سنبينه - تراه في أكثر  
شعره ينقصه التعبير الشعري ، ويظهر لك ذلك إذا أنت وازنت بينه وبين إمامه  
في الصنعة والاحتفال بالمعنى - وهو أبو تمام .

وإني لأذكر كلمة لأحد نقدة العرب وهي : إنما حبيب أبو تمام كالتفاضى العدل :  
يضع اللفظ موضعها ، ويعطى المعنى حقه ، بعد طول النظر ، والبحث عن البينة ،  
أو كالفقيه الورع : يتحرى في كلامه ، ويتحرج خوفًا على دينه ، وأبو الطيب كالمملك  
الجبار : يأخذ ما حوله قهراً وعنوة ، كالشجاع الجريء : يهجم ما يريد ، ولا يبالي  
ماتى ولا حيث وقع ٥١ .

فأنت - إذا نظرت إلى أبي تمام تجد الفحولة والجزالة والقوة ، وترى المعاني  
الدقاق وترى الصنعة - من الجناس والمطابقة وما إليهما - وترى - مع ذلك كله -

التعبير الشعري : أى ترى النضاعة والإشراق ، ووضوح المعالم ، واطراد النظام ،  
وتساوق الأغراض ، وإحكام الأداء ، والروعة ، والجمال ، والروح القوى الذى  
يطلعك من بين فقره ، ومن هنا يفضل أبو تمام : أبا الطيب .

قال ابن الأثير : وهؤلاء الثلاثة - أبو تمام ، والبحترى ، والمتنبى - هم لات  
الشعر ، وعزاه ، ومناته ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ،  
وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء ؛ وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين  
إلى فصاحة القدماء .

أما أبو تمام : فإنه رب معان ، وصيقل الباب وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى  
مبتكر ، لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الإغراب ، الذى برز فيه  
على الأضراب ، ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ، ولم أقل ما أقول فيه  
إلا عن تنقيب وتنقيب ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه ، وراض فكره  
برائضه ، أطاعته أعنة الكلام ، وكان قوله فى البلاغة ما قالت حذام ، نخذ منى  
فى ذلك قول حكيم ، وتعلم ، ففوق كل ذى علم عليم .

وأما أبو عبادة البحتري : فإنه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى ، وأراد أن يشعر ففنى ،  
ولقد حاز طرقي الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبينما يكون فى شظف نجد إذ تشبث  
بريف العراق ، وسئل أبو الطيب المتنبى عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال :  
أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحتري . ولعمري إنه أنصف فى حكمه ،  
وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من  
الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلاسة المساء ، فأدرك بذلك بعد المرام ،  
مع قربته إلى الأفهام ، وما أقول إلا أنه أتى فى معانيه بأخلاق الغالية ، ورقى  
فى ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبى : فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقصرت عنه

خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، لكنه حظى في شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال ، وأنا أقول قولاً لست فيه متأتماً ، ولا منه متلماً : وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلوا ، فطريقه في ذلك تضل بسالكه وتقوم بعذر تاركه ، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ، ما أدى إليه عيانه ، وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ومهما وُصف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء ، ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَيْهِ    إِنْ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَا خَتَمُوا  
وَلَا تُبَالِ بِشِعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ    قَدْ أَفْسِدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَحْمِدَ الصَّمَمُ

ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى ، وعين المعرفة التي ماضل صاحبها وما غوى ، وجدته أقساماً خمسة : خمس في الغاية التي انفرد بها دون غيره ، وخمس من جيد الشعر الذي يساويه فيه ، وغيره وخمس من متوسط الشعر ، وخمس دون ذلك ، وخمس في الغاية المتقهرة التي لا يُعبأ بها ، وعدمها خير من وجودها ، ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها ؛ فإنها هي التي ألبسته لباس اللام ، وجعلت عِرضه غرضاً لسهام الأقبام « اه كلام ابن الأثير .

وقد آن لنا أن نقول : إن هذا الذي يعاب على أبي الطيب ويُظن أنه يتخَوَّنُه وَيَشِينُه : هو على الحقيقة سر من أسرار شاعريته لأن مرجعه التوليد الذي لا يؤتاه إلا الشاعر المطلق .. فالكلام إنما هو من الكلام وإنما يستحق الشاعر هذا اللقب بالتوليد ، وبطريقته في التوليد تقوم طريقته في الشعر ؛ فمن ثمَّ يختلف الشعراء ويمتاز واحد من واحد وتبينُ طَرِيقَةُ مَنْ طَرِيقَةُ وَإِنْ تَوَارَدُوا جَمِيعًا عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ يَأْخُذُهُ الْآخَرُ مِنْهُمْ عَنِ الْأَوَّلِ .

ولقد يأتي مائة شاعر بالمعنى الذي لا يختلف في الطبيعة ولا في السياق ولا في الفهم ،

فيدبرونه في مائة بيت تكون في مائة ديوان ، ومع ذلك ترى أحوالهم فيه متباينة ،  
وصناعتهم في أخذه مختلفة ، وتراهم قد تناولوه بوجوه كثيرة تُحقق فيه عمل أمرجتهم ،  
وتلقى عليه اختلاف أزمانهم ، وتجري به في طرق حوادثهم ، كأنه مع كل منهم قد  
ولد ونشأ<sup>(١)</sup> فهو مع هذا قوى ، ومع الآخر جبار ، ومع الثالث ضعيف ، ومع رابع  
متبالك ؛ وتارة بدين ، وأخرى هزيل ، وثالثة بينهما ، وهكذا . ولولا ذلك لم يكن  
الكلام إلا تكراراً ؛ وبطل فيه عمل العقل ، وأصبح رثاً بالياً ؛ وذهب مع الذاهبين  
الأولين ، ولم يبق فيه لشاعر إلا إقامة الوزن ، ولو كان هذا للنسخ لقب الشاعر من  
الأرض ، ولم تعد للبيان صناعة ، ولا بقيت في القرائح مادة إلهية من الإلهام .

وشأن المتنبي كالشأن في نوابغ الدنيا : فالشاعر النابغة لا يمهر بإرادته ، ولا ينبغ  
بأن يخلق في نفسه مادة ليست فيها ، وإنما هو يولد مهيئاً بقوى لا تكون إلا فيه  
وفي أمثاله ، وهو زائد بها على غيره ممن لم يرزق النبوغ - كما يزيد الجوهر على الحجر  
أو الفولاذ على الحديد ، أو الذهب على النحاس - ثم تتفاوت هذه القوى في النوابغ ؛  
فتنوع وتباين ، وتعمل فيها أحوالهم وأزمانهم وحوادثهم ، ومن ثم يجتمع لكل  
منهم شخصية ؛ ويستقل منها بطريقة ومذهب ؛ فإذا تناول معنى من المعاني تناولها  
على طريقته ؛ فإما حذف منه ، وإما زاد فيه ، وإما غيرَه وقلبه ، وإما صبّ على  
حذوه معنى جديداً يلم به أو يشبهه ، أو لا يكون فيه إلا أنه جاء على طريقته حسب .  
فكثيراً ما يقرأ النابغة كلاماً لغيره ، أو يتأمل خاطراً ، أو يشهد أمراً ؛ فإذا كل  
ذلك قد أوحى إليه وانعكس على مرآة ذهنه بمعان مبتكرة طريفة لا تشبه ما كان

---

(١) ومن هنا لا ينبغي لك أن تظن حين ترى في شرحنا هذا مثل قولنا - بعد  
شرح بعض الآيات - : إن هذا المعنى مأخوذ من قول فلان أو منقول منه أو ينظر  
إليه : أنا نقصد بذلك إلى أن أبا الطيب سرقه كما يسرق ضعاف الشعراء ، وإنما هو  
التوليد الذي هو من خصائص النوابغ ، وإنما ذكرنا هذه الأشباه والنظائر : هو  
الترى كيف يكون التوليد . وانتدثار ما يحلو . .

بسبيله وجها من الشبه - لا قريباً ولا بعيداً - وليس فيها إلا أنها جاءت من ذلك الطريق ، وهو بعدُ لم يتعمل لها ولم يتكلف ولم يصنع شيئاً ، وإنما هو تلقى من ذهنه وتلقى ذهنه من قوة لا يدري ما هي ولا أين هي ؟

وكما يُختار النبي يُختار النابغة - وليس كل الناس أنبياء ، ولا كلهم نوابغ - ولا يصنع النبي أكثر من أن يتلقى عن الوحي ، وكذلك يتلقى النابغة عن البصيرة وهي تكون فيه هو وحده بمقام الملك من الملائكة أو الشيطان من الشياطين ، على حين تكون في سواه بمقام الإنسان من الناس ، فالرجل الذكي أشبه بإنسانين : أحدهما هو ، والآخر بصيرته ، وهو بذلك أقوى من غيره ، ولكن النابغة - و بصيرته أشبه بإنسان وملك ، أو إنسان وشيطان - فهو دائماً أقوى من القوة ، وهو دائماً متصل بشيء فوق الإنسانية .

وإذا تقرر هذا : فليس للنابغة اختيار فيما يأتي به ، وليس عليه إلا أن يأخذ ما يؤتاه كما يتهمياً له على طريقته ؛ ومن هنا ترى المتنبي يأتي أحياناً بالتعقيد المستكره واللفظ المتكلف ، وتراه يتعسف ويتخبط ويُسف ، ومع ذلك لا ينفي مثل هذا من شعره ولا يحذفه ، وهو قادر على أن يُغنى عنه وليس في حاجة إليه ، ولكنه بعض طريقته التي انطبع عليها ، فلا يستطيع حين يحميته الرديء أن يجعله جيداً ، وليس إلا أن يأخذه كما هو ، لأنه هو الذي انبثق له عن الجيد ، كما تضرم النار من مادة ، فإذا هي شعل ودخان ، ثم تضرمها من مادة أخرى فإذا هي لهب صاف يتألق ؛ ولو أنك أردتها من المادة الأولى كما تجيء من الثانية لأطفأتها وذهب دخانها ونارها معاً .

وهذا سر لم يتنبه إليه أحد ممن كتبوا عن المتنبي ، فأشدُّ يدك عليه ، وادرس المتنبي على هذه الطريقة ، فستجده نابغة في جيده ورديته ، وستجده لا يستطيع غير

المستطاع ، وستجد طريقته كأنما فرضت عليه فرضاً ، لأنه كذلك أظم ، وعلى ذلك ركب طبعه ، وكان ظلامه ظلاماً لتسطع فيه النجوم .

\*\*\*

أما الإفاضة في ترجمة المتنبي ونشأته وأخلاقه وما إلى ذلك ، فلا يأتي فيها أحد بجديد . . . وقد أصبح المتنبي - دون غيره من شعراء العربية - كأنه في غير حاجة إلى الترجمة ، إذ هو كالتقطعة من تاريخ الأدب ، فالكلام عنه متداول مشهور ، وهذا بعض ما اختص به ؛ فقد تحتاج مع شعر كل شاعر إلى ترجمته ، ولكنك لا تحتاج من أبي الطيب إلا إلى شعره ، وترى شعره ترجمة روحه ، ولذلك اجتزأنا في هذه الكلمة ببيان سره الشعري ، ثم أنت - بعد ذلك - في حقيقة الرجل : أي شعره وشرح شعره الذي تقدمه إليك . . .

\*\*\*

وبعد ؛ فأما هذا الشرح فلا يلتزم في روعك أنه بدع في الشروح ، وأنه شيء مبتكر جديد ، وهل غادر الشراح من متردّم ؟ وإنما كل مزينة هذا الشرح أنه تلاقت فيه كل الشروح بعد شيء من التهذيب والتنقيح والتحوير ، أو بعد أن خلصت من عكرها خلاص الحجر من نسج الفدّام - كما يقول أبو الطيب - وبذلك توافر فيه ما لم يتوافر لأي شرح من شروح المتنبي على حدته ، فليس يغني عنه شرح ، ولكنه هو - بحمد الله - يغني عن سائر الشروح ؛ فهو كما يقول أبو الطيب :

يُدِلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلُّ فَاحِرٍ      وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيهِ الْمَعَانِيَا

عبد الرحمن البرقوقي

١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ

٥ أكتوبر سنة ١٩٣٠ م

## مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله .

« أما بعد » فلما أمضيتُ النيةَ - سنة ١٣٤٩ هـ - سنة ١٩٣٠ م - على أن أضع شرحاً على ديوان أبي الطيب المتنبي ، وأخذتُ في معالجة هذا العمل - وكان الناشرُ إذ ذاك يُحْفِزُنِي حَفْزاً ، ولا يكاد يُباعني ريقى ، وكان يتناول منى « أصول » هذا الشرحِ دِرَاقاً كما « أولاً بأول » ويقدمه إلى المطبعة نيتاً لم تُضِجْهُ نارُ التثبِتِ والرَّوِيَةِ ، وأخيراً تمثّل بالطبع ولم يمض على وضعه وطبعه أكثرُ من عشرة أشهر - لَمَّا حَدَثَ هذا طَفِقْتُ أَقْلَبُ النظرَ في هذا الكتابِ وَأَعِيدُ الكَرَّةَ ، انْخِطَرَةَ بَعْدَ انْخِطَرَةٍ ، وكلما أنعمتُ النظرَ في الشرحِ بدا لى ما يَسُوءُ وَيَكِيدُ ، وَيَحْزُنُ في الكبدِ ، من أخطاء مطبعية ، وتقصير في شرح بعض الآيات ، وهنئيات من هذا القبيل ، شأن كل عمل لم يُتَرَيَّثُ فيه ، ولم يُوفَّ حَقَّهُ من الأناة والتحقيق .... فلم يك منى إلا أن صححت النسخة التي بين يدي ، وتناولتها بالتنقيح والتهذيب ، والحذف والزيادة ، وتداركت جميع المآخذ ، حتى إذا قدر لهذا الشرح أن يعاد طبعه ، طبع على هذه النسخة . .

وما زلت على هذه الحال مستهتماً بالصبر حتى نَفِدَتْ نسخ هذه « الطبعة » ، ولم يك بُدٌّ من إعادة طبع هذا الديوان ، فكانت فرصة جميلة مؤانية أحييتُ ميَّةَ الأمل ، وحفزتني إلى استئناف العمل ، فكان أن وَجَّهْتُ عَزِيمَتِي إلى التوسع في هذا الشرح وجعله شرحاً وافياً من كل نواحيه ، شرحاً أورد فيه جميع تفاسير الشراح ، وأقوال النقاد ، وأستوعب مزايَا كل الشروح ؛ وليس ذلك أَمْرَةً منى ( ٢٢ - المتنبي )

واستبدادا بالمتنبي . . . ولكنه حب الكمال ، وما يسمونه المثل الأعلى . . . فلقد رأيت بعض الشراح قد اختصر الطريق ، واكتفى بتفسير الكلمات اللغوية ، وبعضهم قد جعل وَكَدَهُ الإعراب وما يتعلق بالآيات من جهة النحو والتصريف ، وآخرين قصرُوا عنايتهم على إيراد السرقات والأشباه والنظائر . بيدَ أن هذه الأشباه - ومثلها الشواهد النحوية التي أوردها العُكْبَرِيُّ ، ومن قبله الإمامان : أبو الفتح بن جني ، والواحدى محتاج - هي الأخرى - إلى الشرح والتفسير . . . ورأيت في بعض عبارات القدامى من الشراح غموضاً يحتمل أن يوضح أو يستبدل به غيره ، مما يوأم أذهان هذا الجيل . . . فكان كلُّ أولئك مما حفزني إلى الاحتفال والاحتشاد لهذا الشرح . . . فكان أن أُورِدْتُ فيه جميع تفاسير الشراح - من متقدمين ومتأخرين - وأقوال نقدة المتنبي - من متعصبين له ومتعصبين عليه - وأكثرت من إيراد الشواهد ، والأشباه والنظائر ، وشرحت ما غمض من هذه الشواهد والأشباه . ومن عبارات الشراح ، فضلاً عن تصحيح الأخطاء التي ألت بالشرح الأول ، حتى أربى هذا الشرح على الشروح كلها مجتمعة ، وحتى صار هذا الشرح شرحاً لمتنبي ، وشرحاً لشروح المتنبي . . .

على أنني لا أدعى أن الكمال الذي نشدتُ قد تحقق ، وحسبي أني لم آل جهداً ، ولم أدخر وسعاً ، وإن كان جهد المقلِّ ، وغاية المستطیع ؛ ورحم الله العباد الأصفهاني حين يقول : إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو عُيِّرَ هذا لكان أحسن ، ولو زيدَ لكان يستحسن . ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . . . وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

« وأما بعد » فلمناسبة هذا الشرح الجديد ، والاحتشاد فيه ، والعمل على جعله مغنياً عما عداه : رأيت أن أتبسط شيئاً في سيرة المتنبي - ولا سيما ما كان منها عوناً على معرفة المناسبات والظروف التي قيلت فيها قوافيه - وكذلك رأيت أن أترجم

شراح المتنبي ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح ، وإتماماً للفائدة جمعت أمثال المتنبي  
وَحِكْمَهُ وَأَلْحَقْتُهَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ .

وإنما تترامى بهذا كله إلى أن يكون هذا الكتاب - ديوان المتنبي وشرحه  
ومقدماته - كفيلاً بتحقيق كل ما يصبو إليه دارس شعر المتنبي .

وإني أسأله - سبحانه - أن يهبه من السلامة ما يحقق له رضا المنصفين ،  
ويُضْفِي عليه من القبول ما يَعْمُرُ به انتفاع المتأدبين ، إنه سبحانه بذلك كفيلاً  
وهو حسبنا ونعم الوكيل .

### عبد الرحمن البرقوقي

١٣٥٧ هـ - سنة ١٩٣٨ م

وكانت له أخت تسمى خديجة بنت خويلد ، وكان والده من بني النضير ، وكان والده من بني النضير ، وكان والده من بني النضير .

### سيرة المتنبي •

نسبه : هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي الكندي

الكوفي ، أو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي . الخ ، كما روى الخطيب وابن خلكان ، وروى بعض المؤرخين : أحمد بن محمد . الخ .

وجعفي جد المتنبي : هو جعفي بن سعد العشيرة من مدحج من كهلان من قحطان ، وكندة التي ينسب إليها ، محلة بالكوفة ، وليست كندة القبيلة كما ظن بعضهم خطأ .

وكان والد المتنبي يعرف بعبدان السقاء ، يسقى الماء لأهل المحلة ، أما جدته لأمه فهي همدانية صحيحة النسب ، وكانت من صلحاء النساء الكوفيات وكان جيرانهم بالكوفة من أشرف العلويين ، وكان لأبي الطيب منهم خلطاء وأصدقاء .

ولم يذكر المتنبي في شعره نسبه أو قبيلته ، ولا أشار إلى والده أو جده ، وإنما ذكر جدته لأمه ، وكان يدعوها والدته ، في أشعار منها :

أُمْنِي السُّكُونِ وَحَضْرَمَوْنَا      ووالدتي وكندة والسبيعا

وقد روى الخطيب عن علي بن الحسن عن أبيه قال : « وسألت المتنبي عن نسبه فما اعترف لي به وقال : أنا رجل أخبط القبائل وأطوى البوادي وحدي ، ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينه وبين

(٥) قام بتلخيص هذا الفصل : هلال شتا ، وعمدته في هذا التلخيص : كتاب ذكرى المتنبي ، للدكتور عبد الوهاب عزام .

القبيلة التي أنتسب إليها . وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم  
ويخافون لساني .

على أن المتنبي قد دافع عن نسبه هذا ، في القصيدة التي مطلعها :

لا تحسبوا ربكم ولا طلله أول حيي فراقكم قتله

وإن يكن لم يذكره ، وإنما أشاد بأبائه له عظام ، في قصيدته هذه ، وفي مواضع  
أخرى من شعره ، دون أن يذكر رحله أو عشيرته أو قبيلته .

ولم يكن المتنبي يُعنى بأن يعرف عنه إلا أنه المتنبي ، لا يفخر بقبيلة ، وإنما تفخر  
به القبيلة التي هو منها ، قال في إحدى قصائد الصبا :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي نفرت لا بجدودي  
وقال في رثاء جدته لأمه :

ولو لم تكوني بنت أكرم والد لكان أبك الضخم كونك لي أما

ويقول بعض مؤرخي الأدب العربي : إن بعض شعر المتنبي قد يدل على  
عصبية يمانية ، فأكثر ممدوحيه في أيامه الأولى من قبائل يمانية ، مدح شجاع  
ابن محمد الأزدي ، وعلى بن أحمد الطائي ، وغيرهم ، ومدح التنوخيين في اللاذقية .  
وقال للحسين بن إسحق التنوخي يمدحه - بعد أن هجاه بعض الناس ونسب الهجاء  
إلى المتنبي - :

أبت لك ذمي نخوة يمنية ونفس بها في مأزقٍ أبداً ترمي

على أن ذلك الذي يكتم نسبه عن الناس فينسى الناس ذلك النسب ، والذي  
يختلف المؤرخون في تسمية آبائه ، ليس ذا نسب نابيه على كل حال ، ثم إن خلط  
كندة التي ولد بها المتنبي ، بكندة القبيلة ، شيء يحقق خمول نسب شاعرنا الكبير  
وتفاهته ، وهو - على الرغم من كل أولئك - عربي قح ، عريق في عروبتة ، فلا يعيبه  
أن كان من بيت فقير .

أسرته :

ولقد اتفقت روايات المؤرخين على أن أبا المنبجي كان سقياً ، وقد هجاه ابن لنكك البصرى لما سمع بقدومه بغداد راجعاً من مصر فقال :

لكن بغداد جاء الغيث ساكنها      نعالم في قفا السقاء تزدهم  
وقال شاعر آخر :

أى فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشياً  
عاش حيناً يبيع في الكوفة الما ،      وحيناً يبيع ماء الحيا

وروى أن والد المنبجي سافر به إلى الشام ، وتنقل به بين حضرها وباديتها ومدرها ووبرها ، وردده في القبائل .

على أن الثابت الذى ينطق بأن والد المنبجي لم يكن رجلاً نابه الشأن - كما يرجح الرواة - أنه مات فما رثاه ولده بكلمة واحدة .

أما والدة المنبجي ، فلم يذكر الرواة عنها شيئاً ، ويرجح أنها ماتت في حادثته قبل سفره إلى الشام ، وأما جدته لأمه فقد تقدم ذكرها ، وهى التى تفردت من بين أسرته جميعاً برثائه لها واحترامه الفخم . قال إبان اعتقاله :

يبدى أيها الأمير الأريب      لا لشيء إلا لأنى غريب  
ولأمّ لها إذا ذكرتنى      دم قلب فى دمع عين يذوب

وتلك هى جدته التى أخبرنا فى شعره - كما أخبرنا الرواة - أنها ماتت فرحاً بكتاب جاءها منه بعد غيبة طويلة مؤتة . وإنك لو اجد أثرها البليغ فى حياته وسيرته ولامس ثورة نفسه وحزنه عليها فى قصيدته التى مطلعها :

ألا لا أرى الأحداث مدحاً ولا ذماً      فما بطشها جهلاً ولا كفتها حِلماً

وأجمع رواية أخبار المتنبي على أن مولده كان في محلة كندة ، إحدى محلات الكوفة ، سنة ثلاث وثلثمائة من الهجرة ، وهذا هو كل ما نعرفه من أخبار نشأته الأولى اللهم إلا النزر الذي لا يتقع غلة ، جاء في الإيضاح أنه « اختلف إلى كتاب فيه أولاد أشرف العلويين ، فكان يتعلم دروس العربية شعراً ولغة وإعراباً » وكان - إلى جانب ذلك - يختلف إلى الوراقين ليفيد من كتبهم ، وقد تميز منذ الطفولة بالذكاء وقوة الحفظ ، واشتهر بحبه للعلم والأدب ، وقد لزم الأدباء والعلماء وأكثر ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم .

ومما يستطرف هنا ما ذكره بعض الرواة عن قوة الحفظ في المتنبي ، وهي أن أحد الوراقين أخبره أن أبا الطيب كان عنده يوماً ، فجاءه رجل بكتاب نحو من ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ أبو الطيب الكتاب وأقبل يراجع صفحاته ، فلما ملّ صاحب الكتاب ذلك استعجله قائلاً : يا هذا لقد عطلتني عن بيعه ، فإن كنت تبغى حفظه في هذه الفترة القصيرة ، فذلك بعيد عليك . قال المتنبي : فإن كنت حفظته فإلى عليك ؟ قال الرجل : أعطيك . قال الوراق : فأمسكت الكتاب أراجع صفحاته والغلام يتلوما به حتى انتهى إلى آخره ، ثم استلبه فجعله في كفه ومضى لشأنه .

وروى أن المتنبي صحب الأعراب في البادية فعاد إلى الكوفة عربياً صرفاً ، أما مدة إقامته فيها فهي أكثر من سنتين ، قال العلوي : إنه أقام في البادية سنتين ، وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أنه أقام فيها سنتين . ويُرجَّح أن مغادرة المتنبي إلى البادية كانت سنة اثنتي عشرة وثلثمائة ، حينما أغار القرامطة على الكوفة ، ويرجح كذلك أنه غادر الكوفة مرة أخرى سنة خمس عشرة وثلثمائة عندما عاود القرامطة الغارة وهزموا جيش الخلافة ، وقد كان لذلك أثرٌ بَيِّنٌ في نفس المتنبي فاض في بعض أحاديثه وأشعاره .

وقدر حل المتنبي بعد ذلك إلى بغداد . جاء في «الصبح المنبى» : أن أبا الطيب قال :  
« وردت في صباى من الكوفة إلى بغداد » وإنه وإن لم يذكر المؤرخون موعد  
ذهابه إلى بغداد ، فمن الراجح أنه ذهب إليها سنة تسع عشرة وثلثمائة فقد جاء في  
النجوم الزاهرة في حوادث تلك السنة : أن القرامطة أغاروا على الكوفة فرحل  
أهلها إلى بغداد . فليس بعيداً أن تكون هجرة المتنبي إلى بغداد مع الراحين إليها  
من أهل الكوفة ، ومن المحتمل أيضاً أن يكون المتنبي قد ذهب إلى بغداد قبل ذلك  
مرة أو مرات .

وبين — بعد ذلك — من سيرة المتنبي ، ومن روايات المؤرخين ، أن ثقافة  
الشاعر العربي لم تكن جماع ما تلقاه في كُتَّاب الكوفة ، وما أفاده من مصاحبة  
الأعراب في البادية ، وما تعلمه في بغداد فحسب ، بل لقد زاد على ذلك أنه هاجر إلى  
العلماء وصاحبهم ، فدرس على السكرى ونفطويه وابن دستويه ، ولقى كذلك أبا بكر  
محمد بن دريد فقرأ عليه ولزمه ، ولقى بعده من أصحابه أبا القاسم عمر بن سيف  
البغدادي ، وأبا عمران موسى ، وأنه « طلب الأدب وعلم العربية ، ونظر في أيام الناس  
وتعاطى قول الشعر من حدائمه حتى بلغ الغاية التي فاق فيها أهل عصره ، وطاول  
شعراء وقته » .

رحلته إلى الشام :

وكانت رحلة أبي الطيب إلى الشام سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ، كما يقول  
المعري في رسالة الغفران ؛ وفي دائرة المعارف الإسلامية : أنه رحل إلى بغداد سنة  
ست عشرة وثلثمائة ، ثم رحل بعد ذلك إلى الشام ، ويقول بعض شراح الديوان : إن  
القصيدة التي مطلعها :

ذِكْرُ الصَّبَا وَمَرَاتِعِ الْأَرَامِ      جَلَبْتُ حِمَامِي قَبْلَ يَوْمِ حِمَامِي

نظمها الشاعر في رأس عين ، وأرجأ قولها إلى أن لقي سيف الدولة

بأنطاكية ، ولا ريب أن مرور الشاعر برأس عين كان في إبان ذهابه إلى الشام ، وقد كان ذلك سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ؛ فإن صح هذا ، يكون المتنبي قد رحل إلى الشام وسنه ثمانى عشرة سنة .

وقد وضع الواحدى فى شرحه القصيدة التى أولها :

أحيا وأيسر ما قاسيتُ ما قتلا      والبين جارَ على ضعفى وما عدلا  
فى القصائد الشامية ، أى أنها وما بعدها إلى الكافوريات ، قيلت فى الشام ، أما ما قبلها ، فقيل فى العراق ، وليس ما قبلها بكثير .  
ولم يبد شاعرنا الكبير حناناً إلى وطنه العراق ، الذى سلخ فيه ثمانى عشر سنة من عمره ، وإنما ذكره فى بعض قصائده ، وذكر أن وطن الإنسان هو الأرض التى حلَّ فيها فلقى خيراً وصحاباً ، ويبدو أن وطنه ذلك قد نبأ به ، وضاق بآماله وأحلامه وطموحه .

ولم تكن رحلة المتنبي إلى الشام ومكثه به وقوله الشعر ، إلا فى طلب المجد والسؤدد ورفعة الشأن ، ولا ندرى أسافر إليها وحده ، أم سافر فى صحبة والده ؟ .

وجدير بنا ، قبل أن نمضى فى ترجمة شاعرنا إبان إقامته فى الشام - أن نلمع إلى الحالة السياسية بها فى هذه الفترة ، لما لها من أثر كبير فى حياة الشاعر وسيرته .

فلقد كانت الشام - على عهد المتنبي - مقسمة بين الأخشيد وابن رائق ، ثم بين الأخشيد وسيف الدولة . وقد استمرت المنازعات عليها منذ سنة ست عشرة وثلثمائة فى خلافة المقتدر بالله العباسى . وقد ولى محمد بن طفج على الرملة ، ثم أضاف إليه دمشق سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، وكانت حلب فى أيدي ولاية يرسلون من بغداد ، ثم ولى محمد بن طفج مصر أيضاً ثم عزل عنها ، وفى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فى عهد الرضى بالله العباسى عظم أمر ابن طفج ، فأعيدت ولايته على مصر ،

وامتد سلطانه على الشام كلها ، وخلع طاعة الخليفة ؛ فأرسل إليه ابن رائق ، فاستولى على الشام وولى ابن يزداد حلب ، ثم دمشق ، وكان الأخشيد قد استقر على الرملة، فسير جيشاً يقوده كافور إلى الشام ، فهزم ابن يزداد واستولى على حلب ، ثم استقر سلطان الأخشيد على الشام كلها ، وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة استولى سيف الدولة على حلب ، وبقي الأخشيديون في دمشق .

وقد مدح أبو الطيب من رجال هذه الوقائع مساور بن محمد الرومي ، والحسين بن عبد الله بن طفج ، وهو ابن أخي الأخشيد، وطاهر العلوي، قال في مساور القصيدتين اللتين مطلعاهما :

جَلالاً كَبابِي فَلَيْكُ التَّسْبِريحُ    أَغْذاءُ ذَا الرِّشْبِ الْأَغْنِ الشَّيْحُ

(و)

أمساور أم قرن شمس هذا    أم ليث غاب يقدم الأستاذا  
ويعنى الشاعر بلفظة «الأستاذ»: كافوراً .

وكانت طريق أبي الطيب إلى الشام هي طريق الجزيرة ، فمر برأس عين وانتهى إلى منبج ، حيث أقام يمدح جماعة من رؤساء العرب ، وأول قصائده الشامية في الديوان يمدح بها سعيد بن عبد الله السكلابي المنبجي — وهي القصيدة التي أشرنا إليها من قبل — ثم مدح الشاعر جماعة أخرى في منبج وطرابلس وغيرها من بلاد الشام الشمالية .

ولأنجب أن نمضي قُدماً في سيرة الشاعر ، دون أن نقف بحادثة ادعائه النبوة ، وهي الحادثة التي أثرت أكبر التأثير في صوغ سيرته في كتب الأدب ، لنعلم أحقاً كان ذلك أم كذباً؟ فإن كان كذباً فلماذا لقب بالمنبجي؟ .

\*\*\*

لا جدال في أن أبا الطيب سجن بالشام في أيام شبابه ، فقد أجمع على ذلك

رواة سيرته جميعهم - كما أنبأ به في شعره - أما سبب سجنه فذلك ما اختلف فيه الرواة بعضهم مع بعض ، وما اختلف فيه أبو الطيب ، مع رواة سيرته ، ويقول الخطيب البغدادي: إن أبا الطيب « لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علوي حسني ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ، ، ثم عاد يدعى أنه علوي ، إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب في الدعويين ، وحبس دهرًا طويلًا ، وأشرف على القتل ، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق » ويقول أيضًا رواية عن خاق يتحدثون: « إنه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيديّة ، فقاتله وأسرّه ، وشرّد من اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرها من قبائل العرب ، وحبسه في السجن حبسًا طويلًا فاعتل وكاد أن يتف ، حتى سئل في أمره ؛ فاستتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليها فيها بظلال ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام .

ويروى للمعري في رسالة الغفران : أنه لما حصل في بني عدى ، وحاول أن يخرج فيهم ، قالوا له - وقد تبينوا دعواه- : ههنا ناقة صعبة ، فإن قدرت على ركوبها أقررنا أنك مرسل ، وأنه مضى إلى تلك الناقة وهي رائحة في الإبل فتحيل ، حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة ، وتنكرت برهة ، ثم سكن نفارها ، ومشت مشى للمسحة ، وأنه ورد الخلة وهو راكب عليها ، فعجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم .

وروى كذلك : أنه كان في ديوان اللاذقية ، وأن بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الأقلام ، فخرخته جرحًا مفرطًا ، فتفل عليها أبو الطيب من ريقه وشد عليها ، وقال للمجروح : لا تحلها في يومك ، وعدّ له أيامًا وليالي ، فقبل الكاتب ذلك وبرى الجرح ، فصاروا يعتقدون فيه النبوة ، ويقولون : إنه كحبي الأموات .

وفي الصبح المنبي : أن أبا الطيب قدم اللاذقية بعد نيف وعشرين وثلاثمائة

فأكرمه معاذ ثم قال له : والله إنك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير . فقال :  
ويحك ! أتدري ما تقول ؟ أنا نبي مرسل ؛ ثم تلا عليه جملة من قرآنه - وهو  
مائة وأربع عشرة عبرة - ثم أراه معجزة ، فنع المطر عن بقعة وقف فيها ، فأصاب  
المطر ما حولها ولم تصبها قطرة ، فبايعه معاذ ، وعمت بيعته كل مدينة في الشام ، ثم  
إنه لما شاع ذكره ، وخرج بأرض سلمية من عمل حمص قبض عليه ابن علي الهاشمي ،  
وأمر النجار بأن يجعل في رجليه وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف ، وقد كتب  
أبو الطيب من حبسه إلى الوالي :

بيدي أيها الأمير الأريب . . . . . الخ

تلك بعض الروايات التي ألصقت بأبي الطيب دعوى النبوة ، وهي روايات واضحة  
الكذب واهية الأسانيد ، فأما أولاها فدعوى النبوة فيها مقحمة إقحاما تسبقها  
وتعقبها دعوى العلوية ، فكأنما صح في ذهن جمهرة الرواة أنه تنبأ فجعلوا في رواياتهم  
مصدق ما سمعوه وصح في أذهانهم ، وأما الثانية فهي رواية عن خلق يتحدثون ،  
وهذه مقطوع ببطلانها مقضى بكذبها ، فأحاديث الخلق دائما مزوقة الجوانب موشاة  
الحواشي ، بالكذب القصصى الشيق ، وأما رواية المعري فهي حديث خرافة أيضاً ،  
لا تقرر شيئاً ، إلا أنه قام بالمعجزات وأن الناس صدقوا به ، وذلك شيء بعيد  
الحدوث ، بل مستحيله أيضاً ؛ فلو أن المتنبي تنبأ فعلا فمن المقطوع به أن أحداً  
من الناس لم يؤمن بنبوته ، وأما رواية معاذ فمناطقة بالكذب الصريح والتلفيق  
البيّن . لأن فيه قرآناً ومعجزات وتصديقاً بدعوته ، وحديثاً مفككا يناقض  
أوله آخره .

والذي يسهل على التصديق ويدخل في نطاق الواقع من أيسر سبيل أن  
أبا الطيب لقب بالتنبي لبعض أبيات من شعره ، ولتعاليه وتعاضمه ، ففي الديوان  
قطعة جاء قبلها « وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي على ما كان قد شاهد  
من تهوره فقال :

أيا عبد الإله معاذ إني خفي عنك في الهيجا مقامي  
وليس في هذه القطعة إلا المخاطرة ومصاولة الخطوب في سبيل ما يطمح إليه  
من المجد والسؤدد ، وليس فيها ذكر لدعوى النبوة أو إشارة إلى خارق المعجزات  
التي حفلت بها الرواية السابقة .

ويقول الثعالبي : إنه بلغ من كبر نفسه وبعدهمته أنه دعا قوماً من رائي نبله ،  
على الحدائثة في سنه ، والغضاضة من عوده ؛ وحين كاد يتم أمر دعوته ، تأدى خبره  
إلى والى البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده .

وهذه رواية معقولة مقنعة مسائرة للمنطق والصدق . وقد روى الثعالبي بعد  
ذلك أنه « يحكى أنه تنبأ في صباه ، وفتن شردمة بقوة أدبه وحسن كلامه »  
وهو يقصد بذلك أن يشير إلى ما تجاذبه الناس من حديث التنبؤ ، وما لا كتبه  
الألسن من خرافة قصصية مشوقة .

وروى الخطيب عن التنوخي : « فأما أنا فسأنته بالأهواز سنة ٣٥٤ هـ عند  
اجتيازه بها إلى فارس في حديث طويل جرى بيننا عن معنى التنبؤ ، لأنى أردت  
أن أسمع منه هل تنبأ أم لا ؟ فأجابني بجواب مغالط لي وهو أن قال : هذا  
شيء كان في الحدائثة » .

ويقول ابن جنى في شرحه : « وكان قوم قد وشوا به إلى السلطان في صباه  
ونكذبوا عليه ، وقالوا له : قد انقاد له خلق كثير من العرب ، وقد عزم على أخذ  
بلدك ، حتى أوحشوه منه فاعتقله ، وضيق عليه ، فكتب إليه يمدحه » .

أما رأى ابن جنى في تلقيبه بالتنبؤ فهو قوله :

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود  
وذلك رأى تميل إلى الأخذ به . فواضح من قصيدته في الاعتقال ومطلعها :

أَيَا خَدَدَ اللَّهُ وَرَدَ الْخُدُودِ . وَقَدَّ قُدُودَ الْحَسَنِ الْقُدُودِ  
إن التهمة التي ألصقت بالمتنبي لم تكن ادعاءه النبوة ، وإنما كانت دعوى  
أخرى تكشف عنها العقيدة ، ويعترف بها الشاعر ولا يحاول إنكارها ، وهي  
اتهامه « بالعدوان على العالمين » أي بالخروج على السلطان .  
ويصح كذلك أن يكون سبب تسميته بالمتنبي ذلك البيت :  
ما مقامى بأرض نخلة إلا ك مقام المسيح بين اليهود  
وليس أيسر من أن يسمع حاسدوه هذا الشعر فيلقبوه بالمتنبي ، وفي أيامنا  
هذه من أمثال ذلك كثير في الصحف والمجلات ، فإذا أطلق عليه هذا اللقب  
وذاع وسرى في الناس ، ثم مضت مدة رجع فيها الناس إلى الاستقصاء استطاع  
أصحاب الخيالات القصصية أن يخلقوا قصة طريفة يفسرون بها هذا اللقب ،  
ويسندون فيها إليه ادعاء النبوة .

\*\*\*

ونعود إلى سيرة المتنبي فنقول :  
كان سجنه سنة أربع وعشرين وثلثمائة ، أو في السنة التي بعدها ، ويؤخذ ذلك  
من أنه قال في قصيدته التي أرسلها من سجنه إلى الوالي يمدحه :  
فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ الْخُرَشَنِيَّ كَشَاءِ أَحْسَ زُبَيْرِ الْأَسْوَدِ  
والخرشني هو : بدر الخرشني والي حلب من قبل الخليفة العباسي ؛ وثابت  
في كتب التاريخ أن الأخشيدي استولى على حلب سنة أربع وعشرين وثلثمائة  
بعد أن تركها الخرشني إلى بغداد ، فإن كان أبو الطيب يقصد بهذا البيت نزوح  
الخرشني إلى بغداد ، قبل استيلاء الأخشيدي على حلب ؛ فيكون سجنه في هذه السنة  
أو في التي تليها .  
ولقد لبث أبو الطيب بالشام خمس عشرة سنة ، وهو دائم الترحال غير

مستقر على حال ، يقصد المدوحين ، فيخيبون أمله ، فتثور نفسه ، وتتحكم  
كبرياؤه ، ثم يعود فيكبت النفس الأبية ، ويمسك كبرياهه بيده ، وتاجته  
الحاجة الملحة إلى معاودة المدح . وقد مدح أثناء ذلك اثنين وثلاثين رجلا  
بأربع وأربعين قصيدة ، ومنهم التنوخيون باللاذقية ، وبدر بن عمار الأسدي  
نائب ابن رائق في طبرية ، ومساور بن محمد الرومي وإلى حلب ؛ وقد لزم  
التنوخيين وابن عمار زمناً . وأكثر البلاد نصيباً من مدائحه : منبج ،  
وأنطاكية ، واللاذقية ، وطبرية ، ومدح كذلك في طرابلس ، وطرسوس ،  
وجبل جرش ودمشق ، والرملة .

وقد نظم في تلك المدة خمس قصائد لنفسه ، يعرب فيها عن مطامعه  
ويفخر ويشور . وهي القصائد التي أبانت عن آماله وأوضحت عن أحلام  
نفسه الكبيرة .

\*\*\*

ولم يُفد أبو الطيب من مديحه إلا العطاء النزر ، على كثرة ما بالغ واحتفل .  
روى ياقوت في معجم الأدباء : أن المتنبي لما مدح محمد بن زريق  
الطرسوسي بقصيدته :

هذِي بَرَزْتُ لَنَا فَمَهَجْتَ رَسِيْسًا      ثُمَّ ائْتَيْتَ وَمَا شَفَيْتَ نَسِيْسًا  
وصله عليها بعشرة دراهم . فليل له : إن شعره حسن . فقال : ما أدرى أحسن هو  
أم قبيح ، ولكن أزيدة لقولك هذا عشرة دراهم ، فكانت صلته عليها عشرين  
درهما . وروى الثعالبي : أن علياً بن منصور الحاجب أعطى أبا الطيب ديناراً  
حينما مدحه بقصيدته :

بأبي الشموس الجانحات غواربا      اللابسات من الحرير جلابيا  
فسميت القصيدة الدينارية ، وروى كذلك أن أبا الطيب مدح بدون العشرة

والخسة من الدرام ، ولكن الذى لا ريب فيه ، أن كبار المدوحين أعطوه عطاء  
ضخماً ، يلائم شعره ومكاته .

\*\*\*

ولقد كان المتنبي فى عهده هذا ، يبنى المجد والسؤدد ، ويلهج بالملك ، ويبنى  
صروح الآمال الجسام . قال فى صباه :

ومن يبيع ما أبغى من المجد والعلو تساوى الحيايى عنده والمقاتل  
وعند ما لأمه معاذ اللاذقى على توعده قال :

أيا عبد الإله معاذ إني خفى عنك فى الهيجا مقامى

وكثير جداً من شعره ينحو هذا المنحى ويسلك هذا السبيل . وكان يرى الوسيلة  
إلى الملك الكفاح والقتال ومصارعة الخطوب ، وقد جاء ذلك فى شعره فى غير  
موضع ، فإذا عاقته الأيام عن ذلك ، وتوانى عن إدراك أحلامه العريضة ، لام  
نفسه وأنها تأنيبا .

والذى يقرأ الديوان يدرك أن المتنبي كان يستعمل هذا الضرب من ذكر  
الآمال وطلب المجد والسؤدد ، فى أول قصائده التى يمدح بها كما كان الشعراء  
يستفتحون قصائدهم بالنسيب . وقد جرى على ذلك فى قصيدته التى مدح بها على  
ابن إبراهيم التنوخى والتى مطلعها :

أحاد أم سداس فى أحاد ليلتنا المنوطة بالتناد

وكذلك فى قصيدته التى مدح بها المغيث بن على بن بشر العجلي ، والتى  
مطلعها :

فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ما تهب اللثام

وبلغ من ولع شاعرنا بهذا اللون من ألوان الكلام ، وقلة مبالاته بالناس  
أنه تواعد بقتل المدوحين أيضاً ، وذلك فى قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله  
الخصيبى .

وفي شعر المتنبي : أنه حارب في سبيل غايته ، وعارك وقتل ، ولا ندري متى حارب  
ومن قتل ، ولعل ذلك وهم وسوس به إليه شيطانه النافر الجامح :  
ومن عجب أن ذلك الشاعر الطامح إلى الملك والسلطان ، الذي وسع صدره هذه  
الآمال الكبار ، كان فقيراً معسراً لم ينل من حياته عيشاً رغداً ، يقول في إحدى  
قصائده صباح :

أين فضلي إذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد  
ضاق صدري وطال في طلب الرزق قيايى وقل عنه قعودي  
ويقول بعض القصيدة الدينارية :

أظمتني الدنيا فلما جثتها مستسقياً مطرت على مصائبها  
ويقول الثعالبي : إن أبا الطيب كان يحشم نفسه أسفراً أبعد من آماله ،  
لا يستقر ببلد ولا يسكن إلى أحد ، وكان من وفرة ماله في سبيل غايته من  
مشقة ، وشح ماله من مكافأة ، وطول ما عانى ونصب ، يكره الدنيا ومن  
فيها ، ويخالها بناسها حرباً عليه ، وليس يغيب عن الذهن ما قاله في تحقير الناس ، من  
شعر معن في الذم . قال :

أذم إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم قدم وأحزمهم وغد  
إلى آخر الأبيات .

وليس يخفى أنه كان متعالياً على الناس ، شديد الاعتداد بنفسه ، والإيمان بحقه  
على أهل زمانه ، ونحسه كان محققاً في ذلك ، وإلا لما حفل الناس به  
إلى يومنا هذا ، ولما سعى إليه المدوحون بدل أن يسعى إليهم . يقول في إحدى  
قصائده صباح :

إن أكن معجباً فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد  
إلى آخر ما هو من هذا القبيل .

ولم يكن أبو الطيب يتغنى بالثورة والمجد عبثاً ، ولا كان عاجزاً يمتنى نفسه بالقول  
( ٣ م - المتنبي ١ )

دون الفعل ، وإنما كان يسعى لآماله سعى المسيح المجدد ، فلقد هم بالثورة وترقب لها الفرص ، ثم سكت عن أشباه ذلك بعد أن بارح عتبة الصبا ، وأوغل في سنى الرجولة الحكيمة ، فتركزت آماله في عقله الباطن ، وراح يعمل على تحقيقها في هدوء و يقين وثقة بالنجاح ، وقد استمر يُمنَى النفس ، ويبسط أمامها سبل الأمل الباسم الخلاب ، حتى قتل الزمان هذا الأمل في رأسه وخياله . فأب صامتاً محتملاً يشكو لنفسه مطل الزمان ، ولا يشكو لبني الإنسان ، فهو يراهم دونه بكثير .

\*\*\*

تلك كانت حالة الشاعر في بلاد الشام ، منذ ألقى بها عصا التسيار ، حتى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، بيد أنه على سوء حاله وإغراقه في شكوى الزمان ، قد سار ذكره ونبه شأنه ، وبسط شعره سلطانه على الناطقين بالضاد ، حتى رغب في مداخمة الأمراء والحاكمون ، فدعاه الحسن بن عبيد الله بن طفج إلى الرملة ليمدحه - وهو أخو الأخشيد كما قدمنا - ثم تيسر له سبيل الاتصال بأبي العشائر بن حمدان ، فمهد له الوصول إلى سيف الدولة على بن حمدان ، الذي هيا له السعادة والمجد ، وأعانته على الدخول في زمرة الخالدين ، وكان له على خطوب الأيام خير معين .

وكان لقاء الشاعر للحسن بن طفج في شعبان سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، إذ أرسل إليه رسوله بركوبة يركبها ، فامتنع الشاعر عليه ، فأقسم ألا يبرحه ، فدخل أبو الطيب فكتب قصيدة وعاد ومدادها لم يحف ، ثم ركب مع الرسول ، فدخلا على ابن طفج فأنشده إياها وهي :

أنا لأنمى إن كنت وقت اللوأم علمت بما بي بين تلك المعالم  
وكان هذا أول شعر المتنبي أجيز عليه إجازة كبيرة . جاء في الإيضاح : « أن المتنبي حدث بأنه أعطى من أجلها ألف دينار ، وقد أقام الشاعر مدة عند ابن طفج ، وفي الديوان غير هذه القصيدة : أرجوزة قصيرة ، وثلاث وعشرون قطعة قصيرة

أكثرها بيتان ، وقد قيات قطعتان منها بعد عشر سنين من هذا التاريخ ، حين مر  
الشاعر بالرملة قاصداً مصر وها قوله :

ترك مدحيك كالهجاء لنفسى      وقليل لك المديح الكثير

و

ماذا الوداع وداع الوداع الكمد      هذا الوداع وداع الروح للجسد

\*\*\*

ومدح أبو الطيب في الرملة أيضاً أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي ،  
وفي شرح المعري وشروح أخرى : أن ابن طفج سأل الشاعر مدح أبي القاسم  
مرات عدة ، وألح عليه في ذلك كثيراً فكان يمتنع ، ثم سأله الأمير قصيدة في  
أبي القاسم بدل قصيدة كان يريد لها لنفسه فرضى أبو الطيب ؛ ولما ذهب الشاعر  
إلى أبي القاسم ومعه حاشية ، وجده في فريق من أشراف قومه يجلس على سريره ،  
وقد نزل لأبي الطيب عن سريره ولقيه بعيداً ، وأقبل عليه يتحدث ويؤنسه ويجلسه  
على سريره ، ثم يجلس هو بين يديه ، وقد كان ذلك بدعاً في المدح حقاً ، فلم يسمع  
أحد قبـل أبي الطيب أن شاعراً جلس الممدوح بين يديه ، وهذه  
القصيدة هي :

أعيدوا صباحي فهو عند الكواعب      وردوا رقادي فهو لخط الحباب

\*\*\*

ويجمل بنا أن نشير هنا إلى أنه لما غاب العباسيون على أمرهم ، وأصبح الخلفاء  
في أيدي القواد والأمراء ، نشأت في قبائل العرب أربع دول : هي بنو حمدان  
بالموصل وحلب ( ٣١٧ — ٥٣٩٤ هـ ) وبنو مرداس ، وبنو المسيب ، وبنو مر يد ،  
وإنما يعنينا من هذه الدول دولة بني حمدان التغلبيين ، التي أنجبت سيف الدولة الحمداني ،  
وتنسب هذه العشيرة إلى حمدان أحد رؤساء بني تغلب ، وهو ابن حمدون بن الحارث

ابن لقمان بن راشد ، يقول المتنبي :  
وحمداً حمدون ، وحمدون حارث و حارث لقمان ، ولقمان راشد

وكان للحمدانيين نفوذ وسلطان إبان الخلافة العباسية منذ سنة ٢٦٠ ، وولى  
أمرؤهم ولايات كثيرة ، وكان على سيف الدولة الحمداني يملك واسطاً وما حولها ، ثم  
أخذ لنفسه بسيفه مملكة من الأخشيديين في شمال الشام ، واستولى على حلب وحمص  
سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة كما تقدم وكانت له وقائع مع الأخشيديين ، وقد استولى  
على دمشق والرملة بعد موت الأخشيد ، ثم غلب عليهما ، فاصطاح مع الأخشيديين  
على أن تكون له حلب ولهم دمشق ، وتزوج بنت الأخشيد ، واستمر له الملك  
ولذريته حتى أخذه الفاطميون .

وفي تاريخه : أنه صمد للروم يحاربهم عن العرب ، فكانت له معهم وقائع قبل  
أن يملك حلب ، فلما استقر له الملك وبسط يده على المدائن كان عليه أن يحمي  
ذمار ملكه ، وأن يناضل عن بني دينه ولغته ، وأن يقيم عرشه على السيوف المساطة  
والدماء المراقبة ، وقد استطاع أن يقف وحده عشرين عاماً شوكة وخازة في جسم  
الروم ، وسيفاً مشهوراً يذود عن العروبة والإسلام . لم تمض منها سنة واحدة إلا كان  
له فيها حروب ونضال ، فقدر له النصر مرات عدة ، وأوغل في بلادهم سنة ٣٣٩  
حتى قارب القسطنطينية وقدر له كذلك أن يلقى الهزائم المرة ، وكان شر هزائمه  
واقعة سنة ٣٥١ التي زحف فيها الروم على حلب ، فذبحوا فيها وقتلوا تقتيلاً ، ونهبوا  
دار الأمير وخربوها .

على أن سيف الدولة - الذي أصيب بفالج في يده ورجله سنة اثنتين  
وخمسين وثلثمائة - لم يقعه ذلك عن حرب الروم ، فنار منهم وانتصر عليهم في  
السنة التالية .

وكان ذلك الأمير الأديب الشاعر شجاعاً في انتصاره وهزيمته معاً ، ماضى

العزيمة ، عظيم البلاء ، وقد توفي في حلب سنة ست وخمسين وثلثمائة ، ودفن  
في ميفارقين .

وأضاف قتي الحرب والنضال إلى شجاعته وأدبه كرمًا وسماحة بالغة ، فكان  
مقصد العلماء والأدباء والشعراء ، وقبلة آمالم ومحط رحالم ، فيروى أنه لم يجتمع  
ببواب أحد من الملوك بعد الخلفاء مثل ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر وفحول  
الأدب والعلم .

ومن قصده من الشعراء - غير أبي الطيب - أبو فراس ، وأبو العباس النامي ،  
وعلى بن عبد الله الناشئ ، والسري الرفاء ، وكثيرون غيرهم ، وبلغت مدائمه  
عشرات الألوف من الأبيات ، اختار منها بعض الأدباء عشرة آلاف بيت وجمعوها  
في كتاب ، وصحبه من الأدباء كثيرون أيضاً منهم ابن خالويه وأبو علي الفارسي ،  
وأهداه أبو الفرج الأصفهاني كتاب الأغاني فأعطاه ألف دينار ، ولجأ إليه كذلك  
الفيلسوف الكبير أبو نصر الفارابي وعاش في كنفه ، وكان سخاؤه يشمل من بعد  
عنه ، وله شعر يدل على أنه شاعر مطبوع ، وتقد يدل على سلامة الذوق والعلم بلغة الضاد .

\*\*\*

وبارح شاعرنا الرملة سنة ٣٣٦ قاصداً أنطاكية ، ماراً ببيعلبك ، وكان فيها على  
ابن عسكر ، فخلع عليه ، وسأله أن يقيم عنده ، فمدحه بأربعة أبيات ورحل إلى  
أنطاكية فمدح فيها أبا العشائر بالقصيدة التي مطلعها :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلة في المآقي

ثم مدحه بثلاث قطع أخرى ، وأنشأ في أنطاكية كذلك أرجوزة أولها :

ما للمروج الخضر والحدائق يشكو خلاها كثرة العوائق

وذلك عندما شهد التاج يكسو أديم الأرض ويفشى الربا والوهاد .

وأثناء إقامته في أنطاكية ، أغار عليها بانس المونسى - قائد الأخشيديين -

وفوجيء أبو العشائر فقاتل عن نفسه حتى بلغ حلب ، فقال المتنبي قصيدته :

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم  
ثم رجع أبو العشائر إلى أنطاكية ، وكان أبو الطيب عاد إلى الرملة ،  
فلما سمع بقدمه خرج يقصده ، فلما غدا بطرابلس أراد إسحاق بن كيغلع  
على مدحه - وكان جاهلا - وكان بعض الناس قد أغروه به ، وقالوا : إنما يترك  
مدحك استصغارا لك ، فلما راسله يستمدحه احتج أبو الطيب بيمين ألا يمدح  
أحدًا إلى مدة ، فأخذ عليه الطرق حتى تنقضى المدّة ، فهجاه أبو الطيب بقصيدة  
أملأها على من يثق به ، ولما ذاب النابج عن لبنان خرج إلى دمشق ، واتبعه  
ابن كيغلع خيلا ورجلا فأعجزهم ، ثم ظهرت القصيدة ، وقد أقذع فيها المتنبي  
وأخش إلى جانب ما أودعها من الحكمة الرائعة .  
ولما بلغ الشاعر أنطاكية ، لقي أبا العشائر ومدحه بقصيدتين وثمانى قطع .

\*\*\*

وأراد الله للشاعر الكبير أن يلقى ممدوحه الكبير ، وأن يمتزج تاريخهما  
على مر العصور والأيام ، فقد كان أبو العشائر بن حمدان واليا على أنطاكية  
من قبل سيف الدولة ، فلما قدم الأمير أنطاكية سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ،  
قدم أبو العشائر إليه أبا الطيب ، وأثنى عليه ، ولم يشأ أبو الطيب أن يمدح  
الأمير إلا بعد أن اشترط عليه ألا ينشده وهو واقف ، وألا يقبل الأرض  
بين يديه ، فقبل سيف الدولة شروطه ، وكانت مما تميز به المتنبي على الشعراء  
جميعا ، ومما أوحى به إليه نفسه الطموح التي لا تقبل الهوان ، فقد تعود  
أن يتخذ من ممدوحه أصدقاء له وصحابا . وكان سيف الدولة سمح النفس  
كريم الخلق ، فمن الهين عليه أن يتخذ المتنبي صديقا صدوقا ، وأن يكون  
هو له نعم الصاحب أيضا ، فهو الشاعر المجيد الذي يستطيع أن يشيد بمآثره ،  
ويخلد بطولته ، كما رأى المتنبي أن سيف الدولة هو الأمير العربي الذي يجدر

بدرره الغوالى وآياته الخالدات ، بل إنه لشاعر المجد الذى يبنى مصاحبته شاعر  
اللفظ والبيان ، قال المتنبي :

شاعر اللفظ خدنه شاعر المجد كلانا رب المعانى الدقاق

وقال :

لك الحمد فى الدر الذى لى لفظه فإنك معطيه وإنى ناظم  
وصحب أبو الطيب سيف الدولة ثمانى سنوات ، نظم فيها اثنى عشر وخمسمائة  
وألف بيت ، فى ثمان وثلاثين قصيدة ، وإحدى وثلاثين قطعة : منها أربع  
عشرة قصيدة فى وصف وقائعه مع الروم ، وأربع فى وقائعه مع العرب ، وخمس عشرة  
فى المدح المجرد عن وصف الوقائع ، وخمس فى الرثاء ، ومن القطع اثنتان فى حوادث  
الروم ، والباقى فى مقاصد مختلفة ، يضاف إلى كل هذا قصيدة :

ذكر الصبا ومراتع الآرام جابت حمى قبل يوم حمى

نظمها الشاعر سنة إحدى وعشرين وثلثمائة فى ثلاثة وثلاثين بيتاً ، وألحقها  
بمدائح سيف الدولة ، وقد اتفقت روايات المؤرخين على أنه قالها فى ذلك  
التاريخ ، ولكن الدكتور عبد الوهاب عزام لا يميل إلى تصديق ذلك ،  
مرتكناً على أسباب وجيهة ، يراها القارىء فى كتابه عن المتنبي الذى اعتمدنا عليه  
فى تلخيص هذه السيرة .

وقد مدح الشاعر سيف الدولة غير ذلك بقصيدتين ، وعزاه عن أخته بأخرى ،  
وذلك بعد أن رجع إلى العراق .

وكان سيف الدولة يقدق على شاعره أيما إغداق ، ويكرمه ويبالغ فى العطف  
عليه وإكبار شأنه ، فكان يعطيه كل عام ثلاثة آلاف دينار ، وكان يمنحه غير  
ذلك عطايا أخرى ومكافآت . قال المتنبي قطعه :

موقع الخليل من نذاك طفيف ولو أن الجياد فيها ألوف

حين سأله الأمير عن فرس يرسله إليه ، وقال قطعتة :  
اخترت دهاء تين يا مطر ومن له في الفضائل الخبير  
حين خيرته في فرسين ، إحداهما دهاء والأخرى كميت ، وقال قطعتة :  
فعلت بنا فعل السماء بأرضه خلع الأمير وحقه لم تقضه  
في خلع أنفذاها إليه ، وقال قطعتة :  
أيا رامياً يُصمى فؤاد مرامه تربى عداه ريشها لسهامه  
وهو خارج إلى أقطاع أقطعه إياه الأمير في معرفة النعمان ، وجاء في الشروح ذكر  
لهدايا جمة منحها الأمير للشاعر بعد أن تصالحا إثر تنافرهما .  
وينطق شعر المتنبي في سيف الدولة ، بالغبطة والرضا ، ويفيض بالشكر  
الأوفر ، يقول :

أسير إلى إقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بحسامه  
وقد سكن أبو الطيب إلى صحبة الأمير الكريم ، وطاب له زمانه ، فسكت عن  
حديث الثورة والقتل الذي غمر شعره الأول وفاض في كل قصائده إلا قليلا ، وكان  
يصحبه في أغلب حروبه ، فتمكن من وصفها وصف الشاهد كما بين في الديوان .  
ثم . . . ثم أراد الله مرة أخرى أن يفرق بين الرجلين ، وأن يتم ما خطه  
في أم الكتاب . . . وذلك بعد ثمانى سنوات لبثها الشاعر في كنف الأمير كانت  
أولى قصائد مدحه فيها :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه  
وذلك سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وكانت آخر قصيدة في سنة خمس وأربعين  
وثلاثمائة وهي :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القسم  
وأما سبب فرقة الصديقين فهو حسد أكل قلوب شعراء سيف الدولة  
والخيطين به غير أبي الطيب ، وهو كذلك ضيق الأمير ذرعا بالشاعر

المتعالى الذى لا يقول فيه القصيدة إلا بعد أن يطلبها ويستعجلها أشهر أطوالا .  
أجل : فلقد كان حول سيف الدولة شعراء كثر ينشدون الخير والنعمة ، وكانت  
شمس المنبى غالبية على شمسهم ؛ فلا غرو أن ينعموا عليه ويحسدوه ، سيما وهو  
المتكبر للمتعالى ، الضارب فى ذرى الأنفة والكبرياء ، الفخور بشعره ، والمتفرد  
وحده برضى الأمير وإثارة . وذلك الشاعر الذى يقول :

أنا السابق الهادى إلى ما أقوله إذ القول قبل القائلين مقول

لا يستطيع أن يلقى من شاعر آخر حبا أو وفاء أو إخلاصا .  
على أن من غير الشعراء كثيرين كانوا ينعمون عليه كذلك ويحسدون مكاتبه  
عند الأمير وعظمته بين الناس . قال المنبى :

أزل حسد الحساد عنى بكتبهم فأت الذى صيرتهم لى حسدا  
ولا مراة فى أن أولئك الشعراء قد غلبهم حسد أبى الطيب فبيتوا له المكائد  
وناصبوه العداة ، يقول الشاعر العملاق :

وفى كل يوم تحت ضنبى شويعر ضعيف يقاوينى قصير يطاول  
ويقول غير ذلك كثيرا بين يدىك فى صفحات الديوان .

هذ ، وكان سيف الدولة مغرما بشعر أبى الطيب ، يود أن يسمع كل يوم قصيدة  
له فى مدحه ، وكان الشاعر ينظم أربع قصائد فى كل سنة أو خمسا غير القطع ،  
فكان الأمير يفض علىه . فنحن نرى فى الديوان قصيدة قيلت فى جمادى الآخرة  
سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ، وأخرى قيلت يوم الأضحى من تلك السنة ، وبين  
التاريخين زهاء خمسة أشهر ، نظم الشاعر فيها سبع قطع وقصائد قصيرة يعتذر  
فى اثنتين عن تأخير مدحه :

وجاء فى الصبح المنبى : أن أبا فراس قال للأمير : « إن هذا المتشدد كثير  
الإدلال عليك . وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن  
أن تغدق مائتى دينار على عشرين شاعرا يأتون بما هو خير من شعره » .

وفي شرح ابن جنى : « وكان سيف الدولة إذا تأخر عن مدحه شق عليه ،  
وأكثر أذاه ، وأحضر من لاخير فيه ، وتقدم إليه بالتعرض له في مجلسه بما  
لا يحب ، فلا يجيب أبو الطيب أحداً عن شيء ، فيزيد ذلك في غيظ سيف  
الدولة . الخ »

وقويت النفرة بين الرجائين ، فأنشد الشاعر قصيدته المشهورة :  
واحر قلباه ممن قلبه شيم ومن بجسمى وحالى عنده ألم  
وقد اضطرب المجالس عند إنشاد هذه القصيدة ، وثار حاشية الأمير مطالبة  
بدمه ، فرخص الأمير في ذلك ، حتى كاد الشاعر يهلك . يقول الشاعر  
في السامري - وهو أحد كتاب الأمير ، وكان قد طالب بدمه - :  
أسامرى ضحكة كل راء فطنت وكنت أغبي الأغبياء  
إلى آخر الأبيات .

ولما خرج أبو الطيب بعد ذلك لقي عناء كبيراً من رجال سيف الدولة : وقد  
أشهر سيفه فيهم حتى اخترقهم ولم يصنعوا به شيئاً ، وأرسل أبو العشار  
جماعة من غلمانه وقفت في سبيل الشاعر ففرقهم بسيفه ولم يصبه منهم أذى  
وفي ذلك يقول :

ومنتسب عندى إلى من أحبه وللنبل حولى من يديه حنيف  
ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة مستغنيا فأقام عند بعض أصدقائه وراسل الأمير ،  
فأنكر الأمير أنه أمر له بسوء ، وكتب الشاعر الأبيات :  
ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا

فداه الورى أمضى السيوف مضاربا  
ثم دخل الشاعر دار الأمير بعد تسعة عشر يوماً ودخل على الأمير  
فقلع عليه ورحب به وسأله عن حاله ، فقال : رأيت الموت عندك أحب  
من الحياة عند غيرك ؛ فقال : بل يطيل الله بقاءك ؛ ثم ركب الشاعر وأتبعه

الأمير هدايا فقال القصيدة :

أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل

دعا فلباه قبل الركب والإبل

\*\*\*

على أن الشاعر كان يهدد بالفراق قبل ذلك ، فقد أشار إليه في القصيدة :

دروع ملك الروم هذى الرسائل يرّد بها عن نفسه ويشاغل

وتبرم في قصيدته :

أغلب فيك الشوق والشوق أغلب

وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وقد صرح الشاعر بكل ما في نفسه بعد أن رحل إلى كافور ، وفي قصائده التي

مدحه بها تعريض بسيف الدولة والمحدثين ، يراه القارىء واضحاً في الديوان ؛ من

ذلك قوله لكافور :

حيبتك قلبي قبل حبك من نأى وقد كان غداراً فكُن أنت وافيًا

على أنه لم يشأ أن يخفى ذلك عن سيف الدولة نفسه ، فقد صارحه به في

القصيدة التي أرسلها إليه من العراق إجابة لدعوته ، وذلك بعد أن مدحه

بقصيدتين ، وهى :

فهمت الكتاب أبر الكتب فسمعاً لأمر أمير العرب

من أجل ذلك فارق المتنبي سيف الدولة ، ولو أنه من المعقول أيضاً أن تكون

آماله الواسعة فى السلطان هى التى حملته إلى مصر ، يعنى ما عثر عليه فى رحاب بنى

حمدان . ويقول ابن جنى : إن المتنبي قد اعترف بأن قصيدته :

عقبى اليمين على عقبى الوعى ندم ماذا يزيدك فى إقدامك القسم

كانت وداعاً . . . . وياله من وداع .

\*\*\*

ولم يكن سيف الدولة على علم بأن وجهة المتنبي بعد مبارحته إياه ستكون مصر ، فقد استأذنه الشاعر في الرحيل إلى إقطاعه فأذن له ، وكان أبو الطيب يبيت في نفسه أمراً : أن يبرح حدود مملكة سيف الدولة ، وأن ينشد بابا آخر غير بابيه . جاء في شرح المعرسي « فأجمع رأيه على الرحيل من حلب ، فلم يجد بلداً يأوي إليه أولى من دمشق ، لأن حمص من عمل سيف الدولة » وقال في الصبح المنبي ما يقارب ذلك . وواضح من هذا أن المتنبي لم يرض أن يستأذن سيف الدولة في الرحيل خوف ألا يأذن له ، ولا ريب أن سيف الدولة لم يكن ليأذن له . وقد يكون المتنبي أوجس خيفة من بطش الأمير ، فلا يبعد عليه ذلك وهو الذي عرض بغدره - بعد - في إحدى الكافوريات وسار المتنبي من حلب إلى دمشق ، فانتقل من مملكة سيف الدولة الحمداني إلى مملكة أبي المسك كافور الإخشيدي . وقد لبث الشاعر في دمشق مدة ، ثم دعاه كافور إليه فسار إلى مصر ؛ ويذهب بعضهم إلى أن أبا الطيب لبث في دمشق متلكئاً لا يريد الذهاب إلى كافور ، فلما دعاه كافور إليه مرتين لم يستطع إلا الذهاب ، وهم بذلك يضعون مقدمة للهجاء المرّة الذي هجا به الشاعر كافوراً بعد أن مدحه خير مديح . . ولكن الواضح أن أبا الطيب لم يخرج من بلاد سيف الدولة إلا قاصداً أبا المسك كافوراً دون غيره ، ولذلك يروى أن والي كافور على دمشق أراده على مدحه - لما كان نازلاً ببلده - فلم يرض ذلك . وثابت أن أبا الطيب - لما نزل الرملة في طريقه إلى مصر ، ولقى فيها أميرها الحسن بن عبد الله بن طغج - لم يقل فيه مدحاً ، إلا قطعتين صغيرتين تقدم ذكرهما ، وهما :

ترك مدحيك كالهجاء لنفسى      وقليل لك المديح الكثير

( و )

ماذا الوداع وداع الوامق الكمد      هذا الوداع وداع الروح للجسد

وكن قد مدحه من قبل ، ويغلب على الظن أن الشاعر لم يشأ أن يمدح أحداً قبل كافور وهو في طريقه إليه ، وأنه كان سائراً إلى هناك عن عمد ، ونية مبيتة وأمر محزوم .

فأما كافور الأخشيدى هذا ، فلا مندوحة من أن نوجز تاريخه في لحمة خاطفة ، وهو تاريخ لا نخال القارىء إلا عالمًا به .

هو مولى أسود كان لمحمد بن طفج الأخشيد ، ومحمد بن طفج كان والياً من قبل المقتدر بالله العباسى على دمشق سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، ثم ضم إليه الراضى بالله مصر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، ولقبه بعد ذلك « الأخشيد » واستتب الأمر له ولذريته في مصر إلى عهد الفاطميين .

ويقول صاحب النجوم الزهراء : إن الأخشيد اشترى كافوراً بثمانية عشر ديناراً من بعض رؤساء مصر ، وأعتقه ، ثم رقاها حتى جعله من كبار القواد ، لما رأى منه الحزم والعقل وحسن التدبير . ولما أضحى كافور قائد الجيوش الأخشيدية حارب ابن رائق ، ثم سيف الدولة في الشام ، وقد قدمنا أن أبا الطيب ذكره في مدحه لمساور بن محمد .

وعند ما توفى الأخشيد أخذ كافور البيعة لابنه أنوجور وعاد به إلى مصر . وقد ظن سيف الدولة أن موت الأخشيد يمكنه من دمشق ، فاستولى عليها وتقدم إلى الرملة ، ولكن كافوراً - وكان الحاكم الفعلى - سار إليه فهزمه وأخرجه من حلب ، ثم اصطلحا ، فأخذ سيف الدولة حلب ، وأخذ أنوجور دمشق . وتوفى أنوجور سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، فاجتهد كافور في أن يبقى الأمر لبني الأخشيد ، ونجح في ذلك ، إذ نال من الخليفة المطيع لله تولية لعلى بن الأخشيد مكان أخيه ، على أن على بن الأخشيد لم يلبث أن مات سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وبقيت مصر أياماً بغير أمير - وكان أمرها في يد كافور - فاتفق أعيانها على تأميره ،

فأصبح بذلك هو السلطان - اسماً وفعلاً - حتى توفي سنة ست وخمسين وثلثمائة وعمره خمسة وستين سنة بعد أن «كم مصر وقسما من الشام اثنتين وعشرين سنة . وكان كافور الأخشيدي داهية في السياسة ، شجاعاً حكيماً ، استطاع أن يكسب صداقة العباسيين والفاطميين معاً ، ويقال : إنه هو الذي أخرج جيوش المعز لمصر حتى مات ، نفخ لها السبيل ، وإن حزمه وكياسته جعلت منه سياسياً قديراً ، وداهية خطيراً ، وكان له - إلى هذا - بصر بالعربية والأدب ، وكان محباً للعلماء والأدباء ، يقرب الشعراء ويمجزيهم ، وكان ديناً متواضعاً ، سخياً كثير الهبات والخلع والعطايا والصدقات .

ولا بأس من أن نقول إن كافوراً الذي عرفه التاريخ السياسي ، غير كافور الذي عرفه كثيرون من رواة تاريخ الأدب ؛ فمن هؤلاء من صورته في أقبح الصور ، متأثراً بما لطلخه به أبو الطيب من صفات أدوعها كل نقمة وبغضاء ؛ فمن الخير أن نعرف الرجل على حقيقته ، ولا ننكر عليه مكائنه وفطنته وكفائته ، لنسير في سيرة شاعرنا - بعد ذلك - سير المحايد غير المحابي أو المتجنى .

\*\*\*

وقدم أبو الطيب مصر في جمادى الثانية سنة ست وأربعين وثلثمائة ، فأقام بها أربع سنين ونصف سنة ، حتى بارحها في ذى الحجة سنة خمسين وثلثمائة ، وقد مدح كافوراً حين قدم عليه بقصيدته :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانيا  
وختم مدائحهم بقصيدة أنشدها سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، وبقي بعد ذلك سنة وشهرين لم ينشده شيئاً ، وبين فاتحة مدائحهم وخاتمتها أربعة أشهر وثلث سنين مدح فيها المتنبي كافوراً بتسع قصائد وقطعتين ، فيها كلها سبعون وثلثمائة بيت ، وهو رابع ما مدح به سيف الدولة .

وكانت بغية أبي الطيب من ذهابه إلى أبي المسك ، أن يقطعه ضيعة أو إمارة ، وكان شديد الأمل في ذلك عظيم الرجاء ؛ ولكن رجاءه خاب ، وأملة تبخر وطواه الهواء - وسببين كل ذلك بعد - وظاهر في مدائح أبي الطيب الأولى لكافور ، أنه لم يكن كارها لمدحه ولا مسوقا إليه عن رهبة أو مثلها ، فهو يكشف في أولى قصائده عن حزنه من صديقه الأول الذي غدر به ، وهو سيف الدولة ، وعن أمله الواسع في صديقه الجديد كافور ، وقد رضى الوقوف بين يديه بمبالغة في تعظيمه وابتغاء معونته . ولن ننسى أن نقول إن كافوراً عندما نزل أبو الطيب في مصر أخلى له داراً وكفله وأضافه وخلع عليه . وفي هذه القصيدة أشار الشاعر إلى سيف الدولة وإلى بني حمدان في مواضع مختلفة ، وأطنب في مدح أبي المسك ، ثم لمح إلى غايته فلم يشأ أن يخفيها ، يقول :

إذا كسب الناس للمعالى بالندى فإنك تعطى في ندادك للمعاليا  
وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا  
وفي الشهر التالي قال أبو الطيب قصيدته الثانية يهنيء بها كافوراً بدار بناها ، وهي التي أولها :

إنما التهنئات للأكفاء ولمن يذني من البعداء  
وأنا منك لا يهنيء عضو بالمسرات سائر الأعضاء  
وتلك كانت طريقة المتنبي في المدح ، لا يغفل نفسه والإشادة بها ، وإشراكها مع المدوح فيما يصدق عليه من صفات طيبات .  
وفي هذه القصيدة يقول الشاعر :

وفؤادى من الملوك وإن كان لسانى يرى من الشعراء  
ويقول المعري : « ولما أنشده أبو الطيب حلف ليبلغه جميع ما في نفسه ، وإنه  
لأ كذب ما يكون إذا حلف » .

ثم بعد شهرين ، قال أبو الطيب يمدح الأستاذ أبا المسك كافور قصيدته :  
من الجآذر في زى الأعراب حمر الحلى والمطايا والجلأيب  
وفيها يقول أيضاً :

إلى الذى تهب الدولات راحته ولا يمن على آثار موهوب  
ثم أنشد الشاعر كافوراً في عيد الأنصحي قصيدته الرابعة :  
أود من الأيام مالا توده وأشكو إليها بيننا وهى جنده

وفيها بين الشاعر عن آلام نفسه ، لأنه قصر عما يبتغيه ، وبدأ بالشكوى الخفية  
والبيننة من مطل أبي المسك . ولا ريب أن كافوراً كان قد وعد الشاعر فعلاً  
بولاية ، فهو هنا يستنجزه وعده ويسأله أن يحربه فيقول :  
ووعدك فعل قبل وعد لأنه نظير فعال الصادق القول وعده

ثم بعد ثلاثة أشهر من ذلك قال الشاعر قصيدته الخامسة ، وكان فرس  
المتنبى قد جرج مخزن عليه . فتبين كافور ذلك وأرسل له فرساً أدهم ،  
وأول القصيدة :

فراق ومن فارقت غير مذم وأمّ ومن يمتت خير ميم  
وفي هذه القصيدة يعاود الشاعر مدح سيف الدولة ، وذكر الحمدانيين بالخير ،  
كأنما ضاق بكافور ووعدده ، وفي آخرها يقول :  
ولو كنت أدري كم حياتى قسمتها وصيرت ثلثيها انتظارك فاعلم

ثم قال : الشاعر بعد ذلك قصيدة حكمية مدح فيها كافورا ، وذلك إثر شقاق  
قال بين أبي المسك وبين الأمير أنوجور انتهى بالصلح .

على أن حال أبي الطيب لا يطيب لها أن تسير في طريق واحدة أو تستقر  
على وتيرة ، فها هو يمل انتظار بغيته ، ويطنح الكيل فلا يستطيع اصطبارا

وها هو يقول - بعد أن أرسل إليه أبو المسك ستمائة دينار ذهباً عسى أن تلهيه عن رجائه - قصيدته :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وذلك في عيد الفطر سنة سبع وأربعين وثلثمائة ، أى بعد مقام الشاعر بمصر سنة وشهرين ، وفي هذه القصيدة - كما يبين من الديوان - يندم أبو الطيب على مبارحته سيف الدولة وقصده كافوراً ، ويعتب فيها على سيف الدولة وعلى بنى حمدان ، ثم يحتكما بمدح كافور لعله بأنها ستبلغه وإن لم ينشده إياها .

وهنا أخذت النفرة بين الرجائين مظهراً واضحاً ، فقد سكت الشاعر عن المديح ، بعد أن كان يواصل قصائده غيرَ وان ولا متمهل ، ثم يضطر بعد ذلك لإنشاده ، وذلك أن كافوراً كان قد ولى شبيباً العقيلي الخارجي عمان والبقاء وما يليها ، فخرج على كافور وسار إلى دمشق في جيش كثيف ودخل المدينة ، وفي غمرة من الهرج والمرج ألقى شبيب ميتاً ، فارتاع جيشه ، وهرب جنده وتفرقوا ، ولم يعرف الناس كيف مات ، وجاءت الأخبار مصر فطالب كافور أبا الطيب بأن يذكر هذا في شعره فقال قصيدته التي مطلعها :

عدوك مذموم بكل لسان وإن كان من أعدائك القمران

وذلك في جمادى الثانية سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ، وإنك لو اجد - من قراءة القصيدة - أن الشاعر الذي سكت عن مدح أبي المسك ثمانية أشهر ، ثم لقيه في هذه القصيدة ، لم يكن مادحاً ، وإنما كان كمن يقصد الهجاء وكأنما أراد أن يؤبّن القتييل ويرثيه بدل أن يغتبط لمقتله .

ثم انقطع المتنبي بعد هذه القصيدة المريبة عن مدح أبي المسك سنة وأربعة أشهر ، وأصابته في أثناء ذلك حمى فقال قصيدته :

( ٤ م - المتنبي ١ )

ملومكما يحل عن الملام ووقع فعآله فوق الكلام  
وقد عرض فيها بكافور وبخله ومنعه عن الرحيل عن مصر ، وأعجب بها أهل  
مصر برغم أنها ساءت كافوراً لما بلغته .

وفي أثناء ذلك أيضاً اتصل المتنبي بأبي شجاع فاتك الملقب بالجنون ، وقد كان  
روميا وأسروربي في فلسطين ، ثم اغتصبه كافور من سيده بالرملة بلا ثمن فأعتقه  
صاحبه ، فكان معه في عدة الممالك ، كريم النفس ، حر الطبع ، بعيد الهمة ،  
ويقول المعري : إنه كان في أيام كافور مقبياً بالفيوم ، أنفة من الأسود وحياء من  
الناس أن يركب معه ، وأنه مرض وأحوجته العلة إلى دخول مصر فدخلها ، وأن  
أبا الطيب لم يتمكن من عيادته على أن فاتكا كان يسأل عنه ويراسله بالسلام ،  
وأنه لما لقي أبا الطيب في الصحراء أهداه هدية قيمتها ألف دينار ذهباً ، ثم أتبعها  
هدايا بعدها ، ويقول ابن خلكان : إن الفيوم كان أقطاعاً لفاتك ، وإن أبا الطيب  
كان يسمع بكرمه وشجاعته ، ولا يستطيع أن يقصده خشية كافور ، ثم استأذن  
كافوراً في مدحه فأذن له ، ويروى أن ذلك كان بعد استقرار ما بين فاتك  
والأستاذ كافور .

ويظهر أن الشاعر لم يرغب في مدح فاتك مع ما بينه وبين كافور من المنافسة—  
إلا ليأسه من أبي المسك ، وقد مدح أبو الطيب فاتكا في جمادى الثانية سنة  
ثمان وأربعين وثلثمائة بقصيدته :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

وفي هذه القصيدة تعريض بكافور .

ثم عاود أبو الطيب مدح كافور ، بعد أن انقطع عن ذلك ستة عشر شهراً كاملة ،  
وبعد أن قال قصيدة الحمى التي تقدم ذكرها ، وبعد أن تعرض لكافور في مدح  
فاتك ، ويرى بعض المؤرخين أن عودة أبي الطيب إلى مديح كافور كانت خارجة

عن إرادته ، فقد طالبه كافر بذلك فلم يستطع إلا إجابته ، وقد يكون تطلع كافر إلى مدح الشاعر قد أحيأ في نفسه الرجاء فعاد يلقي آخر سهم ، وينفض عن نفسه اليأس والإشفاق من أن يخيب ، وأما القصيدة فهي :

مُنَى كُنْ لِي إِنْ الْبِيضُ خَضَابُ      فَيُخْفِي بِتَبْيِيضِ الْقُرُونِ شَبَابُ

وفيها يتحدث الشاعر عن نفسه وعن آماله ، وعن وعد كافر له في غالب أبياتها ، ويمدحه فيها باثني عشر بيتاً .

ثم بقي أبو الطيب بمصر بعد هذه القصيدة سنة وشهرين دون أن يمدح كافوراً فما كان يلقاه إلا أن يركب فيسير معه في الطريق لثلاثي يوحشه ، وكان الشاعر ضيف كافر مدة مقامه في مصر ، فكان ذلك هو الصلة بينهما بعد انقطاع الشاعر عن مدحه وحضور مجلسه .

وواضح غاية الوضوح من شعر المتنبي في كافر ، أنه لم يكن يبغى منه مالا فحسب ، بالغا ما بلغت قيمة ذلك المال ، وإنما كان يبغى ضيعة أو ولاية كما تقدم ، يقول :

إِذَا لَمْ تَنْطَبِ بِضَيْعَةٍ أَوْ وِلَايَةٍ      فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشَفْلُكَ يَسْلُبُ

ولو أنه كان يطلب المال لأعطاه كافر فوق ما أعطاه ، أوفاً مؤلفاً ، ونحسب أن كافوراً لم يدرب ذهنه أن يقطعه هذا الذي يريد ، وإن كان يعده ويمطله فذلك شيء من التلطف والمداجاة ، وقال بعض الشراح : إنه قال لأبي الطيب : « أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سمت نفسك إلى النبوة ، فإن أصبت ولاية وصار لك أتباع فمن يطيقك؟ » ولا نخاله قال ذلك ، وإن كان من السهل أن يفكر فيه ، ويقول بعض الشراح أيضاً : إن كافوراً كان ينوي إقطاعه ما يريد ، وقد حلف له بذلك ، ولكن أموراً بدرت من الشاعر لم تلق رضاه ، منها أنه ذكر سواده في قصائده ، وكان كافر يكره ذلك غاية الكراهة ، ولا نظن ذلك سبباً

معقولاً ، فقد ذكر الشاعر سواد المدوح في مواضع طرب لها كافور واهتز لها  
وكان ذلك منذ أول عهد الشاعر بمدحه ، فلو أدرك منه امتعاضاً من هذا لما كرهه  
في قصائده بعد ذلك .

وليس بعيداً أن يكون كافور كره من الشاعر إلحاحه في طلبه ومداومته على  
التذكير بالوعد في لغة يصح أن تسمى توبيخاً ونأنيباً ، فصح في عزمه ألا ينيله طلبته ،  
ثم إن تمادى الشاعر في أشباه ذلك ، وورثائه لشبيب في القصيدة التي تقدم ذكرها ،  
وتعريضه بكافور في قصيدة الحمى ، ومدحه لفاتك - كل أولئك كان سبباً في أن  
يخيب أمل الشاعر في بغيته ، وأن يجعل بينه وبينها سداً ، وكانت صراحة المتنبي  
وعلو نفسه ، يأتیان له إلا أن يقول ما يحول بخاطره ، فلم يشأ إلا أن يقول ما قال ،  
داخلاً في نطاق التوبيخ ، لا الاستعطاف والطلب الدليل .

ومما كان له أثر بين في خيبة الشاعر في أمه في كافور ، أنه لم يشأ أن يمدح  
الوزير ابن الفرات ، كما مدحه شعراء آخرون ، ليكون له عوناً يساعده على بلوغ  
غايته ومبتغاه ، وكان الوزير ابن الفرات هذا ، وزيراً خطيراً من أسرة وزراء ومحدثاً  
أديباً ميالاً لأهل العلم والأدب .

وكان أبو الطيب في آخر مقامه بمصر ، يود الرحيل ويبغى الفكك من ذلك  
النطاق المضروب ، فلقد طالما ردد ذلك في قصائده ، ولقد طالما تبرم بمطل كافور  
وضاق به ذرعاً . . . ولكن كافوراً كان يمسكه عن الرحيل ويضع حوله العيون .

وليس خافياً أن كافوراً - لما نزل الشاعر بمصر - أنزله داراً ، وأغدق  
عليه من ماله وأغرقه في عطائه ، وقد حسب أن ذلك يكفيه ، فلما طالبه  
الشاعر بولاية أو ضيعة ، وعده إجابة طلبه ، ثم خاف كافور الشاعر ، حين  
أدرك علو نفسه ، ولمس بُعد أمانيه ، وعلم ما حفل به ماضيه من حبس وادعاء

النبوة وما إلى ذلك ، وقد أدرك القارىء أن الشاعر بدأ يستعجل الوعد ، ويندد بالمطالمة ، بعد بقاءه بمصر ثلاثة أشهر ليس غير ، وأدرك كذلك أنه سكت عن مديح كافور . بعد أن قال قصيدة شبيب والقصيدة الأخرى الأخيرة - سنة وشهرين ، وأنه ذكر الرحيل في شعره مراراً عدة ، كأنما كان كافور يحرص على ألا يفوته ، ابتغاء مدحه من ناحية ، واتقاء هجوه من أخرى . . . بل إنه لمن الثابت أن كافوراً منعه عن الرحيل منعاً ، ففي هجاء الشاعر له من بعد ما ينطق بذلك في صراحة وبيان ، وجاء في شرح المعرى وشروح أخرى : أن الشاعر كتب إلى كافور يستأذنه في المسير إلى الرملة ليتنجز مالا بها ، وأراد أن يعرف رأيه في مسيره فأجابته : لا ، والله ، أطال الله بقاءك ، لا تكلفك المسير ، ولكن تنفذ رسولا يأتيك به ، فلما قرأ الجواب قال : أبياته التي أولها :

آخلف لا تكلفنى مسيراً إلى بلد أحاول فيه مالا

ولما ضاق صدر الشاعر الكبير بذلك الذى لقيه بمصر ، ولم يطق بعده اضطراباً ، رحل إلى الكوفة رحيل هارب لا رحيل مودع مشيع ، فلم يعد له ما يتعزى به بعد وفاة أبي شجاع فانتك ، الذى آخذته صديقاً مؤنساً طوال مدة بقاءه بمصر بعد سكوته عن مديح كافور ، وكانت وفاة فانتك في شوال سنة خمسين وثلثمائة ، وقد لبث الشاعر بعدها شهرين يدبر لرحيله ، جاء في شرح المعرى وشروح أخرى « وقد أعد كل ما يحتاج إليه على مر الأيام في لطف ورفق ولا يعلم به أحد من غلمانته ، وهو يظهر الرغبة في المقام ، وطال عليهم التحفظ ، فخرج ودفن الرماح في الرمل ، وحمل الماء على الإبل في الليل من النيل لعشر ليال ، وتزود لعشرين » .

وفي ليلة عيد الأنحى قال الشاعر قصيدته الحزينة النائرة التي مطلعها :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

وقد هجا فيها كافوراً هجاء مرأ ، وعرض بإمساكه إياه عن الرحيل .  
وقد انتهز أبو الطيب غفلة كافور وانشغاله بالعيد وبما يصحب العيد من سنن ،  
وهم بأخذ طريقه التي بيئت سلوكها . ولما اجتاز أبو الطيب بلبيس نزل على عبد  
العزيز بن يوسف القيسي فأضافه وأكرمه وسيره . وقد كتب إليه الشاعر أبياته  
التي أولها :

جزى عرباً أمست يُبلييسَ ربها بمسعاتها تقررُ بذاك عيونها  
وكان الشاعر يعرف عبد العزيز من قبل ، وله فيه أبياته الثلاثة التي أولها :  
لئن مر بالفسطاط عيشى فقد حلا بعبد العزيز المساجد الطرفين  
ولا ريب في أن كافورا ثار لما بلغته القصيدة التي قالها الشاعر ليلة العيد ،  
ولا ريب كذلك أنه غضب لرحيله وتوجس خيفة من هجائه المر الذي سوف  
يلاحق بعضه بعضاً . ويقول بعض الرواة : إن كافوراً أتبع الشاعر بالخيال والرجل ،  
وكتب إلى عماله ليسدوا عليه الطرق .

وعبر أبو الطيب بموضع يعرف بنجدة الطير حتى خرج إلى ماء يعرف  
بنحل بعد أيام ، فلقى عنده في الليل ركبا وخيلا صادرة عن كافور فأخذهم  
وتركهم ، ولما قرب من النقاب رأى رائدين لبني سليم على قلوصين ، فركب  
الخيال وطردهما حتى أخذهما ، فذكر له أن أهلها أرسلوها رائدين ، فلما  
أمنهما استبقاهما ورد عليهما متاعهما . وسار معهما حتى توسط بيوت بني سليم  
آخر الليل ، فأكرمه ملاعب بن أبي النجم وذبح له ، ثم غدا فسار إلى النقع فنزل  
ببادية من معن وسُنْبُس ، وهناك أكرمه عفيف المعنى وذبح له . ثم غدا من عنده  
فسار يومه وبعض ليلته ، وعند الصباح دخل حِسْمَى . وهي أرض طيبة خصبة ،  
وبها جبال شاهقة .

وكان بنو فزارة شاتين بها ، فنزل الشاعر بقوم من عدى فزارة ، وطاب له  
للقام فلبث شهراً . ثم ظهر له فساد عبیده - وكان كافور قد كتب لمن حوله

من العرب ووعدهم - فأنفذ رسولا إلى فتى من بنى فزارة ثم من بنى مازن ،  
وهم قوم يؤثر عنهم رعاية الجوار . ثم سار إليه في الليل ، والقوم لا يعلمون  
رحيله ، ولا يشكون أنه يريد البياض ، فأخذ طريق البياض حتى بلغ رأس  
الصوان فتوقف ، وأنفذ رسولا إلى عرب بين يديه . وأراد أحد عبيده أن  
يخونه فضرب أبو الطيب وجهه بالسيف ، وأمر الغلمان فقطعوه ، وفي ذلك العبد  
قال أبو الطيب :

أعددت للغادرين أسيافاً . . . الخ  
ويقول ارتجالاً في هجاء وردان :  
إن تك طيء كانت لثاماً فالأمهم ربيعة أو بنوه  
إلى آخر الأبيات .

وكان رسول أبي الطيب قد عاد إليه وليس معه خبر عن العرب التي طلبها ،  
فسار على بركة الله إلى دومة الجندل ، وذلك لإشفاقه من أن تكون  
عليه عيون بحسنى تعلم أنه يريد البياض . وورد الشاعر البويرة بعد ثلاث  
ليال ، ولما توسط الشاعر بسيطة - وهي أرض بقرب الكوفة - رأى بعض  
عبيده ثوراً ، فقال : هذه منارة الجامع ، ونظر آخر إلى نعامة ، فقال : هذه نخلة ،  
فضحك أبو الطيب وقال :

بسيطة مهلا سقيت القطارا تركت عيون عبيدى حيارى  
إلى آخر الأبيات .

وورد العقدة بعد ليال ، واجتاز بيني جعفر بن كلاب وهم بالبرية فبات فيهم ،  
ثم دخل الكوفة في شهر ربيع الثاني سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .  
ولم يسلك أبو الطيب من مصر إلى الكوفة الطريق المعهودة ، فقد سار  
« على الحلال والأحياء والمفاوز المجاهيل والمناهل الأواجن » كما يقول صاحب

الإيضاح ، وهو بذلك يؤيد ما ادعى في شعره من الجرأة والدربة على الأسفار بالليل والنهار .

وكانت أولى قصائد الشاعر في الكوفة هي التي أولها :

ألا كل ماشية الخيزلي فدى كل ماشية الهيدبي

وقد عدد فيها المواضع التي مر بها في سيره ، ونخر ، وهما كافوراً . . وقد استغرقت رحلته من الفسطاط إلى الكوفة ثلاثة أشهر . وكان رجوع الشاعر الفحل إلى بلده ومسقط رأسه بعد غيبة طويلة عدتها ثلاثون سنة .

ولم يستطع الشاعر - وقد بارح الديار المصرية - أن ينسى صديقه أبا شجاع فاتك ، ولا أن يحمر قلبه من التحسر عليه والأسى لفقده ، ولم يستطع كذلك إلا أن يفيض نعمة على كافور وكراهة وبغضاء . وقد رثى فاتكا في ثلاث قصائد . أنشأ أولها بعد خروجه من مصر وأولها :

الحزن يقلق والتجمل يردع والدمع بينهما عصي طبع

وأنشأ ثانيها في الكوفة ، وقد أخرج تفاحة من الند عليها اسم فاتك ، وأولها :

يذكرني فاتكا حلمه وشيء من الند فيه اسمه

وأنشأ الثالثة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، بعد خروجه من بغداد ، وأولها :

حتام نحن نساى النجم في الظلم وما سراه على خف ولا قدم

وشاء الشاعر أن يهجو كافوراً أقذع الهجاء ، وأن يطلق من صدره جذوة مشتعلة من النعمة البالغة ، وذلك لأنه لم ينل عنده ما يبتغي ، ولأنه وعده فأخلفه ، ولأنه حبسه عن الرحيل ، ولأنه - في كل ذلك - أهله لشماتة الأعداء والحاسدين .

وقد ضمن الشاعر ثلاث قصائد - تضمنت أغراضاً أخرى - هجاء كافور

وهي قصيدة العيد التي تقدم ذكرها ، والقصيدة التي وصف فيها سيره من مصر إلى الكوفة ، والقصيدة العينية التي رثى بها فاتكا ، وقد تقدم ذكرها أيضاً . ثم ضمن هجاءه كذلك ، القطعة التي رثى بها فاتكا حين أذكرته به تفاحة الند .

وخصص الشاعر غير ذلك - لهجاء كافور - ست قطع فيها أربع وأربعون بيتاً . منها القطعة التي أولها :

أريك الرضا لو أخفت النفس خافياً وما أنا عن نفسي ولا عنك راضياً  
ومنها القطعة التي أولها :

أنوك من عبد ومن عرسه من سلط العبد على نفسه  
ومنها القطعة التي أولها :

وأسودَ أما القلب منه فضيق نخب وأما بطنه فرحيب  
وقد نظمت في شوال سنة خمسين وثلثمائة .

ومنها القطعة التي أولها :

لو كان ذا الآكل أزوادنا ضيفا لأوسعناه إحسانا  
وقد نظمت حينما هم بالرحيل عن مصر .

\*\*\*

وكانت العراق لما قدمها أبو الطيب في أيدي بني بويه ، وقد نشأت دولة بني بويه هذه في أوائل القرن الرابع الهجري ، فتعاون الإخوة الثلاثة : علي والحسن وأحمد على التسلط في فارس والعراق . واستولى أصغرهم أحمد على بغداد سنة أربع وثلثين وثلثمائة . فمنحهم الخليفة المستكن بالله الولاية على ما بأيديهم ، ولقب علياً عماد الدولة ، والحسن ركن الدولة ، وأحمد معز الدولة : وبقى ملك بني بويه على العراق حتى سنة سبع وأربعين وأربعمائة حين استولى عليه السلاجقة .

ولم يكدمعز الدولة يملك في العراق أسابيع ، حتى خلع الخليفة وسمل عينيه وولى مكانه الخليفة المطيع ، وانتقل بذلك الملك جملة من أيدي الخلفاء إلى أيدي البويهيين . وكان ذلك إيذاناً بالخراب والدمار وانتشار الظلم والظلمة والنفسى الآخذة بالعنان .

وقدم أبو الطيب العراق بعد ستة عشر عاماً من استيلاء معز الدولة عليها وأقام بالكوفة التي هجرها من قبل مراراً فراراً من القرامطة والأعراب ، فشهد بعد سنتين غارة بني كلاب عليها وشارك هو في الحرب والدفاع عنها .

وكان يلي الوزارة الحسن بن محمد المعروف بالوزير المهلبى . وكان أدبياً شاعراً اجتمع حوله أدباء ، منهم القاضى التنوخى ، وأبو الفرج الأصفهاني وشعراء منهم السرى الرقاء ، وكان جواداً مسرفاً كلفاً باللهو والمجون .

وقد لبث أبو الطيب بالعراق ثلاث سنين منذ قدمها حتى غادرها إلى فارس سنة أربع وخمسين - وكانت إقامته بالكوفة - وقد سافر في أثناء ذلك إلى بغداد مرة أو يزيد . ثم قدمها بعد في طريقه إلى فارس . ولا ندرى ما فعله بالكوفة إلا ما يتصل بقوله الشعر . ففي جمادى الثانية سنة ثلاث وخمسين هجرت هبة بن يزيد العيني ، ويروى أن ابن يزيد العيني هذا جاء من سفاح ، يغدر بكل من نزل به وأكل معه وشرب . وكان أبو الطيب قد نزل بالطف بأصدقاء له وسارت خيلهم إلى هذا العبد واستركبوه فلزمه السير معهم ، فدخل العبد الحصن وأخذ يشتمهم أيما من وراء الحصن أقبح شتم ، ويسمى أبا الطيب ويشتمه . وأراد القوم أن يجيبوه بمثل ألفاظه ، وسألوا أبا الطيب ذلك فتكلف لهم على مشقة وعلم أنه لو سبه لهم معرضاً لم يفهم ولم يعمل فيه عمل التصريح فغاطبه على ألسنتهم من حيث هو فقال . الخ .

وفي هذه القصيدة أقذع المتنبي غاية الإقذاع . وفاض حقه فغمر القصيدة وأفعمها .

وجاء في شرح ابن جنى : أن أبا الطيب أنكر إنشاد هذه القصيدة ، وقال  
الواحدى مثل ذلك .  
ثم وقعت بعد ذلك حوادث بالكوفة اشترك فيها أبو الطيب وقاتل ،  
ومدح قائد الجيش الذى قدم من بغداد لصد غارة الأعراب من بنى كلاب على  
الكوفة . وكان أبو الطيب قبل قدوم ذلك القائد يقود الجيش المدافع عن  
المدينة لعدة أيام ، فلما حضر جيش بغداد كان بنو كلاب قد رحلوا عن  
الكوفة ، فنزل القائد وأنفذ إلى أبي الطيب ثياباً نفيسة من ديباج وخز ، فأنشده  
هذه القصيدة فى الميدان وهما على فرسيهما ، وذلك فى ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين ،  
وأول القصيدة :  
كدعواك كل يدعى صحة العقل ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل

وخرج أبو الطيب من الكوفة - قبل أن يبرحها إلى فارس - فى شعبان  
سنة اثنتين وخمسين ، قاصداً بغداد ، وفيها لقي الوزير المهلبى ، ويرجح أنه  
أقام بها من جمادى الآخرة إلى شعبان ، أو قبل ذلك بقليل ، وقد نزل فيها بدار  
على بن حمزة البصرى اللغوى الذى روى ديوانه ، وبقي ضيفه إلى أن رحل عنها ،  
ولم يطل فيها مقامه .

وكان ببغداد معز الدولة بن بويه والوزير المهلبى .

وقد زار أبو الطيب المهلبى وجلس معه مرتين ، ولكنه لم يمدحه ، ولا هو مدح  
معز الدولة ، وقد كان أبو الطيب يود مدح المهلبى ، وأن يتخذة سبيلاً إلى  
معز الدولة ، وإنما صدده عن ذلك ما سمعه عنه من تماديه فى السخف واستهتاره  
واستيلاء أهل الخلاعة عليه . وقد أغرى المهلبى بالمتنبى شاعراً ماجناً هو ابن حجاج  
فعلق بلجام دابته وقد تكأ كالأشجار على الناس عليه وأخذ ينشده :  
يا شيخ أهل العلم فينا ومن يلزم أهل العلم توقيره

فلم يحفل به المتنبي وانصرف إلى منزله .  
وقد كان الوزير المهلبى راغباً في مدح أبي الطيب ، مغيظاً مُحَنِّقاً من إغفاله إياه ،  
وقد روى أنه أحضر على بن يوسف البقال فأشده في حضرة المتنبي ، فقال المتنبي :  
« ما رأيت ببغداد من يجوز أن يقطع عليه اسم شاعر إلا ابن البقال » .  
ولما كان الوزير المهلبى وسيلة الشاعر إلى معز الدولة ، فإن الشاعر لم يجد  
إلى معز الدولة من سبيل ، ولم يمدحه تبعاً لذلك .  
ولم يشأ المهلبى أن ينسى إساءة الشاعر إليه وإغفاله إياه ، فأغرى به جماعة من  
شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه ، ومنهم ابن الحجاج ،  
وابن سكرة الهاشمي ، والحامى . فلم يجبه المتنبي ولا حفل بهم ، وقيل له في ذلك ،  
فقال : إني قد فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء :

أرى المتشاعرين غروا بذى      ومن ذا يحمد الداء العضالا  
ومن يك ذا فم مر مريض      يجد مرأً به الماء الزلالا

وقولى :

أفي كل يوم تحت ضنبي شويعر      ضعيف يقاويني قصير يطاول  
إلى آخر الأبيات .

وقولى :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص      فهي الشهادة لى بأنى كامل

ومما كان بين أبي الطيب وبين أعوان المهلبى ما حكاه الحامى من مناظرتة  
لأبي الطيب ببغداد ، ولا ريب أن الحامى كذب في ذلك على خصمه وبالغ في دعواه  
إرضاء للمهلبى ، وقد قال ياقوت عن الحامى هذا : إنه كان مبغضاً لأهل العلم ،  
وفي الفترة التي أقامها الشاعر ببغداد ، قرى عليه ديوانه وسمعه جماعة ، منهم على بن  
حمزة البصرى ، وابن جنى ، والقاضى أبو الحسن الحاملى .

وشاء الله أن يعاود قلب الشاعر الكبير الحنين إلى الأمير العربي  
الجليل سيف الدولة بن حمدان ، فإنه لما سمع سيف الدولة بخروج أبي الطيب  
من مصر مراغماً كافوراً ، وبلوغه الكوفة ، كاتبه معرضاً برجوعه إلى حلب  
ثم أهدى إليه هدايا متعاقبة . فأجابه أبو الطيب في شوال سنة اثنتين وخمسين  
بقصيدته التي مطلعها :

مالنا كلنا جو يارسول أنا أهوى وقلبك المتبول  
وفيها يبين حزن الشاعر ، ومعاودته مدح الأمير الهمام . وقد قالها لما  
بلغه خروج سيف الدولة - وهو مريض - للقاء الروم ورجوعهم عن  
غزو طرسوس .

ثم توفيت أخت سيف الدولة الكبرى في جمادى الثانية سنة اثنتين وخمسين  
وورد العراق خبرها ، فقال الشاعر في شعبان قصيدته :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب  
فكان لهذا الرثاء أبلغ الأثر في نفس سيف الدولة ، فأرسل إلى الشاعر هدية  
ومالا وأماناً بنخطه وكتاباً يستدعيه ، فكتب أبو الطيب في ذي الحجة سنة ثلاث  
 وخمسين قصيدته التي مطلعها :

فهمت الكتاب أبرالكتب فسمعاً لأمر أمير العرب  
وبعد أن عاد الشاعر إلى الكوفة ولبث فيها عاود الذهاب إلى بغداد ، في  
طريقه إلى فارس قاصداً ابن العميد ، وقد بارح بغداد للمرة الثانية في صفر  
سنة أربع وخمسين ، وذلك بعد مبارحته لها في المرة الأولى بسنة وخمسة  
أشهر . وقد أخذ طريق الأهواز وبها لقيه التنوخي . وبلغ أرتجان في الشهر  
نفسه . فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن ؛ فضرب  
بيده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض يتعبدون بي وقصدت رب هذه  
للدرة فما يكون منه ؟ ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته

إلى ابن العميد ودخل عليه وقال : مولاي أبو الطيب خارج البلد ، فثار من مضجعه ثم أمر حاجبه باستقباله . فركب واستركب من لقيه في الطريق ، فتلقوا الشاعر وقضوا حقه وأدخلوه البلد ، فدخل على أبي الفضل بن العميد فقام له ، وطرح له كرسيه عليه وسادة ديباج . وقال أبو الفضل : كنت مشتاقاً إليك يا أبا الطيب .

وقد أفرد أبو الفضل له داراً نزلها ، وكان يغشى أبا الفضل كل يوم ويؤاكله . وابن العميد هذا - كما لا يخفى - هو الأديب الكبير أبو الفضل ابن العميد - وزير عضد الدولة ، وقد كان أبو الفضل نافعاً على الشاعر من قبل لأنه لم يمدحه ، وكان يريد أن يخمل ذكره ، حتى إنه ليروى أن بعض أصحابه دخل عليه يوماً قبل دخول المتنبي فوجده واجماً - وكانت أخته قد ماتت - فظنه واجداً لأجلها ، فسأله الخبر ، فقال : إنه ليغیظني أمر هذا المتنبي واجتهادي في أن أخمل ذكره ، وقد ورد عليّ نيف وستون كتاباً في التعزية ما منها إلا وقد صدر بقوله :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بأمالى إلى الكذب  
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي  
ويروى أن ابن العميد لم يرسل إلى المتنبي ليدعوه ، ولكن الذي لاريب فيه أنه فرح بمقدمه وطرب لمدحه ، فذلك كان أملاً من آماله وأمنية من أمنياته المعسولات .

وقد لبث الشاعر شهرين عند ابن العميد ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة علمه . ومدحه الشاعر بثلاث قصائد ، كانت أولها القصيدة التي مطلعها :

بادِهواك صبرت أم لم تصبرا وبكالك مالم يجر دمعك أو جرى  
وكانت ثانيها القصيدة التي مدحه بها في النوروز وهي التي أولها :

جاءَ نَيْرُوزُنا وَأنتَ مُرادُه  
وورثَ بالذی أرادَ زنادُه  
وفيها يتواضع الشاعر ويتحذر ، كأنما أحسن بأنه يخاطب بها أديباً كبيراً متميزاً  
على غيره من المدوحين :

و بعد هذه القصيدة - وقبل القصيدة الثالثة - قطعتان قال الشاعر إحداها حين  
ورد ، كتاب من أبي الفتح بن أبي الفضل ابن العميد وأولها :

بكتب الأنام كتاب ورد فدت يد كاتبه كل يد

وثانيتها قالها يصف محجرة رآها عند ابن العميد وأولها :

أحب امرئ حبَّت الأنفُس وأطيب ما شمه معطسٌ

ثم تأتي بعد ذلك القصيدة الثالثة ، التي يودع فيها الشاعر أبا الفضل ابن العميد  
وهي التي مطلعها :

نسيت وما أنسى عتاباً على الصد ولا خفراً زادت به حمرة الخد

وما كاد المتنبي - بعد قصيدة الوداع - يتأهب للرحيل إلى أهله بالكوفة حتى

جاء ابن العميد كتاب من عضد الدولة في طلب المتنبي ، فأنبأه ابن العميد به فقال :

مالي وللدليم ؟ فقال أبو الفضل : عضد الدولة أفضل مني ، ويصلك بأضعاف

ما وصلتك به ، فأجاب : بأني ملقي من هؤلاء الملوك أقصد الواحد بعد الواحد ،

وأملكهم شيئاً يبقى ببقاء النيرين ويعطونني عرضاً فانياً ، ولي ضجرات واختيارات

فيعوقونني عن مرادى فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه . فكاتب ابن

العميد عضد الدولة بهذا الحديث ، فورد الجواب بأنه مملك مراده في المقام

والظعن .

وكان عضد الدولة بصيراً بالأدب ، له شعر جيد ، وكانت دولة بني بويه عامة دولة

للأدب العربي ، فتولى الوزارة لهم ابن العميد والصاحب والمهلبى .

وسار المتنبي من أَرَّجان ، فلما كان على أربعة فراسخ من شيراز استقبله عضد

الدولة بأبي عمر الصباغ أخى صاحب كتاب حقائق الآداب ، ثم دخل البلد فأنزل

داراً مفروشة ، ولما نفض غبار السفر واستراح ركب إلى عضد الدولة فتوسط الدار  
وانتهى إلى قرب السرير فقبل الأرض واستوى قائماً ، وقال : شكرت مطية  
حملتني إليك ، وأملا وقف بي عليك .

وأنشأ أبو الطيب عند عضد الدولة ست قصائد وأرجوزة وقطعة ، وأولى هذه  
القصائد هي :

أومٍ يديل من قولتي واهـ لمن نأت والبديل ذكرها  
وهي التي يعزى بها عضد الدولة في وفاة عمته - وكانت قد توفيت ببغداد ، وثانية  
القصائد هي التي أولها :

مغانى الشعب طيباً في المغانى بمنزلة الريح من الزمان  
وفيها يحن الشاعر إلى العربية التي افتقدها في فارس فما وجد لها أثراً .  
ووصل عضد الدولة الشاعر صلوات كثيرة ، قدرت بأكثر من مائتي ألف درهم ،  
ولما استأذنه في المسير أمر أن يخلع عليه ويقاد إليه ويوصل بالمال الكثير - وقد ظهر  
أثر ذلك في شعر المتنبي .  
وأقام أبو الطيب في شيراز زهاء ثلاثة أشهر ، وقرىء عليه ديوانه ، ثم أنشد  
قصيدة الوداع في شعبان سنة أربع وخمسين ، وفيها يطنب في شكر الأمير ، ويرغب  
في الرجوع إليه ، ويحن إلى أهله ، ثم يتوقع أن شراً سيصيبه في طريقه ، وهي القصيدة  
التي أولها :

فِدَى لِكَ مَنْ يَقْصِرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَ مَلِكٌ إِذَنْ إِلَّا فِدَاكَ

\*\*\*

وكان خروج أبي الطيب من شيراز ، في الثامن من شعبان ، قاصداً ببغداد  
فالكوفة ، وسار الشاعر بمراكبه وأحماله وغلمانه حتى بلغ الأهواز ، فقطع  
بذلك واحداً وخمسين فرسخاً ، ثم سار خمسين فرسخاً أخرى حتى بلغ واسط  
ونزل بها ، وبين واسط وبغداد زهاء أربعين فرسخاً ، كان على الشاعر أن

يجتازها قبل أن يصل مدينة السلام ، وعلى الطريق إليها بلاد ذكر منها في الروايات التي وردت عن مقتل أبي الطيب : النعمانية ، ودير العاقول ، والصافية ؛ فأما النعمانية فهي في وسط الطريق ، وهي قائمة اليوم على الشاطئ الغربي من دجلة ، وإلى الجنوب الشرقي من « دير العاقول » وعلى مقربة منه دير قني أو (قنة) وهو يبعد عن الشاطئ قليلاً ، وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخاً . وأمام دير العاقول « الصافية » وهي على فرسخين جنوب شرقي دير العاقول .

وسار أبو الطيب من واسط قاصداً بغداد في طريقه إلى الكوفة في اليوم السابع عشر من رمضان ، وفي ذلك اليوم كتب عنه علي بن حمزة البصري - علي روايته - القصيدتين الأخيرتين في شعره .

وبلغ جبل بعد أن قطع زهاء سبعة عشر فرسخاً ، فنزل عند أبي نصر الجبلي ، ثم أخذ طريقه حتى أصبح حيال النعمانية ، ثم سار فمر بمرجرايا على أربعة فراسخ من الجنوب الشرقي من دير العاقول ، وتقدم بعد ذلك حتى قارب الصافية وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخاً ، وهناك خرج عليه فاتك بن أبي جهل الأسدي خال ضبة بن يزيد الذي هجاه أبو الطيب ، وكان فاتك في نيف وثلاثين فارساً راحلين وناشين ، ولا ريب أنه كان يتربص لأبي الطيب ، لينتقم لابن أخته ضبة ، وليستولى على ما يحمله معه من ثروة ، فقد روى أنه ومن معه كانوا ممن يقطعون طريق الحجاج .

وكان مع أبي الطيب ابنه محمد وغلماؤه ، وقد وصفهم من قبل في قصيدة رثاء فاتك الميمية ، وفي قصيدة توديع ابن العميد ، ولا شك أن غلماؤه هؤلاء كانوا أقل عدداً من عدوهم .

وقاتل الشاعر الشجاع حتى قتل ، وقتل ابنه ، ويقول صاحب الإيضاح : إنهم « قتلوا كل من معه » وإن كان ذلك يبدو بعيداً ، ويروى أن أبا نصر قال : « ولما صح خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلماؤه وذهبت دماؤهم هدرأ » .

ومن المرجح أن اليوم الذي أودى فيه الشاعر هو يوم الأربعاء الثامن والعشرون من رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة هجرية .

وقد رثى أبا الطيب من معاصريه ، أبو الفتح عثمان بن جني بقصيدة أولها :  
غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوحت بعد رى دوحه الكنب<sup>(١)</sup>  
ورثاه أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي بأربعة أبيات رواها الثعالبي في اليتيمة وأولها :

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا في مثل ذاك اللسان  
ورثاه ثابت بن هارون الرقي النصراني ، وحرص عضد الدولة على عقاب  
من قتلوه بقصيدة أولها :

الدهم أخبث والليالي أنكد من أن تعيش لأهلها يا أحمد

\*\*\*

وقبل أن نختتم سيرة المتنبي ، نقول : إنه تزوج بعد سنة تسع وعشرين وثلثمائة ،  
ولكننا لا ندرى متى تزوج ، وكان له عيال حن إليهم في شعره وتشوق للقائهم ،  
وقد ورد في أخبار المتنبي ذكر لابنه محمد ، ولم يرد ذكر لغيره ، ويرجح أن  
زوجه كانت من الشام .

\*\*\*

ذلكم كان أبو الطيب المتنبي ، الشاعر الذي خُلد مع فنه الخالد وشعره  
الشاعر ، ولا ريب أن القاريء أدرك من مجمل سيرته ما كان يدين به من خلق  
واضح الحدود ، بيّن المعالم ، فقد كان الشاعر - كما يبين في شعره - متكبراً

---

(١) انظر ترجمة ابن جني .

أياً معجباً بعيد الهمة ، وكان شجاعاً عظيم الإقدام ، وقد سيطرت عليه أخلاقه هذه ولعبت بحياته ، فجعلته متعالياً عن شعراء وقته عزوفاً عن مسايرتهم في اللهو والمجون ومعاقره الخمر ، وكان كذلك صادق القول صريحه ، قال علي بن حمزة :  
لأنه لم يكذب قط ، ومن آثار هذا أنه كان ينفق من التكلف ويفضل البداوة على التحضر .

وكان أبو الطيب عدا ذلك ، حاقداً على الناس ، يحقرهم ، ويطوى كسحه لهم على الموجدة والضعيفة ، وذلك أثر من آثار اعتداده بنفسه وطموحه إلى السؤدد ، ثم قصوره عن بلوغ أمله ، على أنه - برغم هذا - كان وفياً لأصدقائه محباً لهم متأسياً لفراقهم ، جازعاً لموتهم ، ثم كان في كل هذا حزين الطبع ، نائراً ، يتنزى قلبه الماء وحسرة على ما أمل وفشل .

ومما أثر عن المتنبي أنه كان بخيلاً ، حريصاً على المال ليبلغ به غايته ، ويستعين به على تحقيق آماله الجسام ، وأحلامه الواسعة .

ولأنحسب الشاعر - ولم تسعده الحال في حياته على تحقيق مراده - إلا بالفناء المبالغ في مماته ، وواجداً فوق ما أمل وأراد ، وكفاه خلوداً أن يظل على الأيام صاحب الذكر الدائم ، الباقي بقاء الضاد .

## ترجمة المتنبي

« بقلم أحد معاصريه »

وقد استحسنا - لمناسبة كتاب إيضاح المشكل من شعر المتنبي الذي ورد ذكره في هذه السيرة ، لمصنفه أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني - أن نورد هنا ترجمة هذا الأصفهاني لأبي الطيب المتنبي . قال عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب : وهذه ترجمة المتنبي نقلتها من كتاب « إيضاح المشكل لشعر المتنبي من تصانيف أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني » وهذا الإيضاح قاصر على شرح ابن جنى لديوان المتنبي ، يوضح ما أخطأ فيه من شرحه . وهو من عاصر ابن جنى ، وألف الإيضاح لبهاء الدولة بن بويه قال : « وقد بدأت بذكر المتنبي ومنشئه ومغتربه ، وما دل عليه شعره من معتقده إلى محتّم أمره ، ومقدمه على الملك - نصر الله وجهه - بشيراز وانصرافه عنه ، إلى أن وقعت مقتلته بين ديرقنة ، والنعمانية واقتسام عقائله وصفاياها . . حدثني ابن النجار ببغداد : أن مولد المتنبي كان بالكوفة في محلة تعرف بكيندة بها ثلاثة آلاف بيت ، من بين رواء ونساج .

واختلف إلى كتاب فيه أولاد أشرف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية<sup>(1)</sup> شعراً ولفه وإعراباً ؛ فنشأ في خير حاضرة ، وقال الشعر صبياً ، ثم وقع إلى خير بادية - بادية اللاذقية ، وحصل في بيوت العرب ، فادعى الفضول الذي نبز به ، فمضى خبره إلى أمير بعض أطرافها - فأشخص إليه من قيده وسار به إلى محبسه ، فبقى يعتذر إليه ويتبرأ مما وُسم به ، في كلمته التي يقول فيها :

فمالك تقبلُ زورَ الكلامِ وقدرُ الشهادةِ قدرُ الشهودِ  
وفي جودِ كفك ما جُدتُ لى بنفسى ولو كنتُ أشقى ثمودِ

(1) كذا في الأصل ويشتمل أن تكون « العربية » .

وقد هجاه شعراء وقته ، فقال الضبي :  
الزَّمْ مقالَ الشعرِ تَحْظَ بقربةٍ  
وعن النبوة ، لا أبالك ، فانترج  
ترجح دماً قد كنت توجبُ سفكهُ  
إن التمتع بالحياة كمن ترجح  
فأجابه المتنبي :

أمرى إلى فإن سمحتُ بمهجة  
وهماء غيره فقال :

أطلتَ يا أيها الشقيُّ دمك  
أقسمتُ لو أقسم الأميرُ على  
بأهذيان الذي ملأتُ فك  
قتلك قبل العشاء ما ظلمك  
فأجابه المتنبي :

هك في أمرٍ تقلبُ في عين دواقرٍ من صلبه قلبك  
وهمتي في انتضاء ذى شطبٍ أقدُّ يوماً بحدّه أدَمك  
فاخسَ كليياً واقعدُ على ذنبٍ وأظللُ بما بين أليتيك فك  
وهو في الجملة خبيث الاعتقاد ، وكان في صغره وقع إلى واحد يكنى أبا الفضل  
بالكوفة من المتفلسفة فهوَّسه وأضله كما ضل ، وأما ما يدل عليه شعره  
فمتلون ، وقوله :

هون على بصر ما شق منظره  
مذهب السوفسطائية ، وقوله :

تمتع من سهادٍ أو رقادٍ ولا تأمل كرمي تحت الرجام  
فإن لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والنمام  
مذهب التناسخ ، وقوله :

نحن بنو الدنيا فما بالنا نعافُ ما لا بدَّ من شرِّه

فهذه الأرواح من جَوْه وهذه الأجسام من تَرْبه  
مذهب الفضاوية . وقوله في أبي الفضل بن العميد :  
فإن يكن المهديُّ مَنْ بَانَ هَدِيَهُ فهذا ، وإلا فالهديُّ ذا ، فما المهديُّ  
مذهب الشيعة . وقوله :

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهِمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ ، وَأُخْلَفَ فِي الشَّجَبِ  
فَقِيلَ : تَخَلَّدُ نَفْسَ الْمَرْءِ بَاقِيَةً وَقِيلَ : تَشْرِكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ  
فهذا من يقول بالنفس الناطقة ، ويتشعب بعضه إلى قول الحشيشية . والإنسان  
إذا خلع ربة الإسلام من عنقه ، وأسلمه الله عزَّ وجلَّ إلى حوله وقوته ، وجد  
في الضلالات مجالا واسعا ، وفي البدع والجهالات مناديجَ وفسحا . ثم جئنا  
إلى حديثه وانتجاعه ، ومفارقتة الكوفة أصلا ، وتطوافه في أطراف الشام ،  
واستقرائه بلاد العرب ، ومقاساته للضرِّ وسوء الحال ، ونزارة كسبه ، وحقارة  
ما يوصل به ، حتى إنه أخبرني أبو الحسن الطرائفي ببغداد — وكان لقي المتنبى  
دفعات في حال عسره ويسره — أن المتنبى قد مدَّح بدون العشرة والخمسة من الدراهم  
وأشدد في قوله مصداقا لحكايته :

انصُرْ بِجُودِكَ الْفَاطِمَةَ تَرَكْتُ بِهَا فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ مِنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا  
فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مَرْتَحِلٌ وَذَا الْوَدَاعُ ، فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِئْنَا  
وأخبرني أبو الحسن الطرائفي قال : سمعت المتنبى يقول : أوَّلَ شَعْرٍ قَلْتَهُ وَابْيَضَّتْ  
أَيَّامِي بَعْدَهُ ، قَوْلِي :

أَنَا لِأُمِّي إِنْ كُنْتُ وَقْتَ اللُّوْأَمِ  
عَلِمْتُ بِمَا بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ  
فإني أعطيتُ بها بدمشق مائة دينار . . . ثم اتصلَ بأبي العشائر ، فأقام  
ما أقام ثم أهداه إلى سيف الدولة ، فاشترط أنه لا ينشد إلا قاعداً وعلى الوحدة ، فاستحمله  
وأجابوه إليه . فلما سمع سيف الدولة شعره حكمه بالفضل ، وعلماً ما طلبه استحقاقاً .

وأخبرني أبو الفتح عثمان بن جني : أن المتنبي أسقط من شعره الكثير وبقي ما تداوله الناس . . . وأخبرني الحلبي أنه قيل للمتنبي : معنى بيتك هذا أخذته من قول الطائي . فأجاب المتنبي : الشعر جاذبة ، وربما وقع حافر على حافر . وكان المتنبي يحفظ ديواني الطائيين ، ويستصحبهما في أسفاره ويحجدهما ، فلما قتل توزعت دفاتره ، فوقع ديوان البحري إلى بعض من درس عليّ ، وذكر أنه رأى خط المتنبي وتصحيحه فيه . وسمعت من قال : إن كافوراً لما سمع قوله :

إذا لم تنطُ بي ضيعةً أو ولايةً فجوْدُك يكسوني وشُغْلُك يسلبُ  
ياتمس ولاية صيداء . فأجابه : لست أجسرُ على توليتك صيداء ، لأنك  
على ما أنت عليه ، تحدث نفسك بما تحدث ؛ فإن وليتكَ صيداء ، فمن يطيقك ؟ !

وسمعتُ أنه قيل للمتنبي : قولك لكافور :  
فأرْمِ بي حَيْمًا أَرَدْتَ فَأِنِّي أَسْدُ الْقَلْبِ آدَمِي الرِّوَاءِ  
وفؤادى من الملوكِ وإن كان لسانى يُرى من الشعراء  
ليس قول ممتدح ولا منتجع ، إنما هو قول مضاد ! فأجاب المتنبي إلى أن قال :  
هذه القلوب ، كما سمعت أحدها يقول :  
يَقْرَأُ بَعْنِي أَنْ أَرَى قِصْدَ الْقَنَاءِ وَصَرَ عَى رِجَالٍ فِي وَغَى أَنَا حَاضِرُهُ  
وأحدها يقول :

يَقْرَأُ بَعْنِي أَنْ أَرَى مِنْ مَكَانِهَا ذُرَا عَقَدَاتِ الْأَجْرَعِ الْمُتَقَاوِدِ

ثم أقام المتنبي عند سيف الدولة على التكرمة البليغة : في إسناء الجائزة ، ورفع المنزلة . ودخل مع سيف الدولة بلاد الروم ، وتأثّل حالاً في جنبته بعد أن كان حويّلة . وكان سيف الدولة يستحبُّ الاستكثار من شعره والمتنبي يستقله ، وكان

مُلتقى من هذه الحال ، يشكوها أبدأ ؛ وبها فارقه حيث أنشده :  
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم  
وأخرها :  
بأى لفظ يقول الشعر زِعْنِفَةٌ تجوز عندك لا عُرْبٌ ولا نَجْمٌ  
وقال في أخرى :  
إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق أراه غُبَارِي ثم قال له الحق !  
فلما انتهت مدته عند سيف الدولة استأذنه في المسير إلى أقطاعه ؛ فأذن له وامتدَّ  
باسطاً عنانه إلى دمشق ، إلى أن قصد مصر فألم بكافور ، فأنزله وأقام ما أقام . إلا  
أن أول شعره فيه دليل على ندمه لفراق سيف الدولة ، وهو :  
كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكنَّ أمانياً  
حتى انتهى إلى قوله :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا  
وأخبرني بعض المولدين ببغداد ، وخاله أبو الفتح يتوزر لسيف الدولة . أن  
سيف الدولة رسم لى التوقيع إلى ديوان البر بإخراج الحال فيما وصل به المنتهى ،  
فخرجت بخمسة وثلاثين ألف دينار في مدة أربع سنين .

ثم لما أنشد الثانية كافوراً خرجت موجهة يشاق سيف الدولة . وأولها :  
فراق ، ومن فارقت غير مذمم وأم ، ومن يممت خير ميمم

وأقام على كره بمصر إلى أن ورد فانتك غلام الأخشيدى من الفيوم - وهى  
وبينة ، فنبت به واجتواها - وقادوا بين يديه فى مدخله إلى مصر أربعة آلاف  
جنبية مُعَمَّلة بالذهب ؛ فسماه أهل مصر بفاتك المجنون . فلقبه المنتهى فى الميدان  
على رقبته من كافور فقال :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

فوصل إليه من أنواع صلواته وأصناف جوائز ما تبلغ قيمته عشرين ألف دينار ،  
ثم مضى فاتك لسبيله ، فرثاه المتنبي وذم كافوراً :  
أيموتُ مثل أبي شجاع فاتكُ ويعيشُ حاسدُهُ الخِصِي الأوكعُ !  
فاحتال بعده في الخلاص من كافور ، فاتهمز الفرصة في العيد - وكان رسم  
السلطان أن يستقبل العيد بيوم ، وتعد فيه الخِليج والحلانات وأنواع المبار ، رابطة  
جنده وراتبة جيشه ، وصبيحة العيد تفرق ، وثاني اليوم يذكر له من قبل ومن رد  
واستزاد - فاهتبل المتنبي غفلة كافور ، ودفن رماحه برأ ، وسار ليلته وحمل بفاله  
وجماله وهو لا يألو سيراً وسرعى هذه الليلة مسافة أيام ؛ حتى وقع في تيه بني إسرائيل ؛  
إلى أن جازه على الحلل والأحياء والمفاوز الجاهيل ، والمناهل الأواجن ، ونزل  
الكوفة ، وقال يقص حاله :  
الأ . كل ماشية الخيزلي فدا كل ماشية الهيدني  
وفيها يقول :  
ضربتُ بها التيه ضربَ القِمار : إماً لهذا ، وإما لنا  
ثم مدح بالكوفة دليبر بن لشكر ووز ، وأنشده في الميدان ؛ فغمله على فرس  
بمركب ذهب .  
وكان السبب في قصده ، أبا الفضل بن العميد - على ما أخبرني أبو علي بن شبيب  
القاشاني - وكان أحد تلامذتي ، ودرس علي بقاشان سنة ثلثمائة وسبعين وتوزر  
للأصبهيد بالجيل وأبوه أبو القاسم توزر لوشمكير بخرجان - عن العلوي العباسي نديم  
أبي الفضل بن العميد الذي يقول فيه :  
أبلغ رسالاتي الشريف ، وقل له : قدك اتتد أريت في الغلواء  
إن المعروف المطوق الشائبي كان بمصر وقت المتنبي فعمد إلى قصيدته في كافور :  
\* أغالب فيك الشوق والشوق أغلب \*  
وجعل مكان أبا المسك أبا الفضل ، وسار إلى خراسان وحمل القصيدة ، أعنى قصيدة

المتنبي إلى أبي الفضل ، وزعم أنه رسوله ، فوصله أبو الفضل بألفي درهم ، واتصل هذا الخبر بالمتنبي ببغداد ، فقال : رجل يعطى لحامل شعري هذا ، فما تكون صلته لي؟ وكان ابن العميد يخرج في السنة من الري خرجتين إلى أَرَجَان ، يجي بها أربع عشرة مرة ألف ألف درهم . فلما حديثه إلى المتنبي بحصوله بأرجان ، فلما حصل المتنبي ببغداد نزل رِبَضَ حُمَيْد ، فركب إلى المهلبى ، فأذن له فدخل وجلس إلى جنبه ، وصاعد خليفته دونه ، وأبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني ، فأنشدوا هذا البيت :

سقى الله أمواها عرفتُ مكانها جُرَامًا ومَلَكُومًا وبَدْرًا فالغمر  
وقال المتنبي : هو جُرَابَا ، وهذه أمكنة قتلتها علمًا وإنما الخطأ وقع من النقلة ! فأنكره أبو الفرج . قال الشيخ : هذا البيت أنشده أبو الحسن الأخصى صاحب سيبويه في كتابه جرأما ، بالميم ، وهو الصحيح وعليه علماء اللغة ، وتفرق المجلس عن هذه الجملة ، ثم عاوده اليوم الثانى وانتظر المهلبى إنشاده فلم يفعل وإنما صدّه ما سمعه من تماديه فى السخف ، واستهتاره بالهزل ، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه ؛ وكان المتنبي مرّ النفس صعب الشكيمة حاداً مجدداً فخرج ، فلما كان اليوم الثالث أغروا به ابن الحجاج حتى علق لجام دابته فى صينية الكرخ وقد تكاسب الناس عليه من الجوانب ، وابتدأ ينشد :

يا شيخَ أهلِ العلمِ فينا ومن يَلِزمُ أهلَ العلمِ توقيرُهُ  
فصبر عليه المتنبي ساكناً ساكناً ، إلى أن نُجِزَها ، ثم خلى عنان دابته ، وانصرف المتنبي إلى منزله ، وقد تيقن استقرار أبي الفضل ابن العميد بأرجان وانتظاره له فاستعدّ للسير .

وحدثنا أبو الفتح عثمان بن جنى عن علي بن حمزة البصرى قال : كنت مع المتنبي لما ورد أَرَجَان ، فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن ، فضرب بيده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض وهم يتعبونني ، وقصدتُ

رباً هذه المدرة ، فما يكون منه ! ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته إلى ابن العميد ، فدخل عليه وقال : مولاي أبو الطيب المتنبي خارج البلد - وكان وقت القيولة ، وهو مضطجع في دستانه - فنار من مضجعه واستنبتته ، ثم أمر حاجبه باستقباله ، فركب واستركب من لقيه في الطريق ، ففصل عن البلد بجمع كثير ، فتلقوه وقضوا حقه وأدخلوه البلد . فدخل على أبي الفضل ، فقام له من الدست قياماً مستويماً ، وطرح له كرسي عليه مخرقة ديباج ، وقال أبو الفضل : كنت مشتاقاً إليك يا أبا الطيب ثم أفاض المتنبي في حديث سفره ، وأن غلاماً له احتمل سيفاً وشد عنه ، وأخرج من كفه عقيب هذه المفاوضة درجاً فيه قصيدته :

\* بادِ هواك صبرت أو لم تصبرا \*

فوحى أبو الفضل إلى حاجبه بقرطاس فيه مائتا دينار ، وسيف غشاؤه فضة ، وقال : هذا عوض عن السيف المأخوذ ، وأفرد له داراً نزلها ، فلما استراح من تعب السفر كان يغشى أبا الفضل كل يوم ويقول : ما أזורك إكباباً إلا لشهوة النظر إليك ! ويؤاكله ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه ، ويتعجب من حفظه وغزارة علمه ، فأظلمهم النبروز فأرسل أبو الفضل بعض ندمائه إلى المتنبي : كان يبلغني شعرك بالشام والمغرب وما سمعته دونه ، فلم يحجر جواباً ، إلى أن حضره النبروز وأنشده مهيناً ومعتزلاً فقال :

هل لعذري إلى الهمام أبي الفضل قبول ، سواد عيني مداده

فأخبرني البديهي ، سنة ثمانمائة وسبعين : أن المتنبي قال بأرجان : الملوك قروود يشبه بعضهم بعضاً ، على الجودة يعطون ، وكان حمل إليه أبو الفضل خمسين ألف دينار ، سوى توابعها ، وهو من أجواد زمان الدليل وكذلك أبو المطرف وزير مرداويج ، قصده شاعر من قزوين فأنشده وأمله مادة نفقة يرجع بها إلى بلده ، فكتب إليه أبيتاناً أولها :

أَقْلَامٌ بِكَفِّكَ أَمْ رِمَاحٌ وَعِزْمٌ ذَاكَ، أَمْ أَجَلٌ مَتَاحٌ  
فَقَالَ أَبُو الْمَطْرِفِ: أَعْطَوْهُ أَلْفَ دِينَارٍ، وَكَذَلِكَ أَبُو الْفَضْلِ الْبَلْعَمِيُّ وَزَيْرُ بُخَارِي  
أَعْطَى الْمَطْرَانِي الشَّاعِرَ عَلِيَّ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا :

\* لَا شُرْبَ إِلَّا بِسِيرِ النَّأْيِ وَالْعُودِ \*

خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَكَذَلِكَ خَلْفُ صَاحِبِ سَجِسْتَانَ، أَعْطَى أَبَا بَكْرَ الْخَنْبَلِيَّ  
خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ عَلَى كَلِمَةٍ فِيهِ، وَكَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ، وَكَانَ يَأْتِيهِ  
عُلُوٌّ مِنْ بَعْضِ جِبَالِ خِرَاسَانَ كُلِّ سَنَةٍ فَيُعْطِيهِ رَسْمًا لَهُ جَارِيًا عَلَى التَّائِيدِ، فَاتَاهُ  
وَهُوَ فِي بَعْضِ الثَّغُورِ، فَقَالَ لِلخَازِنِ: أَطْلُقْ لِي مَا فِي الْخِرَازِنَةِ، فَبَلَغَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ  
دِينَارٍ، فَشَاطَرَ الْخَازِنَ وَقَبِضَ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، إِشْفَاقًا مِنْ خَلَلِ يَتَمَعٍ عَلَى عَسْكَرِهِ  
فِي الْحَرْبِ، وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ أَنَّهُ تَعَرَّضَ سَائِلٌ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ رَاكِبٌ،  
فَأَنشَدَهُ فِي طَرِيقِهِ :

أَنْتِ عَلِيٌّ وَهَذِهِ حَلَبٌ قَدْ فَنَى الزَّادُ وَاتَّهَى الطَّلَبُ

فَأَطْلَقَ لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، وَتَعَرَّضَ سَائِلٌ لِأَبِي عَلِيٍّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ فِي مَوْكِبِهِ  
فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ، فَجَاءَهُ الْخَازِنُ بِالذَّوَاةِ وَالْبِيضِ، فَوَقَعَ بِالْفَنَى دِينَارٌ؛  
فَلَمَّا أَبْصَرَهُ الْخَازِنُ رَاجِعَهُ فِيهَا فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ: الْكَلَامُ رِيحٌ، وَانْخَطَّ شَهَادَةٌ،  
وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَشْهَدَ عَلِيٌّ بِدُونِ هَذَا . . . ثُمَّ إِنَّ أَبَا الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيَّ لَمَّا وَدَّعَ  
أَبَا الْفَضْلِ بْنَ الْعَمِيدِ، وَرَدَّ كِتَابَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِسُتَدْعِيهِ، فَعَرَّفَهُ ابْنَ الْعَمِيدِ  
فَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ: مَا لِي وَاللَّيْلِمِ؟ فَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَفْضَلُ مِنِّي،  
وَيَصِلُكَ بِأَضْعَافٍ مَا وَصَلْتِكَ بِهِ، فَأَجَابَ بِأَنِّي مُلْتَمِسٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ:  
أَقْصِدِ الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ، وَأَمْلِكْهُمْ شَيْئًا يَبْقَى بِنِزْوَانِ النَّبِيِّينَ، وَيُعْطُونَنِي  
عَرَضًا فَايًّا، وَلي ضَجَرَاتٍ وَاخْتِيَارَاتٍ، فَيَعُوقُونَنِي عَنْ مَرَادِي، فَأَحْتَاجُ

إلى مفارقتهم على أقبح الوجود ! فكتب ابن العميد عضد الدولة بهذا الحديث ،  
فوررد الجواب بأنه مملك مراده في المقام والظمن . فسار المتنبي من أرجان ، فلما  
كان على أربعة فراسخ من شيراز ، استقبله عضد الدولة . بأبي عمر الصباغ أخى  
أبي محمد الأبهري صاحب كتاب حقائق الآداب . فلما تلاقيا وتسايرا ، استنشده  
فقال المتنبي : الناس يتناشدون فاسمعه . فأخبر أبو عمر أنه رسم له ذلك عن المجلس  
العالى . فبدأ بقصيدته التي فارق مصر بها :

ألا كل ماشية الخيزلي فدا كل ماشية الهيدبي

ثم دخل البلد فأنزل دارا مفروشة ، ورجع أبو عمر الصباغ إلى عضد الدولة  
فأخبره بما جرى ، وأنشده أبياتا من كئيبته وهي :

فلما أحننا ركزنا الرما ح حول مكارمنا والعللا

وبتنا تقبل أسيفنا ونسحها من دماء العدا

لتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أنى الفتى

وأنى وفيت وأنى أبيت وأنى عتوت على من عتا

فقال عضد الدولة : هوناً ، يتهددنا المتنبي ! . . .

ثم لما نفض غبار السفر واستراح ، ركب إلى عضد الدولة ؛ فلما توسط الدار  
انتهى إلى قرب السرير مصادمة ، فقبل الأرض واستوى قائماً وقال : شكرت  
مطية حملتني إليك ، وأملاً وقف بي عليك . ثم سأله عضد الدولة عن مسيره من  
مصر ، وعن علي بن حمدان ، فذكره وانصرف وما أنشده . فبعد أيام حضر السباط  
وقام بيده درج ، فأجلسه عضد الدولة وأنشد :

مغاني الشعب طيبا في المغاني

فلما أنشدها وفرغوا من السباط ، حمل إليه عضد الدولة من أنواع الطيب  
في الأردية الأمان من بين الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد فرسه الملقب

بالمجروح - وكان اشترى له بخمسين ألف شاة - وبدرّة دراهمها عدلية ، ورداء  
حشوه ديباج رومي مفصل ، وعمامة قومت بخمسة دینار ، ونصلاً هندیّاً مرصّع  
النجاد والجفن بالذهب . وبعد ذلك كان ينشده في كل حدّث يحدث قصيدة ، إلى أن  
حدث يوم نثر الورد . فدخل عليه والمك على السرير في قبة يحسّر البصر  
في ملاحظتها . والأترک ينثرون الورد ، فمثل المتنبي بين يديه وقال : ما خدمت  
عيني قاي كالיום ؟ وأنشأ يقول :

قد صدق الورد في الذي زعما أنك صيرت نثره ديماً  
كأنما مأمح الهواء به بحر حوى مثل مائه عناً

فحمل على فرس بمركب ، وألبس خلعاً ملكية ، وبدرّة بين يديه محمولة .  
وكان أبو جعفر وزير بهاء الدولة مأموراً بالاختلاف إليه ، وحفظ المنازل والمناهل  
من مصر إلى الكوفة وتعرفها منه ، فقال : كنت حاضرته ، وقام ابنه يلتمس  
أجرة الفسّال ، فأحد المتنبي إليه النظر بتحديق فقال : ما للصعلوك والفسّال !  
يحتاج الصعلوك إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء : يطبخ قدره ، ويُنعّل فرسه ،  
ويغسل ثيابه ؟ ثم ملأ يده قطيعات بلغت درهمين أو ثلاثة .

وورد كتاب أبي الفتح ذي الكفایتين بن أبي الفضل - وكان من أجاود  
زمان الديلم ، فرق في يوم واحد بشبذيز قرميسين ، ألفين وخمسة قطعاً إبريسم -  
ومضمونه كتاب الشوق إلى لقاء المتنبي وتشوفه إلى نظرته فأجابه المتنبي :

يكتب الأنام كتاب ورد فدت يد كاتبه كل يد

فلما عاد الجواب إلى أبي الفتح ، جعل الأبيات سورة يدرسها ، ويحكم المتنبي  
بالفضل على أهل زمانه . . . فقال أبو محمد بن أبي الثبات البغدادي :

لو أرد شعير كذوب البرد أتانا به خاطر قد جمّد  
فأقبل يمضغه بعضنا وهم السنابير أكل الغدّد

وقالوا : جوادٌ يفوق الجيادَ ويسبق من غفوه المقتصدُ  
ولو وليَ النسر أمثاله لظلت خفافيشنا تنتقدُ

فاستخف أبو الفتح به وجره برجله فقارقههم وهاجر إلى أذربيجان ، والأميرُ  
أبو سالم ديسم بن شاد كويه على الإمرة ، فاتصل به وحظى عنده على غاية الإكرام .  
وقال عضد الدولة : إن المتنبي كان جيدَ شعره بالغرب . فأخبر المتنبي به فقال  
الشعر على قدر البقاع . . . .

وكان عضد الدولة جالساً في البستان الزاهر يوم زينته ، وأكابرُ حواشيه  
وقوف . فقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكاري : ما يُعوز مجلس  
مولانا سوى أحد الطائنين . فقال عضد الدولة : لو حضر المتنبي لناب عنهما  
فلما أقام مدةً مقامه وسمع ديوان شعره . ارتحل وسار بمراكبه وظهوره وأثقاله  
وأحماله إلى أن نزل الجسر بالأهواز . وأخبرنا أبو الحسن السوسى في دار الوقف  
بين السورين ، قال : كنت أتولى الأهواز من قبل المهلبى ، وورد علينا المتنبي  
ونزل عن فرسه ومقوده بيده ، وفتح عيابه وصناديقه لبلبل مسّها في الطريق ،  
وصارت الأرض كأنها مطارفُ منشورة فخرته أنا وقلت : قد أمت للشيخ  
نزلاً . فقال المتنبي : إن كان تمّ فآتية . ثم جاءه فأتك الأسد يجمع وقال : قدم  
الشيخ في هذه الديار وشرّفها بشعره ، والطريق بينه وبين ديرقنة خشن قد  
احتوشته الصعالكة ، وبنو أسد يسرون في خدمته إلى أن يقطع هذه المسافة  
ويبركل واحد منهم بثوب بياض . فقال المتنبي : ما أبق الله يدي هذا الأدم  
وذباب الجراز الذي أنا متقلده فإني لا أفكر في مخلوق ! فقام فأتك ونفض ثوبه  
وجمع من رتوت الأعراب الذين يشربون دماء الحجيج حسواً ، سبعين رجلاً  
ورصد له ، فلما توسط المتنبي الطريق خرجوا عليه فقتلوا كل من كان في صحبته ،  
وحمل فأتك على المتنبي وطعنه في يساره ونكسه عن فرسه . وكان ابنه أفلت إلا

أنه رجع يطلب دفاتر أبيه فقتع خلفه الفرس أحدُهم وجزَّ رأسه ، وصبوا أمواله  
يتقاسمونها بطرُطورة :

وقال بعض من شاهده : إنه لم تكن فيه فروسيّة ، وإنما كان سيف الدولة  
سلمه إلى النخاسين والرواضِ بحلب ، فاستجراً على الركض والخضر فأما استعمال  
السلاح فلم يكن من عمله .

وجملة القول فيه : أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما في كلامه من  
( الغريب المصنف ) سوى حرف واحد هو في ( كتاب الجهرة ) وهو قوله :

يَطْوِي الْمَجْلَحَةَ الْعُقْدُ (١)

وأما الحكم عليه وعلى شعره : فهو سريع الهجوم على المعاني ، ونعت الخيل  
والحرب من خصائصه ؛ وما كان يرادّ طبعه في شيء مما يسمح به ، يقبل الساقط  
الردى كما يقبل النادر البدع ، وفي متن شعره وهي ، وفي ألفاظه تعقيد وتعويض  
أه كلامه مع بعض اختصار .

روى ابنه عمه ، وجملة ما رواه عنه : قال ابن خلدون :  
روى عنه ابن خلدون ، وجملة ما رواه عنه : قال ابن خلدون :  
روى عنه ابن خلدون ، وجملة ما رواه عنه : قال ابن خلدون :  
روى عنه ابن خلدون ، وجملة ما رواه عنه : قال ابن خلدون :  
روى عنه ابن خلدون ، وجملة ما رواه عنه : قال ابن خلدون :  
روى عنه ابن خلدون ، وجملة ما رواه عنه : قال ابن خلدون :  
روى عنه ابن خلدون ، وجملة ما رواه عنه : قال ابن خلدون :  
روى عنه ابن خلدون ، وجملة ما رواه عنه : قال ابن خلدون :  
روى عنه ابن خلدون ، وجملة ما رواه عنه : قال ابن خلدون :  
روى عنه ابن خلدون ، وجملة ما رواه عنه : قال ابن خلدون :

(١) من بيت هذا نصه : وَأَطْوِي كَمَا يَمِضِي السَّنَانُ لَطِيبَتِي وَأَطْوِي كَمَا تَطْوِي الْمَجْلَحَةَ الْعُقْدُ

## شرح المتنبي

وإليك تراجم بعض شراح المتنبي ، ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح . . . وقولنا هنا : « شراح المتنبي » إنما هو ضرب من التسامح ؛ لأن منهم من لم يضع شرحا بالمعنى المتعارف ، أي أنهم لم يضعوا شروحا تامة كاملة ، وإنما تصدّوا الشرح بعض مشكلات الأبيات . أو لنقد بعض الشراح فيما ذهبوا إليه من شرح وتفسير أو لسرقات المتنبي ، مثل أبي السعادات بن الشجري ، وابن فورّجه ، وأبي الفضل العروضي . وابن وكيع ، والصاحب ابن عباد ، وأبي بكر الخوارزمي . ولم تتبسط في هذه التراجم . ولم نتهج فيها منبهجا تحليليا يخرج بنا عما قصدنا إليه منها وهو التعريف بمن تتعثر بأسمائهم في هذا الشرح حتى تكون على بصيرة تامة بكل ما يتصل بهذا الشاعر المحظوظ ، ومن ثمّ لم نعد أن نسرّد لك في هذه التراجم تاريخ مولد المترجم له وتاريخ وفاته وطرفا من أخباره وسيرته وتواليفه ومكاتبه العلمية وآراء الناس فيه .

## ابن جنى

أظنني في غير حاجة إلى التعريف بأن أبا الفتح عثمان بن جنى هو أول من شرح المتنبي ، فله بذلك فضل السبق ، ومن ثمّ كان حقيقا بأن نبداً بترجمته . . .

\*\*\*

جاء في معجم الأدباء لياقوت وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ما تلخيصه :

أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلي : كان أبوه جنى مملوكا روميا لسليمان

ابن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي - أقول : فهو إذن من أبناء يونان ، لأمّن

( ٦٢ - المتنبي ١ )

أبناء عدنان . . . وبعبارة أخرى : هو من أبناء الموالى ، شأنه شأن أكثر حملة العلم ،  
ونوايغ الشعراء والأدباء في الإسلام — وإلى أصله أشار بقوله :

فإن أصبح بلا نسب فعلمى في الورى نسي  
على أنى أوول إلى قروم سادة نجب  
قياصرة إذا نطقوا أرم الدهر ذو الخطب<sup>(١)</sup>  
أولاك دعا النبي لهم كفى شرفاً دعاه نبي

ولد ابن جنى بالموصل قبل الثلاثين والثلاثمائة للهجرة ، وتوفى يوم الجمعة لليلتين  
بقيتنا من صفر سنة ٣٩٢ هـ ببغداد . وكان أبو الفتح ممتعاً بإحدى عينيه ، وما أظرفه  
حين يقول لأحد أصدقائه :

صدودك عنى ولا ذنب لى دليل على نية فاسده  
فقد وحياتك مما بكيت خشيت على عيني الواحده  
ولولا مخافة ألا أراك لما كان فى تركها فائده

وحدثوا أنه صحب أبا على الفارسي<sup>(٢)</sup> أربعين سنة ، وكان السبب فى

---

(١) أرم الرجل إرماما : سكت ، ويقال كله فسا ترمرم : أى مارد جوابا  
وما ترمرم فلان بحرف : أى ما نطق ، وفى حديث عائشة رضى الله عنها - : كان لآل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش ، فإذا خرج - أى رسول الله - لعب - أى  
الوحش - وجاء وذهب ، فإذا جاء ربض ولم يترمرم مادام فى البيت : أى سكن ولم يتحرك  
(٢) كان أبو على الفارسي إمام وقته فى علم النحو ولد سنة ٢٨٨ وتوفى سنة ٣٧٧  
ببغداد : وأقام بحلب عند سيف الدولة ، وكان قدومه عليه سنة ٣٤١ وجرت بينه  
وبين أبي الطيب المتنبى مجالس ، ثم انتقل إلى بلاد فارس ، وصحب عضد الدولة بن  
بويه ، وحظى لديه وعلت منزله حتى قال عضد الدولة : أنا غلام أبي على فى النحو  
وقد صنف له كتاب الإيضاح والنكلمة فى النحو . . . يحكى أنه كان يوماً فى ميدان  
شيراز يساير عضد الدولة فقال له : لم انتصب المستثنى فى قولنا قام القوم إلا زيدا؟

صحبتة له : أن أبا علي اجتاز بالموصل ، فر بالجامع وأبو الفتح في حلقة يُقرىء ،  
النحو وهو شاب ، فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصر فيها ،  
فقال له أبو علي : تَزَبَبْتَ وَأَنْتَ حَصْرِمٌ . . . فسأل عنه ، فقيل له :  
هذا أبو علي الفارسي ، فلزمه من يومئذ ، واعتنى بالتصريف ، فما أحد  
أعلم منه به ولا أقوم بأصوله ، وفروعه ، ولا أحسن أحد إحسانه في تصنيفه ؛  
فلما مات أبو علي تصدر أبو الفتح في مجلسه ببغداد ، فأخذ عنه كثير من  
أعلام العلماء . . . وحدث أبو الحسن الطرائفي قال : كان أبو الفتح عثمان بن  
جنى يحضر بحلب عند المتنبي كثيراً وينظره في شيء من النحو من غير أن  
يقرأ عليه شيئاً من شعره ، أنفةً واستكباراً لنفسه ، وكان المتنبي يقول في  
أبي الفتح : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس . . . وسئل المتنبي بشيراز  
عن قوله :

وكان ابناً عدوًّا كاثراً . . . له يَأْءَى حُرُوفِ انِّيْسِيَانِ (١)

فقال : لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسره . . . وكان لابن جنى من الولد  
علي وعال وعلاء ، وكلهم أدباء فضلاء قد خَرَّجَهُم والدم وحسن خطوطهم ، فهم  
معدودون في الصحيحى الضبط وحسن الخط . . . ولابن جنى شعر - ولكنه كسائر  
شعر العلماء - فنه :

فقال أبو علي : بفعل مقدر ، فقال له : كيف تقديره ؟ فقال : أسئتي زيدا ، فقال  
له عضد الدولة : هلا رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد ؟ فانقطع أبو علي وقال له :  
هذا الجواب ميداني . . . ولما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاما حسنا وحمله إليه  
فاستحسنه . . . وذكر في كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا . .  
(١) من قصيدة يمدح بها عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف ويذكر  
طريقه بشعب بوان . انظر القصيدة التي مطلعها :

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الريسيع من الزمان

غَزَالٌ غَيْرٌ وَحَشِيٌّ حَكَى الْوَحْشِيُّ مُقْلَتَهُ  
رَأَاهُ الْوَرْدُ يَجْنِي الْوَرَّ دَ فَاسْتَكْسَاهُ حَلَّتَهُ  
وَسَمَّ بِأَنْفِهِ الرَّيْحَانَ نَ فَاسْتَهْدَاهُ زَهْرَتَهُ  
وَذَاقَتْ رِيحَهُ الصَّبِيَاءُ ۖ فَاخْتَلَسَتْهُ نَكْبَتُهُ<sup>(١)</sup>

وقال الباخريزي في دمية القصر: ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات،  
وشرح المشكلات، ماله، وما كنت أعلم أنه ينظم القريض، أو يسبق ذلك  
الجريض<sup>(٢)</sup> حتى قرأت له مرثية في المتنبي أولها:

غَاضَ الْقَرِيضُ وَأَوَدَّتْ نَضْرَةُ الْأَدَبِ  
وَصَوَّحَتْ بَعْدَ رِيٍّ دَوْحَةَ السُّكْتِ<sup>(٣)</sup>  
مَا زِلْتَ تَصْحَبُ فِي الْجَلِيِّ إِذَا انْشَعَبَتْ  
قَلْبًا جَمِيعًا وَعَزْمًا غَيْرَ مُنْشَعِبِ<sup>(٤)</sup>  
وَقَدْ حَلَبْتَ لَعَمْرِي الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ  
تَمْطُو بِهَيْبَتِهِ لَأَوَانَ وَلَا نَصِبِ<sup>(٥)</sup>

---

(١) الصهباء من أسماء الخمر، والنكبة رائحة الفم.  
(٢) الرين الذي يفص به  
ميا (٣) صوح النبات يبس وتشقق، والدوحة الشجرة العظيمة.  
(٤) الجلي الأمر العظيم وجمعها جلال مثل كبرى وكبر، وقلب جميع ورأى جميع  
والمشعب: شديد غير منتشر، ومشعب متفرق.  
(٥) يقال حلب الدهر أشطره، مارس الأيام وخبرها، والمطو الجند والنجاء  
في الشئ، ووان: متمهل، ونصب: تعب.

مَنْ لِهَوَاجِلٍ يُحْيِي مَيِّتَ أَرْضِهَا  
بِكُلِّ جَائِلَةٍ التَّصْدِيرِ وَالْحَقْبِ (١)  
قَبَاءَ خَوْصَاءَ مَحْمُودٍ عَلَاتِهَا  
تَذْبُو عَرِيكُتُهَا بِالْحَلْسِ وَالْقَتَبِ (٢)  
أَمْ مَنْ لِيَبِضِ الطُّبِّبَا تَوْ كَأَفْهِنَ دَمٌ  
أَمْ مَنْ لِسُمْرِ الْقَنَا وَالرَّغْفِ وَالْيَلْبِ (٣)  
أَمْ لِلْجَحَافِلِ يَذُكِي جَمْرَ جَاحِمِهَا  
حَتَّى يُقَرِّبَهَا مِنْ جَاحِمِ اللَّهَبِ (٤)  
أَمْ لِلْمَحَافِلِ إِذْ تَبْدُو لَتَعْمُرُهَا  
بِالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالْأَمْثَالِ وَالْخُطَبِ  
أَمْ لِلصَّوَاهِلِ مُحَمَّرًا سَرَابِلِهَا  
مِنْ بَعْدِ مَا غَرَبَتْ مَعْرُوقَةُ الشُّهْبِ (٥)  
أَمْ لِلْمَنَاهِلِ وَالظَّلْمَاءِ عَاطِفَةٌ  
يُوَصِّلُ الْكَرَّ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْقَرَبِ (٦)

(١) الهواجل : الصحراوات ، وجائلة التصدير والحتب : أى ناقة هذه صفتها ويقال صدر بعيره إذا شده بجبل من حزامه إلى كركرته ، والحتب : جبل يشد به الرجل فى بطنه .

(٢) القباء من الخيل : الخيصة البطن . والأقب الضامر البطن : والحوصاء الغائرة العينين ، والجلس : كساء تجل به الدابة بوضع تحت البرذعة .

(٣) الظبا : أطراف السيوف ، والتوكاف مصدر وكف يستعمل فى الدمع والمطر إذا نزلا ، وسمر القنا : الرماح ، والرغف : الدروع ، واليلب : الدروع اليمانية (٤) الجحفل الجيش العظيم .

(٥) محمراً سرايلها : فالسرايل : الثياب . يقول : مخرجة بالدماء .

(٦) المناهل موارد الماء . والقرب : طلب الماء ليلاً .

أَمْ لِلْقَسَاطِلِ تَعَمُّ الْحُزُونُ بِهَا  
أَمْ مِنْ لِيْضَعْمِ الْهَزْبِ الضَّيْعَمِ الْحَرْبِ (١)  
أَمْ لِلْمُلُوكِ يُحَلِّيهَا وَيُلْبِسُهَا حَتَّى تَمَّائِسُ فِي أْبْرَادِهَا الْقُسْبِ (٢)  
بَاتَتْ وَسَادَى أَطْرَابُ تَوْرُقِي لِمَسَاعِدَوْتِ لَتَى فِي قَبْضَةِ الثَّوْبِ (٣)  
عُمِّرَتْ خِدَنَ الْمَسَاعِي غَيْرَ مُضْطَهَدٍ كَالنَّصْلِ لَمْ يَدْنِسْ يَوْمًا وَلَمْ يُصَبِّ  
فَاذْهَبْ عَلَيْكَ سَلَامٌ لِلْجِدِّ مَا قَلِقَتْ  
خُوصُ الرَّكَائِبِ بِالْأَكْوَارِ وَالشُّعْبِ

ومن شعر ابن جنى :

رَأَيْتُ مَحَاسِنَ ضِحْكَ الرَّبِيعِ أَطَالَ عَلَيْهَا بُكَاءُ السَّحَابِ  
وَقَدْ ضَحِكَ الشَّيْبُ فِي لِيَّتِي فَلِمَ لَا أَبْكِي رَيْعَ الشَّبَابِ  
أَأَثْرَبُ فِي الْكَائِسِ - كَلًّا وَحَاشَا - لِأَبْصَرَهُ فِي صَفَاءِ الشَّرَابِ

ومنه :

مَحَبَّبٌ أَوْ تَذَرَّعٌ أَوْ تَأَبَّى فَلَا وَاللَّهِ لَا أُرْدَادُ حُبًّا  
أَخَذَتْ بِيَمَاضٍ حُبِّكَ كُلَّ قَلْبِي فَإِنْ رُمْتَ لِلزَّيْدِ فَهَاتِ قَلْبًا

قال ياقوت : وقرأت بخط الشيخ أبي منصور بن الجواليقي : قال لنا

(١) القساطل : جمع قسطل : الغبار المنعقد فوق الرؤس في حومة الوغى ، والضعف  
العض أو النهش ، والهزبر الضيغم الحرب : الأسد .

(٢) تمايس : يحنف إحدى التامين . أى تمايس وتخايل

(٣) التنى ، الشيء الملقى في الزين ونحوه .

أبو زكريا : رأيت بخط ابن جنى : أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الفرميسيني  
عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني قال :  
قرأ على أعرابي « طَيْبِي لَهْمُ وَحُسْنُ مَأْبِ » فقلت « طُوبَى » فقال « طَيْبِي »  
فقلت ثانياً « طُوبَى » فقال « طَيْبِي » فلما طال على قلت : « طُوطُو » فقال الأعرابي  
« طِي طِي » أما ترى إلى هذه التحيزة ما أبقاها وأشدّ محافظة هذا البدوي عليها حتى  
أنه استكره على تركها فأبى إلا إخلاداً إليها ! ونحو ذلك قال عمرو السكبي وقد  
أنشد بعض أهل الأدب :

بانت نعيمةً والدنيا مفارقةً وحال من دونها غيرانُ مزعوجُ

ف قيل له : لا يقال مزعوج ، إنما يقال مزعج ، فجفا ذلك عليه ، وقال يهجو

النحويين :

ماذا لقينا من المستعربين ومن قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا  
إن قلت قافية بكرأ يكون بها بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا  
قالوا كُنتَ وهذا ليس منتصبا وذلك خفض وهذا ليس يرتفع  
وَحَرَّضُوا بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ حُمُقٍ وبين زيد فطال الضرب والوجع  
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم وبين قوم على إعرابهم طبعوا  
ما كل قولٍ مشروحاً لكم فخذوا ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا  
لأن أرضي أرض لا تُشبُّ بها نار المجوس ولا تبني بها البيع

قال ابن جنى : وعلى نحو ذلك فحضرني قديماً بالموصل أعرابي عَمَلِي  
جَوْنِي تَمِيمِي ، يقال له محمد بن العساف الشَّجَرِي ، وقلما رأيت بدوياً  
أفصح منه ، فقلت له يوماً - شفقاً بفصاحته والتذاذاً بمطاولته ، وجرياً على  
العادة معه في إيقاظ طبعه واتقداح زَنْدِ فِطْنَتِهِ : كيف تقول : « أكرم أخوك  
أباك » فقال كذلك ، فقلت له : أفقول : « أكرم أخوك أبوك » فقال : لا أقول

« أبوك » أبداً فقلت : فكيف تقول « أكرمى أبوك » فقال كذلك ، قلت :  
ألست تزعم أنك لا تقول « أبوك » أبداً ؟ فقال « إيش هذا ؟ اختلفت جهتا  
الكلام » فهل قوله اختلفت جهتا الكلام إلا كقولنا نحن هو الآن فاعل وكان  
في الأول مفعولاً ! فانظر إلى قيام معاني هذا الأمر في أنفسهم وإن لم تقطع به عبارتهم .

أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس قال : سمعت عمارة بن عقيل  
ابن بلال بن جرير يقرأ : « وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ » فقلت له : ما أردت ؟  
قال أردت سابق النهار ، فقلت له : فهلا قلته ؟ فقال لو قلته لكان أوزن  
أى أقوى وأفصح ، ففي هذه الحكاية من فقه العربية ثلاثة أشياء : أحدها :  
أنهم قد يراعون من معانيهم ما نسبه إليهم ونحمله عليهم ، والثاني : أنهم قد ينطقون  
بالشيء وفي أنفسهم غيره ، ألا ترى أنه لما نص أبو العباس عليه واستوضح ما عنده  
قال : « أردت كذا » وهو خلاف ما لفظ به ، والثالث : أنهم قد ينطقون بالشيء  
وغيره أقوى منه استلانة وتخفيفاً ، ألا تراه كيف قال : لو قلته لكان أوزن ، أى  
أقوى وأعرب . . .

قال ابن جنى : وسألت الشجرى صاحبتنا ، هذا الذى قد مضى ذكره ، قلت له :  
كيف يا أبا عبد الله تقول : « اليوم كان زيد قائماً ؟ » فقال : كذلك ، فقلت :  
فكيف تقول « اليوم إن زيدا قائم ؟ » فأبأها ألبتة ، وذلك أن ما بعد أن لا يعمل فيما  
قبلها ، لأنها إنما تأتي أبداً مستقبلة قاطعة لما قبلها عما بعدها وما بعدها عما قبلها  
قلت له : يوماً ولا بن عم له يقال له غصن — وكان أصغر منه سنناً وألين  
لساناً : كيف تحمران « حمران » فقالا : حُميراء ، قلت : فصفراء قالوا : « صفيراء »  
قلت : « فسوداء » قالوا : « سويداء » واستمرت بهما في نحو هذا ، فلما استويا  
عليه دست بين ذلك « علباء » فقلت « فعلباء » فأسرع ابن عمه على طريقته  
فقال : « عليباء » وكان الشجرى يقولها معه ، فلما هم بفتح الباء استرجع مستنكراً

فقال إه « عَلَيَّي » وأشم الفتحة دائماً للحركة في الوقف ، وتلك عادة . . . قال ابن جنى : فسألته يوماً : يا أبا عبد الله ، كيف تجمع مُحْرَنْجِمًا - وكان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله : يكسّر فيقول حَرَّاجِمُ أم يصححُ فيقول مُحْرَنْجِمَاتُ فذهب هو مذهباً غير ذين فقال : « وإيش فرقه حتى أجمعه ؟ وصدّق ، وذلك أن المحرّنجيم هو المجتمع : يقولها ماراً على شكيمته غير مُحِسِّ لما أريده منه والجماعة معي على غاية الاستغراب لفصاحته ، قلت له : فدع هذا : إذا أنت مررت بإبل محرّنجمةٍ وأخرى مُحْرَنْجِمَةً ، وأخرى محرّنجمة . تقول : مررت بإبل ماذا ؟ فقال - وقد أحس الموضوع - « يا هذا هكذا أقول : مررت بإبل محرّنجماتٍ » وأقام على التصحيح ألبتة استيحاشاً من تكسير ذوات الأربعة لمُصَاقِبَتِهَا ذوات الخمسة التي لا سبيل إلى تكسيرها لاسياً إذا كان فيها زيادة والزيادة قد تُعَدُّ في كثير من المواضع اعتداد الأصول حتى إنها لتلزم لزومها نحو : كوكب ، وحوشب<sup>(١)</sup> ، وضَيُون<sup>(٢)</sup> ، وهَزَنْبِرَان<sup>(٣)</sup> ، ودَوْدَرِي<sup>(٤)</sup> ، وقرنفل ، وهذا موضعٌ يحتاج إلى إصغاء إليه وإرعاء عليه ، والوقت لتلاحمه وتقارب أجزائه مانع منه ويعين الله فيما يليه على المعتقد المنوي فيه بقدرته ، وسألته يوماً كيف تجمع سرحاناً ؟ فقال : سراحين ، قلت : فدكاناً ، قال : دكابين قلت : فقُرطَانًا ، قال : قراطين ، قلت : فعثمان ، قال : عثمانون ، قلت ، هلا قلت عثمانين كما قلت سراحين وقراطين ؟ فأباها ألبتة وقال : « إيش ذا ؟ رأيت إنساناً يتكلم بما ليس من لفته ؟ والله لا أقولها أبداً . . . استوحش من تكسير العلم إكثاراً له لاسياً وفيه الألف والنون اللتان بابهما فعلان الذي لا يجوز فيه فعالين نحو : سكران وغضبان . . .

(١) الأرنب أو ولد البقرة الذكر والثعلب الذكر (٢) السنور الذكر أو دويبة تشبهه (٣) يقال : رجل هزبر وهزبران ، أي حديد وثاب (٤) الذي يذهب ويحى من غير حاجة .

ونكتفي بهذا المقدار من التعريف بأبي الفتح بن جنى شارح المتنبي ، وإذا أردت  
الزيادة والوقوف على فهرس مؤلفاته فارجع إلى معجم الأدباء ج ١٢ طبعة  
فريد الرفاعي .

### الواحدى

وهذا الإمام أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمد بن عليّ الواحدى النيسابورى  
أحد شراح المتنبي هو - كما قال ياقوت وابن خلكان وغيرها - الإمام المصنف  
المفسر النحوى أستاذ عصره ، وواحد دهره ، أنفق صباه ، وأيام شبابه  
فى التحصيل ، فأتقن الأصول على الأئمة ، وطاف على أعلام الأمة ، وتلمذ  
لأبى الفضل العروضى<sup>(١)</sup> ، وقرأ النحو على أبى الحسن الضرير القهندزى ،  
ولازم مجالس الثعلبى<sup>(٢)</sup> فى تحصيل التفسير . . . ثم أخذ فى التصنيف ، وقعد  
للإفادة والتدريس سنين ، وتخرج به طائفة من الأئمة سمعوا منه وقرأوا عليه  
وبلغوا محل الإفادة ، وكان حقيقاً بكل احترام وإعظام ، لولا ما كان فيه  
من غمزه وإزرائه على الأئمة المتقدمين وبسطه اللسان فيهم بغير ما يليق بماضيهم .  
قال الحسن بن المظفر النيسابورى : أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحدى النيسابورى  
هو الذى قيل فيه :

قد جمع العالم فى واحد عالمنا المعروف بالواحدى

(١) سيمر بك فى هذه الترجمة

(٢) قال ابن خلكان : أبو إسحاق أحمد بن محمد إبراهيم الثعلبى النيسابورى  
المفسر المشهور : كان أواحد زمانه فى علم التفسير وكان يقال له الثعلبى والثعلبى وهو  
لقب له وليس بنسب ، توفى سنة ٤٢٧ هـ وهو - طبعا - غير الثعلبى صاحب يتيمة الدهر

قال ومن غرر شعره :

أيا قادمًا من طوس أهلا ومرحبًا      بقيت على الأيام ما هبت الصبا  
لعمري لئن أحيا قدومك مدنفًا      بحبك صبا في هواك مُعذِّبًا  
يَظُلُّ أسيرَ الوجدِ نهبَ صبايةٍ      ويمسى على جمرِ الغضا مُتقلِّبًا  
فكم زفرةٍ قد هجتها لو زفرتها      على سدِّ ذى القرنين أمسى مُذوِّبًا  
وكم لوعةٍ قاسيتُ يومَ تركتني      الأحظ منك البدر حين تغيبًا  
وعادَ النهارُ الطلق أسودَ مُظلمًا      وعادَ سنا الإصباح بعدك غيبًا  
وأصبح حُسن الصبرِ عني ظاعنًا      وحدد نحوى البينُ نابًا ومُخلبًا  
فأقسيم لو أبصرت طرفي باكيًا      لشاهدت دمعًا بالدماءِ مُخضبًا  
مسالكُ لهم سدّها الوجدُ والجوى      وروضُ سرورٍ عاد بعدك مُجذبًا  
فداؤك رُوحى يا ابنَ أكرمِ والدٍ      ويامن فؤادى غيرِ حبيبٍ قد أبى  
وأنشدله :

تشوّهت الدنيا وأبدت عوارها  
وضاقت على الأرض بالرحب والسعة  
وأظلم في عيني ضياه نهارها  
لتوديع من قد بان عني بأربعة  
فؤادى وعيشى والمسرة والكرى  
فإن عاد عاد الكلُّ والأنسُ والدّعه

وقال أبو الحسن الواحدى فى مقدمة البسيط : وأظننى لم آل جهداً  
فى أحكام أصول هذا العلم حسب ما يليق بزمنا هذا وتسعه سنو عمري  
على قلة أعدادها ، فقد وفق الله - وله الحمد - حتى اقتبست كل ما احتجت

إليه في هذا الباب من مَظَانِّه ، وأخذته من معارِنه ، أما اللغة فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي رحمه الله (١) . وكان قد خنق التسعين في خدمة الأدب ، وأدرك المشايخ الكبار وقرأ عليهم وروى عنهم كأبي منصور الأزهرى ، روى عنه كتاب التهذيب وغيره من الكتب ، وأدرك أبا العباس العامرى ، وأبا القاسم الأسدى ، وأبا نصر طاهر بن محمد الوزيرى ، وأبا الحسن الرُّخْبِجِى ، وهؤلاء كانوا فرسان البلاغة وأئمة اللغة ، وسمع أبا العباس الأصم وروى عنه ، واستخلفه الأستاذ أبو بكر الخوارزمى على درسه عند غيبته . وله المصنفات الكبار والاستدراكات على الفحول من العلماء باللغة والنحو ؛ وكنت قد لازمته سنين أدخل عليه عند طلوع الشمس وأخرج لغروبها ، أسمع وأقرأ وأعلق وأحفظ وأبحث وأذاكر أصحابه ما بين طرفى النهار ، وقرأت عليه الكثير من الدواوين واللغة حتى عابنى شيخى — رحمه الله — يوماً وقال : إنك لم تبق ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه ، أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرؤه على هذا الرجل الذى تأتبه البعداء من أقصى البلاد ، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار — يعنى الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى — فقلت : يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذى تريد ، وإذا لم أحكم الأدب بجد وتعب ، لم أرم فى غرض التفسير من كُتُب ، ثم لم أُغِبَّ زيارته فى يوم من الأيام حتى حال بيننا قدر الحِمام .

---

(١) جاء فى بغية الوعاة : أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن مالك النهشلى الأديب أبو الفضل العروضى الصفار الشافعى : هو شيخ أهل الأدب فى عصره ، حدث عن الأصم وأبى منصور الأزهرى والطبقة ، وتخرج به جماعة من الأئمة منهم الواحدى .. إلى أن قال : جاز السبعين فى خدمة الكتب وأنفق عمره فى مطالعة العلوم وتدريس مؤدبى نيسابور . ولد سنة ٣٣٤ ومات بعد سنة ٤١٦ .

وأما النحو فإني لما كنت في ميلة صباى وشرح شيبتي وقعت إلى الشيخ  
أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير ، وكان من أبرع أهل زمانه في  
لطائف النحو وغوامضه ، وأعلمهم بمضائق طرق العربية وحقائقها ، ولعله تفرس  
في ، وتوسم الخير لدى ، فتجرد لتخريجي ، وصرف وكده إلى تأديبي ، ولم  
يدخر عنى شيئاً من مكنون ما عنده حتى استأثرتني بأفلاذه ، وسعدت به أفضل  
ما سعد تلميذ بأستاذه ، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني ، وعلقت  
عنه قريباً من مائة جزء في المسائل المشككة ، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو  
والعروض والعلل ، وخصني بكتابه الكبير في علل القراءة المرتبة في كتاب  
الغاية لابن مهران ، ثم ورد علينا الشيخ أبو عمران المغربي المالكي ، وكان واحد  
دهره ، وواقعة عصره ، في علم النحو ، لم يلحق أحد مما سمعناه شأوه في معرفة  
الإعراب . ولقد صحبتته مدة في مقامه عندنا حتى استنزفت غرر ما عنده .  
وأما القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات الأئمة فإني اختلفت إلى الأستاذ  
أبي القاسم علي بن أحمد البستي رحمه الله وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة  
لا تحصى ، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين  
ابن مهران ، ثم ذهبت إلى الإمامين أبي عثمان سعيد بن محمد الخيري ، وأبي الحسن  
علي بن محمد الفارسي ، وكانا قد انتهت إليهما الرياسة في هذا العلم ، وأشير إليهما  
بالأصابع في علو السن ورؤية المشايخ وكثرة التلامذة وغزارة العلوم وارتفاع  
الأسانيد والوثوق بها ، فقرأت عليهما وأخذت من كل واحد منهما حظاً وافراً  
بعون الله وحسن توفيقه ، وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران ،  
وروى لنا كتب أبي علي الفسوي عنه<sup>(١)</sup> وقرأت عليه بلفظي كتاب الزجاج  
بحق روايته عن ابن مقسم عنه ، وسمع بقراءتي الخلق الكثير ، ثم فرغت  
للأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الشعلي رحمه الله وكان خير العلماء

(١) هو أبو علي الفارسي .

بل بحرم ، ونجم الفضلاء ، بل بدرهم ، وزين الأئمة بل نغرم ، وأوحد الأمة بل صدرهم ، وله التفسير الملقب بالكشف والبيان عن تفسير القرآن ، الذي رفعت به المطايا في السهل والأوعار وسارت به الفلك في البحار ، وهبت هبوب الريح في الأقطار .

فَسَاكَرَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ  
وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وأصفت عليه كافة الأمة على اختلاف نحلمهم ، وأقرؤوا له بالفضيلة في تصنيفه ما لم يسبق إلى مثله ، فمن أدركه وصحبه علم أنه منقطع القرين ، ومن لم يدركه فليتنظر في مصنفاته ليستدل بها على أنه كان بحراً لا يُنزف وعمراً لا يُسبر ، وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء ، منها تفسيره الكبير وكتابه المعنون بالكامل في علم القرآن وغيرها ، ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطأتها طال الخطب وممل الناظر ، وقد استخرت الله العظيم في جمع كتاب أرجو أن يمدني الله فيه بتوفيقه مشتمل على ما نقتت على غيري إجماله ، ونعت عليه إغفاله ، لا يدع لمن تأمله حارة في صدره حتى يخرج من ظلمة الريب والتخمين ، إلى نور العلم واليقين ، هذا بعد أن يكون التأمّل مرتاضاً في صنعة الأدب والنحو ، مهتدياً بطرق الحجاج ، مارحاً في سلوك المنهاج ، فأما الجذع المرخي من المقتبس ، والريّض الكز من المبتدئين ، فإنه مع هذا الكتاب كمراول غلقاً ضاع عنه المفتاح ؛ ومتخبط في ظلماء ليل خانة المصباح :

يُحَاوِلُ فَنَقَى غَيْمٍ وَهُوَ يَا بِي كَيْعِنِينَ يُرِيدُ نِكَاحَ بَكْرِ  
ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ : إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ مُجَالَةٌ الْوَقْتِ ، وَقَبَسَةُ الْعَجَلَانِ ،  
وَتَذَكْرَةٌ يَسْتَصْحِبُهَا الرَّجُلُ حَيْثُ حَلَّ وَارْتَحَلَ وَإِنْ أُنْسِيَ الْأَجَلَ ،

وأرْحَى الطَوْلُ ، وأنظَرَني الليلُ والنهارُ ، حتى يتلفع بالمشيب العِذارُ أردفته  
بكتاب أنضجُه بنار الروية ، وأردده على رواق الفكرة ، وأضمنه عجائب  
ما كتبتُه ، ولطائف ما جمعتُه ، وعلى الله المعول في تيسير ما رُمت ، وله الحمدُ كلما  
قعدتُ أو قمتُ .

### ابن فورجه

قال ياقوت - ونقله السيوطي في بغية الوعاة - : هو محمد بن حمد بن محمد بن  
عبد الله بن محمود بن فورجه - بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المفتوحة وفتح  
الجيم - البروجردى ، أديب فاضل مصنف ، له كتاب الفتح على أبي الفتح ،  
والتجني على ابن جنى ، يرد فيه على أبي الفتح بن جنى في شرح شعر المتنبي ، ومولده  
في ذى الحجة سنة ثلاثين وثلاثمائة ، كان موجوداً سنة خمس وخمسين وأربعمائة ،  
ومن شعره :

أيها القاتلي بعينيه رفقاً إنما يستحق ذا من فلا كما  
أكثر اللأمون فيك عتابي أنا واللأمون فيك فدا كما  
إن لي غيرة عليك من اسمي إنه دائماً يقبل فا كما

هذا وقد ضبطه ابن شاكر صاحب فوات الوفيات . هكذا : ابن فوزجَه فقال :  
بضم الفاء وسكون الواو وفتح الزاي وتشديد الجيم .

## ابن القطاع الصقلي

قال ابن خلكان : هو أبو القاسم علي بن جعفر ... إلى آخر النسب قال : كان أحد أئمة الأدب خصوصاً اللغة . وله تصانيف نافعة منها كتاب الأفعال ، أحسن فيه كل إحسان ، وهو أجود من الأفعال لابن القوطية ، وإن كان ذلك قد سبقه إليه . وله كتاب أبنية الأسماء ، جمع فيه فأوعى ، وفيه دلالة على كثرة اطلاعه وله عروض حسن جيد ، وكتاب الدرّة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة ، وكتاب لمح للملح ، جمع فيه خَلَقًا من شعراء الأندلس . وكانت ولادته في العاشر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بصقلية ، وقرأ الأدب على فضلائها كابن البر اللغوي وأمثاله ، وأجاد في النحو غاية الإجادة ، ورحل عن صقلية لما أشرف على تملكها الفرنج ، ووصل إلى مصر في حدود سنة خمسائة وبالع أهل مصر في إكرامه ، وكان ينسب إلى التساهل في الرواية ومن شعره في الأثغ :

وشادِنِ في لسانه عُمْدٌ حَلَّتْ عقودي وأوهنت جَلدي  
عابوه جهلا بها فقلت لهم أما سمعتم بالنَّفثِ في العقد  
وله من قصيدة :

فلا تُنْفِدين العمر في طلب الصبا ولا تشقين يوماً بِسُعدَى ولا نعم  
ولا تندبن أطلال مية باللوى ولا تسفحن ماء الشؤون على رَسَم  
فإن قُصَارَى المرء إدراك حاجة وتبقى مذمات الأحاديث والإثم  
ومن شعره في غلام اسمه حمزة :

يامن رمى النار في فؤادي وأنبط العين بالبكاء  
اسمك تصحيفه بقابي وفي ثناياك بره دأبي  
أردد سلامي فإن نفسي لم يبق منها سوى الذمّاء

وارفق بصب أتى ذليلاً قد مزج اليأس بالرجاء  
أنهكه في الهوى التجنّي فصار في رقة الهواء  
وله شعر كثير ، وتوفي بمصر في صفر سنة خمس عشرة وخمسمائة رحمه  
الله تعالى .

### ابن الإفليلي

كان هذا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا بن مفرج بن يحيى بن زياد بن  
عبد الله بن خالد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري المعروف بابن الإفليلي<sup>(١)</sup>  
إماماً من أئمة النحو واللغة ، ترجمه ابن خلكان في بضعة أسطر ، وذكره ابن بسام  
عرضاً كذلك ، قال في بضعة أسطر لمناسبة تعرض ابن شهيد له في رسالة التوابع  
والزوابع إذ قال ابن شهيد : وأما أبو القاسم الإفليلي فإنه من نفسى مكين ، وحببه  
بفؤادى دخيل ، على أنه متحامل على ، ومنسب إلى . . . فقال ابن بسام نقلاً عن  
ابن حيان المؤرخ : كان ابن الإفليلي الذي به عرض قد بدأ أهل زمانه بقرطبة في  
علم اللسان العربي والضبط لغريب اللغة في أشعار الجاهلية والإسلام والمشاركة في  
بعض معانيها ، وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفن كثير الحسد فيه ، راكباً  
رأسه في الخطأ البين إذا أنشب فيه ، يجادل عليه ولا يصرفه صارف عنه ، وعديم  
علم العروض ومعرفته مع احتياجه إليه وكال صناعته به ، فلم يكن له رسوخ فيه ،  
وكان لحق الفتنة البربرية ومضى الناس من حائر وظاعن ، فازدلف إلى الأمراء  
السكائين بقرطبة من آل حمود إلى أن نال الجاه ؛ واستكتبه محمد بن

(١) الإفليلي - بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر اللام وسكون الياء - المثناة من  
تحته وبعدها لام ثانية، هذه النسبة إلى الإفليل وهي قرية بالشام كان أصله منها .

عبد الرحمن المستكني بعد ابن بُرْدٍ ، فوقع كلامه نائياً عن البلاغة ، لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلمين ، فلم يجز في أساليب الكتاب المطبوعين ، فزهد فيه ، وما بلغنى أنه ألف في شيء من فنون المعرفة إلا شرحه ديوان المتنبي لاغير ، ولحقته تهمة في دينه أيام هشام المرواني في جملة من تتبع من الأطباء في وقته كابن عاصم والساسي والحمار وغيرهم ، وطلب ابن الإفيللي وسجن بالمطيق ، ثم أطلق . . . . وقال ابن خلكان : كان متصدراً بالأندلس لإقراء الأدب ، وكان حافظاً للأشعار ذاكراً للأخبار وأيام الناس ، وكان عنده من أشعار أهل بلاده قطعة سالحة ، وكان أشد الناس انتقاداً للكلام ، صادق اللهجة ، حسن المغيب ، صافي الضمير ، وكانت ولادته في شوال سنة ٣٥٢ ، وتوفي يوم السبت ١٣ ذى القعدة سنة ٤٤١ ، ودفن في صحن مسجد خرب عند باب عامر بقرطبة .

### الصاحب بن عباد

هو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني . قال ابن خلكان : كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه ، أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب المجمل في اللغة ، وأخذ عن أبي الفضل بن العميد وغيرهما ، وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه البيعة في حقه : ليست تحضرنى عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفردته بالغايات في المحاسن ، وجمعه أشات المفاخر ، لأن همه قولى تنخفض عن بلوغ أذنى فضائله ومعاليه ، وجهد وصى يقصر عن أيسر فوائده ومساغبه . . . ثم شرع في شرح بعض محاسنه وطرف من أجواله .

وقال أبو بكر الخوارزمي في حقه : الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودب  
ودرج من وكرها ، ورضع أفأويق درّها ، وورثها عن آبائه كما قال أبو سعيد الرستمي  
في حقه : *وزيراها خبيرا ، فاشرفه قبحها ، فماتها بدمها ، فماتها بدمها ، فماتها بدمها*  
ورث الوزارة كابراً عن كابرٍ موصولة الإسناد بالإسناد  
يروى عن العباس عباد وزرته وإسماعيل عن عباد  
وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد  
فقيل له صاحب ابن العميد ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقى  
عليه . *سألت أبا عبد الله بن محمد بن عيسى عن أبيه قال*  
وذكر أبو إسحاق الصابي في كتاب التاجي : أنه إنما قيل له الصاحب لأنه  
صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا وسماه الصاحب فاستمر عليه هذا اللقب  
واشتهر به ثم سمي به كل من ولي الوزارة بعده ، وكان أولاً وزير مؤيد الدولة  
أبي منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه الديلمي ، تولى وزارته بعد أبي الفتح علي  
بن أبي الفضل بن العميد ، فلما توفي مؤيد الدولة في شعبان سنة ثلاث وسبعين  
وثلاثمائة بمرجان استولى على مملكته أخوه نضر الدولة أبو الحسن علي فأقر الصاحب  
علي وزارته ، وكان مبعجلاً عنده ومعظماً نافذ الأمر ، وأنشده أبو القاسم الزعفراني  
يوماً أبياتاً نونية من جملتها :

أيا من عطاياه تهدي الغني إلى راحتي من نأي أودنا  
كسوت المقيمين والزائرين كسي لم نخل مثلها ممكنا  
وحاشية الدار يمشون في صنوف من الخرز إلا أنا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار معين بن زائدة الشيباني أن رجلاً قال له : احملني  
أيها الأمير ، فأمر له بناقية وفرس وبغل وحمار وجارية ، ثم قال : لو علمت أن الله  
سبجانه وتعالى خلق مراكباً غير هذا لملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخرز بحبة  
وقيص ، وعمامة ، ودرّاعة ، وسراويل ، ومنديل ، ومطرف ، ورداء ، وكساء ،

وجورب ، وكيس ، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الماز لأعطيناكم ، واجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ومدحوه بغير المدائح ، وكان حسن الأجوبة رفع الضرابون من دار الضرب إليه رقعة في مظلمة مترجمة بالضرابين ، فوقع تحتها : في حديد بارد ، وكتب بعضهم إليه ورقة أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه فوقع فيها : هذه بضاعتنا ردت إلينا ؛ وحبس بعض عماله في مكان ضيق بجواره ثم صعد السطح يوماً فاطلع عليه فرآه ، فناداه المحبوس بأعلى صوته ، فاطلع فرآه في سواء الجحيم ، فقال صاحب : إخصوا فيها ولا تكلمون ، ونوادره كثيرة ، وصنف في اللغة كتاباً سماه المحيط وهو في سبعة مجلدات رتبها على حروف المعجم أكثر فيه الألفاظ وقلة الشواهد فاشتمل من اللغة على جزء متوفر ، وكتاب الكافي في الرسائل وكتاب الأعياد ، وفضائل النيروز ، وكتاب الإمامة يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويثبت إمامة من تقدمه ، وكتاب الوزراء ، وكتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبي ، وكتاب أسماء الله تعالى وصفاته ، وله رسائل بديعة ونظم جيد فمنه قوله :

وشادينِ جماله      تقصُرُ عنه صِفَتِي  
أهوى لتقبيل يدي      فقلت قبل شفتي

وله في رقة الخمر :

رَقَى الزُّجَاجُ وَرَاقَتِ الخمرُ      وَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلِ الأمرُ  
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ      وكأنما قدحٌ ولا خمرٌ

وحكى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي : أن نوح بن منصور أحد ملوك بني سامان كتب إليه ورقة في السر يستدعيه ليفوض إليه وزارته وتدير أمر مملكته ، فكان من جملة أعذاره إليه : أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة إلى أربعمائة جبل ، فما الظن بما يليق بها من التحمل ؟ وأخباره كثيرة .

قال ابن خلكان : وكان مولده لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة ست وعشرين وثلثمائة بأصطخر وقيل بالطاقان ، وتوفى ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة بالرى ثم نقل إلى أصبهان رحمه الله تعالى ودفن في قبة بمحلة تعرف بباب دزیه وهي عامرة إلى الآن وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبويض .

قال أبو القاسم بن أبي العلاء الشاعر الأصبهاني : رأيت في المنام قائلاً يقول لي لِمَ لَمْ تَرِثَ الصَّاحِبَ مَعَ فَضْلِكَ وَشِعْرِكَ ؟ فقلت أَلْجَمْتَنِي كَثْرَةَ مَحَاسِنِهِ فَلَمْ أَذِرْ بِمَا أَبْدَأُ مِنْهَا ؟ وَقَدْ خَفْتُ أَنْ أَقْصِرَ وَقَدْ ظَنَنْتُ بِي الْإِسْتِيفَاءَ لَهَا ، فقال أجز ما أقوله فقلت قل ، فقال :

\* ثَوَى الْجُودَ وَالكَافِيَ مَعًا فِي حَفِيرَةٍ \*  
قلت : \* لِيَأْنَسَ كُلَّ مِنْهُمَا بِأَخِيهِ \*  
فقال : \* هَا اصْطَحَبَا حَيِّينِ ثُمَّ تَعَانَقَا \*  
قلت : \* ضَجِيعِينَ فِي لَحْدِ بِيَابِ دَزِيهِ \*  
فقال : \* إِذَا ارْتَحَلَ الثَّائُونَ عَنْ مُسْتَقْرَمِ \*  
قلت : \* أَقَامَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيهِ \*

ذكر هذا البياسي في حماسته ، ورأيت في أخباره أنه لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته غير الصاحب ، فإنه لما توفى أغلقت له مدينة الري واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته وحضر مخدمه نحر الدولة وسائر القواد وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الأرض ومشى نحر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياماً ، ورثاه أبو سعيد الرستمي بقوله :

أَبَعَدَ ابْنَ عَبَادٍ يَهْشُ إِلَى الشَّرَى      أَخُو أَمَلٍ أَوْ يُسْتَأْخُ جَوَادُ  
أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَا بِمُوتِهِ      فَمَا لَهَا حَتَّى الْمَعَادِ مَعَادُ

وتوفى والده أبو الحسن عباد بن العباس في سنة أربع أو خمس وثلاثين وثلثمائة  
رحمه الله تعالى ، وكان وزير ركن الدولة بن بويه ، وهو والد نجر الدولة ووالد  
عضد الدولة فناخسرو ممدوح المتنبي ، وتوفى نجر الدولة في شعبان سنة سبع وثمانين  
وثلثمائة ، ومولده في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ، والطاقاني - بفتح الطاء المهملة  
وبعد الألف لام مفتوحة ثم قاف - وبعد الألف الثانية نون : هذه النسبة إلى  
الطاقان ، وهو اسم لمدينتين إحداهما بخراسان والأخرى من أعمال قزوين ،  
والصاحب المذكور أصله من طالقان قزوين ، لا طالقان خراسان .

### أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي - وهو كما قال ابن خلكان - ابن  
أخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ - قال ابن خلكان : كان  
أحد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير ، وكان إماماً في اللغة والأنساب أقام بالشام  
مدة وسكن بنواحي حلب ، وكان يشار إليه في عصره . ويحكى أنه قصد حضرة  
الصاحب بن عباد وهو بأرجان فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابه : قل للصاحب  
على الباب أحد الأدباء ، وهو يستأذن في الدخول ، فدخل الحاجب وأعلمه ، فقال  
الصاحب : قل له قد أئزمت نفسي أن لا يدخل عليّ من الأدباء إلا من يحفظ  
عشرين ألف بيت من شعر العرب ، فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك ، فقال له  
أبو بكر : ارجع إليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟  
فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال ، فقال الصاحب : هذا يكون أبا بكر الخوارزمي  
فأذن له في الدخول ، فدخل عليه فعرفه وانبسط له ، وأبو بكر المذكور له ديوان  
رسائل وديوان شعر ، وقد ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة ، وذكر قطعة من نثره  
ثم أعقبها بشيء من نظمه فمن ذلك قوله :

رَأَيْتَكَ إِنْ أَيْسَّرْتَ حَتَّمْتَ عَلَدَنَا

مُقِيمًا وَإِنْ أَعْسَّرْتَ زُرْتَ لِمَا  
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ

ومن شعره أيضاً :

يَا مَنْ يُحَاوِلُ حَرْفَ الزَّاحِ يَشْرِبُهَا  
وَلَا يَفُكُّ لِمَا يَلْقَاهُ قِرْطَاسًا  
وَالكَاكِبُ وَالكَيْسُ لَمْ يُقْضَ امْتَلَاؤُهُمَا  
فَقَرَّغَ الْكَيْسَ حَتَّى تَمَلَأَ الْكَاكِبُهَا

وفيه يقول أبو سعيد أحمد بن شبيب الخوارزمي :  
أَبُو بَكْرٍ لَهُ أَدَبٌ وَفَضْلٌ  
وَلَكِنْ لَا يَدُومُ عَلَى الْوَفَاءِ  
إِذَا دَامَتْ نَجِيلٌ فَمِنْ وَقْتِ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ  
وَمَلْحَةٌ وَنَوَادِرٌ كَثِيرَةٌ

ولما رجع من الشام سكن نيسابور ، ومات بها في منتصف شهر رمضان  
سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ، وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه : أنه توفي سنة ثلاث  
وتسعين وثلثمائة ، وكان قد فارق الصاحب بن عباد غير راض فعمل فيه :

لَا مُحَمَّدَنَّ ابْنَ عَبَّادٍ وَإِنْ هَطَلَتْ  
فِيهِ خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ  
فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّادٍ ذَلِكَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ خَبْرَ مَوْتِهِ أَنْشَدَهُ :  
أَقُولُ لِرَكْبٍ مِنْ خِرَاسَانَ قَافِلٍ  
فَقُلْتُ اكْتَبُوا بِالْجِصِّ مِنْ فَوْقِ قَبْرِهِ  
أَمَاتَ خُورَزْمِيكُمْ قِيلَ لِي نَعَمْ  
أَلَا لَعَنَّ الرَّحْمَنُ مَنْ كَفَرَ النِّعَمَ

## العميدى

« صاحب الإبانة عن سرقات المتنبي »

قال ياقوت : أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد العميدى : أديب نحوى لغوى  
مصنف ، سكن مصر .

قال أبو إسحاق الحبال : أبو سعيد العميدى : له أدبيات . . . مات يوم الجمعة  
لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، قال : وكان العميدى  
يتولى ديوان الترتيب ، وعزل عنه - كما ذكر الروذبارى - فى سنة ثلاث عشرة  
فى أيام الظاهر ، ووليه ابن معشر ، ثم تولى ديوان الإنشاء بمصر فى أيام المستنصر ،  
استخدم فيه عوضاً من ولى الدولة بن خيران الكاتب فى صفر سنة اثنتين وثلاثين  
وأربعمائة ، وتولى الديوان بعده أبو الفرج الذهلى فى جمادى الآخرة من سنة ست  
وثلاثين وأربعمائة . قال : وله تصانيف فى الأدب ، منها : كتاب تنقيح البلاغة  
فى عشرة مجلدات ، رأيتُه بدمشق فى خزانة الملك المعظم وعليه خطه ، وقد قرئ  
عليه فى شعبان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وكتاب الإرشاد إلى حلّ المنظوم  
والهداية إلى نظم المنثور ، وكتاب انتزاعات القرآن ، وكتاب العروض ، كتاب  
القوافى كبير .

قال على بن مشرف : أنشدنا أبو الحسين محمد بن محمود بن الدليل الصواف بمصر  
قال : أنشدنا أبو سعيد محمد بن أحمد العميدى لنفسه :

إذا ما ضاق صدرى لم أجدى مقرأ عبادةٍ إلاّ القَرَافَةَ  
لئن لم يَرْحَمْ المولى اجتهادى وقلة ناصرى لم ألق رَافَةَ

## ابن وكيع

وهذا ابن وكيع هو - كما قال ابن خلكان والشعبي - أبو محمد الحسن ابن علي بن أحمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي ، المعروف بابن وكيع التنيسي . . . شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام ، وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب يبيِّن فيه سرقات أبي الطيب ، سماه المنصف ، وكان في لسانه عجمة ، ومن شعره :

سلا عن حبك القلب المشوق      فما يصبو إليك ولا يتوق  
جفاؤك كان عنك لنا عزاء      وقد يُسلي عن الولد العقوق  
وله أيضاً :

إن كان قد بعد اللقاء فودنا      باق ونحن على النوى أحباب  
كم قاطع للوصل يؤمن وده      ومواصل بوداده يرتاب  
وله أيضاً :

لقد شمت بقلبي      لا فرج الله عنه

كم لمته في هواه      فقال لا بد منه

وقد ألم بهذا المعنى بعضهم فقال :

لا رعى الله عزيمة ضمنت لي      سلوة القلب والتصبر عنه

ما وفت غير ساعة ثم عادت      مثل قلبي تقول لا بد منه

ومثله قول أسامة بن منقذ :

لا تستمر جليداً على هجرانهم      فقواك تضعف عن صدود دائم

واعلم بأنك إن رجعت إليهم      طوعاً وإلا عدت عودة راغم

وقال بعض الفقهاء : أنشدت الشيخ مرتضى الدين أبا الفتح نصر بن محمد  
ابن مقلد القضاعى الشيزرى المدرس كان بتربة الإمام الشافعى رضى الله عنه  
بالقرافة لابن وكيع المذكور :

لقد قنعت همتى بالتحول وصدت عن الرتب العالیه  
وما جهلت طعم طيب العلا ولكنها تؤثر العافية  
فأنشدنى لنفسه على البديهية :

بقدر الصعود يكون الهبوط  
وكن فى مكان إذا ما سقطت  
ولا بن وكيع أيضاً :

أبصره عاذلى عليه ولم يكن قبل ذا رآه  
فقال لى : لو هويت هذا ما لامك الناس فى هواه  
قل لى إلى من عدت عنه فليس أهل الهوى سواه  
فظل من حيث ليس يدرى يأمر بالحب من نهاه

قال ابن خلكان : وكنت أنشدت هذه الأبيات لصاحبنا الفقيه شهاب الدين  
محمد ولد الشيخ تقى الدين عبد المنعم المعروف بالخيمى ، فأنشدنى لنفسه فى المعنى :

لو رأى وجه حبيبي عاذلى لتفاصلنا على وجه جميل

وهذا البيت من جملة أبيات ، ولقد أجاد فيه وأحسن فى التورية ،  
ولا بن وكيع كل معنى حسن ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى  
الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة بمدينة تنيس ، ودفن فى المقبرة الكبرى  
فى القبة التى بنيت له بها رحمه الله تعالى . وو كيع بفتح الواو وكسر الكاف وسكون  
الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة ، وهو لقب جدّه أبى بكر محمد بن خلف  
وكان نائباً فى الحكم بالأهواز لعبدان الجوالقى ، وكان فاضلاً نبيلاً فصيحا من

أهل القرآن والفقه والتجويد والسير وأيام الناس وأخبارهم ، وله مصنفات كثيرة ، فمنها كتاب الطريق وكتاب الشريف وكتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه وكتاب الرمي والنضال وكتاب المكاريل والموازن وغير ذلك ، وله شعر ك شعر العلماء ، وتوفي يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلثمائة ببغداد .

وقال ابن قانع : توفي عبدان الأهوازي سنة سبع وثلثمائة بعسكر مكرم رحمه الله تعالى ؛ والتنيسى بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر التون المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة نسبة إلى تنيس مدينة بديار مصر بالقرب من دمياط .

بغداد سنة ثمان مائة وثلثمائة

بغداد سنة ثمان مائة وثلثمائة

### الخطيب التبريزي

هو أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي المعروف بالخطيب ، قال ابن خلكان : كانت له معرفة تامة بالأدب ، من النحو واللغة وغيرهما ، قرأ على الشيخ أبي العلاء المغربي . وأبى القاسم عبد الله بن علي الرقي ، وأبى محمد الدهان اللغوي وغيرهم من أهل الأدب ، وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي ومن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن يوسف الدلال الساوي البغدادي وأبى القاسم عبد الله بن علي وغيرهم ، وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد ابن علي بن ثابت صاحب تاريخ بغداد ، والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ، وأبو الحسن سعد الخير بن محمد ابن سهل الأندلسي وغيرهم من الأعيان ، وتخرج عليه خلق كثير وتلمذوا له ؛ وذكره الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الذيل وكتاب الأنساب وعدد فضائله ثم قال : سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون

المعري يقول : أبوزكريا يحيى بن علي التبريزي ما كان يَمْرضِي الطريقة ، وذكره عنه أشياء . ثم قال : وذاكرت أنا مع أبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون فسكت عنه وكأنه ما أنكر ما قال ، ولكن كان ثقة في اللغة وما كان ينقله ، وصنف في الأدب كتباً كثيرة مفيدة : منها شرح الحماسة وكتاب شرح ديوان المتنبي ، وكتاب شرح سقط الزند وهو ديوان أبي العلاء المعري ، وشرح المعاني السبع وشرح المفضليات ، وله تهذيب غريب الحديث ، وتهذيب إصلاح المنطق ، وله في النحو مقدمات حسنة والمقصود منها أسرار الصنعة وهي عزيزة الوجود ، وله كتاب الكافي في علم العروض والقوافي ، وكتاب في إعراب القرآن سماه الملخص رأيت في أربعة مجلدات وشروحه لكتاب الحماسة ثلاث أ كبر وأوسط وأصغر ، وله غير ذلك من التأليف ، ودرس الأدب بالمدرسة النظامية ببغداد ، وكان سبب توجهه إلى أبي العلاء المعري : أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبي منصور الأزهرى في عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعري فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً فنفذ العرق من ظهره إليها فأثرفها بالبلل ، وهي ببعض الوقوف ببغداد وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور ، وكان الخطيب قد دخل مصر في عنفوان شبابه فقرأ عليه بها الشيخ أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوى من اللغة ثم عاد إلى بغداد واستوطنها إلى المات .

وكان يَرَوِي عن أبي الحسن محمد بن المظفر بن محيريز البغدادي جملة من شعره ، فمن ذلك قوله على ما حكاه السمعاني في كتاب الذيل في ترجمة الخطيب وهي من أشهر أشعاره :

خليلي ما أحلى صبحي بدجلة وأطيب منه بالصرّة غبوق

شربت على الماءين من ماء كرمه      فكانا كدر ذائب وعقيق  
على قرى أفق وأرض تقابلا      فمن شائق حلوا الهوى ومشوق  
فما زلت أسقيه وأشرب ريقه      وما زال يسقيني ويشرب ريق  
وقلت لبدن التم تعرف ذا الفتى      فقال نعم هذا أخى وشقيق  
وهذه الأبيات من أملح الشعر وأطرفه والبيت الأخير منها يستمد من معنى  
قول أبي بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة الأندلسي في مدح المعتمد  
ابن عباد صاحب إشبيلية من جملة قصيدة طويلة :

سألت أخاهُ البحر عنه فقال لي      شقيقى إلا أنه الساكن العذب  
ما كفاه أنه جعله شقيق البحر حتى رجحهُ عليه فقال : الساكن العذب والبحر  
مضطرب مالح ، وهذا من خالص المدح وأبدعه وأول هذه القصيدة :

بكت عند توديعي فما علم الركب      أذاك سقيط الطل أم لؤلؤ رطب  
وتابعها سرب وإني لخطي      نجوم الدياجي لا يقال لها سرب  
وهي قصيدة طويلة . وللخطيب أيضاً :

فمن يسأم من الأسفار يوماً      فإني قد سئمت من المقام  
أقنا بالعراق على رجال لثام      لثام ينثمون إلى لثام  
وقال الخطيب : كتب إلى العميد الفياض :

قل ليحيى بن علي والأقويل      فنون  
غير أني لست من يكذبُ فيها      ويخون  
أنت عين الفضل إن      مد إلى الفضل عيون  
أنت من عز به الفضل وقد كاد      يهون  
فقت من كان واتعبت لعمرى      من يكون  
قد مضى فيك قران      ومضى قبل قرون  
وإذا قيس بك الكل فضحو      ودجوت

فإلحاديث شجون  
 فسمبول وحزون  
 من بقليل وقيون  
 كل ما زال ظنون  
 إنك في العلم غصون  
 إنك البخر وأعيان  
 ن ذوى الفضل عيون  
 ليس كالسيف وإن حلس في الحكم جفون  
 ليس كالبيت الحجون  
 ليس كجلد وإن آسن هزل ومجون  
 ليس في الحسن سواء أبدأ بيض وجون  
 ليس كالأبكار في اللطف وإن راتك عون  
 قلت للحساد كونوا كيف شئتم أن تكونوا  
 سبق الزائد بالفضل فمروا أو فمرونا  
 دمت ما خالف في الحدة حراك وشكون  
 وتلقاك المنى ما قر بالظير الوكون  
 إن ودى لك عمال يصم الود بمصون  
 ليس لي فينا ظهور تتنافى أو بطلون  
 بل يقابى فيك صبب بالمصافة يكون  
 غلق الرهن وقد تغلق في الحب رهون  
 ومن الناس أمين في هواه وخوون

وقال ابن الجواليقي: قال لنال لنا شيخنا الخطيب أبو بكر كريا: فكتبت أنا إلى

العميد الفيض المذكور هذه الأبيات: زارة شافية

قل للعميد أختي العلاء الفيض أنا قطرة من بحرك الفيض

شرفتني ورفعت ذكركي بالذي البستنيه من الثنا الفضفاض  
 بالبستني حلال القريض تفضلا فرفلت منها في علا ورياض  
 اني اتيتك بالحصي عن لؤلؤ ابرزته من خاطر مرناض  
 وبخاطري عن مثل ذلك توقف بما ان يكاد يجود بالابغاض  
 العارض البخر القطامط جدول أم درة تنقاس بالرضراض  
 يا فارس النظم المرصع الجوهرا والنثر يكشف غمة الأمراض  
 يرمي به النرض البعيد وقد غدا فكري يقصر عن مدى الأغراض  
 لا تلزمني من ثنائك موجبا حقا فاست لحقه بالقاضي  
 فلقد عجرت عن القريض وربما أعرضت عنه أيما إعراض  
 نعم على يسط عذري انني أقررت عند نذاك بالإنفاض  
 وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وتوفي فجأة يوم الثلاثاء لليلتين  
 بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد ودفن في مقبرة باب أبرز  
 رحمه الله تعالى ، وبسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء  
 المهملة وبعد الألف ميم .

**العكبري**

أما الإمام العكبري فهو أبو البقاء عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن  
 أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الأصل البغدادي المولود والنداء الفقيه  
 الحنبلي الحاسب الفرضي النجوي الضرير الملقب بحب الدين ، أخذ النحو عن  
 أبي محمد بن الخشاب وعن غيره من مشايخ عصره ببغداد ، وسمع الحديث من  
 أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد المعروف بابن البطي ومن أبي زرعة

طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وغيرها ، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله في فنونه ، وكان الغالب عليه علم النحو وصنف فيه مصنفات مفيدة وشرح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي ، وديوان المتنبي ، وله كتاب إعراب القرآن الكريم في مجلدين وكتاب إعراب الحديث لطيف ، وكتاب شرح اللمع لابن جني وكتاب اللباب في علل النحو وكتاب إعراب شعر الحماسة ، وشرح المفصل للزمخشري شرحاً مستوفى ، وشرح الخطب النبائية والمقامات الحريرية وصنف في النحو والحساب ، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به واشتهر اسمه في البلاد وهو حي وبعده صيته وكانت ولادته سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وتوفي ليلة الأحد ثامن شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمائة ببغداد ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى . والعكبري بضم العين المهملة وسكون الكاف وفتح الباء الموحدة وبعدها راء هذه النسبة إلى عكبرا وهي بليدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .

### ابن الشجري

هو الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسيني المعروف بابن الشجري البغدادي . قال ابن خلكان : كان إماماً في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها كامل الفضائل متضلعا من الأدب صنف فيه عدة تصانيف ، فمن ذلك كتاب الأمالي ، وهو أكبر تأليفه وأكثرها إفادة أملاه في أربعة وثمانين مجلسا ، وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الأدب وختمه بمجلس قصره على أبيات من شعر أبي الطيب المتنبي تكلم عليها وذكر ما قاله الشراح فيها وزاد من عنده ما سَنَحَ له ، وهو من الكتب الممتعة ، ولما فرغ من إملائه حضر إليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن

الحشاش والتمس فيه سماعه عليه ، فلم يجبه إلى ذلك ، فعاداه وردّ عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها إلى الخطأ ، فوقف أبو السعادات المذكور على ذلك الردّ فردّ عليه في ردّه وبين وجوه غلطه وجمعه كتاباً سماه الانتصار ، وهو على صغر حجمه مفيد جداً وسمعه عليه الناس ، وجمع أيضاً كتاباً سماه الحماسة ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي ، وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه ، وله في النحو عدة تصانيف : ما انفق لفظه واختلف معناه ، وشرح اللمع لابن جنى ، وشرح التصريف الملوكي ، وكان حسن الكلام حلو الألفاظ فصيحاً جيد البيان والتفهيم ، وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد القاسم الصيرفي ، وأبي علي محمد بن سعيد بن شهاب السكاك وغيرهما . وذكره الحافظ أبو سعيد بن السمعاني في كتاب الذيل وقال : اجتمعنا في دار الوزير أبي القاسم علي بن طراد الزينبي وقت قراءتي عليه الحديث وعلقت عنه شيئاً من الشعر في المدرسة ثم مضيت إليه وقرأت عليه جزءاً من أمالي أبي العباس ثعلب النحوي .

وحكى أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري النحوي في كتابه الذي سماه مناقب الأدباء : أن العلامة أبا القاسم محموداً الزمخشري لما قدم بغداد قاصداً الحج في بعض أسفاره مضى إلى زيارة شيخنا أبي السعادات ابن الشجري فمضينا معه إليه فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي .

وأستكبر الأخبار قبل لقائه      فلما التقينا صغر الخبر الخبر  
ثم أنشده بعد ذلك :

كانت مسألة الركبان تخبرنا      عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر  
ثم التقينا فلا والله ما سمعت      أذني بأحسن مما قدر أي بصري

وهذان البيتان منسوبان إلى أبي القاسم محمد بن هاني الأندلسي وينسبان

إلى غيره أيضاً ؛ قال ابن الأنباري : فقال العلامة الزمخشري : روى عن النبي صلى  
الله عليه وسلم أنه لما قدم عليه زيد الخليل قال له : يا زيدا وصف لي أحد في الجاهلية  
فرايته في الإسلام إلا رأيتَه دون ما وصف لي ، غيرك ؛ قال ابن الأنباري : نخرجنا  
من عنده ونحن نعجب كيف يستشهد الشريف بالشعر والزمخشري بالحديث وهو  
رجل أعجمي ؟ وكان ابن الشجري تقيب الطالبين بالسكرخ نيابة عن والده الطاهر  
وله شعر حسن ، فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي  
ابن محمد بن جهير وأولها :

هذي السديرة والغدير الطافح	فاحفظ فؤادك إنني لك ناصح
يا سِدْرَةَ الوادي الذي إن ضله الـ	سارى هداه نشره المتفاح
هل عائد قبل الممات لمغرم	عيش تقضى في ضلالك صالح
ما أنصف الرشا الضنين بنظرة	لما دعى مَضْنَى الصبابة طامح
شط المزار به وبؤىء منزلا	بصميم قلبك فهو دان نازح
غصن يعطفه النسيم وفوقه	قر يحف به ظلام جانح
وإذا العيون تساهمتها لحاظها	لم يرو منه الناظر المتراوح
ولقد مررنا بالعقيق فشافنا	فيه مراتع لها ومسارح
ظلمنا به نبكى فكم من مضمهر	وجداً أذاع هواه دمع سافح
برت السنون رسومها فكأنما	تلك العراصُ المتفترات نواضح
يا صاحِبِي تأملا حَيِّتِما	وسقى دياركما المَلِكُ الرَّامح
أدْمَى بدت لعيوننا أم رَبَّ رَبِّ	أم خُرَد أكفالهنَّ رواجح
أم هذه مُقَلِّ الصوارِ رَنَّت لنا	خِلَل البراقع أم قَنَّا وصَفاح
لم يبق جارحة وقد واجهتنا	إلا وهن لها بهن جوارح
كيف ارتجاع القلب من أسراهوى	ومن الشقاوة أن يراض القارح
لو بله من ماء ضارج شربة	ما أترت للوجد فيه لواقح

ومن ههنا يخرج إلى المديح فأضربت عنه خوف الإطالة ، ولم يكن المقصود إلا إثبات شيء من نظمه لتستدل به على طريقتة فيه ؛ ومن شعره أيضاً :

هل الوجد خاف والدموع شهود      وهل مكذب قول الوشاة جحود  
وحتى متى تفسني شئونك بالبكا      وقد حدَّ حدًّا للبُكاء لبَّيدُ  
ولمَّني وإن خفتُ فنائي كبرة      لئو مرة في النابيات جليد

وفيه إشارة إلى أبيات لبَّيد بن ربيعة العامري وهي :

تمنى ابتئى أن يعيش أبوها      وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر  
فقوما فنوحاً بالذي تعلمانه      ولا تخمِشاً وجهاً ولا تحلقاً شعر  
وقولا هو المرء الذي لا صديقه      أضع ولا خان العهود ولا غدر  
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما      ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر  
وإلى هذا أشار أبو تمام الطائي بقوله :

ظعنوا فكان بكاء حول بعدهم      ثم ارعويت وذاك حكم لبَّيد  
وقال الشريف أبو السعادات المذكور ، أنشدني أبو إسماعيل الحسين الطغرائي لنفسه :

إذا ما لم تكن ملكاً مطاعاً      فكن عبداً لملك مطيعاً  
وإن لم تملك الدنيا جميعاً      كما تهواه فاتركها جميعاً  
هما سببان من ملك وترك      ينيلان الفتى الشرف الرفيعا  
فمن يقنع من الدنيا بشيء      سوى هذين عاش بها وضيعا

وكان بين أبي السعادات المذكور وبين أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد ابن حكينا البغدادي الحريمي الشاعر المشهور تنافس جرت العادة بمثله بين أهل الفضائل فلما وقف على شعره عمل فيه قوله :

ياسيدى والذى يُعيدك من نظم قريض يصدأ به الفكر  
مالك من جدك النبي سوى أنك ما ينبغي لك الشعر

وكانت ولادته في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة وتوفي يوم الخميس  
السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفن  
من الغد في داره بالكرخ من بغداد رحمه الله تعالى . والشجرى بفتح الشين  
المعجمة والجيم وبعدها راء : هذه النسبة إلى شجرة وهي قرية من أعمال المدينة  
على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ؛ وشجرة أيضاً اسم رجل قد سميت به العرب  
ومن بعدها ، وقد انتسب إليه خلق كثير من العلماء وغيرهم ، ولا أدري إلى من  
ينتسب الشريف المذكور منهما ، هل هو نسبة إلى القرية أم إلى أحد أجداده كان  
اسمه شجرة ؟ والله أعلم .

### القاضي الجرجاني

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني  
قال ياقوت : كان أريباً أديباً كلاملاً ، مات بالرعي يوم الثلاثاء لست بقين من  
ذي الحجة ، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وهو قاضي القضاة بالرعي حينئذ ، وذكره  
الحاكم في تاريخ نيسابور وقال : ورد نيسابور سنة سبع وثلاثين ، وثلاثمائة مع أخيه  
أبي بكر ، وأخوه إذ ذاك فقيه مناظر ، وأبو الحسن قد ناهض الحلم ، فسمعاً  
الحديث الكبير ، ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذكر في الدنيا<sup>(١)</sup> . وحمل  
تابوته إلى جرجان فدفن بها ، وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار

(١) يريد إلى أن مات .

ابن أحمد ، وحضر جنائزه الوزير الخطير أبو علي القاسم بن علي بن القاسم وزير  
مجد الدولة ، وأبو الفضل العارض ، راجلين ، ووقع الاختيار بعد موته على أبي موسى  
عيسى بن أحمد الديلمي ، فاستدعى من قزوين وولى قضاء القضاة بالررى  
وله يقول صاحب بن عباد ؛ وقد أنشأ عهداً للقاضي عبد الجبار على  
قاضي الررى :

إذا نحن سلمنا لك العلم كله فدعنا وهذي الكتب نحسن صدورنا  
فإنهم لا يرتضون مجيئنا بجزع إذا نظمت أنت شذورها<sup>(١)</sup>

وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره ، وكان إذا  
ذكره في كتبه تبخبخ به<sup>(٢)</sup> وشمخ بأنفه بالانتماء إليه . وطوف في صباه البلاد  
وخالط العباد ، واقتبس العلوم والآداب ولقى مشايخ وقته وعلماء عصره . وله  
رسائل مدونة ، وأشعار مفضنة ، وكان جيد الخط مليحاً يشبه بخط ابن مقلة ؛  
ومن شعره :

أفدى الذي قال وفي كفه مثل الذي أشرب من فيه  
الورد قد أينع في وجنتي قلت : ففى بالثم يجنيه

ومنه :

يقولون لى فيك انقباض وإنما رأوا رجلا فى موقف الذل أحجما  
أرى الناس من دانا هم هان عندهم ومن أكرمه عزة النفس أكرما  
ومازلت منحازاً بعرضى جانباً من الدم أعتد الصيانة مغنا  
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما  
وما كل برق لاح لى يستفزنى ولاكل أهل الأرض أرضاه منعمياً

(١) الجزع : الخرز اليماني .

(٢) أى قال : يخ بخ .

ولم أفضِ حَقَّ العلمِ إنْ كانَ كَلِمًا      بدأ طَمَعُ صَيَّرُهُ لِي سَلَمًا  
ولم أبتذلْ في خِدمة العلمِ مَهْجَتِي      لأخْذُمُ من لاقيتَ لكنْ لأخْذِمَا  
أشقى به غَرَسًا وأجنيبه ذِلَّةً؟      إذنْ فابْتِيعَ الجُهْلُ قد كانَ أَحْزَمَا  
ولو أنْ أهلَ العلمِ صَانُوهُ صَانَهُمُ      ولو عَظَمُوهُ في النُفوسِ تَعَظَمَا  
ولكنْ أذْلوه جِهَارًا وَدَنَسُوا      مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا  
ومنه :

وقالوا : اضطرب في الأرض فالرزق واسع  
فقلت : ولكن مطلب الرزق ضيق  
إذا لم يكن في الأرض حرّ يعينني      ولم يك لي كسب فمن أين أرزق ؟  
ومنه :

أحبُّ اسمَه من أجله وسَمِيَّه      ويتبعه في كلِّ أخلافه قلبي  
ويجتاز بالقومِ العدا فأحبهم      وكأهم طأوى الضمير على حربي  
ومنه :

قد يَرَّحَ الشوقُ بمشائقك      فأولِّهِ أحسنَ أخلاقك  
لا تجفهُ وارِعَ له حقهُ      فإنه خاتمُ عشاقك  
وللقاضي عدة تصانيف منها : كتاب تفسير القرآن المجيد ، كتاب تهذيب التاريخ  
كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ، وفي هذا الكتاب يقول بعض أهل  
نيسابور :

أيا قاضيًا قد دنتْ كُتُبُه      وإنْ أصبحتْ داره شاحِطَه  
كتاب الوساطة في حسنه      لِعَدْرِ مَعَالِيكَ كَالْوِاسِطَه  
ومن شعره :

وماتطعمت لذة العيش حتى      صرتُ لِلْبَيْتِ وَالكِتَابِ جَلِيصَا  
ليس شيءٌ أعزُّ عندي من العا      مَـ فَلِمَ أَبْتغِي سِوَاهُ أُنَيْسَا ! !

إنما الذل في مخالطة النا س فدعهم وعش عزيزاً رئيساً  
ومن سائر شعره قوله :  
إذا شئت أن تستقرض المال منفقاً  
على شهوات النفس في زمن العسر  
فسل نفسك الإنفاق من كثر صبرها  
عليك وإنظاراً إلى زمن اليسر  
فإن فعلتَ كُنتَ الغنيَّ وإن أبت  
فكل منوع بعدها واسعُ العذر  
وحدث الثعالبي عن أبي نصر التهذبي قال : سمعت القاضي أبا الحسن علي  
ابن عبد العزيز يقول : انصرفت يوماً من دار الصاحب وذلك قبيل العيد فجماني  
رسوله بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان :  
يا أيها القاضي الذي نفسى له مع قرب عهد لقائه مشتاقه  
أهديتُ عِطراً مِثْلَ طيب ثنائه فكانما أهدى له أخلاقه  
قال وسمعتَه يقول : إن الصاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه لي بمرجان أ كثر  
مما يتلقاني به في سائر البلاد ، وقد استعفيته يوماً من فرط تحفيه بي وتواضعه لي ؛  
فأنشدني :

أكرم أخاك بِأرض مولده وأمدته من فعلك الحسن  
فالجز مطلوب ومُنتمس وأعزه مانيل في الوطن  
ثم قال : قد فرغت من هذا المعنى في العينية فقلت : لعل مولانا يريد قولي :  
وَشَيْدَتُ مَجْدِي بَيْنَ قَوْمِي فَلَمْ أَقْلُ أَلَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ صَنِيعِي  
فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى : « يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ  
بِمَا غَفَرْتَنِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ » قال الثعالبي : القاضي أبو الحسن  
علي بن عبد العزيز ، حصة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وإنسان

حدقة العلم ، ودرّة تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ، ونظم البحترى : وينظم عقد الإتيان ، والإحسان في كل ما يتعاطاه ، « وأنشد بيت صاحب المقدم ذكره » وقد كان في صباه خاف الخضر في قطع عرض الأرض ، وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرها ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلماء عَمَلًا ، وفي السكّال عالمًا ، ثم عرج على حضرة صاحب فالتقى بها عصا المسافر ، فاشتد اختصاصه به ، وحل منه محلا بعيداً في رفقته ، قريباً في أسرته ، وسير فيه قصائد أخلصت على قَصْد ، وفَرَائِدَ أتت من فَرْدٍ ، وما منها إلا صوب العقل ، وذوب الفضل ، وتقلد قضاء جرجان من يده ، ثم تصرفت به أحوال في حياة صاحب وبعد وفاته ، من الولاية والعُطلة ، وترقى محله إلى قضاء القضاة بالرى ، فلم يعزله إلا موته رحمه الله تعالى .

وعرض على أبو نصر المصعبى كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب ، في معنى القاضى أبي الحسن نخته بعد التصيد والتشبيب : قد تقدم من وصفى للقاضى أبي الحسن على بن عبد العزيز فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش — دام علوه — من كتبي ما أعلم أنى لم أُوَدِّ فيه بعض الحق ، وإن كنت دالته على جملة تنطق بلسان الفضل ، وتكشف عن أنه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، فأما موقعه منى : فالموقع الذى تخطبه هذه المحاسن وتوجه هذه المناقب ، وعادته معى ألا يفارقنى مقياً وضاغناً ومسافراً وقاطناً ، وقد احتاج الآن إلى مطالعة جرجان بعد أن شرطت عليه تصيير المقام كالإمام . فطالبنى مكانه بتعريف الأمير مصدره ومورده ؛ فإن عنّ له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المعتاد من فضله ، ليتعجل انكفاؤه إلى بما رسم — أدام الله أيامه — من مظاهرته على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من

بَذْرَقَةٍ<sup>(١)</sup> إن احتاج إلى الاستظهار بها ، ومخاطبة لبعض من في الطريق بتعرف النهج فيها ، فإن رأى الأمير أن يجعل من حظوظي الجسيمة عنده تعهد القاضى أبى الحسن بما يعجل رده فإنى ما غاب كالمُضِلِّ الناشد ، وإذا عاد كالغائم الواجد ، فعل إن شاء الله .

ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوىء المتنبي ، عمل القاضى أبو الحسن كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره ، فأحسن وأبدع ، وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد في فصل الخطاب ، وأعرب عن تبحره في الأدب وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ ، وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار في البلاد بغير جناح .

وقال فيه بعض النيسابوريين البيتين المتقدم ذكرهما ، ومن شعره :

أَنْثَرُ عَلَى خَدِّي مِنْ وَرْدِكَ      أَوْدَعُ فَمَنْ يَقْطِفُهُ مِنْ خَدِّكَ  
إِرْحَمْ قَضِيبَ الْبَلْبَانِ وَارْفُقْ بِهِ      قَدْ خِفْتُ أَنْ يَنْقُدَ مِنْ قَدِّكَ  
وَقُلْ لِعَيْنِكَ — بِنَفْسِي هُمَا —      يَخْفَتَانِ السَّقَمَ عَنْ عَيْدِكَ

وله :

وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أَسْرَّ بَيْنَ دَنَا      مَخَافَةَ نَائِي أَوْ حِذَارَ صَدُودِ  
فَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي تَقُولُ لِمُقَلَّتِي

وقد قرَّبوا — خوفَ التباعد — جودى  
فليس قريباً من يخاف بَعَادَهُ      وَلَا مَنْ يُرْجَى قُرْبَهُ بَبَعِيدِ

وله يستطرد :

مَنْ عَافِرِي مِنْ زَمَنِ ظَلَمٍ      لَيْسَ بِمَسْتَحِيٍّ وَلَا رَاحِمٍ ؟

(١) الخفارة في الطريق .

يفعل بالإخوان أهدائه      فِعِل الهوى بالدِيفِ الهائم  
كأنما أصبح يرميهم      عن جَفْنِ مولاى أبى القاسم  
وقال يذكر بغداد ويتشوقها :

يا نسيم الجنوب بالله بلغ      ما يقول المتيم المستهم  
قل لأحبابه فداكم فؤاد      ليس يسلو ومقلّة لا تنام  
بتم فالرقاد عندى سهاد      مذ نأيتم والعيش عندى لمام  
فعلى الكرخ فالتقطيعة فالك      ط فباب الشعير مِنى السلام  
يا ديارَ السرور لازال يبكى      بك فى مَضْحَكِ الرياض غمام  
رُب عيش صحبته فيك غَضَّ      وجفونُ الخطوب عنى نيام  
فى ليال كأنهن أمان      من زمان كأنه أحلام  
وكان الأوقات فيها كئوس      دائرات وأنسهن مدّام  
زمن مُسَعِدٌ وإلفٌ وصول      ومُنَى يستلذها الأوهام  
كل أنسٍ ولذة وسرور      بعد ما بتم على حرام

وله فى ذلك :

سقى جانبي بغداد أخلاف مُزِنَة      تحاكى دموعى صوبها وانحدارها  
فلى منهما قلب شجانى اشتياقه      ومهجة نفس ما أمل ادّكارها  
سأغفر للأيام كل عظيمه      لئن قربت بعد البعاد مزارها  
وله فى ذلك :

أراجعة تلك الليالى كعهدا      إلى الوصل أم لا يرتجى لى رجوعها ؟  
وصحبة أحباب لست لفقدهم      ثياب حداد يُستجد خاليعها  
إذا لاح لى من نحو بغداد بارق      تجافت جفونى واستطير هجوعها !  
وإن أخلفتها الغاديات رعودها      تكلف تصديق الغمام دموعها

سقى جانبي بغداد كل غمامة  
معاهد من غزلان أنس تحالفت  
بها تسكن النفس النفور ويفتدى  
يحن إليها كل قلب كأنما  
فكل ليالي عيشها زمن الصبا  
وله في ذلك :

بجانب الكرخ من بغداد لي سكن  
وصاحب ما صحبت الصبر مذ بعدت  
في كل يوم لعيني ما يؤرقها  
ما زال يبعثني عنه وأتبعه  
حتى أوت لي النوى من طول جفوته  
وما البعاد دهاني بل خلائقه  
وله في التخلص :

أو ما اثنت عن الوداع بلوعة  
ومدامع تجرى فتحسب أن في  
وله من قصيدة في الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير :

ولما تداعت للغروب شمسهم  
تلقين أطراف السجوف بمشرق  
فما سرن إلا بين دمع مضيع  
كان فؤادي قرن قابوس زاعه  
وقنا لتوديع الفريق المغرب  
لهن وأعطاف الخدور بمغرب  
ولا من إلا بين قلب معذب  
تلاعبه بالفيالق المتناشب

وله في الصاحب من قصيدة :  
وما بال هذا الدهر يطوى جواحي  
على نفس محزون وقلب كئيب  
تقسمي الأيام قسمة جائر  
على نضرة من حالها وشحوب  
كأني في كف الوزير رغبة  
تقسم في جدوى أغمر وهوب

وله من قصيدة في الصاحب :  
ولا ذنب للأفكار أنت تركتها  
إذا احتشدت لم ينتفع باحتشادها  
سبقت بأفراد المعاني وألفت  
خواطرك الألفاظ بعد شرادها  
وإن نحن حاولنا اختراع بديعة  
حصلنا على مسروقها ومعادها

وله في الصاحب من قصيدة يهنته بالبره من المرض :

بك الدهر يبدي ظله ويطيب  
ويقلع عما سامنا ويتوب  
ونحمد آثار الزمان وربما  
ظللنا وأوقات الزمان ذنوب  
أفي كل يوم للمكارم روعة  
لها في قلوب المكرمات وجيب ؟  
تقسمت العلياء جسمك كله  
فمن أين فيه للسقام نصيب ؟  
إذا أَلِمْتَ نفس الوزير تألمت  
لها أنفس تحيا بها وقلوب  
ووالله لا لاحظت وجهاً أحبه  
حياتي وفي وجه الوزير شحوب  
وليس شحوباً ما أراه بوجهه  
ولكنه في المكرمات ندوب  
فلا تجزعن تلك السماء تغيبت  
وعما قليل تبتدي فتصوب  
تهلل وجه المجد وابتسم الندى  
وأصبح غصن الفضل وهو رطيب  
فلا زالت الدنيا يملكك طلقة  
ولا زال فيها من ظلالك طيب

وله :

على مهجتي تجني الحوادث والدهر  
فأما اصطباري فهو ممتنع وعمر  
كأني ألقى كل يوم ينوبني  
بذنوب وما ذنبي سوى أنني حر  
فإن لم يكن عند الزمان سوى الذي  
أضيق به ذرعا فعندي له الصبر

وقالوا : توصل بالخضوع إلى الغنى  
وبيني وبين المال بابان حرما  
إذا قيل : هذا اليسر عاينت دونه  
إذا قدموا بالوفى قدمت قبلهم  
وماذا على مثلى إذا خضعت له  
وله :

سقى الغيث أو دمعى - وقلّ كلاهما -  
بحيث استرق الدَّعْصُ وانبسط النقي  
أكثر من أوصافها وهى واحد  
وفى ذلك انحدَرِ المَكَلَّلِ ظبية  
إذا خطرات الريح بين سجوفها  
تلقت بأثناء النصف لحاظنا  
أفى مثل هذا اليوم يمرح طرفه  
ومدت لإسبال السجوف بناتها  
لها أربعا ، جور الهوى بينها عدل  
وحيث تنهى الحقف وانقطع الرمل  
ولكن أرى أسماءها فى فمى تحلو  
لكل فؤاد عند أجفانها دحل  
أباحت لطرف العين ما حظَرَ البُخْلُ  
وقالت لأخرى : ما لمستهر عقل ؟  
وأعداؤنا حَوْلٌ وحسادنا قُبْلُ ؟  
فغازلنا عنها الشائل والشكل

### أبي العلاء المعري

وهل يتوقع منا قارى هذه التراجم أن نترجم له شاعر الحكماء وحكيم الشعراء  
 أبا العلاء المعري ، وهو أعرف من أن يعرف ، وقد أحاط المتأدبون بسيرته  
 وعبقريته علماً ؟ وحسبنا أن ننبه هنا إلى أنه ولد سنة ٣٦٣ وتوفي سنة ٤٤٩ ،  
 وأنه وضع شرحاً لشعر المتنبي وسمّاه اللامع العزيزي . واختصر ديوان أبي تمام  
 وشرحه وسمّاه ذكرى حبيب ، وديوان البحترى ، وسمّاه « عبث الوليد » وديوان  
 المتنبي ، وسمّاه معجز أحمد ، وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها وما أخذهم  
 من غيرهم وما أخذ عليهم ، وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم .  
 قال ابن خلكان : وأخذ عنه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي ، وأبوزكريا  
 التبريزي - أحد شراح المتنبي وقد ترجمنا له - وغيرهما ، والله أعلم .

« أمثال المتنبي وحكمه »

انظر أمثال المتنبي وحكمه في ذيل الجزء الرابع  
من هذا الديوان

أبي العلاء المعري

وهو من مشاهير شعراء بني العباس في القرن الرابع عشر  
 من بني العباس الذي ولد في بلد يعرف ببلد القضاة في سنة  
 316 هـ الموافق سنة 928 م في مدينة حلب في بلاد  
 الشام وهو من ذرية بني العباس الذين وفدوا في بلاد  
 الشام في سنة 661 هـ الموافق سنة 1263 م في عهد  
 السلطان الملك الناصر في سنة 661 هـ الموافق سنة 1263 م  
 من بلاد الشام في سنة 661 هـ الموافق سنة 1263 م  
 من بلاد الشام في سنة 661 هـ الموافق سنة 1263 م  
 من بلاد الشام في سنة 661 هـ الموافق سنة 1263 م  
 من بلاد الشام في سنة 661 هـ الموافق سنة 1263 م

## قافية الهمزة

قال - وقد طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات لأبي ذر سهل بن محمد الكاتب (\*) - :

أَلْقَبُ أَعْلَمُ يَا عَدُولُ بِدَائِهِ      وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ (١)  
 فَوَمَنْ أَحَبُّ لَأَعْصِيَنَّكَ فِي الْهَوَى      قَسَمًا بِهِ وَبِحُسْنِهِ وَبِهَائِهِ (٢)  
 أَحِبُّهُ وَأَحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً      إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ (٣)

(\*) وهذه هي أبيات أبي ذر المذكور . وكان شيخ سيف الدولة :

يَا لَأَيْمِي كَفَّ الْمَلَامَ عَنِ الَّذِي      أَضْنَاهُ طُولُ سَقَامِهِ وَشَقَائِهِ  
 إِنْ كُنْتَ نَاصِحَهُ فَدَاوِ سَقَامَهُ      وَأَعِنِّهِ مُلْتَمِسًا لِأَمْرِ شِفَائِهِ  
 حَتَّى يُقَالَ بِأَنَّكَ الْخَلْلُ الَّذِي      يُرْجَى لِشِدَّةِ دَهْرِهِ وَرِخَائِهِ  
 أَوْ لَا ، فَدَعَهُ فَمَا بِهِ يَكْفِيكَ مِنْ      طُولِ الْمَلَامِ قَلَسْتَ مِنْ نُصْحَائِهِ  
 نَفْسِي الْفِدَاءَ لِمَنْ عَصَيْتُ عَوَازِلِي      فِي حُبِّهِ لَمْ أَخْشَ مِنْ رُفْبَائِهِ  
 الشَّمْسُ تَطْلُعُ مِنْ أَسْرَةٍ وَجْهِي      وَالْبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ خِلَالِ قِبَائِهِ

(١) الضمير في مائه يعود على الجفن وضمير جفنه يعود إلى القلب ، وإضافة الجفن إلى القلب لأنه أمير الأعضاء المهيمن عليها جميعا . والمراد بمائه دموعه يقول : القلب أدري منك أيها اللائم بدائه وما أدركه من برج الهوى فهو يلتمس شفاؤه في البكاء ويأمر الجفن به \* وإن شقائي عبء مهراقة \* والقلب حقيق بأن يطاع لأن له السلطان الأكبر وأنت أيها العذول خليك بأن تعصى ولا اكتراث لنبيك .

(٢) الفاء للعطف والواو للتسم يقول : بحق من أحبه وبحق حسنه ونور وجهه لا أظعتك أيها اللائم فيه .

(٣) الاستفهام في أحبه إنكارى . يقول : لا أجمع بين حبه وبين النهي عن حبه لأن الملامة معناها النهي عن حبه . وقد ناقض بذلك قول أبي الشيص :

عَجِبَ الْوُشَاةُ مِنَ اللَّحَاةِ وَقَوْلِهِمْ<sup>(١)</sup> دَعُ مَا بَرَكَ ضَعُفَتْ عَنْ إِخْفَانِهِ  
مَا انْحَلَّ إِلَّا مَنْ أَوْدُ بِقَلْبِهِ وَأَرَى بِطَرْفٍ لَا يَرَى بِسِوَانِهِ<sup>(٢)</sup>  
إِنَّ الْمُعِينَ عَلَى الصَّبَابَةِ بِالْأَسَى أُولَى بِرَحْمَةِ رَبِّهَا وَإِخْفَانِهِ<sup>(٣)</sup>

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةٍ حُبًّا لِدِّكَرِكَ فَلَيْسُمْنِي اللَّوْمُ  
وقال الواحدى : معنى قوله إن الملامة فيه من أعدائه أن صاحب الملامة أى اللائم  
هو من أعداء هذا الحبيب حين ينهى عن جبه ، ومن أحب حبيبا عادى عدوه . وهذا  
تكلف لا موجب له . فالتنبي يقول إن اللوم من أعداء حبيبه ، فلا يجمع بينه وبين جبه  
إياه ، أى أنه لا يصنى للوم اللوام ولا يقبله .

(١) وقولهم عطف على اللحاة ، والوشاة جمع واش ، وهو النمام ، لأنه ينهى الكذب  
أى يزخرفه وينمقه من وشى الثوب . واللحاة جمع لاح وهو العاذل أى اللائم . يقول :  
ليس هناك إلا واش أو لاح فاللحاة يقولون دع هذا الحب الذى لا تطيق كتمانته ،  
والوشاة يتعجبون من قولهم هذا قائلين إذا لم يطق كتمانته كان عن بركة أمجز . يعنى :  
إننى وإن كنت ضعفت عن إخفاء هذا الحب بيد أننى لا أركه .

(٢) الحل والحليل الصديق ، والطرف العين ، وسوى إذا قصرته كسرتة وإذا  
مددته فتحته . يقول : ليس الصديق إلا من لا فرق بينى وبينه فاذا وددت فكأنى أود  
قبله وإذا نظرت فكأنى أنظر بعينه . والمعنى صديقك من وافقك فى كل شىء فيود  
ما وددت ويرى ما ترى أو تقول : ماخلى إلا الذى يبلغ الغاية من المودة فكأنه يود  
يقلى . وقال بعضهم : المعنى : ليس لك خليل إلا نفسك . وهو كقوله :

خَلِيلِكَ أَنْتَ لَا مَنْ قَلْتَ خَلِيٌّ وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ  
(٣) الصبابة رقة الشوق . والأسى الحزن . والإخاء الأخوة . وربها أى صاحبها  
والضمير للصبابة . يقول : إن العاذل أراد أن يعينه على الصبابة ويخلصه منها مستعينا على  
ذلك باللوم والزجر فأحزنه بذلك كما يسوؤه وكان أجدر فى إعانته بأن رحمه ويرى لحاله ويؤاخيها  
فى بلواه أو تقول : إن الذى يعين على صاحب الصبابة بإيراد الحزن عليه بلومه إياه أولى  
بأن يرحمه فيشفق عليه ويؤاخيها ويمتثل فى طلب الخلاص له من ورطة الهوى . وهذا  
فى عراض قول أبى ذر المتقدم .

إِنْ كُنْتُ نَاصِحَهُ فَدَاوِ شِقَامَهُ \*  
(١٣٠ - ١٣١)

مَهْلًا فَإِنَّ الْعَذْلَ مِنْ أَسْقَامِهِ وَتَرَفُّقًا فَالَسَّمْعُ مِنْ أَعْضَائِهِ (١)  
وَهَبِ لِلْمَلَامَةِ فِي اللَّذَازَةِ كَالْكَرَى مَطْرُودَةً بِسُهَادِهِ وَبُكَائِهِ (٢)

وجعل إرادته الحزن عليه عوناً على معنى أنه لا معونة عنده إلا هذا كقولهم : عتابك السيف ، وحديثك الضرب . وقال الواحدى : يجوز أن يكون معنى قوله على الصبابة مع ما أنا فيه من الصبابة كقول الأعشى مدح رجلاً .

تَضَيَّفْتُهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَقْعَدِي وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ (١) قَائِدًا .  
أى أعطاني مع ما كنت أقاسيه من الزمانة قائداً يقودنى .

(١) يقول . دع اللوم أيها اللائم فإنى سقيم واللوم يزيدنى سقماً على سقم وترفق فى لومك فإن السمع — والمراد الأذن — من أعضائى فلا تسمعها ما يزيدها سقماً .  
(٢) هب أى احسب ، والكرى النعاس والسهاد الأرق . قال ابن جنى . المعنى اجعل ملامتك إياه فى التذاذكها كالنوم فى لذذته فاطردها عنه بما عنده من الأرق والبكاء أى لا تجمع عليه اللوم والسهاد والبكاء أى فكما أن السهاد والبكاء قد أزالا نومه فلنزل ملامتك إياه . وقال الواحدى تعقياً على ما ذهب إليه ابن جنى : هذا كلام من لم يفهم المعنى إذ ظن زوال الكرى من العاشق وليس على ما ظن ولكنه يقول للماذل هبك تستلذ الملامة كاستلذ ذلك النوم وهو مطرود عنك بسهاد العاشق وبكائه فكذلك دع الملام فانه ليس بألذ من النوم أى فإن جاز ألا تنام جاز ألا تعذل « وأما بعد » فى الحق أن البيت من مشكلات الأبيات ومن ثم اضطربت فيه كلمة الشراح . قال بعض المحققين . وذلك أن تفسير ابن جنى قوله مطرودة بقوله فاطردها لا يستقيم وشتان بين الأمر والوصف ، ولا يقال : إنه تناول معنى الأمر من قوله هب على تقدير هبها مطرودة لأن هب على تفسيره قد استوفى مفعوليه من صدر البيت فلم يبق له دخل فيما يليه . وبقى قوله مطرودة حالاً عن الملامة وإن شئت جعلته خبراً عن ضميرها محذوفاً أى وهى مطرودة وعلى كليهما يكون فى معنى شبه جملة أو جزء جملة خبرية لا فى معنى جملة طلبية وقول الواحدى وهو مطرود أى النوم مقتضاه جعل مطرودة حالاً عن الكرى والكرى مذكور لأنه مصدر كرى ولفظ مطرودة مؤنث فلا يصح كونها حالاً

(١) الزمانة . العاهة .  
(٢) (١) الزمانة . العاهة .

لَا تَعْذُلُ الْمُشْتَقَّ فِي أَشْوَابِهِ      حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْسَانِهِ <sup>(١)</sup>  
إِنَّ الْقَتِيلَ مُضْرَجًا بِدُمُوعِهِ      مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضْرَجًا بِدِمَائِهِ <sup>(٢)</sup>  
وَالْعِشْقُ كَالْمَعْشُوقِ يَعْذُبُ قُرْبَهُ      لِلْمُبْتَلَى وَيُنَالُ مِنْ حَوْبَانِهِ <sup>(٣)</sup>  
لَوْ قُلْتَ لِلدَّفَنِ الْحَزِينَ فِدَيْتَهُ      مِمَّا بِهِ لِأَغْرَتِهِ بَفِدَائِهِ <sup>(٤)</sup>  
وَفِي الْأَمِيرِ هَوَى الْعُيُونِ فَإِنَّهُ      مَا لَأَيُّرُولُ بِيَأْسِهِ وَسَخَائِهِ <sup>(٥)</sup>

عنه . على أن جعل ملام العاذل في قول ابن جنى أو نومه في قول الواحدى مطرودا بسهاد العاشق وبكائه مما يشكل وجهه ، وما أرى التنبي إلا أنه قد غلط في هذا البيت بأن سبق وهمه إلى أن السكرى يؤث على حد الهدى مثلا ، أو أراد أن يقول مطرودا فسبق خاطره إلى التأنيث باستدراج الوزن لأن المقام يقتضى أن يكون قوله مطرودة جاريا على السكرى كما هو تفسير الواحدى ، ويكون المعنى على نحو ما قال ابن جنى أى احسب ملامتك لذينة عند العاشق كمنامه ، والمنام مطرود عنه بالسهاد والبكاء ، أى فلتكن ملامتك كذلك .

(١) لا : ناهية . وروى لاتعذر فتكون نافية . يقول : لا تلم العاشق حتى تحب مثل ما يجب وهذا من قول البحترى .

إذا شئت أن لا تعذل الدهر عاشقا      على كمدٍ من لوعة البين فأعشق  
(٢) مضرجا في الموضعين نصب على الحال ، والمضرج اللطخ بالدم من ضربت الثوب إذا صبغته بالحمرة . جعل دموع العاشق كالدماء والعاشق كالمقتول هويلا لأمر الهوى يقول : إن القتل إنما هو باستنزاف الدم ، فمن استنزف دمه من طريق الدمع كمن استنزف دمه من طريق الجراحات .

(٣) المبتلى العاشق الذى امتحن بالحب ، والحوباء النفس . والواو في قوله وينال واو الحال . يقول إن العشق حاو القرب كقرب المعشوق وإن كان ينال من نفس العاشق أى يتلفها . أى أن العشق قاتل وهو مع ذلك مستعذب .

(٤) الدنف ذو الدنف أى المرض الملازم . وأغرته أى بعثته على الغيرة ، وقوله بفدائه أى بفدائك إياه فأصاف المصدر إلى المفعول . يقول : لو قلت للدنف ليت ما بك من برح الهوى بنى لغار من ذلك ضنا بمحبوبه وخشية أن يحل أحد محله برغم ما يلاقيه .  
(٥) وفى أى وقاه الله ، والبأس الشجاعة والسخاء البذل . يدعوه له بالسلامة من

يَسْتَأْسِرُ الْبَطْلَ الْكَمِيَّ بِنَظْرَةٍ وَيَحُولُ بَيْنَ فُؤَادِهِ وَعَزَائِهِ (١)  
إِنِّي دَعَوْتُكَ لِلنَّوَابِ دَعْوَةً لَمْ يُدْعَ سَامِعُهَا إِلَى أَكْفَائِهِ (٢)  
فَأْتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمَانِ وَتَحْتِهِ مُتَّصِلًا وَأَمَامِهِ وَوَرَائِهِ (٣)  
مَنْ لِلسُّيُوفِ بِأَنْ تَكُونَ سَمِيحًا فِي أَصْلِهِ وَفِرْنَدِهِ وَوَفَائِهِ (٤)

الهوى لأنه ليس مما يزال بالشجاعة والبذل ، والأمير وإن كان من الشجاعة والجلود بحيث يدفع كل أمر شديد بيد أن الهوى اللطيف من ذلك .

(١) يستأسر أى الهوى أى يجعله فى الأسر ، والبطل ، الشجاع ، والكمى لباس السلاح ، والعزاء التجلد يقول : إن الهوى يأسر البطل الشجاع للمستلم سلاحه بمجرد نظرة فيملك عليه أمره ويهصف بصبره وجلده على الرغم من بطولته فلا يترك بين فؤاده والعزاء سبيلا . وهذا ينظر إلى قول جرير .

يَصْرَعُنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهٍ وَهَنْ أضعفُ خَاقِ اللَّهِ أَرُ كَانَا (٢)  
النواب الشدائد ، وسامعها سيف الدولة . والأكفاء جمع كف ، وهو القرن والنظير . يقول : إنى دعوتك لدفع الشدائد عنى ولست بهذه الدعوة أدعوك إلى نظرائك لجلادها لأنك فوق الشدائد وأشد بطشا منها .

(٣) المتواصل الذى له صلصلة وحفيف من وقع الحديد وقد طابق بين فوق وتحت وأمام ووراء يقول : دعوتك لدفع نوب الزمان عنى فأحطت به دونى وحلت بينه وبين الوصول إلى وحميتى بذلك منه ، وهذا قريب من قول أبى نواس :

تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعَيَّنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي (٤)  
ضمير تكون للسيف أى بأن تكون السيف سميا ، أى مثل سميا وتقول : من له بكذا أى من يتكفل له به أو من يضمه له ونحو ذلك . وفرند السيف جوهره ووشيه وهو ما يرى فيه شبه مدب النمل أو شبه الغبار استعاره هنا للمدوح وهو سيف الدولة والمراد مكارمه ومحاسنه والأصل النجار والحسب والوفاء معروف . يقول : من يكفل للسيف التى شاركت سيف الدولة فى التسمية بأن تكون مثله فى أصله ومناقبه وفعاله وفى وفائه ، وهذا كقوله .

\* تظن سيوف الهند أصلك أصلها \*

طَبَعَ الْحَدِيدُ فَكَانَ مِنْ أَجْنَابِهِ وَعَلَى الْمَطْبُوعِ مِنْ آبَائِهِ<sup>(١)</sup>

واستزاده سيف الدولة فقال أيضاً :

عَدَلَ الْعَوَازِلَ حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهِ وَهَوَى الْأَجْبَةَ مِنْهُ فِي سَوْدَائِهِ<sup>(٢)</sup>

(١) طبع الحديد فعل ونائب فاعل واسم كان ضمير يعود إلى الحديد ومن أجناسه جار ومجرور في موضع نصب خبر كان وعلى مبتدأ والمطبوع صفة له ومن آبائه في موضع رفع خبر ، والمطبوع المصنوع وعلى اسم سيف الدولة وهو على بن أبي الهيجاء بن حمدان التغلبي . يقول : إن السيوف مصنوعة من الحديد فهي تنزع إلى أصلها الذي صنعت منه أما سيف الدولة الشريف ابن الشريف العرق له في الكرم فإنه ينزع إلى أصله في المجد والفعال ، فهي وإن شاركته في الاسم تخالفه في الأصل وشتان ما بينهما .

(٢) يعني بالتائه نفسه . وعدل العوازل مبتدأ وحول قلب التائه خبر والعذل اللوم والعوازل جمع عاذلة أما العاذل فجمعه عدال وعدل ، والتائه المتحير وسوداء القلب وسويداؤه العلقة السوداء التي في جوفه كأنها فلذة كبد ، يقول : إن لوم اللوام حوال قلبي وهوى الأجة قار في سويدائه ، وإذا لا يصل اللوم إلى قلبي وهذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم .

تَغَاغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنَ لَمْ يَبْلُغْ سُرُورٌ

وقد روى بدل قلب التائه قلبي التائه على أن التائه صفة لقلبي ، وليس هناك لأنه لا يقال تاه قلبه . وقال قوم : المعنى أن قلبي يديه على عدلهم ، من التيه بمعنى الكبر ، قال الواحدى : وليس بمستحسن ، هذا وقد قال العكبرى : عيب على أبي الطيب قوله التائه والقصيدة مهموزة كلها واعتذر له قوم بأنه لم يرد التصريع<sup>(١)</sup> لأن الهاء في القافية أصلية وقد جعل قوم ممن رتبوا الديوان على الحروف هذه القطعة في حرف الهاء لجهلهم القوافي وقد جعلها ابن جنى والخطيب التبريزي في أول حرف المهمزة فاعتدنا بفعلها والقوافي خمس يجمعها سكبرف كل حرف لقافية ، وهي متكوس ومتدارك ومتراكب ومتواتر

(١) التصريع تفتية المصراع الأول مأخوذ من مصراع الباب . قال العلماء : المصراعان بابا القصيدة بمنزلة المصراعين اللذين هما باب البيت قلوا : وإنما وقع التصريع في الشعر ليدل على أن صاحبه مبتدىء إما قصيدة وإما قصة .

ومترادف ، فالتكاوس<sup>(١)</sup> أربع حركات بين ساكنين كقوله .  
\* قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهَ فَجَبَرُ \*<sup>(٢)</sup>  
والتدارك<sup>(٣)</sup> حركتان بين ساكنان كما في هذه القصيدة والمتراكب<sup>(٤)</sup> ثلاث  
حركات بين ساكنين كقول المتنبي :

\* بِمِ التَّعَلُّلِ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ \*  
والتواتر<sup>(٥)</sup> حركة واحدة بين ساكنين كقوله - أى المتنبي - :

(١) مأخوذ من تكاوس النبت والشجر النف وراكب لكثرة الحركات فيه  
كأنها التفت .

(٢) هو للعجاج . والجبر خلاف الكسر يقال جبر العظم والفقير واليتيم وجبر  
العظم بنفسه . وقد جمع العجاج في هذا بين المتعدى واللازم .

(٣) قال ابن سيده والمتدارك من الشعر كل قافية توالى فيها متحركان بين ساكنين  
وهي متفاعلتن ومستفعلتن ومتفاعلتن وفعلت إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فعل ،  
فاللام في فعل ساكنة ، وفل إذا اعتمد على حرف متحرك نحو فعول فل اللام من فل  
ساكنة والواو من فعول ساكنة سمي بذلك لتوالى حركتين فيها ، وذلك أن الحركات  
من آلات الوصل وأماراته فكان بعض الحركات أدرك بعضها ولم يعقه عنه اعتراض  
الساكن بين المتحركين .

(٤) للتراكب كل قافية توالى فيها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين وهي  
مفاعلتن ومفتعلتن وفعلت لأن في فعلت نونا ساكنة وآخر الحرف الذي قبل فعلت نون  
ساكنة وفعلت إذا كان يعتمد على حرف متحرك نحو فعول فعل اللام الآخرة ساكنة  
والواو في فعول ساكنة .

(٥) للتواتر كل قافية فيها حرف متحرك بين حرفين ساكنين نحو مفاعلتن  
وفاعلتن وفعلتن ومفعولن وفعلت وفل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فل  
وإياه عنى أبو الأسود بقوله :

وقافية حذاء سهل رويها كسر الصناع ليس فيها تواتر  
أى ليس فيها توقف ولا فتور .

يَشْكُو الْمَلَامُ إِلَى اللّوَاثِمِ حَرَّهُ وَيَصُدُّ حِينَ يَلْمَنَ عَنْ بُرْحَانِهِ (١)  
وَيَمْهَجَّتِي يَا عَاذِلِي الْمَلِكِ الَّذِي أَسْخَطْتُ كُلَّ النَّاسِ فِي إِرْضَائِهِ (٢)

\* صِلَةُ الْمَهْجَرِ لِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ \*

والمترادف (١) اجتماع سا كنين كقوله - أي التنبي :-

لَا تَحْسُنُ الْوَفْرَةَ حَتَّى تُرَى مَنُشُورَةَ الضَّفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ

أقول : وهذا كله من العكبري لأنه أورد هذه الأبيات قبل الأبيات السالفة ظناً منه أنها هي التي قالها التنبي بادي ذي بدء حين طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات أبي ذر ، ولكن الذي تحقق لدينا هو أن المتنبي قال الأبيات السابقة أولاً ثم أورد فيها بهذه الأبيات التالية وإذن ينهار هذا المأخذ الذي توركه بعضهم على المتنبي وانهار معه الدفاع عنه .

(١) البرحاء الشدة وتباريح الشوق توجهه . وتقول : لقيت منه برحا بارحا أي شدة وأذى ، ويقال للمحموم الشديد الحمى أصابته البرحاء . يقول : إن اللوم يشكو حرارة قلبي إلى اللوام كأنه يقول لمن : لا تبعثنني إليه لأنني أخشى برحاء قلبه وإذا لمني أعرض اللوم عن قلبي خشية أن تلفحه ناره يعني بذلك أن قلبه لا يقبل اللوم واللوم لا يطبق أن يصل إلى قلبه لما يضطرم فيه من حرارة الحب . فالضمير في حره وبرحائه للقلب في البيت السابق . وليس يخفى ما في هذا البيت من لطف التخيل وبديع التمثيل .

(٢) الباء في بمهجتي للتنفدية ، والمملك يجوز فيه الرفع والنصب ، إذ لك أن تجعل بمهجتي خبراً مقدماً والمملك مبتدأ ولك أن تجعل المملك مفعولاً لفعل محذوف تقديره أفدى ويريد بالمملك سيف الدولة والمهجة الروح وأراد بقوله : يا عاذلي يا من يعدلني فليس لك أن

(١) المترادف كل قافية اجتمع في آخرها سا كنان وهي متفاعلان ومستفاعلان ومفاعلان ومفتعلان وفاعلتان وفعلتان وفعليان ومفعولان وفاعلان وفعلان ومفاعل وفعول ، سمي بذلك لأن غالب العادة في أواخر الأبيات أن يكون فيها سا كن واحد رويًا مقيداً كان أو وصلاً أو خروجاً فلما اجتمع في هذه القافية سا كنان مترادفان كان أحد الساكنين ردف الآخر ولا حقاً به .

إِنْ كَانَ قَدْ مَلَكَ الْقُلُوبَ فَإِنَّهُ      مَلَّكَ الزَّمَانَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ (١)  
الشَّمْسُ مِنْ حُسَادِهِ وَالنَّصْرُ مِنْ      قُرْنَائِهِ وَالسَّيْفُ مِنْ أَسْمَائِهِ (٢)  
أَيُّنَ الثَّلَاثَةِ مِنْ ثَلَاثِ خِيَالِهِ      مِنْ حُسْنِهِ وَإِبَائِهِ وَمَضَائِهِ (٣)  
مَضَتْ الدُّهُورُ وَمَا أَتَيْنَ بِمِثْلِهِ      وَلَقَدْ أَتَى فَعَجَزَنْ عَنْ نَظَرَانِهِ (٤)

تقول كان ينبغي أن يقول يا عاذلتى لأنه قال العواذل فى الأول ، إذ المراد كما قلنا يامن يعذلتى ومن تقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وهذا اقتضاب عدل به عن النسب إلى اللديح . يقول : إنى يالأمى أفدى بنفسى الملك الذى لم أسمع فيه لوم من هو أشد لوما منك فلم أركه وآت غيره وأسخطت لوامى جميعا فى سبيل مرضاته .

(١) الباء فى بأرضه بمعنى مع يقول : غير عجيب أن يملك هذا الملك القلوب ويستولى حبه عليها مادام قد ملك الزمان بما يحتويه من الكائنات يصرفه على مشيئته وقال بعضهم : أراد بالسما الأفلاك التى تنسب إليها السعود والنحوس أى أن ذلك يجرى على مقادير مشيئته لأنه يجعل أصحابه فى السعود ، وأعداءه فى النحوس .

(٢) والنصر من قرنائيه ، أى أنه أينما توجه فهو منصور والسيف من أسمائه لأنه يعرف بسيف الدولة .

(٣) الخلال جمع خلة وهى الخصلة ، والإباء أن يابى الذل ولا يرضاه والثلاثة الشمس والنصر والسيف ، يقول : أين حسن الشمس من حسنه وأين النصر من إبائه ؟ أى أنه أشد إباء للذل من النصر لأن النصر حليفه وصاحب النصر يابى الذل وأين مضاء السيف من مضائه ؟

(٤) يقول : لم يأت الزمان بمثله فيما مضى فلما أتى عجزت الدهور عن أن تأتى له بنظير ، ولا يروعنك مثل هذه الآيات فان الشعر يجب أن يكون أسمى من أن يسف إلى مثل هذا القلو ، والمتنبى كثيرا ما يلجأ فى شعره إلى الإفراط ، شأنه فى ذلك شأن كثير من الشعراء .

وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي ، وكان قوم قد هَجَّوهُ ، وعزَّروا الهجاء  
إلى أبي الطيب فكتب إليه يعاتبه ، فكتب أبو الطيب إليه :

أَتُنْكَرُ يَا ابْنَ إِسْحَاقَ إِخَانِي      وَتَحْسَبُ مَاءَ غَيْرِي مِنْ إِيَّانِي <sup>(١)</sup>  
أَأَنْطِقُ فِيكَ هُجْرًا بَعْدَ عَلِيٍّ      بَأَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ <sup>(٢)</sup>  
وَأُكْرَهُ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ طَعْمًا      وَأَمْضَى فِي الْأُمُورِ مِنَ الْقَضَاءِ <sup>(٣)</sup>  
وَمَا أُرَبَّتْ عَلَى الْعِشْرِينَ سِنِي      فَكَيْفَ مَلَلْتُ مِنْ طَوْلِ الْبَقَاءِ <sup>(٤)</sup>  
وَمَا اسْتَفْرَقْتُ وَصْفَكَ فِي مَدِيحِي      فَأَنْقُصَ مِنْهُ شَيْئًا بِالْهَجَاءِ <sup>(٥)</sup>  
وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٌ      أَيَعْمَى الْعَالَمُونَ عَنِ الضُّيَاءِ <sup>(٦)</sup>

(١) الاستفهام للتعجب وإسحاق مصروف للضرورة والإخاء المصادقة وتحسب تفتح عنه وتكسر أى تظن والماء والإناء استعارة للقول والقائل يقول متعجبا : أتتكبر مؤاخاني إياك وتظن أن ما هجيت به صادر مني ؟

(٢) المهجر : القبيح من الكلام ، ويقال : هجر الرجل إذا هذى وأصله ما يقوله المحموم إذا نالت منه الحمى ؛ يقول : لا أنطق فيك القبيح بعد علي أنك خير الناس ، وهذا مبالغة .

(٣) أكره وأمضى معطوفان على خير في البيت السابق وطعما تمييز وذباب السيف حده . يقول : وأنت أكره طعما على العدو من طرف السيف وأتقد فيما تريد من الأمور من القضاء ، وهذا من مبالغات التنبي المعروفة .

(٤) ما حرف نفي وأربت زادت ، والسن العمر ، ومللت سئمت . يقول : وما زادت سني على العشرين فكيف أمل طول البقاء بالتعرض لهجائك إذ أني بتعرض لهجائك ألقى بنفسى إلى التهلكة .

(٥) وما عطف على ما قبله ، واستفرت استوفيت ، يقول : ولم أستوف إلى الآن أوصاف مدحك فكيف أتقصها بهجائك بل أنا باستنماها أولى مني بالأخذ في الهجاء .

(٦) يقول : وقدر أنى هجوتك وكأننى بذلك كمن يقول هذا النهار ليل فكيف يتأتى هذا وفعالك لا يخفى على أحد كضياء الشمس ، وهل يعمى العالمون عن الضياء .

تَطِيحُ الْحَاسِدِينَ وَأَنْتَ مَرَّةً      جُعِلْتُ فِدَاؤَهُ وَهُمْ فِدَائِي (١)  
وَهَاجِي نَفْسِي مَنْ لَمْ يُمَيِّزْ      كَلَامِي مِنْ كَلَامِهِمُ الْهَرَاءِ (٢)  
وَإِنْ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرَانِي      فَتَعْدِلَ بِي أَقَلَّ مِنَ الْهَبَاءِ (٣)

(١) مره لغة في امرؤ . يقول : تصنى إلى الحساد وتنزل على مهمتهم إياي بهجائك وأنت أسمى من أن يهجووه مثلي لأنى فداء له لماله من الأيادي ، أما هؤلاء الحساد فهم فداء لى لأنى أولى بالبقاء منهم وهم ممن لا غناء فيهم ، وقد ذهب السراح أكثرهم إلى أن جملة جعلت فداءه دنائية جعلت وصفا لمراء وهو نكرة على تقدير محذوف ، أى مستحق لأن أسأل الله أن يجعلنى فداءه على حد قول الراجز :

مَا زِلْتُ أَسْأَلُ بَيْنَهُمْ وَأُخْتَبِطُ      حَتَّى إِذَا جَاءَ الظَّلَامُ وَاخْتَلَطُ (\*)

\* جَاءُوا بِضِيحٍ هَلْ رَأَيْتَ الذُّبَّ قَطُ \*

أى جاءوا بضيح يقول : من رآه هل رأيت الذئب قط .

(٢) من لم يميز مبتدأ مؤخر وهاجى نفسه خبر مقدم ، والهراء الكلام الساقط الذى لا خير فيه . قال ذو الرمة :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ      رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءَ وَلَا نَزْرُ

يقول : إن من لم يفرق بين كلامى وبين كلامهم الساقط فإنما يهجو بذلك نفسه وأنت أظن من الأتقى بينهما وإلا كنت قد هجوت نفسك .

(٣) أن ترانى مؤول بمصدر اسم أن ، ومن العجائب جار ومجرور خبرها وتعديل عطف على ترانى وأقل صفة لموصوف محذوف أى شيئا أقل من الهباء ، وعدله به ساواه وأقل أخس ، والهباء ما يرى فى شعاع الشمس من دق الغبار قال الشاعر :

بَرَّانِي الْهَوَى بَرَّى الْمَدَى وَأَذَابَنِي      صَدُودُكَ حَتَّى صَرْتَ أُنْحَلَ مِنْ أَمْسِ

فَلَسْتُ أَرَى حَتَّى أَرَاكَ وَإِنَّمَا      يَبِينُ هَبَاءُ الذَّرِّ فِي أَلْقِ الشَّمْسِ

يقول : من العجب أن ترانى وتعرفنى ثم تسوى بينى وبين خسيس أدق من الهباء يريد غيره من الشعراء .

\* الضيح اللبن المخلوط شبه لون الضيح بلون الذئب والذئب يقال له أبو مذقة لأن لونه يشبه لون المذق وهو الضيح .

وَتُنْكَرُ مَوْتَهُمْ وَأَنَا سُهَيْلٌ طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزَّنَاءِ<sup>(١)</sup>

وقال يمدح أبا علي هرون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب ، وكان يذهب إلى التصوف<sup>(\*)</sup> .

أَمِنْ أَزْدِيَارِكِ فِي الدُّجَى الرَّقْبَاءِ إِذْ حَيْثُ أَنْتِ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ<sup>(٢)</sup>

(١) سهيل نجم تزعم العرب أنه إذا طلع وقع الوباء في الأرض وكثر الموت والزنا يمد ويقصر ، يقول : ومن العجائب أن تنكر موت حسادي وأنا الطالع عليهم بموتهم كما يطلع سهيل ومن ثم يموت أولاد الزنا حسداً لي .

(\*) قل بعض أفاضلنا المعاصرين في فصل من كتاب له ماملخصه « هذه القصيدة تبثنا بأن الشاعر قد أقبل يمدح أبا علي الأوراجي من بعيد وقد جاز إليه جبل لبنان . . . وأكبر الظن أن الأوراجي هذا كان متصلاً بعمل من أعمال ابن رائق قريبا من بدر بن عمار في طبرية أو بعيداً عنه بعض الشيء في دمشق . فأقبل المتنبي من شمال الشام إلى جنوبها بعد أن جلت عنه جنود الإخشيد حتى انتهى إلى صاحبه هذا فمدحه بقصيدتين إحداهما هذه الحمزية ، والأخرى أرجوزة طردية « انظر الأرجوزة التي يقول في مطلعها .

ومنزّل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات المهطل

والحمزية فيما أرى مكانة خاصة من شعر المتنبي فهي القصيدة الوحيدة التي يعمد فيها الشاعر إلى المذهب الرمزي ليرضى بمدوحه الذي كان يذهب مذهب التصوف وهي من هذه الجهة قيمة لأنها تبين عن علم المتنبي — في الخامسة والعشرين من عمره — بمذاهب المتصوفة في الكلام ومنهجهم في الرمز والإيماء ولأنها تظهر لنا الشاعر الفتي وقد ملك ناصية الفن حقاً ؛ إلى أن قل : ولست أدري أ كان الأوراجي هذا قريباً أم بعيداً من بدر بن عمار ولكن المتنبي أقام معه حيناً على كل حال كما تدل على ذلك طرديته ثم اتصل من طريق الأوراجي هذا فيما أرى ببدر فلا تسلم عن فرحته وابتهاج نفسه بالعبطة والرضى اه ملخصاً .

(٢) (أمن فعل والرقباء فاعل ، وازديارك مفعول مقدم وإذ تعليلية وأنت ضياء مبتدأ وخبر أضيفت حيث الظرفية إلى جملتهما ومن في من الظلام للبدل ويروى : إذ

قَلَقُ الْمَلِيحَةِ وَهِيَ مِسْكٌ هَتَكَهَا وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ ذُكَاةٌ (١)

حيث كنت . . . قال الواحدى : فتكون ضياء مبتدأ محذوف الخبر ، أى ضياء هناك وكان تامة فى معنى حصلت ووقعت فليس لها خبر ، وقال آخرون ضياء مبتدأ وحيث كنت من الظلام خبره وإذ مضافة إلى هذه الجملة ومن الظلام حال من حيث تقديره إذ ضياء بمكان كونك وحصولك من الظلام ويجوز رفع حيث على الابتداء ونقله عن الظرفية . . . والازديار افتعال من الزيارة والدجى الظلمة يقول : إن الرقباء قد أمنوا أن زوربنى ليلا لأنك إذا زرتنى فى الظلام أضاء بك وأنار لأنك ضياء مهتك الظلام وإذ ذلك تفتضحين وهذا ينظر إلى قول على بن جبلة العكوك :

بأبى مَنْ زَارَنى مُكْتَمًا حَذِرًا مِنْ كُلِّ وَاشٍ فَرِعًا  
طَارِقًا نَمَّ عَلَيْهِ نُورُهُ كَيْفَ يُخْفَى اللَّيْلُ بَدْرًا طَلَعًا  
رَصَدَ الْخُلُوعَ حَتَّى أَمَكَنْتُ وَرَعَى السَّامِرَ حَتَّى هَجَمَا  
كَأَبَدَ الْأَهْوَالَ فى زَوْرَتِهِ ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَعَا

(١) قلق مبتدأ وهتكها خبره ومسيرها عطف على قلق محذوف الخبر للعلم به ، والواو فى وهى مسك وهى ذكاء للحال . والمراد بقلقها اضطرابها وحركتها والمسك طيب من دم دابة كالظبي تدعى غزال المسك ، وهتكها أى اتهاكها ، وذكاء اسم للشمس لا ينصرف . يقول : إن المليحة مسك فإذا تحركت انتهك سترها وافتضح بتضوع راعتها ، وهى شمس فإذا سارت ليلا رآها الناس . ومثل هذا المعنى كثير فى شعر المحدثين قال البحرى :

وَحَاوَلْنَ كَيْتَمَانَ التَّرْحُلِ فى الدُّجَى فَمَنَّ بِهِنَّ الْمِسْكُ حِينَ تَضَوَّعَا  
وقال :

وكان العبيرُ بها وَاشِيًا وَقَالَ أَبُو الْمَطَاعِ ابنُ نَاصِرِ الدَّوَلَةِ :  
ثَلَاثَةٌ مَنْعَمًا مِنْ زِيَارَتِنَا وَقَدْ دَجَا اللَّيْلُ خَوْفَ الْكَاشِحِ الحَنِيقِ  
ضَوْهَ الْجَبِينِ وَوَسْوَاسِ الحُلِيِّ وَمَا يَفُوحُ مِنْ عَرَقِ كَالعَنْبَرِ العَبِيقِ

أَسْفَى عَلَى أَسْفَى الَّذِي دَلَّهْتَنِي عَنْ عِلْمِهِ فِيهِ عَلَى خَفَاءِ (١)  
وَشَكَيْتَنِي فَقَدْ السَّقَامَ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءَهُ (٢)

هَبِ الْجَبِينِ بِفَضْلِ الْكُمِّ تَسْتَرُهُ وَالْحَلَى تَنْزِعُهُ مَا الشَّانُ فِي الْعِرْقِ  
هذا وقد قال ابن فوزجه : الهتك مصدر متعد ولو اتى بمصدر لازم بأن قال  
انهتاكها لكان أقرب إلى الفهم ولكنه راعى الوزن . قال : وقوله وهي مسك زيادة  
على كثير من الشعراء إذ لم يجعل هتكها من قبل الطيب الذي استعملته بل جعل المسك  
نفسها فكانه من قول امرئ القيس :

\* وجدت بها طيبا وإن لم تطيب \*  
وقول الآخر :

دُرَّةٌ كَيْفَا أُدِيرَتْ أَضَاءَتْ وَمِشْمٌ مِنْ حَيْثَا سُئِمَ فَاحَا

ومثله قول بشار :

وتوق الطيب ليلتنا إنه واث إذا سطعا

(١) أسفى على أسفى مبتدأ وخبر وخفاء مبتدأ ، وبه من فيه جار ومجرور خبره  
والأسف الحزن ، والمدله الذى أذهب العشق عقله وأذهله . يقول : إننى آسف على أن  
شغلتنى عن معرفة الأسف حتى خفى على ما هو إذ عصفت بلى يعنى : إننى أحزن لذهاب  
عقلى لما لقيت فى هواك من البرح والشدة حتى لقد خفى على حزنى الذى إنما يدرك  
باللب وليس لى الآن لب ، أو تقول : إنه كان يتأسف على زمان وصالحها فلما أمعنت فى  
الهجر ذهب له حتى صار لا يعرف الأسف فأخذ بأسف على ذلك الأسف لأنه كان إذ ذاك  
عاقلا أما الآن فلا عقل له .

(٢) الشكية والشكاة والشكوى والشكاية واحد . يقول : إنما أشكو عدم السقم  
لأن السقم إنما كان حين كانت لى أعضاء يعرفها السقام فأحسه بأعضائى فإذا طاحت  
الأعضاء من جراء الجهد الذى أدركنى فى هواك لم يبق ثم ما ينزل به السقم ، وهذا  
المعنى أوضحه البستي بقوله :

ولو أبقى فراقك لى فؤادا وَجَفْنَا كُنْتَ أَجْزَعُ مِنْ مُسْهَادِي  
وَلَكِنْ لَا رُقَادَ بِمَقِيرِ جَفْنِي كَمَا لَا وَجْدَ إِلَّا بِالْفُؤَادِ

مَثَلْتِ عَيْنَكَ فِي حَشَايَ جِرَاحَةً      فَتَشَّابَهَا كَلْتَاهُمَا نَجْلَاهُ (١)  
نَفَذْتُ عَلَى السَّابِرِيِّ وَرُبَّمَا      تَنَدَّقُ فِيهِ الصَّعْدَةُ السَّمْرَاهُ (٢)  
أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَازُوجَتْ      وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنِّي الْجُوزَاهُ (٣)

« وأما بعد » فلا تنس أن أبا الطيب إنما يقول هذه القصيدة لرجل يعرف أنه يذهب مذهب التصوفة ومن ثم تراه يهيج منهمجهم في العبارة والتفكير وبالحرى ما يشبه أن يكون رمزاً وغموضاً .

(١) جراحة مفعول ثانٍ مثلت أو تميز . وقوله : فتشابهها أى العين والجراحة ولم يقل تشابهتها حملاً على المعنى كأنه قال فتشابهه الأمران كما قال .

إن السامحة والمروءة ضمناً      قبراً بمرور على الطريق الواضح  
ومثلت صورت والجراحة الجرح والنجلاء الواسعة يقول : لما نظرت إلى صورت في قلبى مثال عينك جرحاً واسعاً فتشابهت عينك وذلك الجرح في الاتساع .  
(٢) نفذت أى العين والسابري الدرع المحكمة الدقيقة النسيج نسبة إلى سابور ويقال للثياب الرقيقة سابرية ، قال ذو الرمة :

لجأت بسج العنكبوت كأنه      على عصويها سابري مشرق

والصعدة القناة التي تنبت معتدلة فلا تحتاج إلى تقويم يقول — إذا كان يريد بالسابري الدرع — اخترقت عينك الدرع إلى قلبى فلم تحصنه الدرع من نظرتها مع أنها تحصنه من الرمح . وإذا كان المراد بالسابري الثياب يكون المعنى أن عينك نفذت إلى قلبى فجرحته وربما كان الرمح يندق قبل وصوله إلى المكانى من الشجاعة والشجاع موقى والاول أظهر .

(٣) صخرة الوادى فى العادة صلبة بما يتعاورها من السيول ، ومن ثم جعلت مثلاً فى الثبات لأن السيول تجرف ما حولها ولا تستطيع اقتلاعها والجوزاء من أبراج الفلك ، يقول : إذا زوجمت لم يقدر على إزالتي عن موضى كصخرة الوادى وإذا نطقت كنت فى علو المنطق كالجوزاء وقال الواحدى : ويقال إن الجوزاء بيت عطارى فىكون المعنى : منى تستفاد البراعات ويقتبس الفضل كما أن الجوزاء تعطى من يولد فيها البراعة والنطق .

وَإِذَا خَفَيْتُ عَلَى الْعَبِيِّ فَعَاذِرٌ أَنْ لَا تَرَانِي مُقَلَّةٌ عَمِيَاءَ<sup>(١)</sup>  
شِمُّ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكَّكَ نَاقَتِي صَدْرِي بِهَا أَفْضَى أُمِّ الْبَيْدَاءِ<sup>(٢)</sup>

(١) العبي : العافل القليل الفطنة ، وقوله فعاذر : أى فأنا عاذر فهو خبر عن محذوف ، والمقللة : العين ، يقول : إذا خفي مكانى على العبي فلم يعرف قدرى ولم يقدر بفضلى فأنا عاذر له لأنه كالأعمى الذى لا يرى الأشياء والأعمى معذور فكذلك العبي الجاهل . وهذا المعنى ينظر إلى قول ذى الرمة بمدح عمر بن هبيرة :

حَتَّى بَهَّرْتَ فَسَاخَفْنِي عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْمِهِ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَا<sup>(١)</sup>

(٢) صدرى يريد أصدرى ، مخذف همزة الاستفهام لدلالة أم البيداء عليها والبيداء الفلاة سميت كذلك لأن الشأن فيمن سلكها أن يبيد ، والشيمة العادة وشككه حملته على الشك ، وأفضى من الفضاء وهو الاتساع ، يقول : عادة الليالى أن تبعد على طلبى فترمى بطول الأسفار حتى تحمل ناقتى على الشك فى ، أصدرى بها لو جعل مكان البيداء أم البيداء أفضى ؟ لما ترى من سعة صدرى وأناى وتجلدى وصبرى على المشقات والأسفار ، وهذا المعنى هو الظاهر وهو ما ذهب إليه ابن جنى ، ولكن الواحدى كما قل العكبرى نقلا عنه لم يرتضه ، قل : هذا إنما يصح لو لم يكن فى البيت بها ، وإذا رددت الكناية « أى الضمير فى بها » إلى الليالى بطل ما قل لأن المعنى : صدرى بالليالى وحوادثها وما توردته على من مشتقة الأسفار وقطع للفاوز أوسع من البيداء وناقى تشاهد ما أقاسى من السفر وصبرى عليه فيقع لها الشك فى أن صدرى أوسع أم البيداء وعلى هذا أفضى أفضل كما يقال أوسع ، وقال قوم : إن الكناية تعود على الناقة ومعنى أفضى بها أى أدى بها إلى الهزال صدرى أم البيداء ، فمرة تقول : أى الناقة لولا سعة صدره من حيث الهمة وبعد

(١) قبله :

مازلت فى درجات الأمر مرتقيا تمنى وتسموبك الفرعان من مضرا  
قال ابن برى : الذى أورده الجوهري وقد بهرت وصوابه حتى بهرت أى علوت  
كل من يفاخره فظهرت عليه ، وقوله على أحد : أحد ههنا بمعنى واحد لأن أحدا  
المستعمل بعد النفي فى قولك : ما أحد فى الدار لا يصح استعماله فى الواحد .

فَتَبَيَّتْ تُسْنِدُ مُسْنِدًا فِي نَيْهَا إِسَادَهَا فِي الْمَهْمَةِ الْإِنْضَاءُ (١)  
أَنْسَاعُهَا مَمْقُوطَةٌ وَخِفَافُهَا مَنكُوحَةٌ وَطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ (٢)

المطلب لما أتعبني بالسفر ومرة تقول البيداء هي التي تذهب لحمي وتودي بي إلى الهزال وعلى هذا أفضى فعل ويجوز أن يكون اسما وإن عادت الكناية إلى الناقة . والمعنى أن ناقتي قوية نجية يضمن بثلمها وهي ترى إتعابي إياها واستنادي عليها في الأسفار فتقول صدرى أوسع بي حيث طابت نفسه في إهلاكى أم البيداء ؟ أى لولا أن له صدرا في السعة كالبيداء لم تطب نفسه بإهلاكى . قال الواحدى: والقول هو الأول وهو رد الكناية إلى اللبالي « هذا » وتشبيه الصدر بالبيداء في السعة معنى قد اعتوره الشعراء .  
قال أبو تمام :

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعها لم يضق عن أهله بلد  
وقال الجعفي :

كريم إذا ضاق الزمان فإنه يضل الفضاء الرحب في صدره الرحب  
(١) الإسَادُ إِدْمَانُ السَّيْرِ أَوْ سِيرُ اللَّيْلِ خَاصَةً وَالنَّبِيَّ الشَّحْمَ وَالسَّمْنَ وَالْإِنْضَاءُ  
مصدر أنضاه ينضيه إذا هزله والمهمة الصحراء ومسندا حال من ضمير تسند العائد على  
الناقة وهو اسم فاعل فاعله الإنضاء وأسأدها مفعول مطلق عامله مسندا وتقدير البيت  
تبيت هذه الناقة تسند مسندا الإنضاء في نيا إسآدا مثل إسآدها في المهمة يقول : تبيت  
ناقتي تسير سائراً في جسدها الهزال مثل سيرها في الصحراء . وهذا المعنى ينظر إلى قول  
أبي تمام .

رَعْتَهُ الْفَيْكَايَ بَعْدَ مَا كَانَ حَقِيَّةً رَعَاهَا وَمَاهُ الرَّوْضُ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ  
(٢) الأنساع جمع نسع وهو سير كهيئة العنان يشد به الرجل ، والغبط المد وذلك  
كناية عن عظم بطن الناقة حين امتدت أنساعها فطالت ، وخفافها منكوحه أى  
مثقوبة بالحصى وكفى بهذا عن وعورة الطريق ومنكوحه أى مدمية من الحصى  
واستعار النكاح لوطئها الأرض وإدماها الحصى إياها . وطريقها عذراء أى لم تسلك  
قبلها وأصل العذراء التي لم تفتض . ومن طريق ما ذكره الشراح هنا ما أورده  
العكبري قال : قال الشيخ أبو محمد عبد المنعم بن صالح النهوي عند قرأته عليه هذا  
الديوان ومدوصلت إلى هذا البيت : سألتني الملك الكامل أبو المعالي محمد بن أبي بكر  
(١٠ — المتنى ١)

يَتَلَوْنَ الْخَرِيَّتُ مِنْ خَوْفِ التَّوَى فِيهَا كَمَا يَتَلَوْنَ الْخَرِبَاءَ (١)  
بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي عَالِيٍّ مِثْلُهُ شَمُّ الْجِبَالِ وَمِثْلُهُنَّ رَجَاءُ (٢)  
وَعِقَابُ لُبْنَانَ وَكَيْفَ بَقِطْعِمَا وَهُوَ الشِّتَاءُ وَصَيْفُهُنَّ شِتَاءُ (٣)

ابن أيوب ملك الديار المصرية والشام والحرمين عن هذا البيت في قوله وطريقها عذراء  
فقلت له : يريد أنها صعبة لم تسلك ، فقال لي : هذا يدل على أن المدوح لا يعرف ولا له  
ذكر ولا نائل لأن الطريق إليه عذراء لم تطرق والمدوح إذا كان له عطاء وذكر  
ويعرفه القصاد ، كانت الطريق إليه لا تنقطع . . . ولقد أحسن في هذا النقد .

(١) الخريت الدليل سمى خريتا لاهتدائه في الطرق الخفية كخرت الإبرة كأنه  
يعرف كل ثقب في الصحراء ، والتوى الهلاك ، والحرباء دوية على شكل سام أبرص  
ذات قوائم أربع دقيقة الرأس مخططة الظهر تستقبل الشمس وتكون معها كيف  
دارت وتتلون ألوانا بخر الشمس . يقول : إن هذه الأرض طريقها صعبة يتلون الدليل  
فيها خوف الهلاك كما يتلون الحرباء ويتغير لونه فهو يدور يمينا وشمالا لطلب الطريق  
وفي هذا المعنى يقول هديبة :

يظل بها الهادي يقرب طرفه من الهول يدعو ويله وهو لاهف

ويقول الطرماح :

إذا اجتأبها الخريت قال لنفسه أتاك برحلى حائن بعد حائن

(٢) شم الجبال : بدل من « قوله مثله » ، ونصب مثلهن على الحال لأنه نعت  
للسكرة المرفوعة فقدم عليها فنصب على الحال كقولك : فيها قائما رجل ، وكقول  
ذى الرمة :

وَتَحَّتْ الْعَوَالِي وَالْقَنَا مُسْتَنْظَلَةٌ ظِلَابًا أَعَارَسَهَا الْعُيُونُ الْجَاذِرُ

يقول : بيني وبين هذا المدوح جبال مرتفعة مثله ورجاء عظيم كهذه الجبال .

(٣) وعقاب عطف على شم الجبال ، وعقاب جمع عقبة وهي المرتقى الضعب من  
الجبل والباء في بقطعها متعلقة بمحذوف تقديره : وكيف أقوم بقطعها أو كيف الظن  
مثلا . وكيف استفهام في المعنى الإنكارى ، وواو « وهو الشتاء » للحال والضمير ضمير الشأن

لَبَسَ الثَّلُوجُ بِهَا عَلَيَّ مَسَالِكِي فَكَأَنَّهَا بِيَاضِهَا سَوْدَاءُ (١)  
وَكَذَا الْكَرِيمُ إِذَا أَقَامَ بِيَلْدَةِ سَالَ النَّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ (٢)  
جَمَدَ الْقَطَارُ وَلَوْ رَأَتْهُ كَمَا تَرَى بُهِتَتْ فَلَمْ تَتَبَجَّسِ الْأَنْوَاءُ (٣)

يقول: وكذلك بين وبينه عقاب جبل لبنان وكيف أستطيع قطعها والوقت شتاء  
وصيفها مثل الشتاء فكيف شتاؤها؟!

(١) لبس الشيء ولبسه عماه، قال تعالى: «وللبسنا عليهم ما يلبسون» والضمير  
فيها للعقاب والضمير في كأنها للثلوج أو للسالك وباء بياضها متعلقة بمعنى كأن أي  
التشبيه، يقول: إن الثلوج في هذه الجبال أخفت على طرق فلم أهتد لكثرتها وبياضها  
فكأنها اسودت اسوداد الليل إذ ضللت فيها لأن الأسود لا يهتدى فيه، وهذا معنى حسن  
كما ترى.

(٢) النضار الذهب، والنضار أيضا الخالص من كل شيء، وقام الماء جمدا ومعنى  
هذا البيت متصل بالذي قبله لأنه يقول بياض الثلوج يعنى قمام مقام السواد، واليباض إذا  
عمل عمل السواد فقد نقض العادة كذلك الكريم إذا أقام بيلدة نقضت العادة فيكون  
الذهب سائلا والماء جامدا، وإنما قال هذا لأنه أتاه في الشتاء عند جمود الماء. يقول:  
إن الكريم إذا أقام بيلدة أعطى المال وتخرق في الكرم حتى لكان المال ماء سائل  
فلما رأى الماء هذا الكرم وقف متبلدا متبلدا جامدا، وهو تخيل بديع.

(٣) الأنواء فاعل رأته ويجوز أن ترتفع الأنواء برأت وبهتت وتبجس على التنازع  
وفاعل ترى يعود على اقطار، ويروى بدل ترى رأى: أي اقطار ولكن ترى أحسن  
لأن القطار مؤنثة، والقطار جمع قطر، وقطر جمع قطرة وهي المطر، وبهتت  
دهشت وتحيرت، وتبجس تنفجر، والأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من الغرب وطلوع  
زقيه من الشرق وهي منازل القمر والعرب تنسب إليها الأمطار يقولون: سقينا بنوء  
كذا. ويريد بجمود القطار الثلوج يقول: إن المطر جمدا لما رأى كرم هذا المدوح  
ولو رأته الأنواء كما رآه المطر لتحيرت ودهشت ولم تنفجر فلم تأت بمطر استغظاما لما  
يأتيه وخجلا من جوده.

فِي خَطِّهِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ شَهْوَةٍ حَتَّى كَأَنَّ مِدَادَهُ الْأَهْوَاءَ (١)  
 وَلِكُلِّ عَيْنٍ قُرَّةٌ فِي قُرْبِهِ حَتَّى كَأَنَّ مَغْيِبَهُ الْأَقْدَاءَ (٢)  
 مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعْرَاءَ (٣)  
 فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْقَوَافِي جَوْلَةٌ فِي قَلْبِهِ وَلَا أُذُنَهُ إِضْفَاءَهُ (٤)  
 وَإِغَارَةٌ فِيمَا احْتَوَاهُ كَأَنَّهَا فِي كُلِّ بَيْتٍ فَيَلْتَقُ شَهْبَاءَهُ (٥)

(١) اللداد الحبر ، والأهواء جمع هوى بالقصر وهو صبوة القلب يصفه بحسن الخط يقول : كأن مداده من أهواء الناس فهم يحبون خطه ويميلون إليه شغفاً به وافتناناً بحسنه ، ويجوز أن يكون هذا كناية عن وصفه بالجلود يقول : لا يوقع إلا بالنوال ولذلك يهفو الناس إلى خطه ، ويجوز أن يكون ذلك كناية عن طاعة الناس له أى أن كتبه تقوم مقام الجيوش لأن الناس يتقادون إليه غريزة وطبعاً ، ولعل الأقرب أن الناس لحبهم إياه وشغفهم برؤيته يهاتفون على كل ما يكتبه لأن فيه بعض ما يشتهون على حد قولهم : المكتابة نصف المشاهدة .

(٢) قرة العين كناية عن السرور ، قررت عينه بردت ، ودمع الفرح بارد والأقضاء جمع قذى وهو ما يقع في العين والشراب من تراب ونحوه والمغيب الغيبة ، يقول : كل عين تسر بقربه ورؤيته وتتأذى بغيته فكأن غيبته قذى للعيون .

(٣) من بمعنى الذى خبر ضمير محذوف يرجع إلى المدحوق وتقدير البيت : هو الذى يهتدى فى الفعل إلى ما لا يهتدى الشعراء إليه فى القول حتى يفعل هو فضمير يفعل يعود إلى من ، والشعراء فاعل يهتدى ، يقول : إنما يقتدى الشعراء فيما يقولون من المدائح بأفعاله من المكارم والمساعى العظام فإذا فعل هو تعلموا من فعله القول فحكوا ما فعله .

(٤) القافية المقصيدة لأن بعضها يقفو بعضها أى يتبعه أو تسمية للسكل باسم البعض ، يقول : إن الشعراء تتوارد عليه بالمدائح بالتوالى فهو لا ينفك عن الإضفاء جبا للشعر وارتياحا إلى إعطاء الشعراء .

(٥) إغارة عطف على جولة ، وما احتواه أى جمعه واقتناه من مال والفيلق الكتيبة من الجيش أثنه فقال شهباء باعتبار معنى الجمع وكل جمع مؤنث والشهباء التى غلب يانها على سوادها ، يعنى صافية الحديد ، يقول : وللقوافي كل يوم إغارة على ماله حتى لسكان كل بيت كتيبة تنهب ما احتواه .

مَنْ يَظْلِمُ اللُّؤْمَاءَ فِي تَكْلِيفِهِمْ أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمْ لَهُ أَكْفَاءُ (١)  
وَنَذِيمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَبِضِدِّهَا تَتَبَّيْنُ الْأَشْيَاءَ (٢)

(١) من بمعنى الذي خبر مبتدأ محذوف تقديره هو الذي يظلم الح والليم الحسيس الأصل والنفس ضد الكريم ويصبحوا هنا تامة والجملة بعد حال والأكفاء النظراء والأمثال ، يقول : إن اللثام يحاولون التشبه به حسداً له وهم لا يقدرون على ذلك فكأنه ظلمهم ، إذ كلفهم أن يماثلوه ولكنهم لم يستطيعوا ، قال الواحدى ما معناه : ليس في هذا كبير مدح ولقد كان أبلغ في اللدح أن يقول : الكرماء بدل اللؤماء على أن مثل هذا المعنى وهو أنه أفضل من اللؤماء ولا يقدرون أن يكونوا ، مثله مما لا يليق بمذهبه في إشاره المبالغة. وروى الخوارزمي نظلم بالنون ، وقال : إذا كلفنا اللثام أن يكونوا أكفاء له فقد ظلمناهم في تكليفهم ما لا يطيقون .

(٢) ذامه كذمه ، وقوله ونذيمهم مما يؤنس ما ذهب إليه الخوارزمي في روايته البيت السابق من نظلم بالنون ، يقول المتنبي : ونحن نذم اللثام ولولاهم ما عرفنا فضله لأن الأشياء إنما تتبين بأضدادها فلو كان الناس كلهم كراماً لم يعرف فضله ، وهذا المعنى قد تعاوره كثير من الشعراء قال بشار :

وَكَنَّ جَوَارِي الْحَيِّ مَا دَمَتْ فِيهِمْ قِبَاحًا فَلَمَّا غَبَّتْ صِرْنٌ مِلَاحًا  
وقال أبو تمام :

وَلَيْسَ يَعْرِفُ طَيْبَ الْوَصْلِ صَاحِبُهُ حَتَّى يُصَابَ بِنَايٍ أَوْ بِهَجْرَانٍ  
وقال :

وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا فَهُوَ الَّذِي أَنْبَأَكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا  
وقال :

سَمَجَتْ وَنَبَّهْنَا عَلَى اسْتِسْمَاجِهَا مَا حَوَّلَهَا مِنْ نَضْرَةٍ وَجَمَالٍ  
وَكَذَلِكَ لَمْ تُفْرِطْ كِتَابَةً عَاطِلٍ حَتَّى يُجَاوِرَهَا الزَّمَانُ بِحَالِي  
وقال البحتري :

وَقَدْ زَادَهَا أَفْرَاطَ حُسْنِ جَوَارِهَا خَلَائِقَ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خُيَّبِ  
وَحُسْنُ دَرَارِي الْكُوكِبِ أَنْ تُرَى طَوَالِعَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْبِ

مَنْ نَفَعَهُ فِي أَنْ يَهَاجَ وَضَرَّهُ فِي تَرَكَه لَوْ تَنَطَّنَ الْأَعْدَاءُ (١)  
فَالسَّلَامُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبِرُ الْهَيْجَاءُ (٢)  
يُعْطَى فَتُعْطَى مِنْ لَيْسَ يَدِهِ اللَّهُي وَتُرَى بِرُؤْيَا رَأْيِهِ الْآرَاءُ (٣)  
مُتَفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقَوَى فَكَأَنَّهُ السَّرَاءُ وَالصَّرَاءُ (٤)

يبد أن التنبى صرح بالمعنى وهو أن مجاورة المضادة هي التي تثبت حسن الشيء، وقبحه (١) من بمعنى الذي يدل من الأول يقول : وهو الذي إذا هاجه أعداؤه واستثاروه للحرب استباح أموالهم وحرمتهم فانتفع بذلك وإذا تركوه لم ينتفع فاستضر بذلك فلو فطن أعداؤه لهذا منه لساووه فتسببوا إلى مضرتهم .

(٢) السلم بفتح السين وكسرهما ضد الحرب ، والجناح بمعنى اليد والعضد استعاره للمال لأنه موطن القوة ، والنوال العطاء وما من قوله ما تجبر مفعول يكسر والجبر ضد الكسر والهيجاء من أسماء الحرب وهذا البيت مفرع على البيت السابق يقول : إنه في الحرب يأخذ مال أعدائه يعطيه عفاته في السلم وبذلك يكون السلم سبباً في نقص أمواله والحرب سبباً في توافرها ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

إذا ما أغاروا فاحتووا مال معشر أغارت عليه فاحتوته الصنائع

(٣) اللعى العطايا الجزيلة جمع لهوة بضم اللام وهي في الأصل القبضة من الحبوب يلتقيها الطاحن في فم الرحى فشبهت العطية بها ، يقول : إنه يعطى عفاته العطاء الجزل الكثير حتى يعطوا غيرهم من هذه العطايا فيصير سائله مسئولاً وهو من جودة الرأي وسداده بحيث إذا نظير الناس إلى رأيه تعدوا منه سداد الآراء .

(٤) يقول : فيه حلاوة لأوليائه ومرارة لأعدائه فهو متفرق الطعمين مختلفهما فكأنه السراء والضراء ولكن مع ذلك مجتمع القوى غير متفرق العزائم فأفعاله تصدر عن عزم جميع ورأى مستحصداً والتشبيه بالسراء والضراء في اللين والشدة مترتب على المعنى الأول وأصل هذا المعنى للبيد :

مُتَمَرِّمٌ مَرًّا عَلَى أَعْدَائِهِ وَعَلَى الْأَدْنَيْنِ حُلُوٌّ كَالْعَسَلِ  
« متمر أي مر » وقال النابغة الجعدي :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسْرُ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعْدِيَا

وَكَاثَهُ مَا لَا تَشَاءُ عُدَاتُهُ      مُتَمَثِّلًا لَوْ فُودِهِ مَا شَاءُوا (١)  
 يَا أَيُّهَا الْمَجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ      إِذْ لَيْسَ يَأْتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاؤُهُ (٢)  
 أَحْمَدُ عَفَاتِكَ لَا فُجِعْتَ بِفَقْدِهِمْ      فَلَتَرَكُ مَا لَمْ يَأْخُذُوا بِإِعْطَاؤِهِ (٣)  
 لَا تَكْتُرُ الْأَمْوَاتُ كَثْرَةَ قِلَّةِ      إِلَّا إِذَا شَقِيَتْ بِكَ الْأَحْيَاءُ (٤)

وأخذه السيب بن علس فقال :

هُمُ الرِّبِيعُ عَلَى مَنْ صَافَ أَرْحُلَهُمْ      وَفِي الْعَدُوِّ مَنَاكِيدٌ مَشَائِمُ  
 وقال علانة :

وكنتم قديماً في الحروب وغيرها ميامين للأدنى لأعدائكم نكد

(١) ما ، في الشطرين موصولة وهي في الأول خبر كأن ، ومتمثلاً منصوب على الحال يقول : وكأنه صور على ما يكرهه أعداؤه من إرغامهم وحملهم على الحسد حال تمثله لمن يفد عليه رحاء نواله كما يشاءون فيكون عند ظنهم به ويحقق آمالهم فيه .

(٢) المجدى عليه المعطى وروحه نائب فاعل المجدى والاستجداء الاستعطاء ، يقول يامن روحه معطى له من العفاة إذ ليس يطلبها منه أحد منهم ، فكأنهم قد جادوا بها عليه ، يعنى أنه لو سئل روحه لبذله لتخرقه في الجود فإذا لم يسأل فكأنه وهب روحه وهذا من قول مسلم بن الوليد وضمنه أبو تمام إحدى قصائده .

ولو لم يكن في كفه غير رُوحِهِ      جَلَادَ بِهَا فَلَيْتَقَى اللَّهَ سَائِلُهُ  
 (٣) هذا البيت إتمام لعنى البيت قبله وتأكيده والعفاة جمع عاف وهو طالب المعروف وقوله لا فُجِعْتَ بفقدهم دعاء له واللام في قوله فلتترك لام الابتداء ، يقول : اشكر هذا لعفاتك لا أفجعك الله بفقدهم لأنك تحب العطاء والسؤال . ويروى لا فُجِعْتَ بحمدهم

أبى لا قطع الله شكرهم عنك

(٤) اضطربت أقوال النسراج في هذا البيت ، فذهب المعري والواحدى إلى أن المعنى : لا تكثر الأموات كثرة يقل بها عدد الأحياء إلا إذا شقى الأحياء بغضبك وقتلك إياهم فإذا غضبت عليهم وقتلتهم عصفت بهم فردت في الأموات زيادة ظاهرة ونقص الأحياء نقصاً بيناً ، وإليك نص عبارة أبي العلاء : شقوا به أى بقتله إياهم وأن الأحياء إذا شقيت بك كثرت الأموات وتلك الكثرة تؤدي إلى القلة ، إما لأن الأحياء يقلون بمن

وَالْقَلْبُ لَا يَنْشَقُّ عَمَّا تَحْتَهُ حَتَّى تَحُلَّ بِهِ لَكَ الشَّحْنَاءُ (١)  
 لَمْ نُسَمَّ يَا هَرُونَ إِلَّا بَعْدَمَا أَوْ تَرَعَتْ وَنَارَعَتْ اسْمَكَ الْأَسْمَاءُ (٢)  
 فَفَدَوْتُ وَاسْمُكَ فِيكَ غَيْرُ مُشَارِكٍ وَالنَّاسُ فِيمَا فِي يَدَيْكَ سِوَاهُ (٣)

يموت منهم وإما لأن الميت يقل في نفسه ، وقال ابن جنى : شقيت بك أى شقيت بفقدك  
 أى لا تصير الأموات أكثر من الأحياء إلا إذا مات المدوح ، يقول : إنك نعمة على  
 الأحياء وفقدك شقاء لهم ، وهذا على حد قول القائل :

لَعَمْرُكَ مَا الرَّزِيَّةُ فَقْدُ مَالٍ وَلَا شَاةٌ تَمُوتُ وَلَا بَعِيرٌ  
 وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ شَخْصٍ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ

ومنه قول الآخر :

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلِكَهُ هُلَاكٌ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمًا

ويكون قوله : كثرة قلة ، معناه أنك وإن كنت قليلا فى العدد فأنت كثير فى

القدر والشرف

(١) الشحناء العداوة ، قال ابن جنى : يريد . لا يتصدع قلب أحد حتى يعاديك  
 فيضمرك لك العداوة فإذا تأمل ما جنى على نفسه من عداوتك انشق قلبه فمات خوفا  
 وجزعا ، وقال الواحدى تعليقا على ابن جنى . ولم يفسر قوله عما تحته والمعنى عما فيه من  
 الغل والحسد أى أنه وإن أضمر لك الغل والحسد لم ينشق قلبه فإذا أضمر لك العداوة  
 انشق قلبه وبأن أنه عدو لك ، والمعنى بعبارة أخرى : لا يضم القلب أمراً يتصدع به  
 وينشق حتى تحل عداوتك فيه . فإذا حلت ضاق بها وانشق عنها لشدة ماناله من  
 الخوف والجزع .

(٢) اقترعت تساهمت ، يقول : تقارعت الأسماء عليك فكل اسم أراد أن تسمى به  
 افتخارا بك وتشرفا فلم تسم بهذا الاسم حتى تقارعت الأسماء ، وقال المعرى : أراد  
 بالاسم الصيت .

(٣) الواو فى قوله واسمك واو الحال وفيك صلة مشارك . أى لم يشارك اسمك فيك  
 اسما آخر إذ لا يكون للانسان أكثر من اسم ، والناس كلهم فى مالك سواء قد تساوا  
 فى الأخذ منك لا تخص أحدا دون غيره بالعطاء . هذا قول الواحدى وغيره ، وقال

لَعَمَّتْ حَتَّى الْمَدْنُ مِنْكَ مِلاَهُ      وَلَفَّتْ حَتَّى ذَا الثَّنَاءِ لَفَاءَهُ (١)  
 وَجَدَّتْ حَتَّى كِدَتْ تَبْخُلُ حَائِلًا      لِلْمُنْتَهَى وَمِنْ السَّرُورِ بُكَاءَهُ (٢)  
 أَبْدَأَتْ شَيْئًا مِنْكَ يُعْرِفُ بَدْوَهُ      وَأَعَدَّتْ حَتَّى أَنْكَرَ الْإِبْدَاءَهُ (٣)  
 فَالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيرِهِ بِكَ نَا كِبٌ      وَالْمَجْدُ مِنْ أَنْ تُسْتَزَادَ بَرَاهَهُ (٤)  
 فَإِذَا سُنِّتَ فَلَا لِأَنَّكَ مُحْوَجٌ      وَإِذَا كُتِمْتَ وَشَتَّ بِكَ الْآلَاءَهُ (٥)

المعري : يريد بالاسم الصيت أى لم يشركك فى صيتك أحد ، يقال . فلان قد ظهر اسمه فى الناس أى صيته فذكره لا يشاركه فيه أحد وإنما مالك الناس فيه سواء غنيهم وفقيرهم (١) اللام فى لعممت واقعة فى جواب قسم محذوف على إضمار قد بعدها والمدن جمع مدينة وملاء جمع ملاءى ومنك متعلق بملاء وقت تجاوزت وذا انشاء أى هذا انشاء واللفاء الحفير الحسيس يقول : لقد عم برك وشاع ذكرك حتى امتلأت بك البلاد وسبقت ثناء المثين عليك حتى أصبح هذا الثناء يعد حقيرا فى جانب ما استحقه وهذا البيت يسمى مصرعا لأنه قفى فيه المصراع الأول كما يفعل فى أول القصائد .

(٢) حائلا متحولا ، وللمنتهى أى لأجل الانتهاء ، ومن السرور خبر وبكاء مبتدأ والجملة استثنائية يقول : ولقد بلغت من الجود أقصاه حتى كدت تتحول عن آخره حين تناهيت إليه وتعود إلى البخل إذ ليس من شأنك أن تقف فى الكرم عند غاية وليس هناك جود بعد أن بلغت نهايته ، ومثل ذلك السرور إذا اشتد تحول إلى بكاء .

(٣) أبدأت أحدثت وجددت، وأعدت كررت ، ومنك متعلق يعرف أو يبدؤه ، يقول : أحدثت من الكرم مالا يعرف ابتداءه إلا منك لعظم ما أتيت به ثم أتيت ذلك من الزيادة فيه بما عنى على الأول وأنساه لأنك فى كل وقت تخلق فنا من الكرم ينسى به الأول .

(٤) ناكب : عادل ، يقال . نكب عن الطريق إذا عدل عنه ، وبك متعلقة بنا كب أو بتقصير ، وبراء برى . يقع على الجمع والواحد والمذكر والمؤنث ، يقول : إن الفخر قد أعطاك مقادته وأركبك ذروته وبلغك غايته فلم يقصر بك عن غاية والمجد برى . من أن يستزيدك لأنك فى الغاية منه .

(٥) الوشى فى الأصل النجيمة والمراد هنا دلت ، والآلاء انعم والعطايا وكتمت

وَإِذَا مَدَحْتَ فَلَا لِتَكْسِبَ رَفْعَةً      لِلشَّاكِرِينَ عَلَى الْإِلَهِ ثَنَاءً (١)  
وَإِذَا مَطَرْتَ فَلَا لِأَنَّكَ مُجْدِبٌ      يُسْقَى الْخَصِيبُ وَتُمْطَرُ الدَّأْمَاءُ (٢)  
لَمْ تَحْكُ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا      حَمَّتْ بِهِ فَصَبَّيْهَا الرُّحَضَاءُ (٣)

حجبت ، يقول . إذا سئلت فليس لأنك أحوجت الناس إلى السؤال ولكن ذلك لكي تعرف تفاصيل حاجاتهم أو لكي يتشرفوا بسؤالك ، كما قال أبو تمام  
ما زلت مُنتظراً أُعجوبة زَمَنًا      حَتَّى رَأَيْتُ سُؤَالَ يَجْتَنِي شَرَفًا  
وَإِذَا كَتَمْتُ أَى حَجَبْتِ عَنِ أَنْظَارِ النَّاسِ دَلَّتْ عَلَيْكَ نِعْمَكَ وَصَنَائِعَكَ فَصَمَدٌ  
إِلَيْكَ الْعَفَاةُ كَمَا قَالَ :

من كان ضوه جبينه ونواله      لم يُحجبا لم يَحْتَجِبْ عَن نَازِرِ (١)  
(١) الرفعة الاسم من الارتقاع والشكر عرفان الإحسان وإن شئت قلت مقابلة  
النعمة بالقول والفعل والنية فيثنى على النعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه  
موليها . وللشاكرين خبر مقدم وثناء مبتدأ مؤخر وعلى الإله متعلق بثناء ، يقول : ولقد  
بلغت من الرفعة غاية لا يزيد بها مدح مادم ولكن تمدح لتجز العفاة وليعد الشاعر في  
جملة مداحك كالشاكركم الله تعالى يثنى عليه ليستحق أجراً ومشوبة لا أنه سبحانه  
محتاج إلى ثنائه .

(٢) الجذب المحل ضد الحصب . والدأماء البحر على فعلاء قال الأفوه الأودى  
وَاللَّيْلُ كَالدَّأْمَاءِ مُسْتَشْعِرٌ      مِنْ دُونِهِ لَوْ نَأَى كَلَوْنَ السُّدُوسِ (١)  
يقول : إذا مطرت فليس ذلك لإجذاب محلك ولكن كما يطر المكان الحصب  
والبحر وهما غير محتاجين إلى المطر ومن هذا المعنى قول المعري :  
وَالْبَحْرُ يَمُطِرُهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ      فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ  
(٣) النائل العطاء ، والسحاب جمع سحابة وجمع السحاب سحاب فيكون سحب  
جمع الجمع قال تعالى . «حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً» والرحضاء العرق أثر الحمى يقول :  
ليست تحكي السحاب بمائها عطاءك المتابع فإنه أكثر من مائها وأغزر ولكنها حمت  
حسدك ، فما ينصب من مطرها إنما هو عرق حماها وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

(١) السدوس : الطيلسان

لَمْ تَلْقَ هَذِهِ الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بِوَجْهِ لَبَسَ فِيهِ حَيَاةُ (١)  
فَبِأَيِّمَا قَدِيمٍ سَعَيْتَ إِلَى الْعَالَا أَدُمُ الْهَلَالِ لِأَخْمَصِيكَ حِدَاةُ (٢)  
وَلَاكَ الزَّمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وَقَايَةُ وَلَكَ الْحِمَامُ مِنَ الْحِمَامِ فِدَاةُ (٣)  
لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى اللَّذِمِينَكَ هُوَ عَقَمْتَ بِمَوْلِدِ نَسْلِيهَا حَوَاةُ (٤)

إن السحاب لتستحي إذا نظرت إلى نذاك فقاسته بما فيها  
قال البديعون . وفي هذا البيت حسن التعليل لصفة لا يظهر لها في العادة علة وقد عليها  
بأن عرق سماها الحادثة بسبب عطاء المدوح ، ومن هذا الباب قول بعضهم .

رَأَى الْمَزْنَ مَا تُعْطَى فَضَمَّ عَلَى الْأَسَى فَوَادَا كَأَنَّ الْبُرْقَ فِيهِ لَهِيْبُ  
(١) يقول : لا حاجة إلى الشمس مع ضيائك ونورك ومن ثم كان طلوعها وقاحة  
وقلة حياء منها ، واستعار للشمس وجها للمشاكلة .

(٢) الأدم . جمع أديم وهو ظاهر كل شيء ، والأخص باطن القدم ومارق من  
أسفلها وتجافي عن الأرض وقيل خصر القدم وقد يراد بها القدم كلها وقوله فبأيما قدم .  
استفهام بمعناه التعجب وما زائدة . يتعجب من سعيه إلى العلياء وبلوغه منها حيث لم يبلغ  
أحد ، ثم دعا له بأن يكون وجه الهلال نعلا لقدميه . يعني أن قدما بلغ سعيها هذا المبلغ  
تستحق أن يكون الهلال نعلا لها

(٣) الحمام . الموت يدعوه له ، يقول : ليكن الزمان وقاية لك من عواديه أي  
لهلك الزمان بها دونك ولجئت الموت فداء لك من نفسه . وكل هذا كما ترى مبالغة  
في الدعاء .

(٤) اللذ : لغة في الذي وتسكن الواو من هو ضرورة ، أو على لغة ، والعقم عدم الولد  
يقول : لو لم تسكن من هذا الوري الذي كأنه منك لأنك جماله وشرفه وأفضل أهله  
لكانت حواء في حكم العقيم التي لم تلد ولكنها بك صارت ذات ولد ، والشطر الأول  
ردى . ولكن الثاني جميل على أنه يلاحظ أن التنبي يخاطب - كما أسلفنا - رجلا يذهب  
ومذهب الصوفية .

وغنى المغنى في دار الأمير أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج فأحسن فقال:

مَاذَا يَقُولُ الَّذِي يُغْنِي      يَا خَيْرَ مَنْ تَحْتِ ذِي السَّمَاءِ<sup>(١)</sup>

شَغَلَتْ قَلْبِي بِلِحْظِ عَيْنِي      إِلَيْكَ عَنْ حُسْنِ ذَا الْغِنَاءِ<sup>(٢)</sup>

وبنى كافور داراً بإزاء الجامع الأعلى على البركة ، وطالب أبا الطيب

بذكرها فقال :

إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ      وَلِمَنْ يَدِّي مِنَ الْبُعْدَاءِ<sup>(٣)</sup>

وَأَنَا مِنْكَ لَا يَهْنِي عَضْوُ      بِالْمَسْرَاتِ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ<sup>(٤)</sup>

مُسْتَقِلُّ لَكَ الدِّيَارَ وَلَوْ كَا      نَ نَجُومًا آجِرُهُ هَذَا الْبِنَاءِ<sup>(٥)</sup>

وَلَوْ أَنَّ الَّذِي يَخْرِجُ مِنَ الْأَمْوَالِ فِيهَا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ<sup>(٦)</sup>

أَنْتَ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تَهْنَى      بِمَكَانٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ<sup>(٧)</sup>

(١) و (٢) الاستفهام للتعجب ، وذى السماء أى هذه السماء ، يقول : لا أدرى ما يقول هذا المغنى لأن قلبى وجوارحى مشغولة بك وبالنظر إلى حسنك عن حسن غناء هذا المغنى

(٣) و (٤) يدنى من الدنو أى يقرب ، وأنا منك مبتدأ وخبر ، ولا يهني\* عضو كلام مستأنف يقول : إنما يهني\* الرجل نظراؤه والذين يتقربون إليه من الأجانب وأنا منك ، أى أنا وأنت كإنسان واحد وإذا ألم بإنسان فرح وعراه سرور اشتركت في ذلك جميع أعضائه فلم يهني\* بعضها بعضا . قال الواحدى : وهذا طريق التنبي يدعى لنفسه المساهمة والكفاءة مع المدوحين في كثير من المواضع وليس ذلك للشاعر فلا أدرى لم احتمال ذلك منه ؟

(٥) و (٦) مستقل خبر مبتدأ محذوف . أى أنا مستقل ، و يروى أستقل والآجر . الطوب المشوى ، ويخر . من خرب الماء ، يقول : أنا أستقل لك الديار وإن بنيت بالنجوم بدل الآجر — ولو أن الماء من فضة ، وذلك لرفعة قدرك وعلو شأنك . (٧) محلة أى منزلة تميز ، وأن تهنى ، فى موضع نصب بإسقاط حرف الجر أى من أن تهنى

وَلَكَ النَّاسُ وَالْبِلَادُ وَمَا يَسْرَحُ بَيْنَ الْعَبْرَاءِ وَالْخَضْرَاءِ (١)  
وَبَسَاتِينِكَ الْجِيَادُ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ سَمَّهْرِيَّةٍ سَمْرَاءِ (٢)  
إِنَّمَا يَفْخَرُ الْكَرِيمُ أَبُو الْمَسْكِ بِمَا يَبْتَنِي مِنَ الْعَلِيَاءِ (٣)  
وَبِأَيَّامِهِ الَّتِي أَنْسَلَخْتَ عَنْهُ وَمَا دَارَهُ سِوَى الْهَيْجَاءِ (٤)  
وَبِمَا أَثَرَتْ صَوَارِمُهُ الْبِيضُ لَهُ فِي جَمَاجِمِ الْأَعْدَاءِ (٥)  
وَبِمَسْكِ يُكْنَى بِهِ لَيْسَ بِالْمَسْكِ وَلَكِنَّهُ أَرِيحُ الثَّنَاءِ (٦)  
لَا بِمَا يَبْتَنِي الْخَوَاضِرُ فِي الرَّيِّ مِثْلَ مَا يَطْبِي قُلُوبَ النِّسَاءِ (٧)

(١) و (٢) العبراء : الأرض . والخضراء : السماء . وفي الحديث : ما أقلت العبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر . والسهمرية . الرماح يقول : أنت أعلى منزلة من أن تهنا بمكان والبلاد كلها والناس وكل ما بين السماء والأرض ملك لك ونزعتك إنما هي الخيل وما تحمله من الرماح فهي بساتينك . جعل الرماح على الخيل كالحمل على الشجر .

(٣) يقول : إنما فخره بما يبتني من العلياء ، لا بما يبتني من الدور كما قال :

بَنَى الْبِنَاءَ لَنَا مَجْدًا وَمَكْرَمَةً لَا كَالْبِنَاءِ مِنَ الْأَجْرِّ وَالطَّيْنِ

قالوا : والعلياء إذا فتحت عينها مدت ، وإذا ضمت قصرت .

(٤) و (٥) وبأيامه . عطف على قوله بما يبتني ، وكذلك قوله وبما أثرت ، وانسلخت مضت ؛ والهيجاء الحرب ؛ والصوارم السيوف . يقول : إنما فخر أبي المسك بما يبتني من العلياء وبأيامه التي مضت والمعروفة بالفتوح وقتل الأعداء ، ولم يكن له إذ ذلك دار إلا ساحة الحرب ، وبها شاد عزه وعلياه .

(٦) وبمسك . عطف كذلك على بما يبتني . ويكنى به صفة لمسك ، وليس بالمسك صفة أخرى ؛ والأريح فوحان الطيب . يقول : وإنما يفخر بالمسك الذي يكنى به والذي ليس هو المسك المعروف ، وإنما هو كناية عن طيب الثناء والذكر الجميل والصيت الحسن . «هذا» وهو معلوم أن كافور الأخشيدى كان يقال له أبو المسك .

(٧) يبتني الخواضر . أى أهل الخواضر ، جمع حاضرة ، خلاف البادية . والريف .

تَزَلَّتْ إِذْ نَزَلَتْهَا الدَّارُ فِي أَحْسَنِّ مِنْهَا مِنَ السَّنَا وَالسَّنَاءِ<sup>(١)</sup>  
حَلَّ فِي مَنبِتِ الرِّيَّاحِينَ مِنْهَا مَنبِتُ الْمَكْرُمَاتِ وَالْآلَاءِ<sup>(٢)</sup>  
تَفْضُحُ الشَّمْسُ كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاءَ<sup>(٣)</sup>  
إِنَّ فِي ثَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ لَضِيَاءٌ يُزْرِي بِكُلِّ ضِيَاءٍ<sup>(٤)</sup>  
إِنَّمَا الْجِلْدُ مَبْلَسٌ وَابْيَضَاضُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ ابْيَضَاضِ الْقَبَاءِ<sup>(٥)</sup>

المكان الحصب الكثير الزرع والحضرة . ويطي . يستميل . قال كثير .  
له نعل لا يطبي الكلب ريحها وإن وضعت وسط المجالس شمت  
« يعني كثير أنها من جلد مدبوغ طيب الريح . والنعل بسكون العين مؤنثة ؛  
ولكن كثيرا فتحها لاقتحاح ما قبلها . أي إن حركتها حركة إتباع » يقول المتنبي :  
إنما يفتخر أبو المسك بما تقدم من ابتناء العلياء وقتل الأعداء وطيب الثناء ، لا بما  
يبتنى المتحضرون من المنازل ولا بالمسك الذي يستميل قلوب النساء  
(١) السنا ، التصور : الضوء والنور . والمدود النرف والرفعة ؛ يقول : إن هذه  
الدار حين نزلتها نزلت منك فيمن هو أفضل منها رفعة ونورا ، فكأنك أنزلت الدار  
في دار أجمل منها وأجل : أي تجملت بك هذه الدار وتزينت بقربك .  
(٢) الرياحين : جمع ريحان جمع ريحانة ، والريحان كل نبت طيب الريح من  
أنواع الشموم ؛ والآلاء : النعم ، والمعنى ظاهر .  
(٣) ذرت الشمس : بدت أول طلوعها . قال الواحدي : يريد أنه في سواده مشرق  
فهو يشرقه في سواده يفضح الشمس ، ويجوز أن يريد شهرته وأنه أشهر من الشمس  
ذكرأ . أو يريد . نقاهه من العيوب ، ويقال للشهور : منير ولتقى من العيوب منير ؛  
ويدل على صحة ما ذكر البيت التالي .  
(٤) أخبر أنه أراد بإنارته ضياء المجد ، وضياؤه شهرته ونقاؤه مما يعاب به . وأن  
ذلك الضياء أتم من كل ضياء ، فهو زرى : أي يستهين بكل ضياء .  
(٥) القباء : الثوب ، يقول : إنما الجلد بمنزلة اللباس فلا قيمة لبياضه وإنما المعول  
عليه يياض النفس ونقاؤها من العيوب ، وهذا المعنى ينظر إلى قول سحيم عبد بنى  
الحسحاس :

كِرْمٌ فِي شَجَاعَةٍ وَذَكَرَ كَلَامًا فِي بَهَاءِ وَقُدْرَةٍ فِي وَفَاءِ (١)  
مَنْ لِيَبِيضَ الْمُلُوكِ أَنْ تُبَدِّلَ اللَّوْنُ نَ بِلَوْنِ الْأُسْتَاذِ وَالسَّحْنَاءِ (٢)  
فَتَرَاهَا بَنُو الْخُرُوبِ بِأَعْيَانِ نِ تَرَاهُ بِهَا غَدَاةَ اللَّقَاءِ (٣)  
يَا رَجَاءَ الْعُيُونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِي  
وَلَقَدْ أَفْنَيْتَ الْمَفَاوِزَ خَيْبِي قَبْلَ أَنْ تَلْتَقِي وَزَادِي وَمَائِي (٤)  
فَارْمِ بِي مَا أَرَدْتَ مِنِّي فَإِنِّي أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِي الرُّوَاءِ (٥)  
وَفُؤَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَانِ نَ لِسَانِي يُرْسِي مِنَ الشُّعْرَاءِ (٦)

إن كنت عبداً فنفسى حرّة كرمماً أو أسود اللون إني أبيض الخلق  
(١) أى لك كرم في شجاعة الخ . يقول : إنك كريم شجاع ، ذكى الطبع ، بهى المنظر ، ذو قدرة على ما تريد ، واف بالعهد والوعد فيما تقول .  
(٢) و (٣) السحناء : السحنة أى المنظر والهيئة ، والأعيان : من جموع العين كطير وأطيّار ؛ وفي أكثر الكلام عيون وأعين . يقول : إن الملوك البيض الألوان يودون أن تبدل ألوانهم بلونك وسحناتهم بسحتك ليراهم أهل الحرب بالعيون التي يرونك بها وذلك أن الأسود مهيب في الحرب ولا يظهر عليه أثر الخوف ولكن من يكفل لهم هذه الأمنية ؟  
(٤) المفاوز : الصحراوات المهلكة ؛ وسميت مفازة على سبيل الفأل بالسلامة كما قيل للديع سليم . يقول : لقد أفنت المفاوز — التي جبتها إليك — خيلى وزادى ومائى . يذكر طول الطريق إليه وأنه صمد إليه من شقة بعيدة ؛  
(٥) و (٦) الرواء : المنظر والشارة . يقول : استكفى ما شئت من أى أمر عظيم تقدف بى إليه فإن قلبى قلب الأسد شجاعة وإن كنت آدمى الصورة وفؤادى فؤاد الملوك عزمًا ورأيا ودهاء وإن كان لسانى لسان شاعر . قيل : إن أبا الطيب يقصد بهذا التعريض إلى طلب ولاية من كافور ، وقالوا : إنه لما أنشده هذه القصيدة أقسم له أن يبلغه ما فى نفسه .

وقال يذكر خروجه من مصر وما لقي في طريقه ويهجو كافورا :

ألا كلُّ ماشية الخيزلي فدا كل ماشية الهيدبي (١)  
وكلُّ نجاة بجاوية خنوف وما بي حُسن المشي (٢)

(١) الخيزلي : مشية للنساء فيها استرخاء وتناقل وتفكك . قال الفرزدق :

حوارية تمشي الضحى مرَّجحةً وتمشي العشي الخيزلي رخوة اليد (١)

والهيدبي : ضرب من مشي الخيل فيه جد وسرعة ، من قولهم أهدب الظليم إذا أسرع . يقول : فدت كل امرأة تمشي الخيزلي كل فرس تمشي الهيدبي : يريد أنه ليس من أهل العزل والعشق والتشبيب بالنساء وإنما هو من أهل السفر . ومن ثم كان مولعا بالخيول ، وهذا من قول أبي تمام :

يرعى بالكعاب الرود طلعة ناثري وبالعرمس الوجناء غرّة آيب (٢)

(٢) وكل : عطف على كل ماشية الهيدبي . والنجاة : الناقة السريعة تنجو بمن ركبها قالوا : ولا يوصف بذلك البعير . وبجاوية : منسوبة إلى بجاوة وهي أرض بالنوبة تعرف نوقها بالسرعة ، وقيل : قبيلة من البربر تنسب إليها هذه النوق قال الطرماح :

بجاوية لم تستدر حول مشير ولم يتخون درها صب آفن (٣)

(١) حوارية يريد الشديدة البياض النقية ، ومرجحة : يريد سمينة ثقيلة فإذا مشت تقيأت في مشيتها . ورخوة اليد : أي مرسلتها ومن أمثال العرب : أرخ يدك واسترخ إن الزناد من مرخ ، يضرب لمن طلب حاجة إلى كريم يكفيك عنده اليسير من الكلام (٢) الكعاب : الجارية الناهد : والرود : الشابة الحسنة الشباب ، والعرمس : الناقة الصلبة ، والوجناء : الناقة العظيمة الوجنتين أو العظيمة :

(٣) المثبر : مثال المجلس للموضع الذي تلد فيه الناقة من الأرض وكذلك المرأة وأكثر ما يقال في الإبل ؛ ومثبر الناقة أيضا حيث تنحر والتخون : انتقص ، والآفن : الذي يحلب الناقة في غير وقت الحلب ، أو الذي يستخرج جميع ما في ضرعها ، والدر اللبن ، وضب الناقة : حلها بالكف .

قالوا : وكان أهل بجاوة هذه يتطاردون على النوق في الحروب وغيرها ، وكانت النوق تنعطف معهم كيفما أرادوا ، فإذا وقعت الحرب في رمية عطف الناقة إليها فأخذها ، وإن وقعت في غير رمية عطفها إليها فأخذها فكانت نوقهم تنعطف معهم حيث أرادوا .

حكى ابن جنى عن المتنبي قال : يرمى الرجل من أهل بجاوة بالحربة فإذا وقعت في الرمية طار الجمل إليها حتى يأخذها صاحبها . ويقال : خنف البعير في مشيه إذا سار قلب خنف يده إلى وحشيه وناقة خنوف قال الأعشى :

وَأَذْرَتْ بِرِجْلَيْهَا النَّيَّ وَرَاجَعَتْ  
يَدَاهَا خِنَافًا لَيْنًا غَيْرَ أَحْرَدًا<sup>(١)</sup>

وقال في الصحاح : خنف البعير يخنف خنفا وخنافا . لوى أنفه من الزمام ، والخناف الذي يميل رأسه إلى الزمام ويفعل ذلك من نشاطه ومنه قول أبي وجزة :

قَدْ قُلْتُ وَالْعَيْسُ النَّجَائِبُ تَفْتَلِي  
بِالْقَوْمِ عَاصِفَةً خَوَانِفَ فِي الْبُرَى<sup>(٢)</sup>

والخنوف من الإبل اللينة الديدن في السير والشئ جمع مشية كسدره وسدر يقول : لا أنظر إلى حسن مشى النساء وما بي شهوة إلى ذلك وإنما نزاعى وميلى إلى كل ناقة خفيفة المشى ، أو تقول : إن قوله وما بي حسن المشى كالاستدراك على قوله خنوف أى لست أصفها بالخنف استحسانا لمشيها لأنى لست أنظر إلى حسن المشى ولكنى أستعين بها على نيل الرغائب يدل على ذلك البيت التالى .

(١) يقال بعير أحرد وناقة حرداء ، وذلك أن يسترخى عصب إحدى يديه من عقال أو يكون خلقه حتى كأنه ينفضها إذا مشى .

(٢) البرى : جمع برة ، وهى الحلقة فى أنف البعير واغلت الدابة فى سيرها ارتفعت فجاوزت حسن السير .

وَلَكِنَّهُنَّ حَبَالُ الْحَيَاةِ وَكَيْدُ الْعُدَاةِ وَمَيْطُ الْأَذَى<sup>(١)</sup>  
 ضَرَبْتُ بِهَا التِّيَةَ ضَرْبَ الْقِمَا رِيَامًا لِهَذَا وَإِمَامًا لِدَا<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا فَرَعَتْ قَدَمَهَا الْجِيَادُ وَيَبِضُ السُّيُوفِ وَسُمْرُ الْقَنَا<sup>(٣)</sup>  
 فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وَفِي رَكَبِهَا عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْهُ غِنَى<sup>(٤)</sup>  
 وَأُمْسَتْ تُخَيِّرُنَا بِالنَّقَا بِ وَادِي الْمِيَاهِ وَوَادِي الْقُرَى<sup>(٥)</sup>

(١) العداة : الأعداء ، والميطة : الدفع . يقول : لست آبه للشئ سواء أكان مشى نساء أم مشى إبل ، ولكن ولوعى بالإبل إنما هو لأنها جبال الحياة يتسبب بها إلى الرزق والخروج من المهالك ، وبها تكاد الأعداء ويدفع الأذى .

(٢) اتية : هنا تيه بنى إسرائيل ، وهو الذي بين القازم وأيلة ، وهو الذي سلكه حين هرب من مصر إلى العراق ، والإشارة إلى الفوز والمهلك . يقول : ضربت بها انغلاة مخاطر كما يضرب المقامر بالسهم وهو لا يدري ما يقسم له من غنم أو غرم ، كذلك أنا سلكت بناقتي انقفار ملقيا بنفسى بين الفوز وبين الهلاك . فالعاقبة إما هذا وإما هذا .

(٣) قدمتها : أى تقدمتها . وقوله يبض السيوف وسمر القنا ، من المقابلة الجميلة ، يقول : إذا فرعت هذه الناقة تقدمتها الحيل — لأنهم كانوا يحبون الحيل ويركبون الإبل ، فإذا لاقوا الأعداء ركبوا الحيل — فإذا كان هناك ما يخيفها تقدمنا بالحيل وبالسيوف والرماح للذود عنها .

(٤) نخل : ماء معروف ، يقول : فمرت ناقتي بهذا الموضع وفي ركبائها — يعنى نفسه وأصحابه — غنى عن العالم : أى عن خفارة أحد ، لأنهم يخفرون أنفسهم بسلاحهم ، وغنى عن هذا الماء لأنهم ذوو جلد وصبر ولا يبألون الظمأ .

(٥) النقاب : موضع يتشعب منه طريقان ، طريق إلى وادى المياه ، وطريق إلى وادى القرى . ونامن نخيرنا مفعول أول ، ووادى المياه : مفعول ثان ، وأسكن الياء ضرورة ، يقول : لما بلغنا النقاب قدرنا السير ، إما إلى وادى المياه ، وإما إلى وادى القرى ، فجعل هذا التقدير منهم كأن الإبل خيرتهم فقالت : إن شئتم سلكتم هذا الطريق وإن شئتم سلكتم الطريق الآخر ؛ وهذا على المجاز والاتساع ، قال العكبرى : وقيل

وَقُلْنَا لَهَا أَيْنَ أَرْضُ الْعِرَاقِ      فَقَالَتْ وَنَحْنُ بِتَرْبَانَ هَا<sup>(١)</sup>  
 وَهَبْتَ بِحِسْمَى هُبُوبَ الدَّبُوبِ      رِ مُسْتَقْبَلَاتِ مَهَبِّ الصَّبَا<sup>(٢)</sup>  
 رَوَامِي الْكِفَافِ وَكَبِدِ الْوَهَادِ      وَجَارِ الْبُؤَيْرَةِ وَادِي الْغَضَى<sup>(٣)</sup>  
 وَجَابَتْ بِسَيْطَةَ جَوْبِ الرَّدَا      بَيْنَ النَّعَامِ وَبَيْنَ الْمَهَا<sup>(٤)</sup>

في التخيير تأويلان : أحدهما أن الهوادي من الخيل والإبل إذا وصلت مفرق طريقين تلفتت إليهما لتؤذن بالحث على سلوك أحدهما ، وهذا كأنه تخيير ؛ والثاني : أنه على سبيل المجاز ، كما قيل :

\* يشكو إلى جملي طول الشرى \*

لم يرد حقيقة الشكوى ، وإنما أراد صار إلى حال يشكى من مثلها .

(١) تربان هنا : موضع يبعد عن المدينة نحو خمسة فراسخ ؛ وها : حرف تنبيه ، يقول : وقلنا للإبل أين أرض العراق ؟ — لأننا كنا نريدها — فقالت — ونحن بتربان — ها هي ذه : أي دانية ، يريد أن هذه الإبل سريعة قوية على السير إلى حد أن هذه المسافة انترامية ليست في نظرها شيئاً مذكوراً ، وقال ابن جني : تربان من أرض العراق .

(٢) هبت : أي الإبل ، يريد نشطت في سيرها ، شبه العيس بالريح على وجه الاستعارة لأنها أقبلت من المغرب إلى المشرق كما تقابل الدبور الصبا ، لأن الدبور تهب من الغرب ، والصبا تقابلها من مطلع الشمس ، وحسمى : موضع بالبادية ، يقول : وهبت في هذا الموضع هبوب الريح الغربية مستقبلة جهة المشرق .

(٣) روامي : أي قواصد ، حال من ضمير النوق ، وأسكن الباء ضرورة ؛ وهذه كلها أسماء مواضع ، ووادي الغضى : بدل من جار البويرة ، يقول : إن وادي الغضى جار للبويرة قريب منها .

(٤) بسطة موضع بين الكوفة ومكة من أرض نجد ، وجابت : قطعت والمها : بقر الوحش ، يقول : وقطعت النوق هذا الموضع كما يقطع الرداء ، سائرة بين النعام والمها ، لأنها مواضع خالية من الأناسي ، ومن ثم تألفها الوحوش .

إِلَى عُقْدَةِ الْجُوفِ حَتَّى شَفَّتْ      بِمَاءِ الْجُرَاوِيِّ بَعْضَ الصَّدَى (١)  
 وَوَلَّاحَ لَهَا صَوْرَ وَالصَّبَّاحِ      وَوَلَّاحَ الشُّغُورُ لَهَا وَالضُّحَى (٢)  
 وَمَسَى الْجُمُعِيِّ دِنْدَاؤُهَا      وَغَادَى الْأَضَارِعَ نَمَّ الدَّنَا (٣)  
 فَيَالِكَ لَيْلًا عَلَى أَعْكَشٍ      أَحْمَ الْبِلَادِ خَفِيَ الثُّوَى (٤)  
 وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ فِي جَوْزِهِ      وَبَاقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى (٥)

(١) عقدة الجوف : مكان معروف . والجراوى : منهل . قال الشاعر :

أَلَا لَا أَرَى مَاءَ الْجُرَاوِيِّ شَافِيًا      صَدَايَ وَإِنْ رَوَى غَلِيلَ الرَّاكِبِ  
 والصدى : العطش . يقول : جابت النياق بسيطة إلى عقدة الجوف حتى شفت  
 عطشها بماء الجراوى .

(٢) قال الواحدى : صور اسم ماء ، والصحيح أنه صورى . ذكر ذلك أبو عمرو  
 الجرمى ، والشغور : موضع بالسماوة قال العكبرى : هو موضع بالعراق ، تقول العرب :  
 إذا وردت شغوراً فقد أعرقت ؛ ثم قال : وهو مشتق من قولهم بلاد شاغرة ، إذا لم  
 يكن لها من يحمها ، والصبح والضحى : إما منصوبان على معنى المية ، وإما مرفوعان  
 على أنهما معطوفان على ما قبلهما ، يقول : وظهر لها صور مع وقت الصباح ، وظهر لها  
 الشغور مع وقت الضحى .

(٣) الجيمى والأضارع والدنا : مواضع . والدنداء : سير سريع أرفع من الحجب  
 يقول : لما كان وقت المساء بلغ سيرها الجيمى ، وفي الغداة بلغ الأضارع والدنا .

(٤) أعكش : موضع قرب الكوفة ، وأحم وخفي : صفتان ليل ، وليلا تميز ؛  
 وبالك تعجب ، والأحم : الشديد السواد ، والصوى : أعلام من حجارة تنصب في  
 الطريق ليهتدى بها ؛ يتعجب من شدة ظلام الليل على هذا المكان حتى اسودت البلاد  
 وخفيت أعلام الطريق .

(٥) الرهيمة : موضع قرب الكوفة . والجوز فى الأصل : الوسط ؛ والمراد به هنا  
 صدر الليل لقوله : وبقية أكثر ؛ والضمير فى الموضعين ليل ، يقول : وردنا هذا المكان  
 صدر الليل وبقية أكثر مما مضى منه ، وقال بعضهم : ضمير جوزه لأعكش ، والرهمية

فَلَمَّا أُنْخِزْنَا رَكَزْنَا الرِّمَاءَ حَ فَوْقَ مَكَارِمِنَا وَالْعَمَلَا<sup>(١)</sup>  
 وَبِتْنَا نُقَبِّلُ أَسْيَافَنَا وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَا<sup>(٢)</sup>  
 لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنِّي الْفَتَى<sup>(٣)</sup>  
 وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنِّي أَبَيْتُ وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا<sup>(٤)</sup>  
 وَمَا كُلُّهُ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى وَلَا كُلُّهُ مَنْ سِيمَ خَسَفًا أَبِي<sup>(٥)</sup>

ماء وسط أعكش : أى وردنا هذا الماء « رهيمة » وسط هذا المكان « أعكش » وقد بقى من الليل أكثر مما مضى منه . وقال الخطيب التبريزى : بعض من لا علم له بالعربية يظن أن هذا البيت مستحيل ؛ لأنه يوم أنه لما ذكر الجوز وجب أن تكون القسمة عادلة فى النصفين ، وليس الأمر كذلك ولكنه جعل ثلث الليل اثنانى كالوسط وهو الجوز ثم قال : وباقيه أكثر ، كأنه ورد ، والثلث الثانى الذى كالوسط ، وهو الجوز قدمضى ربهه وبقى ثلاثة أرباعه ؛ وهذا أبين وأوضح ، ويجوز أن يكون الضمير فى باقيه ليل أو للجوز .

(١) يقول : لما ألقينا عصا التسيار واستقر بنا النوى فى الكوفة وأنخنا ركابنا بها وركزنا الرماح — شنشنة من يترك السفر — كانت رماحنا مركوزة فوق مكارمنا وعلانا لما كان منا من فراق الأسود « كافور » وقتال من قاتلنا فى الطريق وظفرنا بمن عادانا ، فكل هذا مما يدل على المكارم والعلافظفرت مكارمنا بما فعلنا ، فكأننا نزلنا عليها .

(٢) يقول : بتنا تقبل أسيافا لأنها أظفرتنا بأعدائنا ونجتنا من المهالك فجدير بها أن تقبل وترفع فوق الرؤوس . ويروى بدل بتنا ثبنا ، أى رجعنا تقبل الخ .  
 (٣) لتعلم مصر : أى أهل مصر . والعواصم : بلاد تصبها إنطاكية ، وهى من حلب إلى حماه . وأل فى الفتى للاستغراق . أى الكامل الفتوة .

(٤) وفيت ، أى لسيف الدولة إذ رجع إليه ، أو تقول : وفيت أى بماقلته من أنى سأترك مصر على رغم كافور وهذا هو الأظهر . وأبيت . أى ضم كافور ؛ وعتوت . أى تجبرت على من تجبر على .

(٥) سامه الأمر : كلفه إياه أو أكرهه عليه . والحسف : الضيم والذل ؛ وسامه خسفا : أذله .

وَلَا بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ وَرَأَى يُصَدِّعُ صَمَّ الصَّفَا<sup>(١)</sup>  
وَمَنْ يَكُ قَلْبُ كَقَلْبِي لَهُ يَشُقُّ إِلَى الْعِزِّ قَلْبَ التَّوَى<sup>(٢)</sup>  
وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ النَّسَى عَلَى قَدَرِ الرَّجْلِ فِيهِ الْخَطَا<sup>(٣)</sup>  
وَنَامَ الْخَوَيْدِمُ عَنْ لَيْلِنَا وَقَدْ نَامَ قَبْلُ عَمَى لَا كَرَى<sup>(٤)</sup>  
وَكَانَ عَلَى قُرْبِنَا يَبْنِنَا مَهَامِهِ مِنْ جَهْلِهِ وَالْعَمَى<sup>(٥)</sup>  
لَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ الْخُصَى أَنَّ الرَّهْمُوسَ مَقَرُّ النَّهَى<sup>(٦)</sup>  
فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ رَأَيْتُ النَّهَى كُلَّهَا فِي الْخُصَى<sup>(٧)</sup>

(١) يصدع صم الصفا . يشق الحجارة القوية وينفذ فيها ، وآلة القلب العقل وما يستتبعه من الرأي والعزم والأناة . يقول : لا بد للقلب من عقل يستظهر به ورأى ماض يصدع به الأحداث والكروب ، ولو تضاممت تضام الصخر . (٢) التوى الهلاك وأصله هلاك المال يقال : توى ماله إذا هلك واستعار للتوى قلبا ليقابل بين قلبه وقلب التوى يقول : ومن له قلب كقلبي في الإقدام ومضاء العزيمة يشق قلب الهلاك ويغوض شدائمه حتى يصل إلى العز . (٣) يقول : وكل طريق يسلكه الإنسان تتسع خطواته فيه بمقدار طول رجله ؛ وهذا مثل معناه على قدر همه الطالب يكون سعيه . وخص الرجل من بين الأعضاء لذكره الخطا . جمع الخطوة - بضم الحاء - وهي ما بين القدمين

(٤) الخويدم : تصغير خادم ، يريد كافورا . والكرى : النوم والنعاس . يقول : نام كافور عن ليلنا الذي خرجنا فيه من عنده ، وكان قبل ذلك نائما غفلة وعمى ولم يك نائما النوم المعروف ، وهذا كقول الآخر :

وَخَبَّرَنِي الْبَوَّابُ أَنَّكَ نَائِمٌ وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنَائِمٌ

(٥) مهامه : اسم كان ؛ وبيننا خبرها ؛ يقول : ولما كنت قريبا منه كان بيني وبينه مع هذا القرب صحراوات من جهله وعماه ، وبذلك كنت كأنني بعيد عنه ؛ لأن الجاهل لا يزداد علما بالشئ ، وإن قرب منه

(٦) و (٧) انتهى : العقول ، جمع نهيمة ، سميت العقول كذلك لأنها تنهى عن كل

وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبِكَاءِ<sup>(١)</sup>  
بِهَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ يُدْرَسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلَا<sup>(٢)</sup>  
وَأَسْوَدٌ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ يُقَالُ لَهُ أَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى<sup>(٣)</sup>  
وَشَعْرٌ مَدَحَتْ بِهِ الْكَرْكَدْنَ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرَّثْقِ<sup>(٤)</sup>

ما هو قبيح يقول: كنت أظن قبل أن أرى كافوراً أن الرؤوس مقر العقول فلما رأيت عقله وما به من أفن عدلت عن ظني وقلت إن العقول كلها في الحصى، فإنه لما حصى ذهب عقله وحقق.

(١) يتعجب مما رأى بمصر من العجائب التي تستدعي الضحك، ثم قال: لكن ذلك الضحك كالبيكاء، كما قالوا: وشر البلية ما يضحك.

(٢) يبين ما بمصر من المضحكات، والنبطي واحد النبط، وهم جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقيين، قال المعري:

أَيْنَ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَالْعِذَارَى إِذْ مَالَ مِنْ تَحْتِهِ الْغَبِيطُ  
اسْتَنْبَطَ الْعَرَبُ فِي الْمَوَامِي بَعْدَكَ وَاسْتَعْرَبَ النَّبِيطُ

والسواد سواد العراق؛ والفلا: جمع فلاة، والمراد بها البادية؛ وأهل البادية هم العرب. قال الواحدي: يريد بالنبطي السوادي أبا الفضل بن حنزابه وزير كافور، وقيل: أبا بكر المادرائي النسابة، وذلك مضحك لأنه ليس من العرب وهو يعلم أنساب العرب.

(٣) المشفر في الأصل شفة البعير، يقول: وبمصر أسود - يريد كافورا - عظيم الشفة حتى لكانها قدر نصفه، يوهون عليه ويشبهونه بالبدر، والبدر هو ما هو جمالا وإشراقا، والأسود هو ما هو قبحا وإظلاما؛ ومع ذلك يصدقهم ويعتبط بتكذابهم.

(٤) الكركدن بتشديد الدال والعامية - كما في القاموس - تشدد النون: هو حيوان من ذوات الحوافر عظيم الجثة، قصير القوائم، كثيف الجلد، على أنفه قرن واحد؛ وبعض أنواعه قرنان الواحد فوق الآخر ويسمى المرmiss، يقول: ورب شعر مدحت به هذا الأسود الذي يشبه الكركدن في عظم الجثة وقلة الغناء والحير وهذا الشعر هو شعر من وجه ورقية أرقيه به وأحتال لأجتلب ماله من وجه آخر.

فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوًا أَوْرَى<sup>(١)</sup>  
 وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَصْنَامِهِمْ فَأَمَّا بَرْقٌ رِيَّاحٌ فَلَا<sup>(٢)</sup>  
 وَتِلْكَ صُمُوتٌ وَذَا نَاطِقٌ إِذَا حَرَكَوهُ فَتَا أَوْ هَدَى<sup>(٣)</sup>  
 وَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى<sup>(٤)</sup>

وعاب قوم عليه علو الخيام ، فقال (\*):

لَقَدْ نَسَبُوا الْخِيَامَ إِلَى عَالَاءِ أَيْبَتٍ قَبُولُهُ كُلُّ الْإِبَاءِ<sup>(٥)</sup>  
 وَمَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلثَّرِيَّاءِ وَلَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلسَّمَاءِ<sup>(٦)</sup>

(١) قال ابن جنى : إذا كانت طباعه تنافى طباع الناس كلهم سفلا ثم مدح فذلك هجولهم ؛ لأن فيه إرغامهم ومدحا لمن ينافى طباعهم . وقال غيره : يعنى لم يكن ذلك الشعر مدحا له ولكنه فى الحقيقة كان هجاء الخلق كلهم حيث أحوجوني إلى مثله .

(٢) يقول : قد ضل ناس بعبادة الأصنام لا اعتقادهم فيها أنها تنفع وتضر وهذا مشاهد ، وقد يكون أدنى إلى أن يعقل ولكن أن يضل ناس بزق ريح - يعنى كافورا - وينقادوا إليه ويعظموه فذلك ما لم أره إلا فى مصر وأهلها - والزق أسود ، وإذا كان مملوءا ريحا فلا غناء فيه ومن هنا كان التشبيه

(٣) تلك : أى الأصنام ، وذا : أى زق الريح ، أى كافورا .

(٤) هذا هو بيت القصيد ، يقول : من لم يعرف قدر نفسه غرورا وإعجابا وذهاها بها خفيت عليه عيوبه ، فرأى الناس من عيوبه ما لا يرى واستعجبوا منه ما استحسن ، وإنه لبلاء عظيم . .

\* كان سيف الدولة قد نزل آمد فكثر المطر ودعا أبا الطيب فدخل عليه وهو على الشراب قليل له : إنه قد عيب عليه قوله لسيف الدولة :

لَيْتَ أَنَا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الْخَيْلُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ

لأن الخيام تكون فوق سيف الدولة فقال هذه الأبيات ارتجالا :

(٥) و (٦) يقول : إن الذين عابوا على هذا القول نسبوا الخيام إلى الرقعة والملاء وما إلى هذا قصدت ؛ وإنى أبى ذلك كل الإباء لأنى لا أسلم بأن تكون الثريا والسما

وَقَدْ أَوْحَشْتَ أَرْضَ الشَّامِ حَتَّى سَلَبْتَ رُبُوعَهَا ثَوْبَ الْبَهَاءِ (١)  
تَنْفَسُ وَالْعَوَاصِمُ مِنْكَ عَشْرُ فَتَعْرِفُ طِيبَ ذَلِكَ فِي الْهَوَاءِ (٢)  
وقال يهجو السامري (\*) :

أَسَامِرِيٌّ ضُحْكَةٌ كُلُّ رَاءٍ فَطِنْتُ وَأَنْتَ أَغْبِي الْأَغْبِيَاءِ (٣)

فوقك وهما ما علوا وارتفعا ؛ فكيف أسلم بأن تكون الحيام فوقك ؟ يريد أن  
رتبتك فوق كل شيء ؛ فليس ثم شيء يعلوك رتبة وقدرًا :

(١) يقول : لما زابت الشام وفارقتها أوحشتها فسلبتها بذلك ثوب الجمال الذي  
كانت تشتمل به بمقامك فيها ؛ فلما غادرتها غادرها جمالها وأنسها .

(٢) يقول : إذا تنفست والعواصم على عشر ليالي منك عرف أهلها والقيومون  
بها طيب تنسك في الهواء وهذا المعنى . أخوذ من قول أبي عبيدة :

تَطِيبُ دِينَانَا إِذَا مَا تَنَفَّسَتْ كَأَنَّ فَتَيْتَ لِلْسُكِّ فِي دُورِنَا هَبًا

وتنفس — بحذف إحدى التاءين — أى تنفس ، والعواصم بلاد منها حلب  
وقسرين وإنطاكية وهى عاصمتها سميت كذلك لأنها كانت تعصم أهلها بما عليها من  
الأسوار . وقوله منك عشر : أى على مسيرة عشر ليال .

\* أنشد المتنبي سيف الدولة يوما قوله :

\* واحرّ قلباه ممن قلبه شيم \*

وانصرف ؛ فاضطرب المجلس ؛ وكان فيه نبطى من كبار كتابه يقال له أبو الفرج السامري  
فقال لسيف الدولة : ألقه فأخذ لك رأسه ؟ فقال المتنبي هذه الأبيات يهجو به .

(٣) يقول : ياسامري يامن يضحك منه كل من رآه كيف فطنت إلى ما أنشدته  
وأنت أغبي الأغبياء ، والسامري نسبة إلى سامري بلد بناه المعتصم قرب بغداد ، وكان  
لما أخذ في بنائه ثقل ذلك على عسكره فقالوا ساء من رأى فلما انتقل بهم إليها سر كل  
منهم برؤيتها ، فقيل سر من رأى ، ثم حرف اللفظان على السنة العامة سامرا وسمررى  
والضحكة : الذى يضحك منه ، أما الضحكة بفتح الحاء فهو الكثير الضحك .

صَفُرْتَ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتَ أَهْجَى كَأَنَّكَ مَا صَفُرْتَ عَنِ الْهَجَاءِ (١)  
وَمَا فَكَّرْتَ قَبْلَكَ فِي مُحَالٍ وَلَا جَرَّبْتَ سِتْفِي فِي هَبَاءِ (٢)

(١) يقول : حين وجدت نفسك أحقر من أن تمدح تعرضت للهجاء كأنك لا تدري أنك كذلك أحقر من أن تهجى ، لأن مثلك لا يابه له الشعراء ولا يروونه أهلاً حتى للهجاء .

(٢) المحال : ما عدل به عن وجهه يقول : وكيف يخطر لي أن أهجوك وما فكرت قبلك في باطل حتى أكثرث له ، أى ما هجوت قبلك مثلك ولا حاك في صدري ذلك ، وهل يليق بمثلى أن يحرب سيفه في قطع الهباء ؟ ! وأحسب هذا المعنى ينظر إلى قول القائل :

أما الهجاء فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ      والمدحُ فِيكَ كما علمت جَلِيلُ

فأذهبُ فأنْتَ طليقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ      عِرْضُ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

وقول الآخر :

قَلَّ كَيْفَ شِئْتُ وَأَنْى تَشَا      وَأَبْرَقَ يَمِينًا وَأَرْعَدَ شِمَالَا

نَجَا بِكَ لَوْمُكَ مَنْجَى الذُّبَابِ      حَتَّمَهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يَنَالَا

وقول بعضهم :

إِنى لَا كَرَمَ نَفْسِي أَنْ أُكَلِّفَهَا      هَجَاءَ جَرْمٍ وَمَا يَهْجُوهُمْ أَحَدُ

ماذا يقولُ لهم من كَانَ هَاجِبِيهِمْ      لا يبلِغُ النَّاسُ ما فِيهِمْ وَإِنْ جَهَدُوا

## قافية الباء

وقال يمدح سيف الدولة وهو يسايره إلى الرقة وقد اشتد المطر بموضع يعرف  
بالشديين :

لَعَيْنِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظًّا      تَحَيَّرُ مِنْهُ فِي أَمْرِ عُجَابٍ <sup>(١)</sup>  
حَمَالَةٌ ذَا الْحُسَامِ عَلَى حُسَامٍ      وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى سَحَابٍ <sup>(٢)</sup>

وزاد المطر فقال :

تَجِفُّ الْأَرْضُ مِنْ هَذَا الرَّبَابِ      وَيَخْلُقُ مَا كَسَاهَا مِنْ ثِيَابٍ <sup>(٣)</sup>  
وَمَا يَنْفَكُ مِنْكَ الدَّهْرُ رَطْبًا      وَلَا يَنْفَكُ غَيْثُكَ فِي انْسِكَابٍ <sup>(٤)</sup>  
تُسَايِرُكَ السَّوَارِي وَالْعَوَادِي      مُسَايِرَةَ الْأَحْيَاءِ الطَّرَابِ <sup>(٥)</sup>  
تُفِيدُ الْجُودَ مِنْكَ فَتَحْتَذِيهِ      وَتَعْجِزُ عَنْ خَلَائِكَ الْعِدَابِ <sup>(٦)</sup>

(١) و (٢) يقول : ترى عيناي منك كل يوم شيئا عجيبا تتحير منه . وذلك أني  
أرى سيفي يحمل سيقا وسحابا يمطره سحاب ، والحماله التي يحمل بها السيف ، والحسام  
الأول هو السيف ، والثاني هو سيف الدولة .

(٣) و (٤) الرباب السحاب الأبيض ويخلق يرث ويلى . يقول : أنت أفضل من  
السحاب لأن الأرض تجف من مطر السحاب وثيابها التي كساها بها الغيث وهي  
نبات الأرض تبلى - وذلك عند هيجه - ولكن ذكرك لا ينفك الدهر رطبا  
به فانت خالد وجودك دائم الانسكاب لا ينقطع وقال الواحدى : يريد برطوبة الدهر  
لينه وسهولته والمعنى يطيب عيش أهل الدهر بك فكأن الدهر رطب ينقاد ويلين  
لهم كما قل البحرى :

أشرقن حتى كاد يَحْتَسِسُ الدَّجَى      وَرَطْبُنَ حَتَّى كَادَ يَجْرَى الْجَنْدَلُ

فجعل الصخر يكاد يجرى للينه برطوبة الزمان .

(٥) و (٦) السوارى السحب السارية ليلا ، والعوادى السحب المنتشرة

وأمره سيف الدولة بإجازة هذا البيت :

خَرَجْتُ غَدَاةَ النَّفْرِ أُعْتَرِضُ الدَّمِيَّ      فَلَمْ أَرَ أَحْلَى مِنْكَ فِي الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ (١)

فقال :

فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِي      وَأَفْتَلَهُمْ لِلدَّارِ عَيْنَ بِلَا حَرْبِ (٢)

نهارا . والطراب جمع طروب ، وهو الذى يطرب ويحركه الشوق وتفيد تستفيد واحتذاه اقتدى به وفعل مثله ، والحلائق ، الأخلاق . يقول : إن السحب تسير معك كما يسير الحبيب الطروب مع حبيبه وذلك كى تستفيد الجود منك فتأنى بمثله بيد أنها تعجز عن التخلق بأخلاقك العذبة الجميلة .

(١) غداة النفر يريد غداة تفرق الحجيج من منى ويقال يوم النفر وليلة النفر لليوم

الذى ينفر الناس فيه من منى قل بعضهم .

أما والذى حَجَّ الْمَلْبُوثَ بَيْتَهُ      وَعَلَّمَ أَيَّامَ الذَّبَّاحِ وَالنَّحْرِ  
لَقَدْ زَادَنِي لِلْغَمْرِ حُبًّا وَأَهْلِيهِ      لِيَالِ أَقَامَتُهُنَّ لَيْلَى عَلَى الْغَمْرِ  
وَهَلْ يَأْتُمُّنِي اللَّهُ فِي أَنْ ذَكَرْتُهَا      وَعَمَلْتُ أَصْحَابِي بِهَا لَيْلَةَ النَّفْرِ  
وَسَكَنْتُ مَا بِي مِنْ كِلَالٍ وَمِنْ كَرْمِي      وَمَا بِالْمَطَايَا مِنْ جُنُوحٍ وَلَا فَرِّ

وأعترض : استقبل ، والدمي : جمع دمية وهى التماثيل تشبه بها الحسان .

(٢) فديناك دعاء ؛ والحطاب للحبيب ، وأهدى منادى باسقاط حرف النداء

قال الواحدى : أهدى من قولهم هديت هدى فلان أى قصدت قصده ومنه الحديث : واهدوا هدى عمار . أى اقصدوا قصده وسيروا سيرته . يقول : ياأقصد الناس سهما إلى قلبى يريد أن عينه تصيب قلبه بلحظها ولا تخطئه ، ويا أقتل الناس للابسى الدروع من غير حرب أى أنه يقتلهم بحبه فلا تحصنهم الدروع ولا يحتاج معهم إلى الزال ولك أن تجعل أهدى وأقتل منصوبين على التمييز وأهدى من الهداية ، وإليك ما قال العلامة المكبرى النحوى الكوفى فى تعليقاته على هذا البيت قال : أفعال إذا كان للتفضيل فيبينه وبين أفعال التعجب مناسبة وذلك أنه يقال هذا أقول من هذا وما أقوله ويمتنع أن يقال هذا أحمر من هذا أى أشد حمرة كما يمتنع أن يقال : ما أحمره أى ما أشد حمرة

تَفَرَّدَ بِالْأَحْكَامِ فِي أَهْلِ الْهُوَى  
فَأَنْتَ جَمِيلُ الْخُلْفِ مُسْتَحْسَنُ الْكِذْبِ<sup>(١)</sup>  
وَإِنِّي لَمَمْنُوعُ الْمَقَاتِلِ فِي الْوَعَى  
وَإِنْ كُنْتُ مَبْذُولَ الْمَقَاتِلِ فِي الْخُبِّ<sup>(٢)</sup>

وفعل التعجب يبنى من ثلاثة أفعال ثلاثية، فعل بفتح العين، وفعل بكسرها، وفعل بضمها ولا يبنى إلا من فعل قد سمي فاعله ولا يجوز أن يبنى من فعل غير مسمى الفاعل فيقال ما أضرب أخاك لأنه مأخوذ من ضرب أخوك ثم وقع التعجب من كثرة ضربه فإذا قلت ضرب أخوك لا يصح أن يقال ما أضرب أخاك وأنت تريد ما أشد الضرب الذي ضربه أخوك؛ وأهدى يجوز أن يكون من هدت الوحش<sup>(١)</sup> إذا تقدمت فيكون اسما منصوباً على التمييز فيكون أفعل من فعل له فاعل ويكون الفعل للسهم ويجوز أن يكون الفعل للمخاطب من قولهم هديته الطريق فإذا حمل على ذلك فسهما منصوب بفعل مضمر يدل عليه أهدى لأن فعل التعجب لا يجوز أن ينصب مفعولاً وكذلك أفعل الذي للتفضيل وعلى ذلك حمل قوله :

أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا فِي اللَّقَاءِ الْقَوَانِسَا<sup>(٢)</sup>  
فنصب القوانس بفعل مضمر ثم الكلام عند قوله وأضرب منا ثم أضمر فعلا نصب به القوانس تقديره يضرب القوانس فيكون من جنس الكلام .

(١) الخلف ترك الوفاء بالوعد وهو اسم من الإخلاف يقول : إن للهوى أحكاماً تخالف سائر الأحكام لأن الخلف في الوعد غير جميل والكذب غير مستحسن وكلاهما جميل مستحسن من الحبيب \* وكل ما يفعل المحبوب محبوب \*  
(٢) يقول : إني من الشجاعة بحيث لا يصاب مقتلى في الحرب ولكني مع ذلك يصاب مقتلى في الحب فلست أستطيع الدفاع عن نفسي في ميدان الهوى وهذا من قول أبي تمام :

(١) يقال هدت الإبل والوحش والحيل تهدي إذا تقدمت وهاديات الوحش أوائلها وهي هوداياها  
(٢) القوانس : جمع قونس مقدم البيضة من السلاح

وَمَنْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ بَيْنَ جُفُونِهِ

أَصَابَ الْخُدُورَ السَّهْلَ فِي الْمُرْتَقَى الصَّعْبِ (١)

« وقال يعزیه عن عبده يماك التركي وقد مات بحلب سنة أربعين وثلاثمائة » :

لَا يَحْزَنُ اللَّهُ الْأَمِيرَ فَإِنِّي سَأَخْذُ مِنْ حَالَاتِهِ بِنَصِيبِ (٢)

وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى بَكَى بَعِيُونَ سَرَّهَا وَقُلُوبِ (٣)

كَمْ مِنْ دَمٍ يَعْجِزُ الْجَيْشَ اللَّهَامَ إِذَا بَانُوا تَحَكَّمَ فِيهِ الْعِرْمِسُ الْأَجْدُ

« جيش لهام: كثيريلتهم كل شيء ، والعرمس الناقة الصلبة الشديدة ، والأجد بضم الهمزة والجيم الناقة القوية الموثقة الخلق . يريد أبو تمام الناقة التي تحمل الحبيب ، والمراد الحبيب نفسه »

(١) يقول : ومن كان له عين بين جفنيه كعينك فتنة وسحرا ملك قلوب الناس بأهون سعى فقوله أصاب الخ أي وجد المرتقى الصعب حدورا سهلا وهذا تمثيل معناه سهل عليه ما يشق على غيره

(٢) قوله لا يحزن . دعاء له . يقول . لا أحزن الله الأمير فإن حزنه يستتبع حزني لمشاركتي إياه في أحواله فلا أصابه الله يحزن لثلاث أحزن ؛ والمعنى واضح وجميل . ومن ثم كان نقد صاحب هذا البيت - بقوله . لا أدري لم لا يحزن الله الأمير إذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق - في غير موضعه . ويجوز في يحزن الجزم بلا والرفع على أنه خبر وضع موضع الإنشاء ، ورواية سأخذ هي رواية ابن جني وعليها مضينا ، وفي رواية : لآخذ .

(٣) يقول : لا أبكك الله لأنك إذا بكيت حزنا بكى جميع الناس لبكائك وحزنوا لحزنك لأن من سر جميع الناس ثم بكى لحزن أصابه ساء مصابه الذين سرهم فكأنه يبكي بعيونهم ويحزن بقلوبهم . وفي البيت حذف لا يخفى ، فهو من قبيل \* علفتها تبتأ وماء باردا \* قال الواحدى : ولك أن تجعل الباء في بعيون للتعدية أي أبكها . والمعنى أنهم يسعدونه على البكاء جزاء سرورهم كما قال يزيد المهلبى :

أَشْرَكْتُمُونَا جَمِيعًا فِي سُرُورِكُمْ فَلَهُونَا إِذْ حَزَرْتُمْ غَيْرُ أَنْصَافِ

وَأِنِّي وَإِنْ كَانَ الدَّفِينُ حَبِيبَهُ      حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبٌ حَبِيبِي (١)  
وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الأَحِبَّةَ قَبْلَنَا      وَأَعْيَا دَوَاهِ المَوْتِ كُلَّ طَبِيبِ  
سَبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا      مَنَعْنَا بِهَا مِنْ جَنَّةٍ وَذُهُوبِ (٢)  
تَمَلَّكَهَا الآتِي تَمَلَّكَ سَالِبِ      وَفَارَقَهَا المَاضِي فِرَاقِ سَلِيبِ (٣)  
وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلسَّجَاعَةِ وَالنَّدَى      وَصَبْرِ الفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبِ (٤)

(١) الدفين المدفون ، وحبیب حبیبی مبتدأ مؤخر ، وحبیب إلى قلبی خبر مقدم ،  
والجملة خبر إني يقول : إني أحب كل من يحبه ومن ثم كان المدفون الذي يحبه حبیباً  
إلى قلبی وإن كان غريباً مني .

(٢) يقول : لقد سبقنا غيرنا إلى هذه الدنيا فلو عاش هؤلاء الذين سبقونا ولم يموتوا  
لنصت بنا الدنيا وضاعت علينا الأرض حتى لا نستطيع الذهاب والمجيء لشدة الزحام  
وإنما يستقيم أمر الدنيا بموت المتقدم وحياة المتأخر . وجيئة مصدر جاء يجيء مجيئاً  
وجيئة وكذلك الذهوب .

(٣) يقول : تنتقل الدنيا من قوم إلى قوم فيتملكها الحي تملك السالب ويتخلى  
عنها الميت تخلى السلوب ؛ وعبارة الواحدى : يريد بالآتي الوارث بعد الموت وبالماضي  
الموروث أى أن الذي تملك الإرث كأنه سالب سلب الموروث ماله . والميت كأنه مسلوب  
سلب ما كان في يده وهذا المعنى — كما قال العكبرى — مأخوذ من قولهم إنما في أيديكم  
أسلاب المالكين وسيتركها الباقون كما تركها الأولون .

(٤) شعوب من أسماء النية وهى معرفة لا تصرف ولا تدخلها الألف واللام، سميت  
كذلك لأنها تشعب أى تفرق . يقول : لولا الموت لم يكن لهذه المعانى فضل وذلك أن  
الناس لو أمنوا الموت لما كان للشجاع فضل على الجبان لأنه قد أيقن الخلود فلا خوف  
عليه من إقدامه فى الحرب وإذن لا يحمده على شجاعته ، وكذلك لا فضل للجواد على  
البخيل . والصابر على المكروه لا فضل له على الجازع لأن فى الخلود وتنقل الأحوال  
فيه من عسر إلى يسر ومن شدة إلى رخاء ما يسكن النفوس . ويهون البوس .

وَأَوْفَى حَيَاةِ الْغَابِرِينَ لِصَاحِبِ (١)  
 حَيَاةِ أُمْرِيءِ خَاتِنَتُهُ بَعْدَ مَشِيبِ (١)  
 لَا بُقَى يَمَّاكَ فِي حَشَائِ صَبَابَةٍ (٢)  
 إِلَى كُلِّ تُرْكِي النَّجَّارِ جَلِيبِ (٢)  
 وَمَا كُلُّ وَجْهِ أَبْيَضٍ بِمُبَارَكِ (٣)  
 وَلَا كُلُّ جَفْنٍ ضَيْقٍ بِبِنَجِيبِ (٣)  
 لَسِنْ ظَهَرَتْ فِينَا عَلَيْهِ كَأَبَةٍ (٤)  
 لَقَدْ ظَهَرَتْ فِي حَدِّ كُلِّ قَضِيبِ (٤)  
 وَفِي كُلِّ قَوْسٍ كُلِّ يَوْمٍ تَنَاضُلِ (٥)  
 وَفِي كُلِّ طَرَفٍ كُلِّ يَوْمٍ رُكُوبِ (٥)

(١) الغابر من الأضداد يكون بمعنى الماضي وبمعنى الباقي ، والمراد هنا الأول . يقول :  
 إن الحياة لا بد من أن تغدر بصاحبها فهي لا محالة وإن طالت مفارقتها ولكن أوفائها له  
 تلك التي تصحبه إلى وقت المشيب فلا تزياله حتى يطول استمتاعه ويستوفي لذة العيش  
 ولكنها مع ذلك إلى انقضاء . وقال الخطيب التبريزي : يريد أن الدنيا تخترم الشباب  
 لذة الوفاء فإذا أبقتهم كان قصارها أن تفنهم فلا وفاء لها ولا رغبة فيها ؛ وهو  
 تفسير حسن .

(٢) لأبقى . جواب قسم محذوف . أي والله لقد أبقى ؛ وبماك اسم مملوك سيف  
 الدولة وهو تركي ؛ والنجار الأصل ، وجليب مجلوب من بلد إلى آخر . يقول . لقد أبقى  
 يماك بموته في قلبي صباة وميلا إلى كل تركي أي إلى كل من هو من جنسه

(٣) النجيب الكريم « ضد اللثيم » والفاضل النفيس في نوعه . يقول : إن يماك  
 ترك في قلبي هذا الميل إلى جنسه لذلك الشبه الذي بينه وبينهم وإن لم يكن كل من أشبهه  
 في الصورة يشبهه في العن والنجابة ، فالبيت كالاستدراك على البيت السابق ، فهو يقول  
 في الأول : إنه محب لأجله الترك لأنه منهم والترك يوصفون ببياض الوجوه وضيق الجفون  
 ثم قل : إنه ليس كل تركي مباركا ولا كل تركي نجيبا كالمركبي وإذن فهو محبهم لأنهم يشبهونه  
 في الصورة وإن لم يشبهوه في العن والنجابة .

(٤) و (٥) القضيبي السيف القاطع وقيل : اللطيف الدقيق ، والتناضل الترامي  
 بالسهم . قال العكبري : في الحرب وغيرها وذلك أن القوم يتناضلون في الحرب  
 بسهامهم يرمي بعضهم بعضا وفي غير الحرب يتناضلون بسهامهم لينظروا أيهم أحسن رمياً ؛  
 والطرف الفرس الكريم . يقول : إنه كان شجاعا من أهل القتال وكان حسن الرمي  
 وقت النزال وكان فارسا يحسن الركوب للغارة والطمعان ومن ثم حزنتم عليه السيوف  
 والقسى والحيل فلا محجب إذ حزنا نحن عليه . واللام في قوله لئن ظهرت لام القسم

يَعْرِزُ عَلَيْهِ أَنْ يُخَلَّ بِعَادَةٍ      وَتَدْعُو لِأَمْرٍ وَهُوَ غَيْرُ مُجِيبٍ (١)  
 وَكُنْتُ إِذَا أَبْصَرْتُهُ لَكَ قَائِمًا      نَظَرْتُ إِلَى ذِي لِبْدَتَيْنِ أُدِيبٍ (٢)  
 فَإِنْ يَكُنِ الْعَلِقَ النَّفِيسَ فَقَدْتَهُ      فَمِنْ كَفِّ مِتْلَافٍ أُغْرَى وَهُوبٍ (٣)  
 كَانَ الرَّدَى عَادٍ عَلَى كُلِّ مَا جِدَّ      إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ بِجَدِّهِ بِعُيُوبٍ (٤)

دخلت على حرف الشرط وأتى بجواب القسم ولم يأت بجواب الشرط ، ومثله كثير في القرآن الكريم ، وفي الشعر .

(١) وتدعو عطف على نخل ، وكان الوجه فتح الواو ولكنه سكنها للضرورة . يقول : إنه يشق على يمالك أن يغير عاداته في خدمتك وأن تدعوه لأمر فلا يجيبك .  
 (٢) ذي لبدين أي أسد واللبد الشعر المتركب على كنف الأسد . يقول : وكنت إذا رأيته قائما بين يديك رأيت منه أسداً وفقى أدبياً أي إنه كان جامعاً بين الأدب في الخدمة وقوة الأسد لدى البأس . وانما في كنت وأبصرته ونظرت رويت مبنية على الضم للمتكلم وعلى الفتح للمخاطب .

(٣) العالق هو النفيس من كل شيء ، وهو خير يكن وجمله فقدته حال ؛ والمتلاف الذي يتلف أمواله سخاء وجوداً والأغر الشريف يقول : فإن يكن يمالك العلق النفيس قد فقدته فأما ذهب من كف رجل يتلف الأموال ويهبها ولا يبالي بما ذهب منه ، ومن روى تكن بالثناء فهو على الخطاب لسيف الدولة ويكون العلق منصوباً على الاشتغال أو بفعل مضمحل دل عليه قوله فقدته ، والتقدير ، فإن تكن فقدت العلق النفيس .

(٤) الردى الموت ، وعاد ظالم معتد . والمراد بالماجد — وهو الكامل الشرف — سيف الدولة ، وعوذه علق عليه العوذة وهي الرقية يتقى بها السوء . يقول : إن الشريف لا يسلم من حدثان الدهر ونوائبه حتى يجعل لشرفه رقية من العيوب وأنت لا عيب فيك ، ومن هنا أصابك الدهر بمن تحب ، وهذا كقول الشاعر :

شَخَّصَ الْأَنَامُ إِلَى كَمَالِكَ فَاسْتَعِذُ      مِنْ شَرِّ أَعْيُنِهِمْ بِعَيْبٍ وَاحِدٍ  
 وَقَوْلِ الْآخِرِ :

قَدِ قَلَّتْ حِينَ تَكَامَلْتُ وَغَدَتُ      أَفَعَالُهُ زَيْنًا مِنَ الزَّيْنِ

ما كان أخوج ذاك الكمال إلى عيب يوقيه من العين  
 « كان زائدة ، وذا الكمال . أي هذا الكمال » .

وَلَوْلَا أَيَادِي الدَّهْرِ فِي الجَمْعِ بَيْنَنَا      غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ (١)  
وَلَلَّتْ رُكُ لِلِإِحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ      إِذَا جَعَلَ الإِحْسَانَ غَيْرَ رَبِّيبِ (٢)  
وَإِنَّ الَّذِي أُمْسَتْ نِزَارٌ عَيْبِدَهُ      غَنِيٌّ عَنِ اسْتِعْبَادِهِ لِغَرِيبِ (٣)  
كَفَى بِصَفَاءِ الوُدِّ رِقًا لِمِثْلِهِ      وَبِالقُرْبِ مِنْهُ مَفْخَرًا لِلِيبِ (٤)  
فَعَوْضَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الأَجْرُ إِنَّهُ      أَجَلٌ مُثَابٍ مِنْ أَجَلِ مُثِيبِ (٥)

(١) يعتذر عن ذنوب الدهر وإسآته بالتنبيه إلى سابق إحسانه ، أى أن من شيمة الدهر أن يحسن تارة ويسئ أخرى . يقول : ولولا أن الدهر أحسن إلينا بجمعه بيننا ما كنا نعرف إسآته بتفريقه بيننا فإحسانه عرفنا إسآته . والأيدى : النعم

(٢) بعد أن اعتذر عن الدهر عاد إلى ذمه يقول : وإذا أن الدهر شاب إحسانه بالإسآة فلم يتم إحسانه بتربيته وتعهده وإتمامه فترك المحسن إحسانه أجمل به من ذلك وأفضل أى أن كل محسن لم يتم إحسانه فتركه خير وأمثل ، وهذا كقوله :

أبدأ تسترد ما تهب الدنيا فيأليت جودها كان بخلا

واللام في قوله وللترك لام الابتداء ، وريب تام من رب عمله أصلحه ونمأ وآته .

(٣) يقول : إن سيف الدولة ملك العرب بإحسانه إليهم فلا حاجة به معهم إلى مملوك تركي ، وخص نزاراً لأنه أبو القبائل الأشرف كقريش وغير قریش ؛ فالمراد بنزار سائر العرب .

(٤) الباء في قوله بصفاء وبالقرب زائدة ، وصفاء والقرب في محل رفع بكفى ، والرق العبودية ، واللبيب العاقل . يقول : إن سيف الدولة استعبد العرب بمصافاته إياهم وإقباله عليهم بالود ومثله إذا صافى إنسانا استرقه بكثرة الإحسان إليه . وإن لم يبتعه كما يبتاع العبد ، وهذا هو الرق والاستعباد

(٥) يدعو له بأن يعوضه الله الأجر من يملك فإن الأجر أجل ثواب من أجل مثيب وهو الله سبحانه وتعالى ، أو تقول فإن سيف الدولة أجل عبد يشاب من الله فضمير إنه إما عائد على الأجر ومثاب مصدر بمثابة الثواب أو عائد على سيف الدولة ويكون مثاب مفعولاً من الإثابة .

فَتَى الْحَيْلِ قَدْ بَلَ النَّجِيعُ نُحُورَهَا      يُطَاعِنُ فِي ضَنْكِ الْمَقَامِ عَصِيبُ (١)  
يَعَافُ خِيَامَ الرِّيطِ فِي غَزَوَاتِهِ      فَمَا خَيْمُهُ إِلَّا غُبَارُ حُرُوبِ (٢)  
عَلَيْنَا لَكَ الْإِسْعَادُ إِنْ كَانَ نَافِعًا      بِشَقِّ قُلُوبٍ لَا بِشَقِّ جُيُوبِ (٣)  
فَرُبَّ كَيْبِ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ      وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرُ كَيْبِ (٤)

(١) فتى الحيل أى هو « سيف الدولة » فتى الحيل وجملة قد بل النجيع نحورها حال من الحيل ، والنجيع الدم ، وضنك صفة موصوف محذوف أى فى يوم ضيق المقام فالضنك الضيق وعصيب أى شديد واعصوب اليوم والنسر اشتد . ويوم عصيب وعصب شديد وليلة عصب كذلك ولم يقولوا عصيبة ، ولعله مأخوذ من قولك عصب القوم أمر إذا ضمهم واشتد عليهم ويقال لأمعاء الشاة إذا طويت وجمعت ثم جعلت فى حوية من حوايا بطنها عصب واحدها عصيب والعصيب أيضاً الرثة تصب بالأمعاء فتشوى قل حميد بن ثور يصف نساء نشأن بالبادية :

أولئك لم يذرينَ ما سَمَكُ القُرَى      ولا عَصَبُ فِيهَا رِثَاتُ العَارِسِ (١)  
يقول : إن سيف الدولة أجل مثاب لأنه إذا بليت الدماء نحور الحيل فهو فتاها الثابت على الطعان فى مثل ذلك اليوم .

(٢) الريط جمع ريطرة وهى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين ، وقيل كل نوب لين رقيق ، ويعاف يكره ، والحيم جمع خيمة يقول : إنه يكره الاستظلال بالخيام المتخذة من النسيج وإنما يستظل بغبار الحروب .

(٣) الإسعاد الإعانة . يقول : إن كانت إعانتنا إليك على هذه الرزية نافعة مجدية أعناك بشق القلوب لا بشق الجيوب وهذا من قول حبيب :

شق جيوباً من رجال لو اسطأ      عوا لشقوا ما وراء الجيوب  
وجيب القميص ما انتح منه على النحر .

(٤) يقول : ليس بالبكاء يعلم الحزن ، فرب محزون عصى الدمع فلا يسكى ورب بك

(١) العاريس جمع عمروس والعمروس والظمروس الحروف والعصب جمع عصيب وهو ما عرفت .

تَسَلَّ بِفِكْرٍ فِي أَيْتِكَ فَإِنَّمَا بَكَيتَ فَكَانَ الضَّحْكُ بَعْدَ قَرِيبٍ (١)  
إِذَا اسْتَقْبَلَتْ نَفْسُ الْكَرِيمِ مُصَابَهَا بِخُبْثٍ ثَنَّتْ فَاسْتَدْبَرَتْهُ بِطِيبٍ (٢)

تنسكب دموعه وليس بمحزون . قال العكبري : وأخذ هذا البيت مما أنشده أبو علي  
في آخر تكملة إيضاحه :

وما كلُّ ذِي لُبٍّ بِمَوْتِكَ نُصَحَهُ وما كلُّ مُوْتٍ نُصَحَهُ بِلَيْبِ  
(١) في أيك بفتح الباء كما رواها ابن جنى ، يريد في أبويك ، وهي لغة للعرب  
صحيحة فإن بعض العرب يقول في ثنية أب أبان كما قالوا أبوان وفي الإضافة أيك وإذا  
جمعت بالواو والنون قالوا : أبون، قال الشاعر :

فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَصْوَاتِنَا بَكَيْنَ وَفَدَيْنَا بِالْأَيْبِنَا (١)

وعلى هذا قرأ بعضهم : إله أيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق . يريد جمع أب أي أيتك  
لخذف النون للإضافة يقول : تسل عن هذا المفقود بالتفكير في مصابك بأبويك فقد  
يكيت لفقدها ثم ضحكت بعد ذلك بمديدة وكذلك حزنك لأجل هذا المصاب سيذهب  
عن قريب وعجاجة بعض الشراح : تفكر في آياتك الذين ذهبوا فكل أحد سيذهب  
كذاهم فلا يجب الحزن . وفي معناه :

فَفَضَى الْيَوْمَ عَاذِلْتِي فَإِنِّي سَيَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَاتِّسَابِي

« يريد لا أنتسب إلا إلى مفقود » ومثله قول لبيد :

فَإِن أَنْتَ لَمْ يَنْفَعَكَ عِمْلُكَ فَانْتَسِبْ لِعَلَّكَ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ  
(٢) للصاب ههنا مصدر كالإصابة ، والمراد هنا بالخبث الجزع وبالطيب الصبر ،  
ويقال بات فلان خبيث النفس : أي ثقلها كرهه الحال وفي حديث هرقل : فأصبح  
يوما وهو خبيث النفس ، أي ثقلها كرهه الحال ومنه الحديث : لا يقولن أحدكم خبيث  
نفسى ، أي ثقلت وغثت كأنه كرهه اسم الخبث وفاعل ثنت يعود على النفس أي صرفت  
الخبث ، أو تقول ثنت أي اثنت يقول :

(١) يصف نساء سبين فوفد عليهن من قومهن من يفادينهم فسكين إليهم وفدينهم  
بأبائهن سرورا بوفودهم عليهن .

وَلِلْوَاحِدِ الْمَكْرُوبِ مِنْ زَفْرَاتِهِ      سُكُونُ عَزَاهُ أَوْ سُكُونُ لُغُوبِ (١)  
وَكَمَّ لَكَ جَدًّا لَمْ تَرَ الْعَيْنُ وَجْهَهُ      فَلَمْ تَجْرِ فِي آثَارِهِ بِغُرُوبِ (٢)  
فَدَتِكَ نَفُوسُ الْخَاسِدِينَ فَإِنَّهَا      مُعَذَّبَةٌ فِي حَضْرَةِ وَمَغِيبِ  
وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا      وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرِيبِ (٣)

إذا استقبل الكريم إصابة الدهر إياه بالجزع راجع عقله بعد ذلك فاعتصم بالصبر  
لعله أن الجزع لا يفيد. قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : من علم أن الكون  
والفساد يتعاقبان الأشياء لم يحزن لورود الفجائع لعله أنه من كونها فهان عليه ذلك  
لعجز الكل عن دفع ذلك .

(١) الواجد المحزون ، والزفرة تصعيد النفس بعد مده ، واللغوب الإعياء . يقول :  
لا بد للمحزون من سكون فيما أن يسكن عزاء وإلا سكن إعياء ، فالعاقل من يتعزى ،  
وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

أَتَصْبِرُ لِلْبَلْوَى عَزَاءً وَحِسْبَةً      فَتُوجِرَ أَمْ تَسْلُو سُلُوَ الْبِهَامِ  
ويقول محمود الوراق .

إذا أنت لم تسلُ اصطباراً وحِسْبَةً      سلوت على الأيام مثل البهائم

(٢) كم ههنا خبرية بمعنى كثير والواجب خفض تمييزها ولكنه نصب جدا هنا  
لوجود فاصل بينها وبين معمولها فبطل الخبر . وغروب جمع غرب وهو الدمع يقول :  
كم لك من جد لم تره عينك فلم تبك عليه فهب هذا مثلهم لأنه قد غاب عنك ، والغائب  
عن قرب كالعائب الذي طال عليه العهد . قل الخطيب : وهذا المعنى مدخول لأن  
أجداده لم يرهم ولم يعرفهم ويمالك قد رآه وعرفه ورثاه . أقول : وقد الخطيب واضح  
وفي محله كما ترى .

(٣) من يحسد مبتدأ مؤخر ، وفي تعب خبر مقدم ، ونورها بدل من الشمس أو  
مفعول ثان ليحسد ، وأسكن الياء من يأتي ضرورة . وأكثر ما يكون ذلك في الياء  
والواو . والضرب النظير يقول : مثل حسادك معك مثل من يريد أن يأتي للشمس  
بنظير وهذا في تعب لازب لأنه يعالج المحال وكذلك حسادك لأنه لا نظير لك كالشمس .

وقال يمدحه ويذكر بناء مرعش سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة :

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبِّعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرَبًا      فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالغَرْبَا<sup>(١)</sup>  
 وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدْعُ لَنَا      فَوَادًا لِعِيرِ فَإِنَّ الرُّسُومَ وَلَا لُبَا<sup>(٢)</sup>  
 نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَمْشِي كَرَامَةً      لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُئَلِّمَ بِهِ رَكْبَا<sup>(٣)</sup>  
 نَذَمُ السَّحَابَ الْغُرِّيَّ فِي فِعْلِهَا بِهِ      وَنَعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتْبَا<sup>(٤)</sup>  
 وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ      عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا<sup>(٥)</sup>

(١) يخاطب ربيع الحبيب ويدعوه له . وقوله من ربيع تمييز ، ومن زائدة ، والربيع المنزل متى كان وبأى مكان كان ، أما المربع ومثله المربع والتربع فهو الموضع الذى ينزل فيه أيام الربيع يقول : فديناك أيها الربيع من أحداث الدهر ونوائبه برغم أنك زدتنا وجدا بما هجت من ذكرى الحبيب الذى كان فيك كالشمس يخرج منك ويعود إليك وكنت له كالشرق حين يظهر وكالغرب حين يختبئ .

(٢) يتعجب من معرفته آثار ديار الحبيب بعد أن سلبه قلبه وعقله ولم يدع له سبيلا إلى إدراك الأشياء ، ويدع روى بالياء وبالتاء ، فمن روى بالياء فهو على لفظ من ، ومن روى بالتاء حملة على المعنى لأن المقصود بمن ، امرأة .

(٣) الأكوار جمع كور وهو رحل البعير ، وأن نلم مؤول بتصدر مجرور بمن محذوفة صلة كرامة أى كرامة عن أن نلم بهدركبانا ، ونلم نزل يقول : لما أتينا هذا الربيع نزلنا عن رواحلنا وترجلنا كرامة للحبيب — الذى كان فيه ثم زايله — وتقديسا له أن نزل بربعه راكبين وقد أوضح هذا المعنى السرى الرفاء بقوله :

حَيِّتَ مِنْ طَلَلٍ أَجَابَ دُؤُورُهُ      يَوْمَ الْعَقِيقِ سَوَالَ دَمْعِ سَائِلِ

تَحْفَى وَنَزَلَ وَهُوَ أَعْظَمُ حَرَمَةٍ      مِنْ أَنْ يُذَالَ بِرَاكِبٍ أَوْ نَاعِلِ

(٤) السحاب جمع ، ومن ثم جاز وصفه بالغر : أى البيض : وإنما قال الغر لأنها كثيرة الماء يقول : نذم السحاب لأنها عفت الربيع وغيرت معاله بما ينهل منها من المطر وإذا طلعت عليه أعرضنا عنها وأشحنا بوجوهنا عتبا عليها لتعفيتنا الرسوم وفضلها بها ما فعلت .

(٥) هذا البيت متصل بالذى قبله يقول : نحن نذم السحاب لما تفعل بالربيع ولا حق

وَكَيْفَ التَّدَاذِي بِالْأَصَائِلِ وَالضُّحَى إِذَا لَمْ يَعُدْ ذَلِكَ النَّسِيمُ الَّذِي هَبَّ (٥)  
ذَكَرْتُ بِهِ وَصَلًا كَانَ لَمْ أَفْزُ بِهِ وَعَيْشًا كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثِبًا (١)

لنا في هذا التذم لأن من صحب الدنيا وطال امتراسه بها تقلبت أحوالها عليه حتى يرى ما اطمأن إليه من صفاتها ونعيمها قد تغير وحال عما كان عليه كأن لم يغبن بالأمس ، وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لِيَبَّ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنِّ عَدُوٌّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : ليس ترداد حركات الفلك إلا تحيل الكائنات عن حقائقها .

(١) يقول : كيف ألتذ بالعشايا والغدايا إذا لم أستنشق ذلك النسيم الذي كنت أجده من قبل : يعني نسيم الحبيب ونسيم أيام الشباب والوصال ، والأصائل جمع أصيل على غير قياس وهو ما بين العصر إلى المغرب — والضحي قال الجوهري : مقصور تؤنث وتذكر ، فمن أنث ذهب إلى أنه جمع ضحوة ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل سرد وتغر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحي وضحي إذا أردت به ضحا يومك لم تنونه . وقال ابن بري : ضحي مصروف على كل حال ، قال الجوهري : وهو حين تشرق الشمس ثم بعده الضحاء ممدود مذكر وهو عند ارتفاع النهار الأعلى ، وقيل : الضحي من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جدا ثم بعد ذلك الضحاء إلى قريب من نصف النهار .

(٢) يقول : تذكرت بهذا الربع وصلا قصرت أيامه حتى كأنه لم يكن لسرعة انقضائه ، وعيشا وشيك الانقطاع كأنى قطعه بالوثوب ، ووثب قفز وطف ، ومن قولهم وثب إلى الشرف وثبا : أى وصل إليه دفعة واحدة . قال ابن جنى : يريد قصر أوقات السرور ، ومن بديع ما قيل في قصر أوقات السرور قول الوليد بن يزيد :

لَأَسْأَلَ اللَّهَ تَغْيِيرًا لِمَا صَنَعْتَ نَامَتْ وَقَدْ أَسْهَرْتَ عَيْنِيَّ عَيْنَاهَا

فَاللَّيْلُ أَطْوَلُ شَيْءٍ حِينَ أَفْقَدَهَا وَاللَّيْلُ أَقْصَرُ شَيْءٍ حِينَ أَتَقَاهَا

والشعراء أبدأ يذكرون قصر أوقات السرور وأيام اللهو ، وسرعة زوالها وانقضائها فمن ظريفه قول بعض العرب :

وَفَتَانَةَ الْعَيْنَيْنِ قَتَالَ الْهَوَى إِذَا نَفَحَتْ شَيْخًا رَوَّاحِيهَا شَيْبًا<sup>(١)</sup>  
لَهَا بَشْرُ الدَّرِّ الَّذِي قُلِدَتْ بِهِ وَلَمْ أَرْ بَدْرًا قَبْلَهَا قُلِدَ الشُّهْبَا<sup>(٢)</sup>

ليلي وليلى نفي نومي اختلافهما حتى لقد تركاني في الهوى مثلاً  
يجودُ بالطول ليلي كلما نخلت بالطول ليلي وإن جادت به بخلا  
وفي هذا البيت من الجناس الذي ترى ما يعجز عنه . وقال البختری :  
فلا تذكُرْ أَعْمَدَ التَّصَابِي فَإِنَّهُ كَقَضَى وَلَمْ تَشْعُرْ بِهِ ذَلِكَ الْعَصْرُ  
وما أبدع ما يقول الرضى :

يَا لَيْلَةَ كَادَ مِنْ تَقَاصُرِهَا أَنْ يَغْتَرَّ فِيهَا الْعَشِيُّ بِالسَّحَرِ  
وقال بعضهم :

ظَلَّلْنَا عِنْدَ دَارِ أَبِي نَعِيمٍ يَوْمَ مِثْلِ سَالِفَةِ الذَّبَابِ  
شبهه في القصر بعنق الذباب ، ومثله لجرير :

وَيَوْمَ كَأَبْهَامِ الْقَطَاةِ مُزَيْنٍ إِلَى صِبَاهُ غَالِبٍ لِي بَاطِلُهُ  
وما أحسن قول إبراهيم بن العباس :

لَيْلَةَ كَادَ يَلْتَقِي طَرَفَاهَا قِصْرًا وَهِيَ لَيْلَةُ الْمِيلَادِ  
ويقول متمم بن نويرة :

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

(١) النفع تضوع رائحة الطيب يقال نفع الطيب وتفتح رائحة الطيب وعدى  
النفع على المعنى كأنه قال إذا أصابت روائحها شيخاً شب ، وفتانة عطف على وصلا في  
البيت قبله : أى وذكرت . به فتانة يقول : وذكرت امرأة تفتن عيناها ويقتل هواها إذا  
فعمت روائحها شيخاً تصابي وعاد شاباً وهذا مثل قول الصنوبري :

يَلْقَظُ لَوْ بَدَأَ لِخَلِيفِ شَيْبٍ لِفَارَقِهِ وَعَادَ إِلَى شُـبَابِهِ

(٢) البشر جمع بشرة وهى ظاهر الجلد ، والدر اللآلىء العظام ، والشهب الدرارى  
من النجوم ؛ يقول : إن لونها مثل لون الدر الذى تقلده ، وهى كالبدر حسنا وجمالا ،  
وقلائدها كدرارى النجوم ولم أرقبها بدرا قلد النجوم .

فَيَا شَوْقٍ مَا أَبْقَى وَيَالِي مِنَ النَّوَى      وَيَادَمْعٍ مَا أَجْرَى وَيَا قَلْبَ مَا أَصْبَى (١)  
 لَقَدْ لَعِبَ الْبَيْنُ الْمَشْتُ بِهَِا وَبِي      وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضُّبَا (٢)  
 وَمَنْ تَكُنِ الْأَسْدُ الضَّوَارِي جُدُودَهُ      يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحًا وَمَطْعَمُهُ غَضْبًا (٣)

(١) ويالى : يروى وبالى بالموحدة ، والنوى البعد . يقول : فياشوق ما أبقاك فلست تنفد ويا من لى بمعنى من ظلم الفراق ويادمعى ما أجراك ويقلبي ما أصباك وأشوقك وقد حذف كما ترى يا آت الإضافة من شوق ودمع وقلب تخفيفاً لأن الكسرة تدل عليها ولك أن تقرأ شوق ودمع وقلب مبدية على الضم على أنها مفردة أى غير مضافة إلى ياء التكلم وحذف الكاف المنصوبة من أبقى وأجرى وأصبي للمخاطبة التى قبلها بالنداء . وقوله ويالى استغائة قال العكبرى قوله ويالى يحتمل أن يكون أراد اللام المفتوحة التى للاستغائة كأنه استغاث بنفسه من النوى ، ويحتمل أن يكون أراد اللام المكسورة التى للمستغاث من أجله كأنه قال : يا قوم اعجبوا لى من النوى .

(٢) البين البعد ، والمشت المفرق ، والضب حيوان من الزحافات معروف يضرب به المثل فى الحيرة ، يقال : أحيى من ضب لأنه إذا خرج من جحره لا يهتدى إليه عند أوبته يقول : لعب الفراق بشملنا وزودنى الضلال والحيرة فلا أهتدى إلى وجهه وليس إلى لقاء الحبيب من سبيل ، وقيل إن المراد كما أن الضب لا يزود فى المفازة لأنه لا يحتاج إلى الماء أبداً فكذا لم يزودنى الفراق شيئاً أى أنه لم يودع حبيته وفارقها من غير وداع ولا التفاء فيكون التوديع زاداً كما قال بعضهم :

زَوَّدَ الْأَحْبَابُ لِلْأَحْبَابِ ضَمًّا وَالتَّزَامًا

وَسُلَيْمِي زَوَّدَنِي يَوْمَ تَوَدَّيْتِي السَّقَامَا

وقال ابن فوزه : يريد زودنى الضلال عن وطنى الذى خرجت منه فما أوفق إلى العود إليه والاجتماع مع الحبيب والضب يوصف بالضلال وقلة الاهتداء وعبارة الواحدى يجوز أن يكون المعنى أن الضب مكانه المفازة فلا يزود إذا استقل منها يقول : أنا فى البين مقيم إقامة الضب فى المفازة وليس من عادة القيم أن يزود فالسير والبين كأنهما منزل لإلنى إياهما .

(٣) الضوارى المضراة والمولعة بالصيد . يقول : من كان من نسل الشجعان وكان أباه كالأسود كان هو كذلك وعاش عيشة الأسود وإذن يكون الليل له نهراً فلا تعرفه

وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ إِدْرَاكِى الْعَلَا      أ كَانَ تَرَانِمًا مَا تَنَاوَلْتُ أُمَّ كَسْبًا<sup>(١)</sup>  
 قَرُبَ غَلَامٍ عَـلِمٍ الْمَجْدَ نَفْسَهُ      كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَا<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مِلْمَةٍ      كَفَاهَا فَكَانَ السَّيْفَ وَالسَّكْفَ وَالْقَلْبَا<sup>(٣)</sup>  
 تَهَابُ سُيُوفُ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ      فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا<sup>(٤)</sup>

الظلمة عن بلوغه مآربه وكان مطعمه مما يأخذه من أعدائه قهراً ، قال ابن جنى : قوله  
 يكن ليله صباحاً من قول الآخر :

فَبَادِرِ اللَّيْلِ وَلَدَّاتِهِ      فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرِيْبِ

(١) كأنه يعتذر من الغضب الذى ذكر فى البيت السابق . يقول : إذا أدركت معالى  
 الأمور فلست أبالى بعد إدراكها أكان ما يحصل فى يدي إرثاً أم كسباً فالتراث المال  
 الموروث : قال بعض الشراح : وكان الوجه أن يقول أترثاً كان لأن الهمزة لا يلبسها إلا  
 المسئول عنه فأخبره لإقامة الوزن.

(٢) قرب غلام يعنى نفسه يقول : إن المرء يمكنه أن يعلم نفسه المجد وإن لم يكن له  
 من يعلمه كما علم سيف الدولة نفسه الطعن والضرب ومجالدته الأبطال بشجاعته وحذقه ،  
 وروى \* كتعليم سيف الدولة الدولة الضرباً \* أى كما علم أهل دولته الطعان والنزال .  
 والرواية الأولى أظهر ، والمجد الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفى ، وقيل لا يكون إلا  
 بالآباء والظاهر أنه مأخوذ من قولهم مجدت الإبل إذا شبعت وامتلات بطونها علفاً  
 وأمجدها راعها ويقال من هذا أجد فلان عطاءه ومجده إذا كثره ، ولما كان من أساس  
 المجد كثرة المسأثر والمساعى كان مأخوذاً من ذلك .

(٣) يقال : كفيته الأمر أعتته عليه وقتت به دونه ، وقد استكفانى أمره فكفيته  
 وعداه هنا بالباء على تضمينه معنى استعانت به يقول : إن الدولة إذا استعانت به فى أية  
 مهمة أو نازلة كفهاها وبلغت به وحده ما تريد فكان سيفاً لها على أعدائها وكفها تضرب  
 بها وقلبا تقتحم به الأهوال ؛ قال العسكبرى : يريد بهذا أن يفضل على سيف الحديد فإنه  
 لا يعمل بنفسه ولا يعمل إلا بضارب ، وسيف الدولة يعمل بنفسه .

(٤) يقول : إن السيوف تهاب مع أنها حديد لا عقل لها ولا قوة إلا بالضارب بها  
 فكيف يكون حالها فى الحرف منها إذا كانت عربية نزارية ؟ أى تقطع بنفسها دون  
 استعانة بغيرها ، وسيف الدولة عربى نزارى ، فيكون أحق بالحرف منه .

وَيُرْهَبُ نَابُ اللَّيْثِ وَاللَّيْثُ وَحَدَهُ ۖ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اللَّيْثُ لَهُ صَحْبًا (١)  
 وَيَخْشَى عُبَابَ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانَهُ ۖ فَكَيْفَ بَيْنَ يَغْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَا (٢)  
 عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللِّغَى ۖ لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكَتِبَا (٣)  
 فَبُورِكَتَ مِنْ غَيْثٍ كَانَ جُلُودَنَا بِهِ تُذْبِتُ الدِّيَابِجَ وَالْوَشَى وَالْعَصْبَا (٤)  
 وَمِنْ وَاهِبٍ جَزَلًا وَمِنْ زَاجِرٍ هَلَا وَمِنْ هَيْثَا لِأَهْلِ الثَّغْرِ رَأْيِكَ فِيهِمْ (٥)  
 وَأَنْكَ حِزْبَ اللَّهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْبًا (٦)

(١) يقول : إن الليث يرهب إذا كان وحده فلا يجترى ، أحد على مواجهته فكيف إذا كان معه ليوث آخرون ؟ يريد سيف الدولة وأصحابه .

(٢) عباب البحر تراكم أمواجه وشدتها ويعنى يغطي وعب زخر وتدفق وقد سمي انفرس الشديد الجرى والنهر الشديد الجريان يعبوا من ذلك يقول : والبحر تخاف أمواجه وهو مكانه فكيف الظن بمن إذا زخر وماج عم البلاد .

(٣) اللغى جمع لغة يقول : هو عليم بخفيات الديانات واللغات ، يعلم منهما ما لا يصل إليه غيره ، وله في ذلك خطرات تفضح العلماء وكتبهم لأنهم لم يبلغوا في العلم ما يجرى على خاطره .

(٤) يقال : بوركت وبورك لك وبورك فيك وبورك عليك يدعو له بالبركة والتماء ومن غيث تميز والديباج فارسي معرب وهو اشوب الذي سدها ولحمته حرير والوشى الثوب فيه ألوان شتى والعصب ضرب من برود اليمن يقول : إنك تخلع علينا هذه الثياب فكأنك غيث تمطر علينا فتنبت جلودنا هذه الثياب فبارك الله عليك غيثا .

(٥) الجزل الكثير وهلا اسم صوت تزجر به الحيل والقصب المني والجمع أقصاب ؛ وفي الحديث : الذي يتخطفى رقاب الناس يوم الجمعة كالجار قصبه في النار قيل اسم للأمعاء كلها ، وقيل : هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء يقول : وبوركت من رجل يهب العطاء جزلا ويزجر الحيل يستحشا ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ويشق الأمعاء فينثرها .

(٦) رأيك مرفوع بفعله وفعله هنيئا وأصله ثبت رأيك هنيئا لهم لحذف الفعل وأقيم الحال « هنيئا » مقامه فصارت تعمل عمله ، وحزب الله منادى أو منصوب على الاختصاص يقول : ليهنهم حسن رأيك فيهم وأنك صرت لهم حزبا — أى أعوانا وأنصاراً — في حال أنك حزب الله .

وَأَنْكَرُوتِ الدَّهْرَ فِيهَا وَرَبِيهٗ      فَإِنْ شَكَ فَلَیُحْدِثُ بِسَاحَتِهَا خُطْبًا<sup>(١)</sup>  
فَیَوْمًا بِخَیْلِ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمْ      وَیَوْمًا بِجُودٍ یَطْرُدُ الْفَقْرَ وَالجُدْبَا<sup>(٢)</sup>  
سَرَايَاكَ تَتْرَى وَالدُّمُتُقُ هَارِبٌ      وَأَصْحَابُهُ قَتْلَى وَأَمْوَالُهُ نُهْبَى<sup>(٣)</sup>  
أَنْیَ مَرَعَشًا یَسْتَقْرِیْبُ البُعْدَ مُقْبِلًا      وَأَدْبَرَ إِذْ أَقْبَلْتَ یَسْتَبْعِدُ القُرْبَا<sup>(٤)</sup>  
كَذَا یَتْرُكُ الأَعْدَاءَ مَنْ یَكْرَهُ القَنَا      وَیَقْفُلُ مَنْ كَانَتْ غَنِیمَتُهُ رُعْبَا<sup>(٥)</sup>

(١) وأنك عطف على وأنك حزب الله في البيت السابق والضمير في فيها وفي بساحتها للأرض وأرجه إلى غير المذكور على حد قوله تعالى « كل من عليها فان » ورعت أفزعت وربب الدهر صروفه وحوادثه . يقول : هنيئاً لأهل الثغر أنك صرت لهم حزياً وأنك فعلت في الأرض أفعالا أفزعت الدهر وصروفه ، فإن شك الدهر في قولي فليحدث في الأرض خطبا . يعنى أن الناس آمنون من تصاريف الدهر فليس في استطاعته أن يمسه بسوء هية لك .

(٢) عنهم : أى عن أهل الثغر . والجذب : القحط .  
(٣) السرايا جمع سرية وهى الجماعة من الجيش سميت كذلك قيل لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السرى أى النفيس وقيل لأنهم ينفذون سرا وخفية وتترى متواترة متتابعة وبينها فجوات وفترات قال تعالى « ثم أرسلنا رسلنا تترى » وهو معلوم أن بين كل رسولين فترة قال الجوهري تترى فيها لغتان تنون ولاتنون فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث وهو أجود وأصلها وترى من الوتر وهو الفرد ومن نونها جعلها ملحقة والمراد هنا الذى يخلف بعضها بعضا ونهى أى منهوبة والدمستق اسم لقائد الروم .

(٤) مرعش حصن من أعمال ملطية ؛ يقول : أنى الدمستق هذا الثغر مهزوزاً نشيطاً مبتهجا يجد البعيد قريباً فلما أقبلت عليه ولى مدبراً وهو يرى اقريب بعيداً خوفاً وذعراً أن تدركه ، قال العكبرى : ولقد أحسن القائل الناظر إلى هذا المعنى :

والله ما جئتكم زائراً إلا رأيت الأرض تطوى لى  
ولا اثنى عزمى عن بابكم إلا تعثرت بأذيالى  
(٥) يقول : كذا من أقدم على الحرب وهو يكره الجلال جينا يترك أعداءه ويخيم

وَهَلْ رَدَّ عَنْهُ بِاللُّقَانِ وَقُوفُهُ      صُدُورَ الْعَوَالِي وَالْمُطَهَّمَةَ الْقُبَا (١)  
مَضَى بَعْدَ مَا التَّفَّ الرَّمَاحَانَ سَاعَةً      كَمَا يَتَلَقَّى الْهُدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهُدْبَا (٢)  
وَلَكِنَّهُ وُلَّى وَلِلطَّعْنِ سَوْرَةٌ      إِذَا ذَكَرْتَهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجُنْبَا (٣)  
وَحَلَّى الْعَذَارَى وَالْبَطَارِيْقَ وَالْقُرَى      وَشَعَثَ النَّصَارَى وَالْقَرَائِينَ وَالصُّلْبَا (٤)

عن اللقاء وينكس على عقبيه وكذا يرجع عن الحرب من لم يغم سوى الرعب : أى أن الدمستق عاد مرعوباً فكان الرعب له بمنزلة الغنيمة لغيره .

(١) اللقان ثغر ببلاد الروم « الأناضول » والعوالى من الرماح ما دخل فى السنان إلى ثلثه والحيل المظهمة التامة الحلقى والقب جمع أقب وهو الضامر البطن ووقوفه فاعل رد ؛ قل الواحدى : كان الدمستق قد أقام باللقان فلما أقبل سيف الدولة انهزم . يقول : فهل أغنى عنه وقوفه وهل رد عنه الرماح والحيل الحسان الضامرة .

(٢) يريد بالرمحين رماح الفريقين فتى الجمع كما قال أبو النجم :

\* بين رماحى مالك ونهشيل \*

والهدب : أشفار العين ، يقول : انهزم بعد أن تشاجرت الرماح ساعة كما تختلط الأهداب الأعلى والأسافل عند الرقاد وهذا مثل قول بعضهم :

مَا التَّقِينَا بِجَعْدِ رَبِّي إِلَّا      مِثْلَ مَا تَلْتَقِي جُفُونُ السَّلِيمِ

(٣) السورة الحدة يقول : ولكنه انهزم وللطعن فى أصحابه حدة إذا تذكرها لمس جنبه قائلاً : هل أصابه شيء منه ؟ أى أنه انهزم مدهوشاً مرعوباً لا يدري ما حاله وهل أصابته طعنة نافذة ؟ قال بعض الشراح : إنه هرب وبقى من دهشه لا يدري ما يصنع فكان يمس جنبه هل يجد روحه بين جنبيه من الدهول والفرع وهذا من قول أبي نواس :

إِذَا تَفَكَّرْتُ فِي هَوَايَ لَهُ      مَسَسْتُ رَأْسِي هَلْ طَارَ عَن بَدَنِي

(٤) العذارى جمع عذراء وهى البكر من النساء والبطاريق جمع بطريق وهم قواد الروم والشعث جمع أشعث وهو المغبر الرأس والمراد بهم هنا الرهبان والقرايين جمع قربان وهو ما يتقرب به إلى الله والمراد هنا خاصة الملك والصلب جمع صليب وسكن اللام على لغة تميم يقول : إنه انهزم وترك هؤلاء ولم يلتفت إليهم لهول ما رأى .

أَرَى كَلْمًا يَبْغِي الْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ      حَرِيصًا عَلَيْهَا مُسْتَهَامًا بِهَا صَبًّا<sup>(١)</sup>  
فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ التَّقَى      وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ الْحَرْبَا<sup>(٢)</sup>  
وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالْفِعْلُ وَاحِدٌ      إِلَى أَنْ يُرَى إِحْسَانُ هَذَا لِذَا ذَنْبًا<sup>(٣)</sup>

(١) المستهام الذي ملك عليه العشق أمره فهم على وجهه ، والصبابة رقة الشوق : يقول : كل منا يطلب الحياة عاشقاً لها محباً حريصاً عليها .

(٢) يقول : كل من الجبان والشجاع سواء في حب النفس وإن اختلف فعلهما فالجبان حباً لنفسه وإبقاء على حياته اتقى الحرب وترك القتال والشجاع إنما أقدم على الحرب دفاعاً عن نفسه وذوداً عن مهجته لأنه يخاف على نفسه العدو إن هو قعد عن الحرب أو لأنه إذا أرى من نفسه الشجاعة تحاماه الناس واتقوه فكان في ذلك بقاؤه كما قال الحماسي — الحسين بن الحمام — :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد      لنفسى حياة مثل أن أتقدما  
وتقول الخنساء .

نُهِنِ النَّفْسَ وَهَوْنَ النَّفْسِ يَوْمَ الْكُرْبِيَّةِ أَبْقَى لَهَا  
وروى أن الصديق رضى الله عنه قال لخالد بن الوليد — وقد ودعه لحرب أهل  
الردة — : احرص على الموت توهب لك الحياة ، ومعناه إما أن الشجاع مهيب مرهوب  
لا يحام حوله ، وإما أن ذكره يبقى بعده فيكون كأنه حي كما قال جيب :

سلفوا يرون الذكر عقباً صالحاً      ومضوا يعدون الثناء خلوداً  
وإما أنه إذا استشهد صار حياً كما قال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل  
الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » قال العكبري : وهذا البيت من الحكمة ،  
قال الحكيم : النفس المتجوهرة تأبى مقارئة الذل كل الإباء وترى فناءها في طلب العز  
حياتها : والنفس الدنيئة على الضد من ذلك ، وروى بدل النفس الحرب .

(٣) قال الواحدى . يقول : إن الرجلين ليفعلان فعلاً واحداً فيرزق أحدهما بذلك  
الفعل ويحرم الثانى حتى كأن إحسان المرزوق ذنب للمحروم ومثال ذلك أن يحضر الحرب  
اثنان ينعنم أحدهما ويحرم الآخر فحضور الحرب إحسان من الغائم ذنب للمحروم وكلاهما  
فعل فعلاً واحداً وكذلك مسافران مثلاً سافرا فربح أحدهما وخسر الآخر فيعد السفر  
من الراجح إحساناً يحمد عليه ومن الخاسر ذنباً يلام عليه وهذا كما أنشده ابن الأعرابي :

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ويعطى المنى من حيث يحرم صاحبه  
وفي هذا — أسعدك الله — من الدلالة على القضاء وكونه ولعبه بالإنسان وعلى الحظ  
وأثره في تصرفات الناس مالا سبيل إلى إنكاره ونورد هنا بعضاً مما قاله الشعراء مما  
يتصل بهذا الباب وهو باب واسع جداً . قال رهين الحبسين :

لا تَطْلُبَنَّ بِأَلَةٍ لَكَ رُتْبَةٌ      قَلَمُ الْبَالِغِ بِغَيْرِ حَظٍّ مِغْزَلُ  
سَكَنَ السَّمَاءِ كَانَ السَّمَاءُ كِلَاهِمَا      هَذَا لَهُ رُمُحٌ وَهَذَا أُعْزَلُ  
وقال :

سَيَطْلُبُنِي رِزْقُ الَّذِي لَوْ طَلَبْتُهُ      لَمَا زَادَ وَالْدُّنْيَا حُظُوظٌ وَإِقْبَالُ  
إِذَا صَدَقَ الْجَدُّ افْتَرَى الْعَمُّ لِلْفَتَى      مَكَارِمَ لَا تُشْكِرُ وَإِنْ كَذَبَ الْخَالُ  
« الجد هنا الحظ والعلم الجماعة . وتشكرى من أكرى الزاد إذا نقص ، وافتري  
كذب والحال الخيلة » . ويقول أبو تمام :

ينال الفتى من دهره وهو جاهلٌ      وَيُكْدِي الْفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ (١)  
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَأْتِي عَلَى الْحِجَابِ      إِذَنْ هَلَكْتَ مِنْ جَهْلِهِنَّ النَّهَامُ  
ويقول أبو إسحاق الصابي :

إِذَا جَمَعْتُ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ صِنَاعَةً      فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَدْرِي الَّذِي هُوَ أَخَذَقُ  
فَلَا تَتَفَقَّدُ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا جَرَتْ      بِهِ لَهَا الْأَرْزَاقُ حِينَ تَفَرَّقُ  
فَإِذَا كَانَ الْجَهْلُ فَالرُّزْقُ وَاسِعٌ      وَحَيْثُ يَكُونُ الْعِلْمُ فَالرُّزْقُ ضَيِّقُ  
وقال الإمام الشافعي :

لَوْ أَنَّ بِالْحَيْلِ الْغِنَى لَوْ جَدْتَنِي      بِنَجُومِ أَفْلَاكِ السَّمَاءِ تَعَلَّقُ  
لَكِنَّ مِنْ رُزْقِ الْحِجَابِ حَرَمَ الْغِنَى      ضِدَّانِ مُفْتَرِقَانِ أَيْ تَفْرُقُ

(١) أكدي الرجل خاب ولم يظفر بشيء وأصله من حافر البئر ينتهي إلى كدية  
أي صخرة صلبة — فلم يمكنه الحفر فيتركه .

فَأَضَحَّتْ كَأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوْقِ بَدْنِهِ إِلَى الْأَرْضِ قَدْ شَقَّ الْكَوَاكِبَ وَالتُّرَابَ (١)  
تَصُدُّ الرِّيَّاحُ الْهَوِجُ عَنْهَا مَخَافَةً وَتَنْزَعُ مِنْهَا الطَّيْرَ أَنْ تَلْقُطَ الْحَبَّ (٢)

فإذا سمعتَ بأنَّ مَحْرُومًا أَنِي ماءً لِيَشْرَبَهُ ففاضَ فَصَدَّقِ  
أَوْ أَنَّ مَحْظُوظًا غَدًا فِي كَفِّهِ عُودَ فَأُورِقْ فِي يَدَيْهِ فَخَقِّقِ  
وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَكَوْنِهِ بُوَسُّ اللَّيِّبِ وَطَيْبِ عَيْشِ الْأَحَقِّ  
والإشارة في قول المتنبي هذا ولذا للمرزوق والمحروم المفهومين من قوله  
ويختلف الرزقان .

(١) فأضحت أي قلعة مرعش يقول — كما ذهب إلى ذلك الخطيب وتابعه جماعة  
من الشراح — : إن هذه القلعة لعلوها في الجو كأنما ابتدئ بها من الجو فأست هناك  
فشقت الكواكب وارتب : يعني الذي ارتفع منها إلى الجو حواليها فكأنها مقلوبة أسها  
في السماء وأعلى حائطها إلى الأرض وروى ابن جنى من فوق برفع القاف وبدؤه بالرفع  
أيضا جعل فوق معرفة وبناء كقبل وبعد وأراد فوقه فلما حذف الهاء بناء كقبل وبعد  
ورفع بدؤه على الابتداء ، قل الواحدى : على رواية ابن جنى لا يستقيم لفظ البيت ولا  
معناه لأنه — أى المتنبي — يقول : أضحت هذه القلعة — يعنى مرعشا — كأن سورها  
من فوق بدئه أى من أعلى ابتدائه قد شق الكواكب بعلوه في السماء وشق التراب  
برسوخه في الأرض وهو كقول السموال :

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل

رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرع لا يرام طويل

(٢) تصد تعرض والهوج جمع هوجاء وهى الرياح الحفقاء التى تارة تأتى من هنا  
وتارة تأتى من هنا وعنهما متعلق بتصد ومخافة مفعول من أجله وأن تلتقط فى موضع  
نصب على حذف حرف الجر أى من أن تلتقط : يقول : إن الرياح الهوج تعرض عنها  
مخافة أن تعجز عن الوصول إلى أعلاها وكذلك الطير تحس من نفسها العجز عن  
الارتقاء إليها والنقاط الحب من ذراها وقال القاضى أبو الحسن الجرجانى : يريد أن  
الرياح لا تدنو منها خوفا من تثقيف سياسته والطير لا تقع عليها خشية أن يجرى عليها

وَتَرَدِي الْجِيَادُ الْجُرْدُ فَوْقَ حِيَابِهَا      وَقَدْ نَدَفَ الصَّنْبِرُ فِي طَرْقِهَا الْعُطْبَا (١)  
كَفَى عَجَبًا أَنْ يَعْجَبَ النَّاسُ أَنَّهُ      بَنَى مَرَعَشًا تَبًا لِأَرَامِهِمْ تَبًا (٢)

إذا هي التقطت الحب ما توجهه حال المتناول من دون إذن ، وهذا المعنى منقول من قول جيب :

قَدْ بَثَّ عَبْدُ اللَّهِ خَوْفَ انتقامِهِ      عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا تَدَبُّ عَقَارُ بِهِ  
وهو كقول الآخر :

وكانت لا تطير الطير فيها      ولا يسرى بها للجن سارى  
(١) تردى من الرديان وهو ضرب من العدو ترجم فيه الجياد الأرض بخوافرها ، والجرد اقصار الشعر وهو من آيات العتق والكرم ، والصنبر السحاب البارد الريح في غيم وأيضاً اسم اليوم الثاني من أيام العجوز قالوا وهي سبعة أيام وأنشدوا لابن أحرر وقيل لابن شبل الأعرابي :

كُيِّعَ الشَّتَاءُ بِسَبْعَةِ غُبَرٍ      أَيَّامَ شَهْلَتِنَا مِنَ الشَّهْرِ  
فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهَا وَمَضَتْ      صِنٌّ وَصِنْبِرٌ مَعَ الْوَبْرِ  
وَبَأَمْرِ وَأَخِيهِ مُؤْتَمِرٍ      وَمُعَلَّلٍ وَبِمُطْفِئِ الْجُنْجُرِ  
ذَهَبَ الشَّتَاءُ مُؤَلِيًا هَرَبًا      وَأَتَتْكَ وَافِدَةٌ مِنَ النَّجْرِ (١)

يقال إن عجوزاً كان لها سبعة أولاد خرج كل واحد منهم في يوم من هذه الأيام فقتله البرد . والعطب القطن والعطب مثله كعسر وعسر . قال الشاعر :

كَأَنَّهُ فِي ذُرَى عَمَائِمِهِمْ      مُوَضَّعٌ مِنْ مَنَادِفِ الْعُطْبِ  
يقول : خيلك تعدو فوق جبال هذه القلعة وقد امتلأت طرقتها بالثلج الذي كأنه قطن ندفه فيها برد الشتاء وصقيعه .

(٢) أن يعجب فاعل كفى وعجبا تمييز وتبا : أي خسرا وهلاكاً . يقول : من العجب

(١) الكسع شدة المر ، يقال كسعه بكذا وكذا إذا جعله تابعاً له ومذهبا به والشهلة العجوز . والنجر : الحر . وكل شهر في صميم الحر ناجر للعطش الذي يسببه

وَمَا الْفَرَقُ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ وَبَيْنَهُ إِذَا حَذِرَ الْمَحْذُورَ وَأَسْتَصْعَبَ الصَّعْبَاً (١)  
 لِأَمْرٍ أَعَدَّتْهُ الْخِلَافَةُ لِلْعِدَا وَسَمَّتْهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمِ الْعَضْبَاً (٢)  
 وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الْأَسِنَّةُ رَحْمَةً وَلَمْ يَتْرِكِ الشَّامَ الْأَعَادِي لَهُ حُبًّا (٣)  
 وَلَكِنْ نَفَاها عَنْهُ غَيْرُ كَرِيمَةٍ كَرِيمِ الثَّنَا مَا سَبَّ قَطُّ وَلَا سَبًّا (٤)  
 وَجَيْشٌ يُثْنِي كُلَّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ خَرِيقُ رِيَّاحٍ وَاجَهَتْ غُصْنَا رَطْبًا (٥)

أن يعجب الناس ممن بنى هذه القلعة وتباً لآرائهم حين لم يدركوا أنه يقدر على كل ما يقصد إليه فكيف يتعجبون من قادر يبلغ ما يريد ؟

(١) يقول : وأى فرق بينه وبين غيره وأية منزلة يمتاز بها عما سواه إذا كان يخشى ما يخشاه غيره أو كان ممن يستصعب الصعب ؟ إنما ينفصل عن الأغيار ويفضلهم لأنه لا يخشى شيئاً ولا يتصعب عليه أمر مهما كان .

(٢) الصارم العضب : السيف القاطع يقول : إن الخلافة ما أعدته لأعدائها وسمته سيف الدولة دون غيره إلا لأمر عظيم ، وذلك أنه بلغ من الشجاعة والحزم والسياسة مبلغاً لم يبلغه أحد .

(٣) يقول : إن أعداءه لم يخيموا عن لقاءه وبنهزموا أمامه رحمة له وإشفاقاً ولم يجلوا عن الشام محبة له وورعاً ولكنهم فعلوا ذلك فرقا وفرعاً وهذا المعنى كقول مروان بن أبي حفصة :

وما أحجم الأعداء عنك بقيّةً عليك ولكن لم يروا فيك مطمئناً  
 (٤) قوله غير كريمه حال أى نفي هذه الأسنه عنه فى حال كونها غير كريمه كريمه  
 اثناء الخ والمراد نفي أصحابها يقول : لم تفرق عنه أعداؤه ولا تركوا الشام جباله وإنما تفاهم عن الشام أذلاء صاغرين أنه رجل كريم اثناء ما سبه أحد لأنه لا يفعل ما يسب عليه ولا سب أحد لأدبه وكرمه . واثناء ممدود ولكنه قصره هنا ضرورة اسم من أثنى عليه إذا وصفه بخير أو شر ولكنه غلب فى المدح ويروى الثنا وهو قريب من الثنا وقوله كريم الثنا تجريد على إضمار محذوف أى نقاهها منه رجل كريم الثنا الخ .

(٥) قوله وجيش عطف على كريم الثنا . والطود الجبل العظيم والحريق الريح الشديدة كأنها الإعصار يقول : ونقاهها عنه جيش إذا مر بجبل كان لكثيرته كأنه جبل

كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُغَارَهُ فَمَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجُبًا<sup>(١)</sup>  
فَمَنْ كَانَ يَرْضَى اللُّؤْمَ وَالْكَفْرَ مُلْكُهُ

فَهَذَا الَّذِي يَرْضَى الْمَكَارِمَ وَالرَّبَابَ<sup>(٢)</sup>

آخر فصار به الجبل جبلين وهذا معنى قوله : يثني كل طود ، ثم قال : وهو مع هذه لكثرة والكشافة إذا لاقى عدواً كان لشدة كأنه عاصف من الريح لقي غصنا رطباً فعصف به وحطمه وعبارة السراح أن هذا الجيش إذا مر بجبل شقه نصفين لكثرت له صلصلة تسمع كالريح الخريق إذا مرت بنصف رطب قال الشاعر :

كَأَنَّ هُبُوبَهَا خَفَقَانُ رِيحٍ خَرِيقٍ بَيْنَ أَعْلَامٍ طِوَالِ  
وهذه العبارة من الغموض بحيث تحتاج هي الأخرى إلى شرح . . .

(١) مغاره أى إغارته والعجاجة العبار يقول : إن غبار هذا الجيش حجب السماء حتى لم تبد النجوم فكأن النجوم خافت إغارته عليها فاحتجبت عنه بذلك العبار حتى لا يراها ، وقد أخذ هذا المعنى الجميل الحيس يصق قال :

نَفِي وَاضِحَ التَّشْرِيقِ عَنْ أَرْضِ رَبْعِهِ دُخَانُ قُدُورٍ أَوْ عَجَاجَةٍ مِصْدَمٍ<sup>(١)</sup>

(٢) يقول : إذا كان هناك من الملوك من يرضى اللؤم والكفر بأن ينزل على حكمهما ويعمل ما يقتضيه فهذا يرضى المكارم بجوده وسخائه ويرضى الله بجهاده في سبيله . وقال الشريف بن الشجرى في أماليه : الإشارة في قوله فهذا إلى الملك لا إلى المدوح لأمرين : أحدهما أنه لو أراد المدوح لقال فأنت الذى ترضى لأن الخطاب فى مثل هذا أمدح والآخر أنه أشار إلى الملك فجعل الإرضاء له لأن الإرضاء الأول مسند إلى الملك فوجب أن يكون الإرضاء الثانى كذلك لأن وجه الإشارة إليه أن قوله ملكه قد دل عليه كما توجهت الإشارة فى الضمير إلى الصبر من قوله تعالى « ولئن صبر وغفر إن ذلك » لدلالة صبر عليه وكما عاد الضمير إلى الملك من قول القطامى :

هم الملوك وأبناء الملوك هم والآخذون به والساسة الأول

(١) رجل مصدم : محرب . من التصادم

وقال فيما كان يجري بينهما من معاتبة مستعتباً (\*) :

قال: وكان الوجه لأبي الطيب أن يقول في المقابلة يرضى المكارم والإيمان ليقابل بالإيمان الكفر كما قابل بالمكارم اللؤم ولكن لما اضطرتة القافية وضع لفظ الرب موضع الإيمان فكان ذلك في غاية الحسن لأن المراد في الحقيقة إرضاء أهله وإرضاء أهله تابع لإرضاء الله تعالى. (\*) مستعتباً: مسترضياً. قال الواحدى: لما انصرف أبو الطيب من مجلس سيف الدولة وقف له رجاله في طريقه ليغتالوه فلما رأى أبو الطيب ورأى السلاح تحت ثيابهم سل سيفه وجاءهم حتى اخترقهم فلم يقدموا عليه ونمى ذلك إلى أبي العشائر فأرسل عشرة من خاصته فوقفوا بباب سيف الدولة وجاء رسوله إلى أبي الطيب فسار إليه حتى قرب منهم فضرب أحدهم يده إلى عنان فرسه فسل أبو الطيب السيف فوثب الرجل أمامه وتقدمت فرسه الخيل وعبرت قنطرة كانت بين يديه واجتبرهم إلى الصحراء فأصاب أحدهم نحر فرسه بسهم فأنزعه أبو الطيب السهم ورمى به واستقلت الفرس وتباعد بهم ليقطعهم عن إمداد إن كان لهم ثم كر عليهم بعد أن فنى النشاب فضرب أحدهم قطع الوتر وبعض القوس وأسرع السيف إلى ذراعه فوقفوا عنه واشتغلوا بالمضروب فسار وتركهم فلما يسوا منه قال له أحدهم في آخر الليلة نحن غلمان أبي العشائر ولذلك قال: ومنتسب عندي إلى من أحبه . . ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة في الليلة الثانية مستخفياً فأقام عند صديق له والمراسلة بينه وبين سيف الدولة وسيف الدولة ينكر أن يكون قد فعل ذلك أو أمر به وعند ذلك قال هذه الأبيات وجاء في الصبح التنبي ما يأتي: قال أبو فراس الحمدانى يوماً لسيف الدولة: ان هذا المتشدد — يعنى المتنبي — كثير الإدلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن أن تفرق مائتى دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه وكان المتنبي غائباً وبلغته القصة ولما حضر دخل على سيف الدولة وأنشده:

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتباً فذاه الورى أمضى السيوف مضاربا

الأبيات — قال: فأطرق سيف الدولة ولم ينظر إليه كعادته — فخرج المتنبي من عنده متغيراً وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا في الوقعة في حق المتنبي واقطع أبو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي أولها

\* واحر قلباه ممن قلبه شيم \*

ثم جاء وأنشدها وجعل يتظلم فيها من التقصير في حقه بقوله :

مالي أكرم حبا قد برى جسدي وتدعى حب سيف الدولة الأم  
إلى أن قال :

قد زرتة وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت إليه والسيوف دم  
فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة إدلاله وإعراض سيف الدولة عنه  
فلما وصل في إنشاده إلى قوله :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم  
قال أبو فراس قد مسخت قول دعبل وادعيته وهو :

ولست أرجو اتصافاً منك ماذرفت عيني دموعاً وأنت الخصم والحكم  
فقال المتنبي :

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم  
فلم أبو فراس أنه يعنيه فقال ومن أنت يدعي كندة حتى تأخذ أعراض أهل الأمير  
في مجلسه ؟ فاستمر المتنبي في إنشاده ولم يرد عليه إلى أن قال :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

فزاد ذلك أبا فراس غيظاً وقال قد سرقت هذا من عمرو بن عروة بن العبد  
حيث يقول :

أوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت دهرأ وأظهرت إغراباً وإبداعاً

حتى فتحت بإعجاز خصصت به للعمى والعم أبصاراً وأسماعاً

ولما انتهى إلى قوله :

الخليل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال أبو فراس وماذا أبقيت للأمير إذا وصفت نفسك بكل هذا؟ تمدح الأمير بما سرقتك من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير؟ أما سرقت هذا من قول الهيثم بن الأسود النخعي الكوفي المعروف بابن العريان العثماني :

أعاذلتى كم مهمه قد قطعته أليف وحوش سا كناً غير هائب  
أنا ابن الفلا والظعن والضرب والشربى وجرى للمذاكى والقنا والقواضب  
حليم وقور في البلاد وهيتى لها في قلوب الناس بطش الكتائب  
فقال المتنبي :

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم  
فقال أبو فراس وهذا سرقتك من قول معقل العجلي :

إذا لم أميز بين نور وظلمة بعينى فالعينان زور وباطل  
ومثله قول محمد بن أحمد بن أبي مرة السكي :

إذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمى والبصراء  
وضجر سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها فضربه  
بالدواة التي بين يديه فقال المتنبي في الحال :

إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم  
قال أبو فراس وهذا أخذته من قول بشار :

إذا رضيتم بأن نجحى وسركم قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر  
ومثله قول ابن الرومي :

إذا ما الفجائم أكسبني رضاك فما الدهر بالفاجع  
فلم يلتفت سيف الدولة إلى ما قال أبو فراس وأعجبه بيت المتنبي ورضى عنه في الحال  
وأدناه إليه وقبل رأسه وأجازه بألف دينار ثم أردفها بألف أخرى فقال المتنبي :

جاءت دنانيرك محتومة عاجلة ألفاً على ألف  
أشبهها فعملك في فيلق قلبته صفا على صف

من القصيدة الميمية :

أَلَا مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّيَوْمَ عَاتِبًا      فِدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبًا<sup>(١)</sup>  
وَمَا لِي إِذَا مَا اشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَهُ      تَنَائِفَ لَا أَشْتَأُقُهَا وَسَبَابًا<sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ كَانَ يُدْنِي مَجْلِسِي مِنْ سَمَائِهِ      أَحَادِيثُ فِيهَا بَدْرَهَا وَالْكَوَاكِبُ<sup>(٣)</sup>  
حَنَانِيكَ مَسْئُولًا وَلَتَبَيْتِكَ دَاعِيًا      وَحَسْبِي مَوْهُوبًا وَحَسْبُكَ وَاهِبًا<sup>(٤)</sup>

(١) فداء الوري : دعاء . وعاتبنا حال ، وأمضى السيف خبر مبتدأ محذوف : أي هو أمضى السيف مضاربا ، أو تقول إنه منصوب على المدح ومضاربا تمييز ، ومضارب السيف حدودها . يقول : مالسيف الدولة غضبان ؟ أي لم غضب ؟ وما سبب غضبه ؟ فلست أعرف لي ذنبا يوجب ذلك ، ثم دعاه ، ثم قال لا سيف أمضى منه مضربا .

(٢) التنايف جمع تنوفة وهي المفازة ، والسباب جمع سبب وهي الفلاة القفر . يقول : مالي إذا اشتقت إليه أبصرت بيني وبينه فلوات بعيدة مترامية الأطراف من عتبه وتجافيه واستحاشه ؟

(٣) أراد بالسماء مجلسه ، جعله كالسمااء رفعة له وجعله كالبدر ومن حوله من ندمائه وأهل مجلسه كالكوكب ؛ وعبارة الخطيب التبريزي : شبه مجلسه بالسمااء وجعله بدرآ وحوله كواكب ، فهو كقوله أيضاً :

أقلب منك طرفي في سماء وإن طلعت كواكبها خصالاً

(٤) حنانك كلمة موضوعة موضع المصدر استعملت مشتاة كأنه حنان بعد حنان أي تحننا بعد تحنن ، ومثلها ليك من لب به إذا لزمه ، وحسبي وحسبك خبران مبتدأهما محذوفان : أي وأنت حسبي وأنا حسبك والمنصوبات كلها على الحال وقيل : على التمييز . يقول : تحنن على تحننا بعد تحنن إذا كنت مسئولاً ولك الإجابة إذا كنت داعياً وكفى بي موهوباً : أي إنني أشكر من يهينني وأشيد بذكره وكفى بك واهباً ، أي : أنك أشرف الواهين ولست أحتاج إلى واهب آخر بعد هباتك .

أَهَذَا جَزَاءُ الصَّدْقِ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا  
أَهَذَا جَزَاءُ الْكِذْبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا<sup>(١)</sup>  
وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلُّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ  
مَحَا الذَّنْبَ كُلَّ اللَّحْوِ مَنْ جَاءَ تَائِبًا<sup>(٢)</sup>

وقال وقد عرض على سيف الدولة سيوف مذهبة وفيها سيف غير مذهب فأمر  
بإذها به :

أَحْسَنُ مَا يُخَضَّبُ الْحَدِيدُ بِهِ وَخَاضِيَةُ النَّجِيعِ وَالْغَضَبُ<sup>(٣)</sup>

(١) قال الواحدى : أى إن كنت صادقاً فى مديحك فليس ماتعاملنى به جزاء  
لصدق . وإن كنت كاذباً فليس هذا جزاء الكاذبين ، لأنى إن كذبت فقد تجملت لك  
فى القول فتجمل لى أنت أيضاً فى المعاملة .

(٢) يقول : إن كان ذنبى ذنباً ليس بعده ذنب فالتوبة من الذنب محو ليس بعده  
محو ؛ وهذا المعنى مأخوذ من الحديث الشريف : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

(٣) الذى صح عن المتنبي : وخاضيه — على التثنية — وهو عطف على ما : أى  
وأحسن خاضيه ، والنجيع الدم . يقول : إن هناك خضابين الذهب والدم وأحسنهما  
الدم ، وهناك خضبان الصناعة والغضب — لأن خضبه بالذهب لا يكون إلا بصناعة  
الصيقل ، وخضبه بالدم إما يكون بسبب الغضب الباعث على الجلاد بالسيف — وأحسن  
الخاضيين الغضب ، وروى : وخاضيه — بكسر الباء — على أنه جمع خاضب قال ابن  
جنى : وخاضيه عطف على ما ، وجمع الخاضيين جمع تصحيح لأنه أراد من يعقل ومالا  
يعقل كقوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمضى على بطنه » الآية : كأنه  
خلط الجميع وكفى عنهم بما يكفى به عمن يعقل : وذكر الغضب مجازاً وأراد صاحبه . وقال  
ابن فورجه : خفض خاضيه على القسم أى وحق خاضيه وجعل الغضب خضاباً للحديد  
لأنه يخضبه بالدم على سبيل التوسع وحسن ذلك لأن الغضب يحمر منه الإنسان ، وهذا  
كقولك أحسن ما يخضب الحدود الحمرة والحجل لأن الحجل يصبغ الحد أحمر ، فلما  
كانت الحمرة تابعة للخجل جمعها تائيداً ؛ كذلك لما كان النجيع تابعاً للغضب جمعها  
وهو يريد الدم وحده ويكون الغضب تائيداً للنجيع : أى به للقفية .

فَلَا تَسِينَنَّهُ بِالنُّضَارِ فَمَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ فِيهِ وَالذَّهَبُ<sup>(١)</sup>

وتشكى سيف الدولة من دمل فقال فيه :

أَيْدِي مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ      وَهَلْ تَرَقَى إِلَى الْفَلَكَ الْخَطُوبُ<sup>(٢)</sup>  
وَجِسْمُكَ فَوْقَ هِمَّةِ كُلِّ دَاءٍ      فَقَرُبُ أَقْلَهَا مِنْهُ عَجِيبُ<sup>(٣)</sup>  
يُجْمَشُّكَ الزَّمَانُ هَوًى وَحُبًّا      وَقَدْ يُؤْذِي مِنَ الْمَقَّةِ الْحَبِيبُ<sup>(٤)</sup>  
وَكَيْفَ تَعْلِكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ      وَأَنْتَ لِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَيِّبُ<sup>(٥)</sup>

(١) شانه عابه ، والنضار الذهب . يقول : لا تشنه بالأذهاب فإنه إذا أذهب — ولا يكون ذلك إلا بعد إسمائه — ذهب سقايته أى ماؤه .

(٢) أرابه : أفزعه وأوقع به شيئاً يشك في عاقبته : أخيراً يكون أم شراً ؟ يقول : هل يدري هذا الدمل أى الناس قد أقلق ؟ وهذا استفهام تعجب واستعظام ، ثم قال متعجباً : وهل ترقى خطوب الدهر وأحداثه إلى الفلك ؟ جعله كالفلك لعلو قدره ورفعة شأنه .

(٣) الضمير في أقلها يعود إلى كل داء : كما في قوله تعالى « وكل في فلك يسبحون » أو تقول إن الضمير يعود على المجموع المستفاد من المعنى : أى أقل الأدوية يقول : إن جسمك لا ينبغي أن تتال منه الأدوية ، فمن العجب أن يقربك أقل الأدوية . وجعل للأدواء همة مجازاً .

(٤) التجميش : شبه المغازلة والملاعبة بين الحبيبين ؛ قال أبو العباس ثعلب : قيل للمغازلة تجميش من الجمش وهو الكلام الحفي وقيل من الجمش الذى هو ضرب من الحلب لجمشها بأطراف الأصابع ؛ والمقّة : المحبة ، وأصلها ومق . يقول : إن الذى ألم بك إنما هو تجميش من الزمان لجه إياك وتعلقه بك لأنك جماله وأمثلة أهله ، وقد يكون الحب سبباً لإيذاء المحبوب .

(٥) يقول : أنت طيب الدنيا الذى تشفى أدواها فتقوم الموج وتطرد الظلم والعيث والفساد فكيف تعلق وأنت طيبها ؟

وَكَيفَ تَنْوُبُكَ الشَّكْوَى بِدَاهِ وَأَنْتَ الْمُسْتَعَاثُ لِمَا يَنْوُبُ<sup>(١)</sup>  
مَلَيْتُ مَقَامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ طِعَانٌ صَادِقٌ وَدَدٌ صَصِيبٌ<sup>(٢)</sup>  
وَأَنْتَ الْمَلِكُ تُمْرِضُهُ الْحَشَايَا لِهَمَّتِهِ وَتَشْفِيهِ الْخُرُوبُ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا بِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا وَعَثِيرُهَا لِأَرْجُلِهَا جَنِيبٌ<sup>(٤)</sup>  
مُجَلِّحَةٌ هَا أَرْضُ الْأَعَادِي وَلِلشُّمْرِ الْمُنَاحِرُ وَالْجُنُوبُ<sup>(٥)</sup>

(١) يقول : وكيف تلم بك الشكوى وبك يستغاث مما ينوب من نوايب الدهر  
فتنيت وترفع الشكوى ؟

(٢) و (٣) مقام : مصدر ميمي بمعنى الإقامة ، يفتح ويضم . وصيب : مصبوب  
ويقال ماء صيب وصب كما تقول ماء سكب وماء غور ، قال دكين بن رجاء :  
: تَنْضَحُ ذِفْرَاهُ بِمَاءِ صَصَبٍ مِثْلِ الْكَحِيلِ أَوْ عَقِيدِ الرَّبِّ<sup>(١)</sup>  
والحشايا جمع حشية معدولة عن المحشوة وهي الفرش المحشوة . يقول : لقد اعتدت  
الطعان والجلاد وسفك دم الأعداء ولبعد همتك لا ترى شفاء لك إلا في ممارسة الحروب  
ولا آلم ولا أجنب للأدواء من الجلوس على الفرش المحشوة أو انوم عليها ومن أجل  
ذلك تمل الإقامة يوماً واحداً لا تخرج فيه للغزو ولا يكون فيه طعن صادق  
ودم مصبوب .

(٤) الضمير في تراها للخيل وإن لم يحرجها ذكر لتقدم ما يدل عليها ؛ والضمير  
مثال درهم العبار ، والجنيب الذي تقوده إلى جنبك . يقول : ما بك مرض غير نزاعك  
إلى ملاقاته العدو بخيل يتبع العبار قوائمها كأنه جنيب تقوده ، أى أنك انقطعت عن  
ذلك فنال منك حبه كما ينال الحب من العاشق إذا انقطع عن رؤية معشوقه .  
(٥) مجلحة حال ثانية للخيل والحال الأولى جملة وعشيرها لأرجلها جنيب ، ومجلحة

(١) الذفرى الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن وهما ذفريان والكحيل  
اللفظ الذى تطلق به الإبل الجرباء ، ورب السعن والزيت : ثقله الأسود ، وعقيده  
ما غلظ منه .

فَقَرَّطَهَا الْأَعْنَةَ رَاجِعَاتٍ      فَإِنَّ بَعِيدَ مَا طَلَبْتَ قَرِيبٌ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا دَاءٌ هَفَاً بُقْرَاطُ عَنْهُ      فَلَمْ يُعْرِفْ لِصَاحِبِهِ ضَرِيبٌ<sup>(٢)</sup>  
 بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْوُضَاءِ تُمْنِي      جُفُونِي تَحْتَ شَمْسٍ مَا تَغِيبُ<sup>(٣)</sup>

مصممة ماضية شديدة الأقدام ؛ و يروى محجلة ، وعلى هاتين الروايتين يكون لها خبرا مقدما عما بعده ؛ وروى الخوارزمي محجلة أى قد أحلت لها أرض العدو فهي تطؤها ؛ والسمر الرماح ؛ والمناحر جمع منحر وهو موضع النحر من الحلق ؛ والجنوب جمع جنب وهو ما يلي الإبط إلى الكشح . يقول : وما بك مرض غير أن ترى الخيل على تلك الحال وأن تراها مصممة ماضية أحلت لها أرض الأعدى تطؤها وتجتاحتها وأحلت للرماح حناجرهم وجنوبهم تنفذ فيها .

(١) الأعنة جمع عنان سير اللجام ، وقرط الفارس عنان فرسه أرخاه حتى يجعله في قذاله للحضر<sup>(١)</sup> فيصير لأذنه بمنزلة القرط يقول : أرخ لها الأعنة لترجع إلى بلاد الأعدى فإنها لا تبعد عليها إذا طلبتها لسرعتها .

(٢) الهمزة للاستفهام المحض أو للتقرير ، وذا اسم إشارة ، وهفا زل . والضريب النظير ، وبقراط الطبيب اليونانى المشهور . يقول : أهذا الداء — داء ولوغه بالحرب إلى حد أن فيها شفاءه وأنه لو قعد عنها يوما سخر ومرض — أهذا داء معضل لم يهتد إليه بقراط وليس لصاحبه نظير لأنه لا يعرف أحد يمرض لترك الحرب ، و يروى إذا داء على أن إذا أداة شرط وداء فاعل لفعل محذوف يؤخذ من لازم ما بعده أى إذا خفي داء أو إذا أعضل داء ونحو ذلك ؛ وقوله فلم يعرف جواب إذا . والفاء زائدة على مذهب البصريين ، فيكون الفعل بعدها مستقبلا . يقول : الداء الذى لم يذكره بقراط لا نظير لصاحبه بين الناس لأنه لو كان له نظير لسبق مثله فذكره الأطباء و يروى إذا داء — بجر داء — على أن الهمزة للنسب وذا بمعنى صاحب : أى يا صاحب الداء الذى هذه صفته .

(٣) الوضاء بضم الواو وتشديد الضاد : الشديد الوضاءة ؛ أى الحسن من صيغ البالغة كحسان وكبار . يقول : إنه ينظر منه إلى شمس لا تغيب لأنه موجود ليل نهار بخلافه الشمس .

(١) القذال ما بين الأذنين من مؤخر الرأس ، والحضر : الجرى .

فَأَغْرَوْ مِنْ غَزَا وَبِهِ اِفْتِدَارِي وَأُرْمِي مَنْ رَمَى وَبِهِ أُصِيبُ  
وَالْحُسَادِ عُدْرُ أَنْ يَشْحُوا عَلَى نَظْرِي إِلَيْهِ وَأَنْ يَذُوبُوا<sup>(١)</sup>  
فَإِنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَكَانٍ عَلَيْهِ تَحْسُدُ الْحَدَقَ الْقُلُوبُ<sup>(٢)</sup>

وأحدث بنو كلاب حدثاً بنواحي بالس وسار سيف الدولة خلفهم وأبو الطيب  
معه فأدرتهم بعد ليلة بين مامين يعرفان بالغبارات والخرارات فأوقع بهم وملك  
الحريم فأبقى عليه فقال أبو الطيب بعد رجوعه من هذه الغزوة - وأنشده إياها في  
جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة :

بِغَيْرِكَ رَاعِيًا عَبَثَ الذَّنَابُ وَغَيْرِكَ صَارِمًا ثَلَمَ الضَّرَابُ<sup>(٣)</sup>  
وَتَمَلِّكَ أَنْفُسَ الثَّقَلَيْنِ طُرًا فَكَيْفَ تُحَوِّزُ أَنْفُسَهَا كِلَابُ<sup>(٤)</sup>  
وَمَا تَرَكَوكَ مَعْصِيَةً وَلَكِنْ يُعَافُ الْوَرْدُ وَالْمَوْتُ الشَّرَابُ<sup>(٥)</sup>

(١) أن يشحوا أي في أن يشحوا : أي أنى أعذر الحساد في شحهم ؛ أي بخلمهم  
بالنظر إليه .

(٢) يقول : إن القلوب تحسد العيون على نظر المدح فإذا حسده على ذلك أحد  
فهو معذور .

(٣) راعياً وصارماً منصوبان على التمييز ، وأصل العبث اللعب ، ويقال عبث به إذا  
ابتذله واستباح حرمة ، والصارم السيف القاطع ، والضراب بمعنى المضاربة ؛ شبهه  
بالراعي وشبه هؤلاء اثنا عشر بالذئاب . يقول : إن الذئاب تعبت بغيرك في حال رعيه  
وسياسته وثلم الضراب غيرك في حال قطعه ؛ أي إذا كنت أنت الراعي لم تعبت الذئاب  
بسواك وإذا كنت أنت الصارم لم يثلمك الضرب ؛ والمعنى إذا كنت أنت الحافظ لرعيك  
لم يحم حولهم أحد بما يضرهم خوفاً منك .

(٤) طرأ أي جميعاً نصب على الحال . يقول : أنت تملك أنفس الإنس والجن جميعاً  
فكيف يكون لهذه القبيلة - قبيلة بني كلاب - أن تملك أنفسها ؟

(٥) معصية نصب على أنه حال أو مفعول لأجله ، ويعاف يمقت ويتحاشى ، والورد  
ورود الماء والواو في قوله والموت الشراب : للحال . يعتذر لهم يقول : إنما تركوك

طَلَبْتَهُمْ عَلَى الْأُمُوَاهِ حَتَّى تَخَوْفَ أَنْ تَفْتَشَهُ السَّحَابُ (١)  
 فَبِتُّ لِيَالِيَا لَا نَوْمَ فِيهَا تَحْبُّ بِكَ الْمَسُومَةَ الْعِرَابُ (٢)  
 يَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ كَمَا تَفَضَّتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ (٣)  
 وَتَسْأَلُ عَنْهُمْ الْفَلَوَاتِ حَتَّى أَجَابَكَ بَعْضُهَا وَهُمْ الْجَوَابُ (٤)  
 فَاتَّلَ عَنْ حَرِيمِهِمْ وَفَرَّوْا نَدَى كَفَيْكَ وَالنَّسْبُ الْقُرَابُ (٥)

وانهزموا حين طلبتهم خوفا منك لا عصيانا وتمردا عليك لأنهم إذا ثبتوا أوردوا أنفسهم موارد التلف والهلاك .

(١) يقول : تتبعت أمواه البادية في طلبهم حتى خشي السحاب أن تفتشه تطلبهم لديه لما فيه من الماء .

(٢) حُب الفرس أسرع ؛ وقيل : الحُب أن ينقل الفرس أيامه جميعاً وأياسره جميعاً وقيل هو أن يراوح بين يديه ورجليه وكذلك البعير ؛ والمسومة الخيل المعلة بعلامات تعرف بها : وقال أبو زيد في قوله تعالى « والحيل المسومة » : الحيل المسومة ، المرسله وعليها ركبانها وهو من قولك سومت فلاناً إذا خليته وسومه ، أى وما يريد والعراب العرية . يقول تعدو بك الحيل العرية المعلة في طلبهم لاتعرف النوم .

(٣) العقاب طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى قوى الخالب له منقار أعقف . شبهه - وهو في قلب الجيش والجيش حوله يضطرب للسير - بعقاب تهز جناحها وتحركهما لدى طيرانها .

(٤) الفلوات الصحاوى . جعل طلبه إياهم في الفلوات كالسؤال عنهم وجعل الظفر بهم كالجواب وليس ثم سؤال ولا جواب . وإنما لاستعارة رائعة . يقول : ما زلت تتبع آثارهم في الفلوات حتى أدركتهم في إحداها .

(٥) ندى كفيك فاعل قاتل ، والواو من وفروا للحال : أى والحال أنهم قد فروا وأصل الحریم ما يحميه الرجل ويذود عنه ؛ والمراد هنا النساء ، والقراب القريب . يقول إنهم فروا أمامك وهربوا وظفرت بحريمهم فما كان منك إلا أن أحسنت إلى الحریم وحات دون سبيه وصننته فكان جود كفيك والنسب القريب الندى بينك وبينهم قاتلا دون حريمهم .

وَحَفِظَكَ فِيهِمْ سَلَفِي مَعَدَّ وَأَنْهُمْ الْعَشَائِرُ وَالصَّحَابُ<sup>(١)</sup>  
تُكْفِكُ عَنْهُمْ صَمَّ الْعَوَالِي وَقَدْ شَرِقَتْ بِظُعْنِهِمُ الشَّعَابُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَسْقَطَتِ الْأَجِنَّةُ فِي الْوَلَايَا وَأَجْهَضَتِ الْحَوَائِلُ وَالسَّقَابُ<sup>(٣)</sup>  
وَعَمَرُوا فِي مِيَامِنِهِمْ عُمُورٌ وَكَعَبٌ فِي مِيَا سِرِهِمْ كِعَابُ<sup>(٤)</sup>

(١) يقول : وقاتل عنهم حفظك فيهم سافى معد — يريد ربيعة ومضر لأن سيف الدولة ينتهي إلى ربيعة لأنه من تغلب وبنو كلاب ينتهون إلى مضر لأنهم من قيس وربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان — وأنهم عشائرهم وأنهم أصحابك .

(٢) تكفكف تكف ، والصم الصلاب ، والعوالي صدور الرماح ، وشرقت غصت والظعن جمع ظعينة وهي المرأة ما دامت في المودج ثم كثر حتى قيل للمرأة ظعينة وإن لم تكن في هودج . والشعاب جمع شعب وهو الطريق في الجبل . يقول : إنك تكف عنهم الرماح إشفاقا عليهم وقد فروا وغصت بظعائنهم شعاب الجبال .

(٣) الأجنة جمع جنين وهو الولد في بطن أمه ، والولايا جمع ولية وهي شبه البرذعة تحمل على سنام البعير أو كساء يجعل تحت البرذعة وقيل كل ما ولي ظهر البعير من كساء أو غيره فهو ولية ، وأجهضت أسقطت والحوائل جمع حائل : الأنثى من أولاد الإبل ؛ والسقاب جمع سقب الذكركر منها . يقول : لشدة فزعهم والهور الذي ألم بهم أجهضت النساء في البراذع : أي على ظهور الإبل وأسقطت نوقهم أولادها ذكورا وإناثا .

(٤) عمرو قبيلة منهم ذهبت ذات اليمين وتفرقت فصارت عمورا وكعب ذهبت ذات اليسار وتفرقت فصارت كعابا . يريد أنهم لما انهزموا تفرقوا فصارت عمرو عمورا وكذلك كعبا ؛ وفي هذا المعنى يقول كعب بن مالك :

رَأَيْتُ الشَّعْبَ مِنْ كَعْبٍ وَكَانُوا مِنْ الشَّنَانِ قَدْ صَارُوا كِعَابًا<sup>(١)</sup>

(١) يريد أن آراءهم تفرقت وتضادت فكان كل ذي رأى منهم قبلا على حديثه فلذلك قال صاروا كعابا .

وَقَدْ خَذَلَتْ أَبُو بَكْرٍ بَيْنِيهَا وَخَاذَلَهَا قُرَيْظُ وَالضُّبَابُ (١)  
 إِذَا مَا سِرَتْ فِي آثَارِ قَوْمٍ تَخَاذَلَتْ الْجَمَاجِمُ وَالرَّقَابُ (٢)  
 فَعُدْنَ كَمَا أَخِذْنَ مُكْرَمَاتٍ عَلَيْنَهُنَّ الْقَلَائِدُ وَالْمَلَابُ (٣)

(١) هؤلاء بطون بني كلاب ، وأنت أبا بكر على معنى القبيلة أو العشيرة . يقول :  
 لأنهم لما انهزموا خذل بعضهم بعضا لتشاغلهم بأرواحهم .  
 (٢) قال ابن جنى : التخاذل التأخر ، وإذا تأخرت الجمجمة والرقبة تأخر الإنسان :  
 أى لما سرت وراءهم تأخرت رءوسهم لإدراكك إياهم وإن كانت في الواقع قد أسرعت  
 واستبعدت العروضي هذا المعنى قال : تخاذل الجماجم والرقاب هو أن يضربها بالسيف  
 فيقطعها ويفصل بينهما فتساقط فكأن كل واحد منهما خذل صاحبه . وقال الواحدى :  
 الذى أراه غير هذا ، يقول : إن الرءوس تبرا من الأعناق والأعناق تبرا منها خوفاً  
 منك فلا يبقى بينهما تعاون . وهذا المعنى أراده الخوارزمي فقال :

وكنت إذا نهدت لغزو قوم وأوجبت السياسة أن يبیدوا  
 تبرا الحياة إليك منهم وجاء إليك يعتذر الحديد  
 وطلقت الجماجم كل نخذ وأنكر صحبة العنق الوريد

وعبارة بعض الشعراء إذا نوت رقابهم الثبات نوت جماجمهم التأخر لشدة خوفها من  
 سيفك وكذلك عند العكس فيكاد كل فريق منهما يطلب صبيغ الفرار بنفسه ويترك الآخر .  
 (٣) الملاب : ضرب من الطيب ، فارسي معرب . قال الجوهري : كالحلوق ، قال  
 جرير يهجو نساء بني تميم :

ولو وَطِئَتْ نِسَاءُ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى تَبْرَاكَ أَخْبَثْنَ التَّرَابَا  
 تَطَلَّى وَهِيَ سَيْئَةُ الْمُعَرَّبِيِّ بَصْنِ الْوَبْرِ تَحْسَبُهُ مَلَابَا (١)

يقول : لما ظفرت ببني كلاب أخذت نساءهم إلى أما كنهن مكرمات مصونات من  
 من الابتدال ، عليهن قلائدهن وطيبهن لم يضع منهن شيء فالضمير في عدن وما بعده  
 (١) تبراك : ماء لبني العنبر ، والصن بالكسر : بول الوبر يختر للأدوية وهو  
 متن جداً .

يُثْبِنَكَ بِالَّذِي أَوْلَيْتَ شُكْرًا      وَأَيْنَ مِنَ الذِّي تُولِي الثَّوَابُ (١)  
 وَلَيْسَ مَصِيرُهُنَّ إِلَيْكَ شَيْنًا      وَلَا فِي صَوْنِهِنَّ لَدَيْكَ عَابٌ (٢)  
 وَلَا فِي فَقْدِهِنَّ بَنِي كِلَابٍ      إِذَا أَبْصَرْنَا غُرَّتَكَ اغْتِرَابٌ (٣)  
 وَكَيْفَ يَتِمُّ بِأُسْكَ فِي أَنَاسٍ      تُصِيبُهُمْ فَيُؤْمَلُكَ الْمَصَابُ (٤)

يعود على النساء وإن يجر لهن ذكر اعتمادا على ما ذكر في البيت : فقاتل عن حريمهم وفروا . . . البيت .

(١) أثابه كافأه ، وأوليت أنعمت . يقول : إنهن يشكرن لك ما أوليتهن من الإحسان ولكن إحسانك أعظم وأجل من أن يكافأ .

(٢) يقول : ليس في مصيرهن إليك وصونهن لديك أي عيب لأنهن يا كرامك إياهن كأنهن عند أهلهن وأزواجهن .

(٣) الغرة الوجه . يقول : لا غربة عليهن إذا رأيتك ؛ إذ لا فرق بينك وبين أزواجهن وأقاربهن .

(٤) البأس الشدة ؛ والمصاب مصدر ميمي بمعنى الإصابة . يقول لا يتم فيهم بأسك وشدتك لأنك حين تصيبهم بمكروه ينال ذلك منك فيإصابتك إياهم كأنك تصيب نفسك وهذا المعنى قديم تعاوره الشعراء كثيرا : قال قيس ابن زهير العبي :

فإن ألك قد بردت بهم غلبي      فلم أقطع بهم إلا بناني  
 وقال الحماسي — الحارث بن وعله الجرمي — :

قومي هم قتلوا أميم \* أخي      فإذا رميت يصيبني سهمي  
 ولئن عفوت لأعفون جلا      ولئن سطوت لأوهن عظمي (١)  
 وقال العديلي :

وإني وإن عاديتهم أو جفوتهم      لتألم مما علأ كبادهم كبدي  
 وقال النيمري :

فإنك — حين تبلغهم أذاة وإن ظلموا — لمحترق الضمير

(١) أميم : مرخم أميمة ، وهو منادى وأخى مفعول قتلوا .

تَرَفَّقَ أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ (١)  
وَأِنَّهُمْ عَبِيدُكَ حَيْثُ كَانُوا إِذَا تَدَعُوا لِخَادِنَةٍ أَجَابُوا (٢)  
وَعَيْنُ الْمُخْطِئِينَ هُمْ وَلَيْسُوا بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطَبُوا فَتَابُوا (٣)

(١) يقول : ارفق بهم وإن جنوا فإن من رفق بمن جنى عليه كان ذلك الرفق عتاباً لأن الصفح عن الجاني يجعله عبداً لك \* وما قتل الأحرار كالعفو عنهم \*  
(٢) و (٣) الخطأ والخطاء ضد الصواب ، تقول أخطأ يخطيء إذا سلك سبيلاً الخطأ ؛ أما الخطأ بكسر الحاء فهو الذنب ؛ تقول خطأ يخطأ خطأ وخطأة كفعلة ؛ والاسم الخطيئة كفعيلة ؛ ولك أن تشدد الياء لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة ، أو واو ساكنة قبلها ضمة وهما زائدتان للمد لا للأحقاق ولا هما من نفس الكلمة فإنك تقلب الهمزة بعد الواو واوا وبعد الياء ياء وتدغم وتقول في مقروء مقروء وفي خبي خبي بتشديد الواو والياء ؛ وجمع الخطيئة خطايا . وكأن الأصل خطائي\* بهمزتين على فعائل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية ياء لأن قبلها كسرة واستثقلت والجمع ثقيل وهو مع ذلك معتل قلبت الياء ألفاً ثم قلبت الهمزة الأولى ياء لحفاؤها بين الألفين . وقال أبو عبيدة : خطيء وأخطأ بمعنى واحد ، وهما لغتان ؛ قال امرؤ القيس :

يَاهُفَ هِنْدٍ إِذْ خَطَبْتَ كَاهِلًا الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْخَلَّاحِ (١)  
وقال غيره : الخطيء من أراد الصواب فصار إلى غيره والخطيء من تعمد لما لا ينبغي وتخطأه وتخطأه أي أخطأه ؛ قال أوفى بن مطر المازني :

أَلَا أَبْلَغَا خَلَّتِي جَابِرًا بَانَ خَلِيلِكَ لَمْ يُقْتَلِ (٢)  
تَخَطَّاتِ النَّبْلُ أَحْشَاءَهُ وَأَخَّرَ يَوْمِي فَلَمْ يَعْجَلِ

(١) خطبت أي أخطأت ، يريد الخيل وإن لم يجر لها ذكر على حد قوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » وهند هذه امرأة أبيه لم تلد لأبيه حجر شيئاً ، خلف عليها امرأ القيس وخرج في طلب بني كاهل فأوقع بحبي من بني كنانة وهو يظن أنهم من كاهل ، وكاهل بطن من بني أسد ، والخلل السيد في عشيرته الشجاع الضخم المروءة .  
(٢) الخلة الصديق ، الذكر والأنثى والواحد والجمع في ذلك سواء .

وَأَنْتَ حَيَاتُهُمْ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ وَهَجَرُ حَيَاتِهِمْ لَهُمْ عِقَابٌ<sup>(١)</sup>  
 وَمَا جَهَلْتَ أَيَادِيكَ الْبَوَادِي وَلَكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ<sup>(٢)</sup>  
 وَكَمْ ذَنْبٌ مُؤَلَّدُهُ دَلَالٌ وَكَمْ بُعْدٌ مُؤَلَّدُهُ أَقْتَرَابُ<sup>(٣)</sup>  
 وَجُرْمٌ جَرَّهُ سَفَاهًا قَوْمٌ وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ<sup>(٤)</sup>

يقول : إن كانوا مخطئين فليسوا أول من أذنب وقد تابوا والتوبة تجب « تقطع »  
 ما قبلها وهم عبيدك حيث كانوا إذا دعوتهم للموت أجابوك . يعتذر عنهم إلى سيف الدولة .  
 (١) يقول : أنت الذي بك بقاؤهم فإذا غضبت عليهم وهجرتهم فقد هجرتهم الحياة  
 ولا عقاب أكثر من هجر الحياة .

(٢) أياديك نعمك والبوادي خلاف المدن ؛ يريد أهل البوادي ، والبوادي : فاعل  
 جهلت ؛ وأياديك مفعوله ، وقال العكبري : سألت شيخنا أبا محمد عبد المنعم النحوي  
 عند قراءتي عليه عن هذا البيت وقلت له يجوز أن يكون البوادي نعنا للأيادي والبوادي  
 في نصف البيت ، فكأنه عنى الوقف وهو موضع وقف ، كقولك أجبته الداعي ؛  
 وقد يوقف على قوله تعالى « يومئذ يتبعون الداعي » بالسكون ، ويكون فاعل جهلت  
 مضمراً فيها . فقال لي : أنت مقريء وقد قست ، ومع هذا أنت حفي<sup>(١)</sup> ، فصوب  
 ما قلت ؛ ويكون البوادي على هذا : السابقات التي بدت إليهم . يقول : إنهم لم يجهلوا  
 بعصيانك سوابق نعمك ، ولكن قد يخفي الصواب على المرء فيأتي غيره .

(٣) يقول : قد يتولد الذنب من الدلال فيأتي المدل بالذنب يظنه دلالا ، وقد يكون  
 البعد سببه القرب . يعتذر عنهم : أي أنهم أدلوا عليك لفرط إحسانك إليهم فأتوا في ذلك  
 بما صار ذنباً وجناية منهم .

(٤) الجرم : الذنب ؛ والسفه : خفة الحلم أو تقيضه . يقول : وكم جرم جناه سفیه  
 فنزل العذاب بغيره ؛ وهذا المعنى قد طرقة الشعراء كثيراً قال :

رَأَيْتَ الْحَرْبَ يَجْنِبُهَا رِجَالٌ وَيَصَلِّي حَرَّهَا قَوْمٌ بَرَاءُ

وقال :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليت به إن الفتى با بن عم السوء مأخوذ

(١) لعله يريد الحفي بمعنى المستقصى في السؤال .

فَإِنْ هَابُوا بِجُرْمِهِمْ عَلِيًّا فَقَدْ يَرْجُو عَلِيًّا مَنْ يَهَابُ<sup>(١)</sup>  
وَإِنْ يَكُ سَيْفَ دَوْلَةٍ غَيْرِ قَيْسٍ فَمِنْهُ جُلُودٌ قَيْسٍ وَالثِّيَابُ<sup>(٢)</sup>  
وَتَحْتَ رَبَابِهِ نَبَتُوا وَأَثُوا وَفِي أَيَّامِهِ كَثُرُوا وَطَابُوا<sup>(٣)</sup>

وقال النابغة :

وَحَمَلْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكَتَهُ كَذِي العُرِّ يُكْوِي غَيْرَهُ وَهُوَ رَاتِعٌ<sup>(١)</sup>  
وقال البحترى :

نصد حياء أن نراك بأعين جنى الذنب عاصيها فليم مطيعها  
وأروع الجميع — والله المثل الأعلى — قوله جل شأنه : « واتقوا فتنة لا تصيبن  
الذين ظلموا منكم خاصة » .

(١) على : اسم سيف الدولة . يقول : إن خافوه بسبب جرمهم فإنه يرجي العفو عنده  
كما يهاب ، لأنه جواد مهيب .

(٢) يقول : إن يك سيف الدولة من تغلب لا من قيس فهو ولي نعمتهم ؛ لأن  
جلودهم نبتت بإحسانه إليهم ، واكتست بما خلع عليهم من ثياب .

(٣) الرباب : غيم يضرب إلى السواد ؛ يرى كأنه دون السحاب ؛ قال عبد الرحمن  
ابن حسان :

كأن الربابَ دُوينَ السحابِ نعامٌ تعلقَ بالأرجلِ  
وأثوا : تقووا وكثروا ، من أث النبات : كثرت والتف ، وهو أثيث ، ويقال كذلك  
شعر أثيث ، وامرأة أثيثة : كثيرة اللحم ، ونسوة أثاث ، قال رؤبة :

وَمِنْ هَوَايَ الرَّجُحِ الأَثَاثُ تَمِيلُهَا أَعْجَازُهَا الأَوَاعِثُ  
« الرجح : جمع رجاح ، وهي الثقيلة العجيبة ، والأواعث : اللينات : فكأن  
الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها . يقول : إنهم نشأوا في نعمته وقووا وعزوا

(٢) العر : قروح مثل القوباء ، تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقواثمها يسيل  
منها مثل الماء الأصفر فتكوى الصحاح لثلا تعديها المراض .

وَتَحْتِ لَوَائِهِ ضَرَبُوا الْأَعَادِي      وَذَلَّ لَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الصَّعَابُ<sup>(١)</sup>  
 وَلَوْ غَيْرُ الْأَمِيرِ غَزَا كِلَابًا      ثَنَاهُ عَنِ شُمُوسِهِمْ ضَبَابُ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَا قِيَّ دُونَ ثَابِيهِمْ طِعَانًا      يُبَلِّغِي عِنْدَهُ الذُّئْبَ الْغُرَابُ<sup>(٣)</sup>  
 وَخَيْلًا تَقْتَدِي رِيحَ الْمَوَامِي      وَيَكْفِيهَا مِنَ الْمَاءِ السَّرَابُ<sup>(٤)</sup>

ياحسانه كالنبات الذي نما بماء السحاب ، فاستعار السحاب للاحسان ، والنبات  
 للمسحن إليه .

(١) يقول : بانتسابهم إليه وإلى خدمته تمكنوا من أعدائهم واتقاد لهم من العرب  
 من لا يتقاد لأحد :

(٢) قال الواحدى : يذكر قوتهم وشوكتهم ، وأن غير سيف الدولة لو أتاها لما  
 ظفر بهم ، وكفى بالشموس عن النساء وبالضباب عن المحاماة دونهم : لأن الضباب يستر  
 الشمس ويحول دون النظر إليها . قال : ويجوز أن يكون هذا مثلاً معناه لو غزاهم  
 غيره لكان له ما يشغله بما يلقي قبل الوصول إليهم وإباحة حريمهم : أى أنه كان يستقبله  
 من قليلهم ما يمنعه من الوصول إلى الذين هم أكثر منهم ؛ فجعل الضباب مثلاً للرعاع ،  
 والشموس مثلاً للسادة ، وقال ابن الإليلي : يريد شمس كل يوم يقاتلهم فيه .

(٣) ولاقى : عطف على ثناه ، والثانى : جمع ثاية : كآى وآية ، وهى حجارة  
 تجعل حول البيت بأوى إليها الراعى ليلا ، وفيها مبارك الإبل ومرابض الغنم . يقول :  
 لو غزاهم غيره لثناه ضباب عن شمسهم وللاقى دون وصوله إلى هذه الحجارة حربا يكثر  
 فيها القتلى حتى يجتمع عليهم الذئب والغراب طلبا للحوم أقتلى ، فكيف له بالوصول إلى  
 استباحة حريمهم ؟ وقد تورك بعضهم على المتنبى أن الذئب لا يأكل إلا ما اقتصره ، بخلاف  
 الضبع والكلب ؛ وأنهد في ذلك :

وَلِكُلِّ سَيْدٍ مَعْشَرٍ فِي قَوْمِهِ      دُعْرٌ يَدْتَسُّ عِرْضَهُ وَيَعِيبُ

لَوْلَا سِوَاهُ تَجَزَّرَتْ أَوْصَالُهُ      عُرْجُ الضَّبَاعِ وَصَدَّ عَنْهُ الذَّيْبُ

« الدعر : الخائن الذى يعيب أصحابه » .

(٤) وخيلا : عطف على طعانا . والموامي : جمع موماة ، وهى المفازة يقول : وكان  
 يلاقى خيلا تعودت قطع المفاوز على غير علف وماء حتى كأن غذاءها الريح وماءها  
 السراب لأنها عراب مضمرة معودة قلة العلف والماء .

وَلَكِنْ رَبُّهُمْ أَسْرَى إِلَيْهِمْ فَمَا نَفَعَ الْوُقُوفُ وَلَا الذَّهَابُ (١)  
 وَلَا آسِلٌ أَجَنٌّ وَلَا نَهَارٌ وَلَا خَيْلٌ حَمْلَانٌ وَلَا رِكَابٌ (٢)  
 رَمَيْتَهُمْ بِبَحْرِ مِنْ حَدِيدٍ لَهُ فِي الْبَرِّ خَلْفَهُمْ عُبَابٌ (٣)  
 فَسَّاهُمْ وَبُسَطَهُمْ حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسَطَهُمْ تُرَابٌ (٤)  
 وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابٌ (٥)  
 بَنُو قَتْلَى أَيْبِكَ بِأَرْضِ نَجْدٍ وَمَنْ أَبَقِيَ وَأَبَقَتْهُ الْحِرَابُ (٦)  
 عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ صِغَارًا وَفِي أَعْنَاقِ أَكْثَرِهِمْ سِخَابٌ (٧)

(١) رب كل شيء : مالكه ، ويقال أسرى إذا سار ليلا ، وسرى إذا سار نهاراً وقيل هما لغتان تستعملان بمعنى واحد . يقول : إنك سرت إليهم فما تفعمم الوقوف في ديارهم للذود والدفاع ، ولا الذهاب للهرب ، لأنهم إن وقفوا قتلوا ، وإن هربوا أدرکوا .

(٢) الركاب : الإبل . يقول : ولم ينفعهم ليل يستترون تحته ، ولا نهار يكشفونك فيه ، ولا خيل وإبل تحملهم للهرب ، فهم لهيبتك تلددوا حائرین حين طلبتهم فلم ينجحهم شيء من ذلك .

(٣) العباب : معظم الماء وكثرته ، جعل جيشه بحراً من حديد لكثرة لابسى الحديد فيه . ثم جعلهم يموجون خلفهم في سيرهم ، فكأنهم بحر يمد عبابه وراءهم .

(٤) يقول : طرقهم ليلا وهم يفترشون الحرير آمنون فيبيتهم وقتلهم حتى جدلوا على على الأرض وأصبحوا وفرشهم التراب بعد الحرير ؛ وقال المعري : يريد نهيم فلم يترك لهم شيئاً يقعدون عليه سوى التراب .

(٥) يقول : وصار الرجال كالنساء ، ذلاً واستخذاءً وانقياداً .

(٦) بنو : خبر مبتدأ محذوف : أي هم بنو قتلى أيبك ؛ ومن أبقى : عطف عليه ، وفاعل أبقى : ضمير يعود على أيبك : يشير إلى ما كان من أبي الهيجاء والد سيف الدولة مع بنى كلاب ، وذلك أنه لما هم بالحج كان أوقع بهم في أرض نجد وفنك بهم . فهؤلاء هم أبناء أولئك وبيتهم .

(٧) السخاب : قلادة من قرنفل ونحوه ليس فيها من الجوهر شيء يلبسها الصبيان ،

وَكُلُّكُمْ أُنَى مَا تُنَى أَبِيهِ فَكُلُّكُمْ فَعَالٍ كَلِّكُمْ عَجَابٌ (١)  
كَذَا فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْأَعَادِي وَمِثْلَ سُرَاكَ فَلَيْسَ الْطَّلَابُ (٢)

\*\*\*

وجمعها سخب . يقول : إن أبك قتل آباءهم وعفا عن الأبناء فأعتقهم وهم صغار يلبسون السخاب فعاشوا عتقاء سيفه .

(١) يقول : كلا كما فعل فعل أبيه ، فهم تملوا آباءهم في التمرد والعصيان وأنت أخذت أخذ أبيك في العفو والغفران ؛ ففعلهم حين عصوك عجيب ، إذ لم يعتبروا بآبائهم ؛ وفعلك أيضاً عجيب إذ صفت عنهم وأبقت على باقيهم وأنى ما أنى فلان أى فعل فعله وأخذ إخذه ، والفعال — بفتح الفاء — فعل الواحد خاصة في الخير والشر ، يقال فلان كريم الفعال ، وفلان لئيم الفعال ، ولا أن تسكر الفاء على أنه جمع فعل .

(٢) يقول : مثل هذا الفعل فليفعل من يطلب الأعدى ، وليسكن طلابه مثل هذا السرى الذى سرت حتى بلغت مرادك ، فقوله كذا فى موضع نصب بقوله فليس ، والفاء إنما تعطف أو تكون جواباً . فإذا تقدم المفعول أو الخبر جاءوا بها ليعلموا أن الخبر وضع فى غير موضعه ، وبعض الكوفيين تأول أخاك فاضرب : أنه منصوب بفعل مضمر تقديره اقصد أخاك فاضرب ، وهذا يحسن فى المفعول ، وأما فى الخبر فيبعد . . وقوله مثل سراك نصب لأنه خبر فليسكن .

وقال يرثي أخت سيف الدولة ، وقد توفيت بميافارقين وورد خبرها إلى الكوفة  
فكتب أبو الطيب بهذه المرثية إليه من الكوفة سنة ائتين وخمسين وثلاثمائة :

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَيْحِ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ      كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ (١)  
أَجَلٌ قَدَّرَكَ أَنْ تُسَمَى مُؤَبَّنَةً      وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ (٢)  
لَا يَمْلِكُ الطَّرِبُ الْمَحْزُونُ مَنْطِقَهُ      وَدَمْعُهُ وَهَمَّا فِي قَبْضَةِ الطَّرِبِ (٣)

(١) نصب كناية على المصدر ، كأنه قال كنيته كناية . يقول : يا أخت سيف الدولة  
ويا بنت أبي الهيجاء ، وهو المراد بأشرف النسب ، فكفى عن ذلك ، يريد أن نسبا  
من أشرف الأنساب ، فاذا كنيته بهما عرفت لأنهما خير الناس : فاذا قلت يا أخت  
خير أيع ويا بنت خير أب عرفت .

(٢) مؤبنة : حال من الياء في تسمى : أي حال كونك مؤبنة : أي مرثية من  
التأبين ، وهو الثناء على الميت . يقول : أنت أجل من أن أعرفك باسمك بل وصفك  
يعرفك بما فيك من المحاسن والمحامد التي ليست في غيرك ، وهذا يعني عن تسميتك ،  
كما قال أبو نواس :

فهي إذا سُمِّيتْ لَقَدْ وُصِفَتْ      فَيَجْمَعُ الْأَسْمُ مَعْنَيْنِ مَعَا

(٣) الطرب : صفة من الطرب ، وهو خفة تعترى عند شدة الفرح أو الحزن والهم .  
قال النابغة الجعدي في الهم :

سَأَلْتَنِي أُمَّتِي عَنْ جَارَتِي      وَإِذَا مَا عَمِّي ذُو اللَّبِّ سَأَلْ

سَأَلْتَنِي عَنْ أَنَايِسِ هَلَكُوا      شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ

وَأَرَانِي طَرِبًا فِي إِزْرِمِ      طَرِبَ الْوَالِهَ أَوْ كَالْحَتْبَلِ

« الواله : الأناكل ، والختبل : الذي اختبل عقله : أي جن » يقول المتنبي : من استخفه  
الحزن غلبه على لسانه ودمعه فلا يملكهما ، لأنهما إذ ذاك يكونان في قبضة الطرب  
أي الحزن - بصرفهما كما يشاء .

غَدَرْتَ يَا مَوْتَ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ  
بِمَنْ أَصَابَتْ وَكَمْ أَسَكَّتْ مِنْ لَجَبٍ (١)  
وَكَمْ صَحَبَتْ أَخَاهَا فِي مُنَازَلَةٍ وَكَمْ سَأَلَتْ فَلَمْ يَبْخُلْ وَلَمْ تَحْبِ (٢)  
طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبْرٌ فَرَزَعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ (٣)  
حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعُ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا شَرِقْتُ بِالْذَّمِّ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي (٤)

(١) اللجب : الضجيج واختلاط الأصوات ؛ وجيش لجب عمرم : أى ذوجلبة وكثرة ، وبجر ذو لجب إذا سمع صوت أمواجه ، وأصله كل صوت عال يقول : غدرت يا موت بسيف الدولة إذ أخذت أخيه وأنت تفتى به العدد الكثير وتمهلك الجيوش وتسكت ضجيجهم ، وإذا كان عونك على الإفناء كان من حَقِّك أن ترعى ذمته ولا تقبجه بأخته ، وقيل معنى البيت : أنه مات بموتها خلق كثير ، وسكت لجبهم وترددهم في خدمتها ، أو أنهم سقطوا عن برها وصلاتها ، فكانهم ماتوا . قال الواحدى : وجه غدر الموت أنه أظهر إهلاك شخص وأضمر فيه إهلاك عالم كان يحسن إليهم فهلكوا بهلاكه . هذا معنى : كم أفنيت من عدد ؛ وهذا كقول القائل :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهتما  
وكقول ابن القفع :

وأنت تموت وحدك ليس يدري بموتك لا الصغير ولا الكبير  
وتقتلني فتقتل بني كريماً يموت بموته بشر كثير  
(٢) يقول : وكم صحبت أخاها يا موت في غزواته وطلبت إليه أن يمكّنك من إهلاك من أردت فأجابك إلى ذلك ومكّنك بسيفه ممن أردت ؛ وهذا كقوله الآتى في قافية اللام :

شريك المنايا والنفوس غنيمته فكل ممات لم يمتته غلول  
(٣) الجزيرة : ما بين دجلة والفرات ، وخبر تنازعه كل من طوى وجاءني يقول : لما جاءني هذا النعي وطوى الجزيرة حتى ورد على في الكوفة رجوت أن يكون كذبا وتعلت بهذا الرجاء .

(٤) يقول : حتى إذا صح الخبر ولم يبق رجاء في أن يكون كذبا غصصت بالدمع

تَعَثَّرَتْ بِهِ فِي الْأَفْوَاهِ أَلْسِنَهَا

وَالْبُرْدُ فِي الطَّرْقِ وَالْأَفْلَامُ فِي الْكُتُبِ (١)  
 كَانَ فَعْلَةً لَمْ تَمَلَأْ مَوَاكِبَهَا دِيَارَ بَكْرٍ وَلَمْ تَخْلَعْ وَلَمْ تَهَبِ (٢)  
 وَلَمْ تَرُدَّ حَيَاةً بَعْدَ تَوَلِيَةٍ وَلَمْ تُغَيِّثْ دَاعِيًا بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ (٣)  
 أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مَذْنُوعِيَّتْ فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الْفَتَيَانِ فِي حَلَبِ (٤)  
 يَظُنُّ أَنَّ فُوَادِي غَيْرُ مُلْتَهَبِ وَأَنَّ دَمْعَ جُنُونِي غَيْرُ مُنْسَكَبِ (٥)

لغلبة البكاء وكثرة الدموع حتى كاد الدمع يشرق بي : أى حتى صرت بالقياس إلى الدموع كالشيء الذى يغص به فى القلة . والشرق بالدمع أن يقطع الانتحاب نفسه . ومحصل المعنى : كاد الدمع لإحاطته بي أن يكون كأنه غص بي .

(١) لم يلحق البناء فى به بالهاء واكتفى بالكسرة ضرورة ، والبرد جمع بريد — وسكن الراء على لغة تميم — والبريد : كلمة فارسية أصلها بريدته دم : أى محذوف الذنب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذنان كالعلامة لها ، ثم سمي الرسول الذى يركب دواب البريد بريداً . يقول : لهول هذا الخبر تلجلجت به الألسنة فى الأفواه ، وتعثرت الرسل الحاملة له فى الطرق ، ورجفت أيدي الكتاب فى كتابته .

(٢) فعلة : كناية عن اسم المرثية ؛ وهو خولة . يقول : مضت فكأنها لم تكن تلك التى ملأت جيوشها ديار بكر ، التى كانت تهب وكانت تخلع فانطوى ذلك بموتها .

(٣) بالويل : متعلق بداعيا ؛ وتولية : أى ذهاب وإدبار : مصدر ولى ، والويل : الهلاك ، والحرب : ذهاب المال ، حرب الرجل ، سلب ماله ، والداعى بالويل والحرب الذى يصيح : واويلاه ، واحرباه . يقول : ولقد كانت ترد حياة الملهوف بالإغاثة والإجارة والبذل ، وتغيث من يدعوها إذا دعاها بالويل والحرب .

(٤) يقول : طال ليل أهل العراق منذ أناهم نعيها حزنا عليها ، فكيف ليل أخيها سيف الدولة فى حلب ؟ قال العكبرى : ليس لهذا البيت معنى طائل ، وفيه سماجة . . .

(٥) أراد : أيعظن ، فحذف حرف الاستفهام ، والضمير لسيف الدولة ، ويروى بالتاء على الخطاب . يقول : أتعظن أى غير حزين .

بَلَىٰ وَحُرْمَةٌ مِّنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً      لِحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْقُصَادِ وَالْأَدَبِ <sup>(١)</sup>  
 وَمِنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْزُوثٍ خَلَّاتِهَا      وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْزُوثَةَ النَّشْبِ <sup>(٢)</sup>  
 وَهَمَّهَا فِي الْعَلَىٰ وَالْمَجْدِ نَاشِئَةً      وَهَمُّ أُرَابِيهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ <sup>(٣)</sup>  
 يَعْلَمَنَّ حِينَ تَحْيَا حُسْنَ مَبْسَمِهَا      وَلَيْسَ يَعْلَمَنَّ إِلَّا اللَّهُ بِالشَّنْبِ <sup>(٤)</sup>

(١) بلى : حرف جواب تختص بالنفي وتفيد إبطاله سواء كان مجردا أم مقرونا بالاستفهام . يقول : بلى فؤادى ملتهب ودمعى منسكب بحق حرمة من كانت تراعى حرمة هذه الأمور ، فقوله وحرمة الخ : قسم .

(٢) ومن مضت : عطف على من كانت - في البيت السابق - والخلائق : جمع خليفة بمعنى الخلق ، والنشب : اللال . يقول : وبحرمة من ماتت ولم تورث أخلاقها ، لأنه لا يوجد بعدها من يشبهها فيها وإن كان مالها موروثا

(٣) أرابها : لداتها ونظيراتها في العمر : جمع ترب - بكسر التاء - للمذكر والمؤنث . يقول : همها منذ صباها منصب في العلا وتدير الملك بينما أقرانها همهن في اللهو واللعب ، وهذا من قول حمزة بن يعض :

فهمكُ فيها جسام الأمور وهمَّ لداتك أن يلعبوا

(٤) الشنب : قيل هو تحزير أطراف الأسنان ، وقيل صفاؤها وتقاؤها وقيل تفلجها ، وقيل طيب نكهتها ، وقال الجرمي : سمعت الأصمعي يقول : الشنب برد النهم والأسنان ، ققلت إن أصحابنا يقولون هو حدثها حين تطلع ، فيراد بذلك حدثتها وطراوتها لأنها إذا أتت عليها السنون احتسكت ، فقال : ما هو إلا بردها ، وقول ذى الرمة

لمياه في شفتيها حوة لَعَسُ      وَفِي اللثَاتِ وَفِي أُنْيَابِهَا شَنْبُ

يؤيد قول الأصمعي ، لأن اللثة لا تكون فيها حدة . يقول : إن أرابها إذا جنن إليها رآين حسن مبسمها ولا يعلم ما وراء شفتيها من الشنب إلا الله لأنه لم يذقه أحد ، قال الواحدى : وأساء في ذكر حسن مبسم أخت ملك وليس من العادة ذكر جمال النساء في مرثئهن . قال ابن جنى : كان التنبي يتجاسر في ألفاظه جدا وفي معنى بيت المتنبي

لا والذي تَسْجُدُ الجِبَاهُ لَهُ      مَا لِي بِمَا ضَمَّ تَوْبُهَا خَبِيرُ

ولا بفيها ولا هممت بها      ما كان إلا الحديث والنظرُ

مَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَمْرِقَهَا وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ (١)  
إِذَا رَأَى وَرَأَاهَا رَأْسَ لَابِسِهِ رَأَى الْمَقَانِعَ أَعْلَى مِنْهُ فِي الرَّتَبِ (٢)

(١) مفرقها : موضع افتراق الشعر من الرأس ؛ وهو مبتدأ خبره مسرة قال ابن جنى :  
وحسرة خبر إما عن مفرقها أو عنها تقديره : الميتة حسرة في قلوب البيض واليلب إلى  
أن قال : والأجود أن يجعل مفرقها خبر للسرة ، أو مسرة خبره ، والجملة خبر مبتدأ  
محذوف : أي وهي مسرة في قلوب الطيب مفرقها ، وهي حسرة في قلوب البيض واليلب ،  
واليلب : الدروع اليمانية تتخذ من الجلود ، أو جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على  
الرءوس خاصة تحت البيض ؛ واحدها يلبة ، قال عمرو بن كلثوم :

عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالْيَلْبُ الْيَمَانِيُّ وَأَسْيَافٌ يَقْمُنُ وَيُنْحَنِينَا

قال الجوهري : ويقال اليلب ما كان من جنن الجلود ولم يكن من الحديد ومنه قيل  
للدرق يلب . قال الشاعر :

عَلَيْهِمْ كُلُّ سَابِغَةٍ دِلَاصٌ وَفِي أَيْدِيهِمُ الْيَلْبُ الْمُدَارُ

قال : واليلب في الأصل ذلك الجلد قال أبو دهب الجمحي :

دِرْعِي دِلَاصٌ شَكَّهَا شَكٌّ عَجَبٌ وَجَوْبُهَا الْقَاتِرُ مِنْ سَيْرِ الْيَلْبِ

« جوبها : أي ترسها ، وجوب قاتر : أي ترس حسن التقدير ، والبيض : جمع  
بيضة ، وهي الخوذة من حديد . يقول : إن الطيب يسر باستعمالها إياه والبيض واليلب  
يتحسران بتركها لبسهما ، لأنهما من ملابس الرجال ، واستعار لهما قلوبا مجازاً لوصفه  
لها بالسرة والحسرة .

(٢) المقانيع : جمع مقنع ومقنعة ، وهو ما تقنع به المرأة رأسها ، وتقدير الشطر  
الأول : إذا رأى البيض أو اليلب رأس لابسها ورأها ، فضمير رأى للبيض واليلب ،  
وأفرد الضمير لأنهما مترادفان ، فكأنهما شيء واحد . يقول : إذا رأى البيض رأس  
لابسها ورأى هذه المرأة وهي تلبس المقانيع رأى المقانيع أعلى رتبة منه فازداد حسرة  
على تركها إياه وحرمانه ذلك .

وَإِنْ تَكُنْ خُلِقْتَ أَنْثَى لَقَدْ خُلِقْتَ  
كَرِيمَةً غَيْرَ أَنْثَى الْعَقْلِ وَالْحَسَبِ (١)  
وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْغَلْبَاءُ عُنْصُرَهَا فَإِنَّ فِي الْخُمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعَنْبِ (٢)  
فَلَيْتَ طَالَعَةَ الشَّمْسِينَ غَائِبَةً وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسِينَ لَمْ تَغْبِ (٣)  
وَلَيْتَ عَيْنَ الَّتِي آبَ النَّهَارُ بِهَا فِدَاهُ عَيْنَ الَّتِي زَالَتْ وَلَمْ تَتُوبِ (٤)  
فَمَا تَقَلَّدَ بِالْيَاقُوتِ مُشْبِهَهَا وَلَا تَقَلَّدَ بِالْهِنْدِيَّةِ الْقُضْبِ (٥)

(١) الحسب : شرف الآباء أو الفعال الصالح : أى شرف الفعل وأنشد ثعلب .

\* وَرُبَّ حَسِيبٍ الْأَصْلُ غَيْرُ حَسِيبٍ \*

أى له آباء يفعلون الخير ولا يفعله هو . يقول : إن لها عقل الرجال وحسبهم وإن خلقت أنثى .

(٢) تغلب : قبيلة سيف الدولة . والغلباء : فى الأصل الغليظة الرقبة . والمراد العززة الآية الممتعة ، وعبارة الواحدى : الغلباء : الغلاظ اقلوب ، نعمهم بغلظ الرقبة لأنهم لا يذلون لأحد ولا يتقادون له . يقول : هى وإن كانت من تغلب — تلك القبيلة المعروفة بالعز والمنعة — بيد أن لها مع ذلك من الفضائل ما تناز به عنهم وتفضلهم ، كاختر أصلها العنب ، ولكن فى الخمر من المزايا ما ليس فى العنب ، ومن ثم تفضله ، وهذا مثل قوله : فإن المسك بعض دم الغزال .

(٣) جعلها وشمس النهار شمسين ثم قال : ليت طالعهما — وهى شمس النهار — غائبة وليت غائبتهما — وهى المرثية — لم تغب . يقول : إن فى حياتها منافع حجة ، فليتها بقيت وفتقدنا الشمس .

(٤) آب : رجع . يقول : وليت عين الشمس فداء عين المرثية التى غابت ولم ترجع .

(٥) الهندية : السيف ، والقضب : جمع قضيب ، وهو التظيف الدقيق من السيوف يقول . ليس لها شبيه ، لا من النساء ولا من الرجال .

وَلَا ذَكَرْتُ جَمِيلاً مِنْ صَنَائِعِهَا      إِلَّا بَكَيْتُ وَلَا وَدُّ بِلَا سَبَبٍ (١)  
 قَدْ كَانَ كُلُّ حِجَابٍ دُونَ رُؤْيَيْهَا      فَمَا قَنَعْتُ لَهَا يَا أَرْضُ بِالْحُجُبِ (٢)  
 وَلَا رَأَيْتِ عِيُونَ الْإِنْسِ تُذَكِّرُهَا      فَهَلْ حَسَدَتْ عَلَيْهَا أَعْيُنَ الشُّهْبِ (٣)  
 وَهَلْ سَمِعَتْ سَلَامًا لِي أَلَمَّ بِهَا      فَقَدْ أَطَلْتُ وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ كَشَبِ (٤)  
 وَكَيْفَ يَبْلُغُ مَوْتَانَا الَّتِي دَفِنْتُ      وَقَدْ يُقَصِّرُ عَنْ أَحْيَانِنَا الْغَيْبِ (٥)

(١) الصنائع : جمع صنعة ، وهى الإحسان واليد . يقول : إذا ذكرت صنائعها بكيت لمحبتي إياها ، وسبب محبتي هو صنائعها لدى وإحسانها إلى وروى ابن جنى بلا ود ولا سبب أى ليس بكأنى لود أو سبب سوى صنائعها التى أولت ، فهى تذكرنى فأبكي .

(٢) يقول : كانت محبوبة عن الأعين بأوفى حجاب فأجبت الأرض أن تكون من حجبها فانضمت عليها ، فكأن الأرض لم تقنع بما حولها من الحجاب حتى حجبتها بنفسها .

(٣) يقول : لم تكن عيون الناس تصل إليها ، فهل حسدت الكواكب يا أرض على النظر إليها فواريتها عنهن ؟

(٤) قال الواحدى : يقول للأرض : هل سمعت سلاماً لى أتاها ؟ يريد أنه يجيز إليها السلام والدعاء وسأل الأرض عن بلوغ سلامه إليها ثم قال : وقد أطلت التأبين والمرثية وتجهيز السلام عليها ولم أسلم عليها من قرب ، لأنها ماتت على بعد منه ، ولك أن تقول: إن المعنى بعبارة أخرى : هل سمعتنى يا أرض أسلم عليها ؟ أى هل رأيتنى قريباً منها فحسدتنى على قربها فقد أطلت اليوم من السلام عليها ولم أسلم من قرب ؟ قال الواحدى : ولم يعرف ابن جنى معنى هذا البيت ، فجعل الاستفهام فيه إنكاراً وقال . يقول : قد أطلت السلام عليها وأنا بعيد عنها ، فهل سمعت يا أرض سلامى قريباً منها ؟

(٥) الغيب : جمع غائب ، مثل خدم وخدام . يقول : كيف يبلغ السلام أمواتنا للدفونين وهو قد يقصر عن بلوغ أحيائنا الغائبين ؟ وكأن هذا مبنى على معنى البيت السابق : أى أن سلامه لم يكن يبلغها فى حياتها للبعد الذى بينهما ، فكيف يبلغها بعد موتها ؟ والظاهر أن الكلام على عمومته ، وليس فيه — كما ذهب بعضهم — تعريض بسيف الدولة ، وأن يقصر سلامه دونه .

يَا أَحْسَنَ الصَّبْرِ زُرْ أَوْلَى الْقُلُوبِ بِهَا

- وَقُلْ لِصَاحِبِهِ يَا أَنْفَعَ السُّحْبِ (١)  
وَأَكْرَمَ النَّاسِ لَا مُسْتَشْفِيًا أَحَدًا مِنْ الْكِرَامِ سِوَى آبَائِكَ النَّجَبِ (٢)  
قَدْ كَانَ قَاتَمَكَ الشَّخْصِينَ دَهْرُهُمَا وَعَاشَ دُرَّهُمَا الْمَفْدِيُّ بِالذَّهَبِ (٣)  
وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَتْرُوكِ تَارِكُهُ إِنَّا لَنَنْفَلُ وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ (٤)

(١) أولى القلوب بها : هو قلب أخيها — أى سيف الدولة — والضمير في لصاحبه يعود على أولى القلوب ، وصاحبه هو سيف الدولة . يقول : يا أحسن الصبر زرقب سيف الدولة الذى هو أولى القلوب بمودتها والجزع عليها ، وقل لصاحب هذا القلب يا أنفع السحب : أى أن عطاءه أهناً لأنه بغير أذى ، والسحاب قد يؤذى سيله وتهلك صواعقه .

(٢) وأكرم الناس : عطف على أنفع السحب ، والنجب : جمع نجيب ، وهو الكريم من كل شىء ورجل نجيب : أى كريم فاضل بين النجاية ، والنجبة مثال الهمزة النجيب ، يقال هو نجبة القوم إذا كان النجيب منهم ، وأنجب الرجل : أى ولد ولدًا نجيبًا . قال الأعشى :

أُنْجِبَ أَرْمَانَ وَالِدَاهُ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنَعَمَ مَا نَجَلَا

« وسيمر بك شرح هذا البيت في موضع آخر » وامرأة منجبة ومنجاب : أى تلد النجباء يقول : وقل له يا أكرم الناس غير مستثن أحدًا سوى آبائك الكرام . قال العكبرى : وهذا لفظ منكر يدخل فيه الأنبياء ومن دونهم . أقول : وهى إحدى مبالغات التنبي القبيحة .

(٣) يريد بالشخصين : أخته . ماتت إحداها — وهى الصغرى — وبقيت الكبرى ، فكانت كدر فدى بذهب ، جعل الكبرى كالدر ، والصغرى كالذهب .

(٤) المتروك : هو الدر ، والتارك : الدهر . يقول : وبعد ذلك عاد الدهر يطلب الكبرى وأخذها . لأن الأيام لا تغفل عن طلب ما تركته . وهذا البيت والذى قبله كأنهما من قول الأعرابي :

وَقَاتَمَنِي دَهْرِي بَنِيَّ مَشَاطِرًا فَلَمَّا تَقَضَى شَطْرُهُ عَادَ فِي شَطْرِي

مَا كَانَ أَقْصَرَ وَقْتًا كَانَ بَيْنَهُمَا  
 كَأَنَّهُ الْوَقْتُ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْقَرَبِ <sup>(١)</sup>  
 جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْأَحْزَانِ مَغْفِرَةً  
 فَحَزُنْتُ كُلَّ أَخِي حُزْنَ أَخِي الْغَضَبِ <sup>(٢)</sup>  
 وَأَنْتُمْ نَفَرْتُمْ تَسْخُو نَفُوسَكُمْ بِمَا يَهَيَّبُنَّ وَلَا يَسْخُونُ بِالسَّلْبِ <sup>(٣)</sup>  
 حَلَلْتُمْ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كُلِّهِمْ مَحَلَّ سُمُرِ الْقَنَا مِنْ سَائِرِ الْقَصَبِ <sup>(٤)</sup>  
 فَلَا تَنْكُ الْيَالِي إِنْ أُيْدِيهَا إِذَا ضَرَبْنَ كَسْرَنَ النَّبْعِ بِالْقَرَبِ <sup>(٥)</sup>

(١) الورد : إتيان الإبل الماء ، والقرب : سير الليل لورد الغد ، وذلك أن القوم يرعون الإبل وهم في ذلك يسيرون نحو الماء . فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجّلوا نحوه ، فتلك الليلة ليلة القرب . يقول : إن أجلبهما كانا متقاربين جداً حتى إن المدة التي بينهما كانت تقصرها كأنها المدة التي بين الورد والقرب ؛ وهي ليلة .

(٢) يقول : غفر الله لك أحزانك لأن الحزن للمصيبة أخو الغضب على القدر حيث لم يجز بمراد الإنسان ، والغضب على القدر مما يستغفر منه .

(٣) يسخون : أي النفوس ، ووزنه يفعلن ، فالواو لام الفعل ، والنون علامة الإضمار وجمع التأنيث ، وهو مثل « إلا أن يعفون » أي النساء ، وروى تسخون — بلفظ خطاب الذكور — والسلب : ما يؤخذ من القتل من ثياب وسلاح ، وفي الحديث الصحيح : من قتل قتيلاً فله سلبه . يقول : إنما تحزن لأن الدهر سلبك المرثية وأتم قوم أهل عزة وأتفة ، تجودون بالذي تعطونه عن طيب نفس ، ولا تجودون بما يؤخذ منكم قهراً ، وهذا المعنى كقول القائل :

لَا جَزَعًا بَلْ أَنْفًا شَابَهُ أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَضْبِهِ

(٤) القنا : عيدان الرماح . يقول : أتم بين الملوك كالقنا بين سائر القصب والقنا يفضل سائر أنواع القصب ، وكذلك أتم تفضلون سائر الملوك .

(٥) النبع : شجر صلب ينبت في رؤس الجبال تتخذ منه القسي ، والغرب نبت ضعيف ينبت على الأنهار . يدعوله يقول : لا أصابتك الليالي بسوء ، فإنها تغلب القوى بالضعيف .

وَلَا يُعِينُ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ ۚ فَايُنْهِنُّ يَصِدْنَ الصَّغْرَ بِالْحَرْبِ (١)  
 وَإِنْ سَرَرْنَا بِمُحْبُوبٍ فَجَعَنَ بِهِ ۚ وَقَدْ أَتَيْتَكَ فِي الْحَالَيْنِ بِالْعَجَبِ (٢)  
 وَرُبَّمَا أَحْتَسَبَ الْإِنْسَانُ غَايَتَهَا ۚ وَفَاجَأَتْهُ بِأَمْرٍ غَيْرِ مُحْتَسَبِ (٣)  
 وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لِبَائَتِهِ ۚ وَلَا أَتَيْتَ أَرْبٌ إِلَّا إِلَى أَرْبِ (٤)  
 تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ ۚ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَأُخْلَفَ فِي الشَّجَبِ (٥)  
 فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَائِمَةً ۚ وَقِيلَ تَشْرِكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ (٦)

(١) الحرب ذكر الجباري (١) وجمعه خربان ، يدعو له أن لا تعين الليالي من عاداه

فإنهن يصدن القوى بالضعيف ، وهو بسبب من معنى البيت السابق .

(٢) يقول : إن سرتك الأيام بوجود ما تحبه فجعتك بفقده إذا استردته وقد أرينك

العجب حيث سررتك بها ثم فجعتك بفقدها فكانت سببا للسرور والفرجة ، وهذا عجب أن يكون شيء واحد سببا للسرور والفساد .

(٣) يقول : قد يحسب الإنسان أن المحن قد تناهت فيلزم به شيء لم يكن في حسبانته ،

وإذن لا تؤمن فجعات الدهر .

(٤) اللبابة : الحاجة ؛ والأرب : الغرض ، فهما متقاربان ، يقول : لم يقض أحد

حاجته من الدنيا لأن حاجات الإنسان لا تنقضي ، فإذا فرغ من أرب انتهى إلى أرب آخر ، وذلك كما يقول أمية بن أبي الصلت :

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

(٥) و (٦) الشجب : الهلاك ، والحلف : الاختلاف ، والمراد بالنفس : الروح .

يقول : جرى خلف الناس في كل شيء ولم يتفقوا إلا على الهلاك : أي أن منتهى كل

حيوان أن يموت فيهلك ، ثم اختلفوا في حقيقة الهلاك : ففريق يقول : إن الروح تسلم

من الهلاك ولا تنفك بقاء الأجسام — وهؤلاء هم القرون بالبعث — وفريق يذهب

إلى أن الروح يفنى كالجسم — وهؤلاء هم الدهريون ومن يقول بقدم العالم .

(١) الجباري : طائر أكبر من الدجاج الأهلي وأطول عنقا ، وهو أنواع كثيرة ،

ويضرب به المثل في البلاهة فيقال : أبله من الجباري ؛ قيل : لأنه إذا غير عشه ذهل

وحسن يفض غيره .

وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالْتَعَبِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وأنفذ إليه سيف الدولة كتاباً بخطه إلى الكوفة يسأله المسير إليه ، فأجابه بهذه الأبيات وأنفذها إليه في ميّافارقين وكان ذلك في شهر ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة<sup>(٢)</sup> :

فَهَمْتُ الْكِتَابَ أَبْرَ الْكُتُبِ فَسَمِعًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ<sup>(٣)</sup>  
وَطَّوَعًا لَهُ وَأُبْتَهَاجًا بِهِ وَإِنْ قَصَرَ النِّعْلُ عَمَّا وَجَبَ<sup>(٤)</sup>  
وَمَا عَاقَنِي غَيْرُ خَوْفِ الْوُشَاةِ وَإِنَّ الْوِشَايَاتِ طُرُقُ الْكُذِبِ<sup>(٥)</sup>

(١) للمهجة : الروح . يقول : من فكر في الدنيا وأنه مفارقها ألبته أتعبه هذا الفكر لما يجد في ذلك من الأسف على الدنيا والحوف على روحه ، ثم رأى في الوقت نفسه أن ذلك قضاء حتم لا يستطيع الفرار منه ، فيزى نفسه بين حالين من التعب والعجز .

(٢) هذه القصيدة من المتقارب ، وتقطيعها فعولن أربع مرات ، دخله القصر فصار فعولن فعولن فعولن فعل ، وقد ارتكب أبو الطيب فيها سناداً توجيه ، وهو المخالفة في حركة ما قبل الروى المقيد ، ومن الناس من لا يعبده سناداً اكتفاء بانفاق الروى .

(٣) (٤) سمعاً وطوعاً وابتهاجاً : ثلاثها مصادر دلت على أفعالها : أى سمعت أمرك سمعاً ، وطعت طاعة ، وابتهجت بكتابك ابتهاجاً ، والابتهاج : الفرح يقال بهج بالشئ وله - بالكسر - بهجة وابتهج : سر به وفرح . قال الشاعر :

كَانَ الشَّبَابُ رِدَاءً قَدْ بَهَجْتُ بِهِ فَقَدْ تَطَايَرُ مِنْهُ لِلْبَيْلَى خِرْقُ  
يقول : إني سامع لأمرك ، مطيع له ، مبتهج بكتابك بيد أن فعلى في طاعتك لا يبلغ ما يجب ، إذا أنى قصرت بتخلفى عن الهجى إليك .

(٥) الوشاة . جمع واش ، وهو النمام . يقول : لم يمنعنى من النهوض إليك غير خوفاً الوشاة ، فإن الوشايات من طرق الكذب فلا يأمنها البرى .

وَتَكْثِيرِ قَوْمٍ وَتَقْلِيلِهِمْ وَتَقْرِيْبِهِمْ وَيَنْنَا وَالتَّحْبِيبِ<sup>(١)</sup>  
 وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ وَيَنْصُرُنِي قَلْبُهُ وَالتَّحْسَبِ<sup>(٢)</sup>  
 وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ اللُّجَيْنُ وَلَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتِ الذَّهَبُ<sup>(٣)</sup>  
 فَيَقْلُقُ مِنْهُ الرِّيمُ الأَنَاةُ وَيَغْضَبُ مِنْهُ البَطْلُ الغَضَبُ<sup>(٤)</sup>  
 وَمَا لَأَقْنِي بَلَدٌ بَعْدَ كُمْ وَلَا أَعْتَضْتُ مِنْ رَبِّ نِعْمَايَ رَبِّ<sup>(٥)</sup>

(١) وتكثير قوم وتقليلهم : أى تكثيرهم معائبنا وتقليلهم مناقبنا ، والتقريب ضرب من العدو : يقال قرب الفرس : إذا رفع يديه معا ووضعهما معا فى العدو ، والتحبب : السرعة ، وقيل هو أن يراوح الفرس بين يديه ورجليه فى العدو يقول : وعاقبى أيضاً خرف تكثير قوم معائبي وتقليلهم مناقبى وسعيهم بيننا بالفساد .

(٢) يقول : إنه كان يصنى إليهم ويسمع منهم ، بيد أن قلبه كان على أية حال معي بعضه فى ذلك شرفه ، فعد إصغاه إليهم نصرا لهم . وزاعه إليه نصرا له .

(٣) و (٤) اللجين : الفضة ، والأناة : الحلم والرفق والتثبت ، وبعد الأناة كناية عن كونه لا يستخف من أول وهلة . وقوله فيلق : جواب التنى فى البيت الأول ، والضمير فى منه يعود على المصدر المفهوم من قوله قلت : أى فيلق من قولى هذا . يقول إننى لم أتصك مما تستحق من اللدح شيئا كما يتقص البدر بتشبيهه باللجين والشمس بتشبيهها بالذهب : أى لم أهك فتبكر على ولم آت فى حقل ما يوجب أن يزرع له مثلك فى بعد أناته وبطء غضبه .

(٥) لا قنى : أمسكنى وحبسنى ، يقال منه : فلان لا يليق ببلد ، أى ما يمتسك ولا يليقه بلد : أى لا يمسكه . قال الأصمى للرشيد : ما ألاقنى أرض حتى أتيتك بأمر المؤمنين : أى ما ثبت بها ، ويقال فلان ما يليق بكفه درهم : أى ما يحبس ، وما يليق هو درهما : أى ما يحبسه ولا يلصق به . قال الشاعر :

كفالك كف ما تليق درهما جوداً وأخرى تعط بالسيف الدما

ورب نعمى : صاحب نعمتى ، ووقف على البناء من قوله رب - وهى موضع نصب - ضرورة للقافية ، وخففها - وحكمها التشديد - لوقوعها روياء . يقول : ما أخذت عوضا منكم ، ولا أمسكنى بلد بعدكم ، ولا أعجبني ، ولا لى مستقر إلا عندكم . إذ لا أصيب

وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَا      دِ أَنْكَرَ أَظْلَافَهُ وَالغَبَبَ (١)  
 وَمَا قَسَتْ كُلَّ مُلُوكِ الْبِلَادِ      فَدَعَ ذِكْرَ بَعْضِ بَيْنَ فِي حَلَبَ (٢)  
 وَلَوْ كُنْتُ سَمَّيْتُهُمْ بِاسْمِهِ      لَكَانَ الْحَدِيدَ وَكَانُوا أَنْخَسَبَ (٣)  
 أَيْ الرَّأْيِ يُشَبِّهُ أُمَّ فِي السَّخَا      أُمُّ فِي الشَّجَاعَةِ أُمُّ فِي الْأَدَبِ (٤)  
 مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَغْرُ اللَّقَبِ      كَرِيمُ الْجَرِثِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ (٥)  
 أَخُو الْحَرْبِ يُخَدِّمُ مِمَّا سَبَى      قَنَاهُ وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبَ (٦)

مثلكم ، وكيف آخذ عوضا بمن أنعم علي ؟ وهذا مثل قوله :

ومن اعتاض منك إذا افترقنا      وكل الناس زور ما خلا كذا (١)

(١) الأظلاف : جمع ظلف ، وهو من البقرة والشاة والظبي بمنزلة القدم للانسان والحف للبعير ، والحافر للفرس والبغل والحمار ، والغيب والغيبب : للبقرة والديك ماتدلى تحت حنكهما . جعل الجواد مثلا لسيف الدولة ، والثور مثلا لمن لقي بعده من الملوك ؛ وهذا كقول خدش بن زهير :

ولا أكون كمن ألقى رحالته      على الحمار وخلي صهوة الفرس (٢)

قال الخطيب : ذكر الركوب هنا فيه جفاء ، ولا تخاطب الملوك بمثل هذا .

(٢) و (٣) بمن في حلب . متعلق بقست ، وقوله فدع ذكر بعض : معترضة بينهما يقول : لم أقس كل الملوك به فضلا أن أقيس به بعضهم ، ولو أنا شبهتهم به وسميتهم سيوفًا - كما يسمى هو سيف الدولة - لكانوا سيوفًا من خشب ، وكان هو سيفًا من حديد : يعني أن مدحه إياه حقيقة ، ومدحه إياهم مجازًا ، إذا لا شبه بينهم وبينه .

(٤) هذا استفهام إنكار . يقول : ليس يشبهه أحد من الملوك في شيء من ذلك .

(٥) مبارك الاسم ، لأن اسمه على . وهو مشتق من العلو . محبوب مطلوب ، ولأنه يمي إلى علي بن أبي طالب ، وهو من هو ؛ وأغر اللقب ، لأنه سيف الدولة ، وقد اشتهر هذا اللقب فهو أغر : أي متعالم مشهور أبلغ . وكريم الجرشي : أي النفس ؛ وشريف النسب . لأنه من ربيعة ، وهم كرام أشراف . وكلمة الجرشي : من قبيل النفاذ التنبي .

(٦) أخو الحرب : أي عرفت به وعرف بها فصار لها أخا ؛ وقناه : فاعل سبي :

أي رماحه . يقول : هو أخو الحرب وصاحبها ، فإذا أعطى أحدا خادما فهو مما سباه

إِذَا حَازَ مَالًا فَقَدْ حَازَهُ فَتَى لَا يَسْرُهُ بِمَا لَا يَهَبُ<sup>(١)</sup>  
 وَإِنِّي لَا تُبِعُ تَذْكَارَهُ صَلَاةَ إِلَهِهِ وَسَقَى السُّحْبُ<sup>(٢)</sup>  
 وَأَثْنِي عَلَيْهِ بِآلَانِهِ وَأَقْرَبُ مِنْهُ نَأَى أَوْ قَرَبُ<sup>(٣)</sup>  
 وَإِن فَارَقْتَنِي أَمْطَارُهُ فَأَكْثَرُ غُدْرَانِيهَا مَا نَضَبُ<sup>(٤)</sup>  
 أَيَا سَيْفِ رَبِّكَ لَا خَلْفَهُ وَيَأْذَا لَلْكَارِمِ لَأَذَا الشُّطَبِ<sup>(٥)</sup>

بنفسه ، لا مما اشتراه ، لأن ممالكه جميعا من سبايا ؛ وإذا خلع على إنسان ثوبا فهو مما سلبه من أعدائه . يريد كثرة نكايته في الأعداء  
 (١) فتى : فاعل حازه من باب التجريد . يقول : إذا جمع مالا لا يسر منه بما يدخر ، ولكن بما يهب ، وهذا كقول البحري :

لَا يَتَمَطَّى كَمَا احْتَجَّ الْبَخِيلُ وَلَا يَحِبُّ مِنْ مَالِهِ إِلَّا الَّذِي يَهَبُ  
 (٢) يقول : كلما ذكرته دعوت له بهذين ، قلت له صلى الله عليه وسقى أرضه السحاب ؛ والصلاة من الله الرحمة ، وقد جرى العرف بقصر الصلاة على الأنبياء ؛ ولكن الشعراء ديدنهم المبالغة وتعظيم المدوح ما وجدوا إلى ذلك سبيلا . وقد قال ابن الرقاع :

صَلَّى إِلَهِ عَلَى أَمْرِي وَدَعَّعْتُهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا  
 وَقَالَ الرَّاعِي :

صَلَّى عَلَى عَزَّةِ الرَّحْمَنِ وَأَبْنَتِهَا لَيْلَى وَصَلَّى عَلَى جَارَاتِهَا الْآخِرِ  
 (٣) يقول : أثني عليه بما وصل إلى وإلى غيري من نعمه ، وأقرب منه بالموالاتة والمحبة : أقربيت محلته أم بعدت .

(٤) العدران : جمع غدیر ، وهو البقية من الماء تبقى بعد السيل : من غادره تركه ، قال الخطيب التبريزي : سمى الغدير غدیراً لمعنيين : أحدهما لأن الغيث تركه ، والثاني لأنه يغدر بأهله فينضب عنهم عند الحاجة . ونضب الماء . غار في الأرض وبعد ، وما : من قوله ما نضب : نافية . يقول : إذا كان بره قد انقطع عني فإن ما سبق إلى منه باق كالعدران تبقى بعد المطر :

(٥) الشطب — بضم الشين والطاء ، وبفتح الطاء — جمع شطبة وهي الطرائق

وَأَبْعَدَ ذِي هِمَّةٍ هِمَّةً وَأَعْرَفَ ذِي رُبَّةٍ بِالرُّبَّةِ<sup>(١)</sup>  
 وَأَطْعَنَ مَنْ مَسَّ خَطِيئَةً وَأَضْرَبَ مَنْ بِحِسَامٍ صَرَبَ<sup>(٢)</sup>  
 بِذَا اللَّفْظِ نَادَاكَ أَهْلُ الثُّغُورِ فَلَبَّيْتَ وَالْهَامُ تَحْتَ الْقُضْبِ<sup>(٣)</sup>  
 وَقَدْ يَلْسُوا مِنْ لَذِيذِ الْحَيَاةِ فَعَيْنُ تَغُورُ وَقَلْبٌ يَجِبُ<sup>(٤)</sup>  
 وَغَرَّ الدُّمْتُقُ قَوْلُ الْعَدَاةِ أَنْ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصَبُ<sup>(٥)</sup>  
 وَقَدْ عَلِمْتَ خَيْلَهُ أَنَّهُ إِذَا هَمَّ وَهُوَ عَلِيلٌ رَكِبَ<sup>(٦)</sup>

التي في متن السيف ؛ وسيف مشطب ومشطوب : فيه طرائق ، وكذلك ثوب مشطب .  
 يقول : لست سيفاً كسائر السيوف . فأنت سيف الله لاسيف الناس . وأنت صاحب  
 المكارم لاسيف فيه طرائق من سيوف الحديد .

(١) و (٢) أبعد وأعرف وأطعن وأضرب : منصوبة على النداء المضاف ، والخطية :  
 الرماح . يقول : يا أبعد الناس هممة ويا أعرف الناس برتب الرجال وطبقاتهم فتعطي كلا  
 منهم الميزة التي يستحقها ، ويا أطعن من مس رمحا . وأضرب من ضرب بسيف .

(٣) قوله بذا : أي بأطعن وأضرب ، والثغور : مواضع الخفاقة من فروج البلدان ؛  
 والهام : الرؤوس ، والقضب : السيوف القواطع . يقول إن أهل الثغور نادوك بقولهم  
 يا أطعن من طعن بخطية ، ويا أضرب من ضرب بحسام فأجبتهم ورؤسهم تحت سيوف  
 الروم تكاد تطيرها .

(٤) غارت العين : دخلت في الرأس : أي من شدة الرعب ، والوجيب خفقان  
 القلب . يقول : إنك أجبتهم حين نادوك وقد يلسوا من الحياة ، فهم في خوف ورعب  
 واضطراب حتى أتقتهم .

(٥) الدمستق : نأد الروم ، والعداة ، جمع عاد بمعنى عدو ، والثقليل : الشديد  
 المرض ، والوصب : المرص . يقول إنما اجترأ الدمستق على أهل الثغور لأنه اغتر بما  
 أرجف به الأعداء من أنك مريض لا تستطيع إغايتهم :

(٦) يقول : وما كان ينبغي للدمستق أن يغتر لأن سيف الدولة إذا هم بالعاره وهو  
 عليل ركب إلى أعدائه كما تعلم خيله من عادته .

أَتَاهُمْ بِأَوْسَعٍ مِنْ أَرْضِهِمْ طِوَالَ السَّبَبِ قِصَارَ الْعُسْبِ (١)  
تَغَيَّبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِفَاراً إِذَا لَمْ تَغَيَّبْ (٢)  
وَلَا تَعْبُرُ الرِّيحُ فِي جَوْهٍ إِذَا لَمْ تَخْطُ الْقَنَا أَوْ تَثِبْ (٣)  
فَفَرَّقَ مَدَنَهُمْ بِالْجِيُوشِ وَأَخْفَتَ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّجَبِ (٤)  
فَأَخْبَثَ بِهِ طَالِباً قَهْرَهُمْ وَأَخْبَثَ بِهِ تَارِكاً مَا طَلَبَ (٥)  
نَأَيْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِاللَّقَاءِ وَجِثَّتْ فَقَاتَلَهُمْ بِالْهَرَبِ (٦)

بِحسب قولهم ، وقاله هاجر بن عيسى ، بلا شاعراً ، لا يفتقر إلى

(١) أتاهم : أى الديمستق ، وبأوسع : أى بخيل أوسع ، وطوال وقصار منصوبان على الحال ؛ والسبب : شعر الناصية والعرف والذنب ؛ والعصب جمع عسيب ، وهو منبت الذنب . يقول : أتاهم الديمستق بخيل موضعها من الأرض أوسع من أرض الروم ؛ يصف عسكر الروم بالكثرة . ثم وصف خيلهم بأنها من جيد الخيل ، لأن طول شعر الذنب وقصر عظمه ، مما يستحب في الخيل .

(٢) يقول : إذا علا جيشه الشواهيق - أى الجبال العالية - غطاها لكثرتة فغابت فيه ، وإذا تخلل جوانبها ظهرت صغاراً بالإضافة إليه وإلى سعة وانتشاره حولها .

(٣) تخط - بخذف إحدى التاءين - أى تتخطى ؛ والقنا : الرماح . يقول : لكثرة رماح هذا الجيش وتضايق ما بينها غص الهواء بها فلا تجد الريح منفذاً إلا أن تتخطى الرماح : أى تكون أعلى طريقاً منها أو تثب من فوقها .

(٤) اللجب : كثرة الأصوات واختلاطها . يقول : أتاهم من الجيوش بما عم بلادهم فكانها أغرقها ، وأخفى أصواتهم بأصوات جيوشه لكثرتها وارتفاعها .

(٥) أخبث به : صيغة تعجب : أى ما أخبثه في الحالين ، ويروى الثانى ؛ وأخبث به تاركاً ، من الخبث ؛ وطالبا وتاركاً : حالان . يقول : ما أخبثه حين يحاول قتلهم لأنه استدبر في ذلك سيف الدولة خسة منه وجبناً ، وما أخبثه إذ ترك هذه المحاولة وولى هارباً يطلب النجاة .

(٦) يقول : لما كنت بعيداً عن أهل الثغور أتاهم ققاتلهم بالمبارزة ، فلما جثت جعل الحرب موضع القتال : أى حمى نفسه بالحرب ، فكانها قاتلهم به كي ينجو .

وَكَانُوا لَهُ الْفَخْرَ لَمَّا أتَى وَكُنْتَ لَهُ الْعُذْرَ لَمَّا ذَهَبَ (١)  
سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ مَنَائِبُهُمْ وَمَنْفَعَةُ الْعَوْثِ قَبْلَ الْعَطَبِ (٢)  
فَخَرُّوا لِخَالِقِهِمْ سُجْدًا وَلَوْ لَمْ تُغِيثِ سَجَدُوا لِلصُّلْبِ (٣)  
وَكَمِ ذُذَّتْ عَنْهُمْ رَدَى بِالرَّذَى وَكَشَفَتْ مِنْ كُرْبٍ بِالْكَرْبِ (٤)  
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ إِنْ يَعُدُّ مَعَهُ الْمَلِكُ الْمُعْتَصِبِ (٥)

(١) يقول : إنه كان يفخر بأن قصدهم وصمد لقتالهم ، فلما ارتد عنهم هارباً كنت عذراً له في ارتداده لأنه لا يقوم لك ، ومثلك من يفر منه يعذر .

(٢) يقول : إنك أدركتهم قبل أن يعصف بهم فأغثهم قبل أن يعطبوا ، وإنما ينفع العوث إذا كان قبل العطب والهلاك ، أما بعد ذلك فلا قيمة للعوث ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي تمام :

وَمَا نَفَعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ ظَامِئًا إِذَا مَا سَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَ انْهَمَارُهَا  
وقول البحري :

واعلم بأن الغيث ليس بِنافعٍ للناسِ ما لم يأتِ في إِبَانِهِ

(٣) الصلب : جمع صليب ، وهو ذلك الذي يتخذه المسيحيون في يوتهم ويعيم على شكل الصلوب . يقول : لما أفتدتهم وفر الدهستق سجدوا لله شكراً ، ولو لم تنقذهم لسجدوا لصلبان الأعداء خوفاً منهم .

(٤) يقول : كم دفعت عنهم الهلاك يا هلاكك من بنى هلاكهم ؟ وكم كشفت عنهم الكرب بالكرب التي أنزلتها بأعدائهم ؟

(٥) المعتصب : أى المتوج الذى يعتصب التاج برأسه . يقول : وقد زعم الروم أن الدهستق سيعود ومعه الملك الأعظم ، وعبر عن مجيء الملك بالعود مع أنه لم يكن قبل ذلك قصدهم - للمشاكلة بين الفعلين ، على أن عاد قدير اد بها الإتيان لأول مرة كما قال :

فإن تكن الأيام أحسن مرةً إلى فقد عادتْ هُنْ ذُنُوبُ

أى أتنى .

وَيَسْتَنْصِرَانِ الَّذِي يَعْْبُدَانِ وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلِبَ<sup>(١)</sup>  
لِيُدْفَعَ مَا نَالَهُ عَنْهُمَا فَيَا لِلرَّجَالِ هَذَا الْعَجَبُ<sup>(٢)</sup>  
أَرَى الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ إِمَّا لِعَجْزٍ وَإِمَّا رَهَبٍ<sup>(٣)</sup>  
وَأَنْتَ مَعَ اللَّهِ فِي جَانِبٍ قَلِيلُ الرَّقَادِ كَثِيرُ التَّعَبِ<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّكَ وَحْدَكَ وَحَدَّثَهُ وَدَانَ الْبَرِيَّةُ بَابْنِ وَأَبٍ<sup>(٥)</sup>  
فَلَيْتَ سِيُوفَكَ فِي حَاسِدٍ إِذَا مَا ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ كَيْبُ<sup>(٦)</sup>  
وَلَيْتَ شَكَاتَكَ فِي جَنْبِهِ وَلَيْتَكَ تَجْزِي بِيغْضٍ وَحُبٍ<sup>(٧)</sup>  
فَلَوْ كُنْتَ تَجْزِي بِهِ نِتُ مِنْكَ أضعَفَ حَظِّ بَأَقْوَى سَبَبٍ<sup>(٨)</sup>

(١) يقول : إن المستق والملك يستنصران السيد المسيح ويسألانه النصره على المسلمين وها يعتقدان أن المسيح صلبته اليهود وقتلته .

(٢) عنهما : صلة يدفع . يقول : ويطلبان أن يدفع السيد المسيح عنهما ما ناله من القتل في اعتقادهم ، ثم تعجب من هذا وقال : وكيف يستطيع أن يدفع عنهما المهلاك وهو لم يستطع الدفاع عن نفسه ؟ ولام فيا للرجال : مفتوحة ، لأنها للمستغاث به ، ولام لهذا : لام التعجب ، وهي مكسورة ، أنشد سيويه تقيس بن ذريح :

تَكْنَفْنِي الْوِشَاءُ فَأَزْعَجُونِي فَيَا لِلنَّاسِ لِلِوَأَشِيِّ الْمَطَاعِ

(٣) يقول : أرى المسلمين قد هادنوا المشركين واجتمعوا معهم وتركوا قتالهم ، وذلك : إما محجراً عنهم ، أو خوفاً منهم .

(٤) يقول : وأنت مع الله في جانب آخر تنزل على أمره بالجهاد فلا تنام عنه ، وقد جانبت غيرك من المهادين والموادعين .

(٥) يقول : كأنك وحدك الموحّد لله تعالى ، وسائر الناس يدينون بدين النصارى الذين يقولون بالابن والأب .

(٦) ظهرت عليهم : ظفرت بهم وغلبتهم ، وكثب كآبة : حزن وظهر فيه الانكسار يقول : ليت الحاسد الذي يكتتب لظفرك بالروم يقتل بسيوفك .

(٧) و (٨) أراد بالشكاة : المرض الذي يشكوه ، وقوله تجزي به : أى بالحب أو البغض ، على أن الواو في قوله وحب : بمعنى أو . ولك أن ترجع الضمير إلى البغض

وقال في صباه ارتجالاً وقد عدله أبو سعيد المجيمري (\*) على تركه لقاء الملوك :

أَبَا سَعِيدٍ جَنَّبِ الْعَتَابَا      فَرُبَّ رَأِي خَطَأٍ صَوَابَا (١)  
فَإِنَّهُمْ قَدْ أَكْثَرُوا الْحُجَابَا      وَأَسْتَوْفُوا لِرَدَّنَا الْبَوَابَا (٢)  
وَإِنَّ حَدَّ الصَّارِمِ الْقِرْضَابَا      وَالذَّابِلَاتِ الشَّمْرَ وَالْعَرَابَا  
\* يَرْفَعُ فِيمَا بَيْنَنَا الْحُجَابَا (٣) \*

والحب جميعا ، لأن كليهما من أفعال القلب ، فكأنهما شيء واحد . والسبب : الوسيلة ، يقول : ليت المرض الذي تشكوه في جسم الحاسد وليتك تجزي من أبغضك يبغضه ومن أحبك بحبه كي أنال نصيبا من الحب ، إذ لو جزيته على حي لك - وهو أقوى سبب ، لأن حي إياك أكثر من حب غيري - لنت منك أقل حظ ، يشكو إعراضه عنه وأنه أقل الناس حظا منه مع أنه أشد جباله . وعبارة ابن جني : لو تناهيت في جزائك إياي على حي إياك لكان ضعيفا بالإضافة إلى قوة حي لك قال أبو الفضل العروضي : وهذا لا يقوله مجنون لبعض نظرائه ولمن هو دونه فكيف ينسب المتنبي سيف الدولة إلى أنه لو احتشد وتكلف في جزائه لم يبلغ كنهه ؟ وهذا الذي لاحظته العروضي لم يوفق فيه .

\* هو أبو سعيد المنبجي من بني المجيمر ، قبيلة بمنبج من طيء .

(١) رأى خطأ : يروي راء خطأ ، وذلك على حد قولهم : ضارب عمرو وضارب عمرا ويروي بدل هذين \* فرب رأى أخطأ الصوابا \* يقول : أبعد عني يا أبا سعيد عتابك فلا تعاتبني ، لأنك ترى الخطأ في زيارة الملوك صوابا ولست على رأيك :

(٢) فإنهم : أي الملوك .

(٣) القرضاب : السيف القاطع ؛ والذابلات : الرماح اللينة ؛ والعراب الخيل العربية . يقول : إنما يتوصل إلى الملوك ويهتك الحجاب الذي أقاموه على أبوابهم بالسلاح والخروج عليهم لا بغير ذلك ؛ وهذا بعض ما يشف عن طموح المتنبي وآماله السكبار !

وقال في صباه ارتجالا لبعض الكلابيين وهم على شراب :

لأَحْبَبِي أَنْ يَمْلَأُوا بِالصَّافِيَاتِ الْأَكُوبَ<sup>(١)</sup>  
وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَبْذُلُوا<sup>(٢)</sup> وَكَلَى أَنْ لَا أَشْرَبَا  
حَتَّى تَكُونَ الْبَابِرَا تِ الْمُسَعَمَاتِ فَأَطْرَبَا<sup>(٣)</sup>

وقال يرثى محمد بن إسحاق التنوخي وينفي الشماتة عن بني عمه (\*) :

لِأَيِّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِيهِ نَعَاتِبُ وَأَيَّ رَزَايَاهُ بَوْتِرٍ نُطَالِبُ<sup>(٤)</sup>

(١) الصافيات : جمع صافية ، وهي الحجر ؛ والأكوب جمع كوب ، وهو القدر

لا عروة له .

(٢) أى يجودوا بالشراب

(٣) البائرات . السيوف اقواطع ؛ يريد : أنه لا يطرب إلا على صليل السيوف ؛

وهذا أيضا إحدى هنواته التي تدل على بعد همته ، ولا سيما إذا لوحظ أنه مما قلّه في صباه ،

مثل الأبيات التي قبلها .

\* لما مات محمد بن إسحاق هذا رثاه المتنبي بأبيات مطلعها :

إني لأعلم واللييب خبير \*

وستأني ، ثم استزاده بنوع الميث فقال هذه الأبيات :

\* غاضت أنامله وهن بحور \*

وستمر بك ، ثم سألوه أن ينفي الشماتة عنهم فقال :

الأل إبراهيم بعد محمد إلا حسين دأتم وزفير

وتراها في قافية الراء ، ثم سألوه زيادة في نفي الشماتة عنهم فقال هذه الأبيات التي

نحن بصدها

(٤) اللام في قوله لأى : حشو ورفر لتقوية العامل ، على حد قوله تعالى « إن كنتم

لرؤيا تعبرون » أى أى صروف الدهر نعاتب ؛ والوتر : النار . يشكو الدهر يقول :

إن صروف الدهر ورزاياه كثيرة متوافرة ، فلا يمكن معاتبها ولا طلب الثأر منها .

مَضَى مَنْ فَقَدْنَا صَبْرَنَا عِنْدَ فَقْدِهِ  
وَقَدْ كَانَ يُعْطَى الصَّبْرَ وَالصَّبْرُ عَازِبٌ<sup>(١)</sup>  
يَرْوُرُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءِ عَجَاجَةٍ أَسْنَتُهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ<sup>(٢)</sup>  
فَتُسْفِرُ عَنْهُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّهَا مَضَارِبُهَا مِمَّا أَنْفَلْنَ صَرَائِبُ<sup>(٣)</sup>  
طَلَعْنَ شُمُوسًا وَالغُمُودُ مَشَارِقُ لَهْنٍ وَهَامَاتُ الرِّجَالِ مَغَارِبُ<sup>(٤)</sup>

(١) العازب : البعيد ، يقول : إنه كان في حياته إذا فقد الناس الصبر في الشدائد يعينهم ويحسن إليهم حتى يصبروا على ما ينوبهم بما ينالون منه ، وقد روى يعطى - بفتح الطاء - فيكون معناه أنه كان يصبر في المواطن التي كان يصعب فيها الصبر .  
(٢) العجاجة : الغبار ؛ والاسنة : أطراف الرماح . جعل الغبار المرتفع في الهواء سماء ، وجعل الاسنة لامعة فيها كالكواكب ، وهذا من قول بشار :

كَأَنَّ مُنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافِنَا كَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ  
وَقَالَ أَيْضًا :

خَلَقْنَا سَمَاءَ فَوْقِنَا بِنَجُومِهَا سَيْوِفًا وَنَقْمًا يَبْقِضُ الطَّرْفَ أَقْتَمَا  
وَقَالَ آخَرَ :

فَسَجَّتْ حَوَافِرُهَا سَمَاءَ فَوْقَهَا جَعَلَتْ أَسْنَتَنَا نَجُومَ سَمَائِهَا  
(٣) تسفر : تنجلي ، ومضارب : جمع مضرب ، وهو حد السيف وظبته وانقلن : انقلن ؛ والضرائب : جمع ضريبة ، وهي الشيء المضروب بالسيف يقول : إن هذه العجاجة تنجلي عنه ، وقد تلمت سيوفه من كثرة الضرب حتى صارت كأنها مضروبة لاضاربة ، والعرب من عادتهم الفخر بفل سيوفها قل النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيْوِفِهِمْ بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ  
وَفِي هَذَا الْبَيْتِ - بَيْتِ النَّابِغَةِ - مِنَ الْبَدِيعِ تَأْكِيدَ اللَّدْحِ بِمَا يَشْبَهُ الدَّمَ

(٤) الهامات : الرؤوس . يقول : إن سيوفه طلعت من أغمادها كالشمس في بريقها ثم غربت في رؤوس المضروبين ، فصارت رؤوسهم مغارب لها ، وهذا من قول أبي نواس في الحجر :

طَالَعَاتُ مَعَ السَّقَاةِ عَلَيْنَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

مَصَائِبُ شَتَّى جُمِعَتْ فِي مُصِيبَةٍ      وَلَمْ يَكُنْهَا حَتَّى قَفَّتْهَا مَصَائِبُ<sup>(١)</sup>  
رَبِّي ابْنَ أَبِيْنَا غَيْرُ ذِي رَحِمٍ لَهُ      فَبَاعَدَنَا مِنْهُ وَنَحْنُ الْأَقَارِبُ<sup>(٢)</sup>  
وَعَرَّضَ أَنَا شَامِتُونَ بِمَوْتِهِ      وَإِلَّا فَرَّزَتْ عَارِضِيهِ الْقَوَاضِبُ<sup>(٣)</sup>  
أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنَّ بَيْنَ بَنِي أَبِي      لِنَجْلِ يَهُودِيٍّ تَدَبُّ الْعَقَارِبُ<sup>(٤)</sup>  
أَلَا إِنَّمَا كَانَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدٍ      دَلِيلًا عَلَى أَنْ لَيْسَ لِلَّهِ غَالِبُ<sup>(٥)</sup>

(١) شتَّى : متفرقة ؛ وقفها : تبعها . يقول : إن مصيبتنا به ليست واحدة وإنما هي لعظمتها كأنها مصائب شتَّى ، ولم يكفنا ذلك حتى تبعها مصائب أخرى ، وهي اتهام المفسدين إيانا بأنا شامتون بموته .

(٢) قوله غير ذي رحم له : يروي ، غير ذي رحم لنا . يقول : إن هناك أجنبياً لا يمت إليه أو إلينا بأصرة قرابة يظهر الأسف على فقد ابن أينا — يريد ابن عمنا — فأبعدنا عنه باتهامه إيانا بالتمائة ونحن أقرباؤه ، فموته إنما يحزننا نحن لا غيرنا .

(٣) عرض أنا شامتون : أى عرض في مرثيته بأنا شامتون ، والتعريض الإشارة إلى العرض من غير تصريح ، والعارضان : جانباً اللحية ؛ والقواضب السيوف القاطعة . وقال الواحدى : قوله : وإلا فرزرت يجوز أن يكون من كلام المعرض حتى عنه ما قال كأنه قال : هم شامتون بموته ، وإلا فرزرتى السيوف : أى قتلت بها إن لم يكن الأمر على ما أقول ، فيكون هذا تأكيداً لما ذكر من شامتهم ؛ ويجوز أن يكون من كلام الدين ينفون التهمة عن أنفسهم . يقول : إن لم يكن الأمر على ما ذكر فرمى الله عارضيه بالسيوف ، فيكون هذا تأكيداً لتفى التهمة ، وأن الأمر ليس على ما ذكر .

(٤) أن بين بنى أبي : أى أنه بين بنى أبي ، فاسم إن هو ضمير الشأن ، والنجل : الولد ، وديب العقارب : كناية عن التهمة . يقول : أليس عجيباً أن تدب عقارب يهودى بين بنى أبي أى إخوة فيوقع بينهم العداوة ؟ يريد هذا الذى كان يمتنى بينهم بالتهمة ، وجعله ابن رجل يهودى مبالغة فى أجنبيته عنهم ويريد بوصفه يهودى أنه خبيث دساس .

(٥) يقول : برغم أنه كان يغلب جميع الناس لم يقدر على الامتناع من الموت ، فدل ذلك على أنه ليس لله غالب ، وهذا من قول أبي تمام .

كُفِّي فَقْتَلْ مُحَمَّدًا لِي شَاهِدٌ      أَنْ الْعَزِيزُ مَعَ الْقَضَاءِ ذَلِيلٌ

وقال يمدح المغيث بن علي بن بشر العجلي :

دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى فِي الرَّبِيعِ مَا وَجَبَا لِأَهْلِهِ وَشَفَى أُنَى وَلَا كَرَبَا (١)  
عُجْنَا فَأَذْهَبَ مَا أَبَقِيَ الْفِرَاقُ لَنَا مِنَ الْعُقُولِ وَمَا رَدَّ الَّذِي ذَهَبَا (٢)  
سَقَيْتُهُ عِبْرَاتٍ ظَنَّنَا مَطْرًا سَوَائِلًا مِنْ جُفُونِ ظَنَّنَا سُحْبَا (٣)  
دَارُ الْمَلْمِ لَهَا طَيْفٌ تَهْدَدُنِي لَيْلًا فَمَا صَدَقَتْ عَيْنِي وَلَا كَذَبَا (٤)

هذا وقال العكبري — تعليقاً على قوله : أن ليس — ؛ أن هي الخفيفة من الثقيلة ، ولا تدخل إلا على الاسم ؛ ولا تدخل على الفعل حتى يحجز بينه وبينها حاجز لدخولها على الأسماء ، كقوله تعالى « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » تقديره : أنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ؛ وكقوله تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى » تقديره : أنه سيكون ؛ فلا بد من حرف يحجز بينها وبين الفعل ؛ وقد دخلت ههنا على ليس — وهي فعل بلا حاجز — وذلك لضعف ليس عن الأفعال ؛ ولأنها غير متصرفة كتصرف الأفعال ؛ ومثله قوله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » .

(١) أنى : أى كيف وأنى بمعنى كيف كثير . قال تعالى : « أنى يحيى هذه الله بعد موتها » . وكرب : من أفعال المقاربة ، تقول كرب أن يفعل كذا : أى كاد وقارب . يقول : إنه بكى فى أطلال الأحبة بدمع قضى ما وجب لهم وشفاه مما ألم به من وجد ، ثم رجع عن ذلك وقال : وكيف أظن أن بكأنى قضى ما يجب وشفى ما فى نفسى من لوعة وهو لم يقض الحق ولم يشف الوجد ولا قارب أن يقضى ، يريد أنه قاصر عن ذلك . وفى هذا البيت من البديع ما يسمونه الرجوع ؛ وهو العود إلى الكلام السابق بالنتقص والإبطال ، وهو كثير فى كلام الشعراء ، ومنه قول زهير :

قِفْ بِالْدِيَارِ الَّتِي لَمْ يَغْفِهَا الْقِدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِيمُ  
(٢) عاج بالمكان : وقف به . يقول : عطفنا على هذا الربيع لزوره فأذهب ما كان بقى من عقولنا بعد الفراق بتجديده ذكرى الأحبة فضلاً عن أن يرد علينا ما كان قد ذهب منها لدى الفراق .

(٣) يقول : سقيت هذا الربيع دموعاً سوائل ظننا مطراً من جفون ظننا سحبا .  
(٤) دار الملم لها طيف : أى هذا الربيع هو دار التى ألم طيف لها ، فدار : خبر

نَأَيْتُهُ فَدَنَا أَدْنَيْتُهُ فَنَأَى جَمَشْتُهُ فَنَبَا قَبَلْتُهُ فَأَبَى (١)  
هَامَ الْفَوَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَتَتْ يَبْتَأُ مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمُدُّ لَهُ طُنْبًا (٢)  
مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصْنَا مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرْبًا (٣)

مبتدأ محذوف ، والألف واللام — في الملم — بمعنى التي ؛ وطيف : فاعل ملم ولها حال  
مقدمة من قوله طيف . يقول : إن هذا الربع هو دار المرأة التي زارني لها طيف .  
أوعدني ليلا . أي هددني بالهجر فما صدقت عيني لأنها رأت خيالا لأن ذلك كان رؤيا ،  
ولا كذب الطيف في تهديده لأنه هجرني بعد ذلك ، إذ لم آتم بعدها .

(١) نَأَيْتُهُ بَاعَدْتُهُ : وَرَوَى أَنَأَيْتُهُ : أَي أَبْعَدْتُهُ ؛ وَدَنَا : قَرَّبَ ، وَجَمَشْتُهُ : غَاظَلْتُهُ  
وَدَاعَبْتُهُ ، وَنَبَا : تَجَافَى وَتَبَاعَدَ ؛ وَأَنْبَيْتُهُ أَنَا : دَفَعْتُهُ عَنِ نَفْسِي ؛ وَفِي الْمَثَلِ :

\* الصديق ينبي عنك لا الوعيد \*

أى أن الصديق يدفع عنك الغائلة في الحرب دون التهديد ؛ وَنَبَا السَّيْفِ : إِذَا لَمْ يَعْمَلْ  
فِي الضَّرِيَّةِ ؛ وَنَبَا بَصْرِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ وَنَبَا بِهِ مَرْزَلُهُ : إِذَا لَمْ يَوَاقِعْهُ ؛ وَأَبَى : ائْتَمَعَ ، يَقُولُ :  
كَمَا أَرَدْتُ مِنْ هَذَا الطَّيْفِ شَيْئًا قَابِلِيَّ بَضْدِهِ ، وَهَذَا قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ :

\* صدت وعلمت الصدود خيالها \*

(٢) الْهِيَامُ : أَنْ يَذْهَبَ الرَّجُلُ عَلَى وَجْهِهِ لَغْلِبَةِ الْهَوَى عَلَيْهِ ؛ وَالطَّنْبُ : جَبَلُ الْحَبَاءِ  
وَالسَّرَادِقُ وَنَحْوُهَا ، قَالَ ابْنُ جَنَى ، يَقُولُ : مَلَكَتْ قَلْبِي بِلَا كَلْفَةٍ وَمَشَقَّةٍ ، فَكَانَتْ كَمَنْ  
سَكَنَ بَيْتًا لَمْ يَتَعَبْ فِي إِقَامَتِهِ وَلَا مَدَّ أَطْنَابَهُ . وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ : وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا أَنْ يُقَالَ :  
اتَّخَذْتُ بَيْتًا مِنْ قَلْبِي فَبَزَلْتُهُ ، وَالْقَلْبُ بَيْتُ بِلَا أَطْنَابٍ وَلَا أَوْتَادٍ .

(٣) يَقُولُ : هِيَ مَظْلُومَةُ الْقَدِّ — إِذَا شَبَّهَ بِالْغُصْنِ ، لِأَنَّهُ أَحْسَنُ مِنْهُ — وَهِيَ  
مَظْلُومَةُ الرِّيقِ — إِذَا شَبَّهَ بِالْعَسَلِ لِأَنَّهُ أَحْلَى مِنْهُ ؛ وَالضَّرْبُ — وَهُوَ الْعَسَلُ الْأَبْيَضُ  
الْغَلِيظُ — يَذْكَرُ وَيؤنثُ ؛ قَالَ أَبُو ذؤَيْبٍ الْهَدَلِيُّ فِي تَأْنِيثِهِ :

وَمَا ضَرَبَ بِيضًا يَا أَوْى مَلِيكُهَا إِلَى طُنْفِ أَعْيَا بَرِاقٍ وَنَازِلِ  
بِأَطْيَسٍ مِنْ فِيهَا إِذَا جِثَّ طَارِقًا وَأَشْبَى إِذَا نَامَتْ كَلَابُ الْأَسَافِلِ (١)

(١) يَا أَوْى مَلِيكُهَا : أَي يَعْسُوبُهَا ؛ وَيَعْسُوبُ النَحْلِ : أَمِيرُهُ ؛ وَالطَّنْفُ : حَيْدٌ يَنْدُرُ

بَيْضَاهُ تَطْمِيعُ فِيمَا تَحْتَهُ حُلَّتِيهَا      وَعَسَرَ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَ (١)  
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْبَى كَفَّ قَابِضِهِ      شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبًا (٢)  
مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تَرَبِّينَهَا فَقُلْتُ لَهَا  
مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ العَرَبِيَّ (٣)  
فَأَسْتَضْحَكُ ثُمَّ قَالَتْ كَأَلْمَفِيثِ يُرَى  
لَيْثَ الشَّرَى وَهُوَ مِنْ عَجَلٍ إِذَا أُنْتَسَبَ (٤)

(١) الحلة : الثوب ؛ ومطلوبا : منصوب على الحال أو التمييز . يقول ؛ إنها لأنسها  
ولين حديثها تطمع العاشق في نفسها ، فإذا حاول ذلك محاول عز عليه مطابه لعفتها وصياتها ؛  
ومثل هذا قول بعضهم :

يُحْسِنُ مَنْ لِينِ الحَدِيثِ دَوَانِيَا      وَبِهِنَّ عَنْ رَقَّتِ الرِّجَالِ نِفَارُ  
(٢) يعي : يعجز ، والضمير في قابضه للشعاع ؛ وشعاعها فاعل يعي ، والطرف :  
النظر ؛ ومقتربا : حال . شبهها بشعاع الشمس في قربه من الطرف وبعده عن القبض  
عليه ؛ وهذا كما يقول ابن عيينة :

وَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْؤُهَا      قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا يُعَدُّ  
ويقول الطرماح :

هِيَ الشَّمْسُ لِمَا أَنْ تَغِيبَ لَيْلَهَا      وَغَارَتْ فَمَا تَبْدُو لَعَيْنِ نَجُومُهَا  
تَرَاهَا عِيُونَ النَّاطِرِينَ إِذَا بَدَتْ      قَرِيبًا وَلَا يَسْطِيعُهَا مَنْ يَرُومُهَا  
وأجمل من هذا قول العباس بن الأحنف :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكُنُهَا فِي السَّمَاءِ      فَعَزَّ الفَوَادِ عَزَاءً جَمِيلًا  
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّمُودَ      وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَ  
(٣) و (٤) الترب : المساوي لغيره في العمر ؛ ويقال للدة ؛ والشادن : من الظباء

من الجبل قد أعيا بمن يرقى ومن ينزل ؛ وقوله كلاب الأسافل : يريد أسافل الحى لأن  
مواشيهم لا تبني معهم ؛ فرعاتها وأصحابها لا ينامون إلا آخر من ينام لاشتغالهم بجلبها .

جَاءَتْ بِأَشْجَعٍ مَنْ يُسَمَّى وَأَسْمَحَ مَنْ  
أَعْطَى وَأَبْلَغَ مَنْ أَمَلَى وَمَنْ كَتَبَا<sup>(١)</sup>  
لَوْ حَلَّ خَاطِرُهُ فِي مُقْعَدٍ لَمَشَى  
أَوْ جَاهِلٍ لَصَحَا أَوْ أَخْرَسٍ خَطَبَا<sup>(٢)</sup>  
إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنَيْكَ هَيْبَتُهُ  
وَلَيْسَ يَحْجُبُهُ سِتْرٌ إِذَا أُحْتَجَبَا<sup>(٣)</sup>

الذي قوى وترعرع واستغنى عن أمه ؛ يريد به المحبوبة ؛ واستضحك : بمعنى ضحك ،  
والغيث : اسم الممدوح ، وكالغيث : أى أنا كالغيث ، والليث : الأسد ، والشرى : موضع  
تكثر فيه الأسود ، وعجل : قبيلة الممدوح . يقول : مرت بنا بين تربها ققلت لها : أنت  
من الظباء وتربك من العرب ، فكيف اتفقت هذه المجانسة بينك وبينها ؟ فضحكت  
ثم قالت : لا تعجب من ذلك فإنى كالغيث : تراه من الأسود ، وهو مع ذلك من عجل ؛  
وكذلك أنا : ترانى من الظباء وأنا عربية . وفي هذين البيتين من البديع ما يسمونه حسن  
التخلص ، وهو الخروج مما ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية  
الملازمة بينهما .

(١) أى جارت هذه المحبوبة بذكر رجل هذه أوصافه : وقيل جاءت هذه القبيلة  
التي هي عجل بمن هذه أوصافه .

(٢) يقول : إن خاطره لتوقده لو كان فى زمن<sup>(١)</sup> لشيء ، أو فى جاهل لصحا من  
جهله وصار عالما . أو فى أخرس لقدرة على النطق .

(٣) يقول فى الشطر الأول : إذا ظهر للناس حجبت هيبته عيونهم عن النظر إليه  
لشدة هيبته ، وهذا كقول الفرزدق :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

(١) الزمن ذو الزمانية : أى العاهة ، وهو هنا فى معنى المقعد .

بَيَاضُ وَجْهِ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً  
وَدُرُّ لَفْظِ يُرِيكَ الدَّرَّ مَحْشَا لِبَابِ (١)  
وَسَيْفُ عَزِيمٍ تَرُدُّ السَّيْفَ هَيْبَتَهُ رَطْبُ الْغِرَارِ مِنَ التَّامُورِ مُحْتَضِبًا (٢)

وقوله أيضاً :

وَإِذَا الرَّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضَعَ الرِّقَابَ نَوَا كِسَ الْأَبْصَارِ (١)  
ويقول أبو نواس :

إِنَّ الْعُيُونَ حُجِبْنَ عَنْكَ لِهَيْبَةٍ فَإِذَا بَدَوْتَ لَهُنَّ نُكْسًا نَظَرُ  
ويقول في الشطر الثاني : إذا احتجب وراء الستور ظهر نور وجهه من وراءها  
فلم تستطع حجبها ، وهذا كقول القائل :

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحُجَابِ تَلْوَةً هَيْبَاتٍ لَسْتَ عَلَى الْحُجَابِ بِقَادِرٍ  
وقال ابن جنى : هذا يحتمل تأويلين : أحدهما أن حجابها قريب لما فيه من التواضع  
فليس يقصر أحد أراده دونه وإن كان محتجبا ؛ والآخر أنه وإن احتجب فهو كلاً  
محتجب لشدة يقظته ومراعاته الامور . وعبارة الخطيب : الذي أراده التنبي أن حسنه  
وبهائه لا يحجبه شيء ، والبيت الذي يليه يشهد له

(١) الخالك : الشديد السواد ؛ والمخشلب : خرز أبيض يشبه الدار ، والعرب  
تسميه الخفض ؛ أما المخشلب فهي كلمة ببطية . يقول : إن نور وجهه يغلب نور الشمس  
حتى ترى إذا قابلها كأنها سوداء ، وأن لفظه أحسن من الدر حتى يرى الدر إذا نطق  
كأنه خرز .

(٢) هيبته : مضاؤه ؛ والغرار : الحد ؛ والتأمور : دم القلب . قال أوس بن حجر .  
أُنْبِثْتُ أَنَّ بَنِي سَحِيمٍ أَوْلَجُوا أَيْبَاتَهُمْ تَأْمُورَ نَفْسِ الْمَسْذِرِ  
« أي مهجة نفسه وكانوا قتلوه » يقول المتنبي : إن مضاء عزمه يصير السيف رطب  
الحد من دم الأعداء .

(١) خضع : جمع خضوع أي خاضع ونوا كس جمع شاذ وروى منكسى : نوا كسى أي  
مطاطق رؤسهم منكسى أبصارهم إجلالاً له وهيبة وللحو بين في نوا كس كلام طريف فانظره  
( ١٦ — المتنبي ١ )

عُمُرُ الْعَدُوِّ إِذَا لَاقَاهُ فِي رَهَجٍ أَقْلٌ مِنْ عُمُرِ مَا يَحْوِي إِذَا وَهَبًا<sup>(١)</sup>  
تَوَقَّهُ فَمَتَى مَا شِئْتَ تَبْلُوهُ فَكُنْ مُعَادِيَهُ أَوْ كُنْ لَهُ نَسَبًا<sup>(٢)</sup>  
تَحْلُو مَذَاقَتَهُ حَتَّى إِذَا غَضِبَا حَالَتْ فُلُوقُ قَطَرَتْ فِي الْمَاءِ مَا شَرِبَا<sup>(٣)</sup>

(١) الرهج : الغبار ، وأرهج الغبار : أثاره . يقول : إذا لقي عدوه في غبار الحرب قصر عمره حتى يكون أقصر من عمر المال عنده إذا أخذ في العطاء . وقال ابن القطاع : يريد أن عمر العدو حين يلاقيه قريب ، كما أن عمر المال عنده قريب حين يدخل إليه فلا يكاد حتى يهبه ؛ ولين يريد أن عمر العدو أقل من عمر المال ، وإنما يريد المساواة والمقارنة وأنهما لا يتيقنان . وقوله إذ وهبا : أي إذا أراد أن يهب . (٢) تبلوه : أراد أن تبلوه ، فحذف أن وبقى عملها . قال العكبري : تبلوه : انتصب بإخمار أن ، وهو على مذهبنا ، فإن أهل الكوفة نصبوا بها مقدرة ، وأبى ذلك البصريون ؛ وحجتنا ما قرأ به عبد الله بن مسعود : « وإذا أخذنا ميشاق بني إسرائيل لاتعدوا إلا الله » فأعمل أن مقدرة ؛ وحجتنا أيضا قول عامر بن الطفيل :

\* وَمَنْهَتْ نَفْسِي بَعْدَ مَا كِدْتُ أَفْعَلَهُ \*

فنصب أفعله بأن المقدرة . والنشب : المال . يقول : احذره ولا تحم حوله بالعداء ، فإن أردت اختباره فكن عدوه أو مالا في يده حتى ترى ما يحل بك من الإبادة والإفناء ، وفي معنى هذا البيت قول مسلم بن الوليد :

تَظَلِّمُ الْمَالَ وَالْأَعْدَاءُ مِنْ يَدِهِ لَا زَالَ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءِ ظُلَامًا  
وَمَا أَحْلَى قَوْلَ أَبِي نَوَاسٍ :

لَيْتَ مَنْ كَانَ عَدُوِّي كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ مَالًا

(٣) حالت : تغيرت ، وجعل المذاقة مما يقطر اتساعا . يقول : هو عذب الأخلاق فإذا غضب تغيرت فأصت مرة فلو أمكن أن يمزج الماء به لم يطق أحد شربه ؛ يعني أن فيه حلاوة لأوليائه ومرارة لأعدائه ، وفي الماء يروى في البحر قال العكبري : وأراد بالبحر ههنا العذب ، قال الله تعالى « مرج البحرين » يريد للملح والعذب ؛ وأهل مصر والصعيد كلهم يسمون النيل : البحر . هذا وفي البيت تصريح ، وهو مما يحسن استعماله للخروج من قصة إلى قصة كما أسلفنا .

وَتَغِيظُ الْأَرْضُ مِنْهَا حَيْثُ حَلَّ بِهِ  
وَتَحْسُدُ الْخَيْلُ مِنْهَا أَيَّهَا رَكِبًا<sup>(١)</sup>

(١) الغبطة والحسد : كلاهما بمعنى التمني ، بيد أن الغبطة أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه ، والحسد أن تتمنى مثل نعمته على أن تتحول عنه ؛ فالغبطة أخف . تقول منه غبطته بما نال أغبطه غبطا وغبطة فاغبط هو كقولك منعه فامتنع ، وحبسته فاحتبس . قال حريث بن جبلة العذري :  
وبينا المرء في الأحياء مُغْتَبِطٌ إِذَا هُوَ الرَّمْسُ تَعْفُوهُ الْأَعاصِيرُ  
وغبطت الكباش أغبطه غبطا : إذا جست إليه لتنظر أبه طرق أم لا؟<sup>(١)</sup> وغبط الشاة والناقة : جسهما لينظر سمنهما من هزالهما . قال رجل من بني عمرو بن عامر يهجو قوما من سليم :

إِذَا تَجَلَيْتَ غَلَاقًا<sup>(٢)</sup> لَتَعْرِفَهَا لَاحَتٌ مِنَ اللَّوْمِ فِي أَعْنَاقِهَا الْكُتُبِ  
إِنِّي وَأَتَيْتِي ابْنَ غَلَاقٍ لِيَقْرِيَنِي

كغابيط الكلب يبغي الطروق في الذئب

وقد سئل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل يضر الغبط ؟ قال : لا ، إلا كما يضر العضاة الخبط ، أراد صلوات الله عليه أن الغبط لا يضر ضرر الحسد ، وأن ما يلحق الغابط من الضرر الراجع إلى نقصان الثواب دون الإحباط بقدر ما يلحق العضاء من خبط ورقها الذي هو دون قطعها واستئصالها ، ولأنه يعود بعد الخبط ورقها : فهو وإن كان فيه طرف من الحسد فهو دونه في الإثم . وأصل الحسد : القشر ؛ وأصل الغبط الجس ؛ والشجر إذا قشر عنها لحاؤها يبست ، وإذا خبط ورقها استخلف دون يابس الأصل ، وضمير منها : للأرض ، وضمير به : لحيث حل الذي يقع مفعولا به لتغبط ، وضمير منها الثانية : للخيل ، وأما : مفعول تحسد يقول : إن الأرض يغبط بعضها البعض الذي يحل فيه ، والخيل تحسد بعضها البعض الذي يركبه . قال ابن جنى : وجعل الغبطة للأرض لأنها وإن كثرت بقاعها فهي كالمكان الواحد لاتصال بعضها ببعض ،

(١) الطرق : - الشحم أو السمن .

(٢) غلاق : - كشداد رجل أبو حنيفة .

وَلَا يَرُدُّ بِنَفْسِهِ كَفَّ سَائِلُهُ      عَنْ نَفْسِهِ وَيَرُدُّ الْجَحْفَلَ اللَّجْبَا<sup>(١)</sup>  
وَكَلَّمَا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ      فِي مُلْكِهِ أَفْتَرَقَا مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبَا<sup>(٢)</sup>  
مَالٌ كَانَ غَرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ      فَكَلَّمَا قَبِيلَ هَذَا مُجْتَدٍ نَعْبَا<sup>(٣)</sup>

والخيل ليست كذلك لأنها متفرقة فاستعمل لها الحسد ، والبيت مأخوذ من قول  
أبي تمام :

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ      غَدَاةَ ثَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَهَا قَبْرُ  
(١) الجحفل : الجيش العظيم ، واللجب : المختلط الأصوات . يقول : إنه جواد  
شجاع لا يستطيع أن يرد سائله ، ولكنه يرد وحده الجيش العظيم .  
(٢) قوله من قبل يصطحبا : أراد من قبل أن يصطحبا ، لحذف أن وأبقى عملها :  
يقول : إذا اتقى الديناران لديه تفرقا قبل اصطحابها ، فهما يلتقيان مجتازين لامصطحبين  
وقال الواحدى : يجوز نصب الدينار وصاحبه ويكون معناه كما لقي المدوح الدينار  
مصاحبا له ، وما أجمل ما يقول النضر بن جؤية بن النضر في هذا المعنى :

قَالَتْ طَرِيفَةٌ مَا تَبْقَى دِرَاهِمَنَا      وَمَا بِنَا سَرَفَ فِيهَا وَلَا خَسْرُقُ  
إِنَّا إِذَا اجْتَمَعْتْ يَوْمًا دِرَاهِمَنَا      ظَلَّتْ إِلَى طُرُقِ الْمَعْرُوفِ تَسْبِقُ  
لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ صُرْتَنَا      لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهوَ مُنْطَلِقُ  
حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلِ يَحُلِّدُهُ      يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِيَّاهُ يَنْمِرِقُ  
(٣) المجتدى : السائل ، ونعيب الغراب : صياحه ، والبين : الفراق يقول : هذا

المسال كأن غراب البين يرقبه ، فكلماء جاء مجتد صاح فيه ففرق شمله ، وعبرة الواحدى  
إن ماله يرقبه غراب البين ، فإذا جاء السائل فرق المدوح ماله ، فكأن غراب البين  
نعب في مال المدوح بالتفريق ، وما ذكر من رقبة الغراب ونعيبه بيان ومثال لتفريقه  
المسال عند مجيئ السائل ، والأصل في هذا أن العرب تقول : غراب البين إذا صاح في  
ديار قوم تفرقوا ، أما ما قاله ابن جنى من أن المعنى : كما أن غراب البين لا يفتر عن الصياح . كذلك  
هذا لا يفتر عن العطاء : فهو بعيد ، ومن الذى قال إن الغراب لا يفتر عن الصياح ؟  
هذا وقالوا إنما حسنت الإضافة في غراب البين لأنه اسم مشترك يقع على أشياء ، فمنها  
غراب الفأس : أى حدها . قال الشاعر يصف رجلا قطع نبعة :  
(٧)

بَحْرٌ عَجَائِبُهُ لَمْ تَبْقَ فِي سَمَرٍ      وَلَا عَجَائِبِ بَحْرِ بَعْدَهَا عَجَبًا<sup>(١)</sup>  
لَا يُقْنِعُ ابْنَ عَلِيٍّ نَيْلُ مَنْزِلَتِهِ      يَشْكُو مُحَاوِلَهَا التَّقْصِيرَ وَالتَّعَبًا<sup>(٢)</sup>  
هَزَّ اللِّوَاءَ بَنُو عِجْلِ بِهٍ فَعَدَا      رَأْسًا لَهُمْ وَغَدَا كُلُّهُمْ ذَنْبًا<sup>(٣)</sup>

فَأَنْحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدِّ غُرَابِهَا      عَدُوًّا لِأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مُشَارِزُ

« أى أمال على النبعة فأسا ذات حد ، غرابها — أى حدها — مشارز : أى معاد أوسىء الخلق ، والمشارزة هى المصارعة » ومنها الغراب : قذال الرأس يقال شاب غرابه : أى شعر قذاله . والغرابان من الفرس والبعر حرفا الوركين الأيسر والأيمن اللذان فوق الذنب حيث التقى رأسا الورك اليمنى واليسرى ، قال الراجز .

يَا عَجَبًا لِلْعَجَبِ الْعُجَابِ      خَمْسَةَ غُرَبَانَ عَلَى غُرَابِ

(١) السمر : المسامرة ، وهو حديث الليل ، وأصله أنهم كانوا يسمرون فى ظل القمر ، وأصل السمر : ظل القمر ، والسمرة مأخوذة من هذا ، وسمر يسمر سمرًا وسمرورًا لم ينم : وهو سامر ، وهم السمار ، والسامر أيضاً السمار ، وهم القوم يسمرون . قال الأزهري : وقد جاءت حروف على لفظ فاعل وهى جمع ، فمنها الحامل والسامر والباقر والحاضر ، والحامل للابل ويكون فيها الذكور والإناث ، والسامر : الجماعة من الحى يسمرون ليلا ، والحاضر الحى النزول على المساء ، والباقر : البقر فيها الفحول والإناث ، قالوا : والسامر أيضا : الموضع الذى يجتمعون للسمر فيه ، وأنشدوا :

\* وَسَامِرٌ طَال فِيهِ اللُّهُوُّ وَالسَمَرُ \*

وابن سمر الليل والنهار لأنه يسمر فيهما . يقول : هو بحر له عجائب فى باب الفضل والشجاعة لا تحاكيها عجائب البحار ولا ما يتحدث به السمار ، إذ هى بالقياس إليها كالشئء المؤلف لغرابة ما يبدو منه ويتحدث عنه ، وعبارة ابنى جنى : تشاغل الناس بالتعجب من فضائل هذا الرجل عن عجائب الأسفار والبحار .

(٢) محاولها : أى طالبها ، وأصله طلب الشئء بالحيلة . يقول : لا يقنع المدوح أن ينال المنزلة العظيمة التى يشكو طالبها قصوره عنها وتعبه فى تحصيلها ، إذ هو دائما يطمح إلى ما يعجز عنه الطالبون .

(٣) اللواء الراية ، وبنو عجل : قبيلة المدوح . يقول : حركوا اللواء باسمه — أى

التَّارِكِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَهْوَنَهَا  
وَالرَّاكِبِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا صَمُبًا<sup>(١)</sup>  
مُبْرَقِي خَيْلِهِمْ بِالْبَيْضِ مَتَّخِذِي  
هَامِ الْكَمَاةِ عَلَى أَرْمَاحِهِمْ عَذَابًا<sup>(٢)</sup>

جعلوه سيدهم وقادهم — فاذا حركوا رايتهم حركوها باسمه ، فصار سيدهم وصاروا هم به سادة الناس ، فهو رأس بني عجل فصاروا بذلك سادة الناس ، وصار الناس أذنايا لهم وتبعوا .

(١) نصب التاركين على المدح بإضمار أعنى أو أمدح . يقول : إنهم — بعد همتهم — يتركون ما هان من الأمور وسهل وجوده ، ويرومون الصعب الشاق منها ، وفي هذا يقول الطهوي :

ولا يَرَعُونَ أكنافَ الهوينَا إذا حلُّوا ولا روضَ الهدونِ<sup>(١)</sup>  
(٢) البيض : السيوف ، والهام : الرؤوس ، والسكاة : الأبطال المدججون في السلاح والعذب : جمع عذبة وهي الريش المعلق في طرف الرمح . يقول : إن سيوفهم تحول دون خيلهم أن يصل إليها أحد بطعن أو ضرب : إما لما نزلتهم دونها ، أو لخدقهم بالضرب ، فتكون لها بمنزلة البراقع . والمعنى أنهم يحمونها بالسيوف لا بالبراقع والتجافيف . وعبارة أبي الفضل العروضي : أن سيوفهم مكان البراقع تحلهم فلا يصل العدو إلى فرسانهم . وقوله متخذي هام السكاة : معناه أنهم يأخذون رؤوس الأبطال بأطراف رماحهم ، فتكون مع شعورها بمنزلة العذب التي تعلق بالرمح . وقال جرير في هذا المعنى :

كأنَّ رؤوسَ القسومِ فوقَ رِمَاحِنَا  
غداةَ الوغَى تيجانُ كسرى وقيصراً

وقال مسلم بن الوليد :

يكسو السيوفَ نفوسَ الناكثينَ به  
ويجعلُ الهامَ تيجانَ القنا الذليلِ

(١) الهدون : الدعة والسكون .

إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَوْ لَاقَتْهُمْ وَقَفَتْ  
مَرَاتِبٌ صَعِدَتْ وَالْفِكْرُ يَتَّبِعُهَا  
خَرْقَاءُ تَتَّبِعُهُمُ الْإِقْدَامَ وَالْهَرَبَ (١)  
فَجَازَ وَهُوَ عَلَى آثَارِهَا الشُّبُهَاتِ (٢)  
مَحَامِدُهُ نَزَفَتْ شِعْرِي لَيْثَلَاهَا  
فَالَ مَا امْتَلَأْتُ مِنْهُ وَلَا نَضَبًا (٣)  
مَكَارِمُ لَكَ فَتَّ الْعَالَمِينَ بِهَا  
مَنْ يَسْتَطِيعُ لِأَمْرِ فَائِتٍ طَلَبًا (٤)

وقال أبو تمام :

أبدلت أرووسهم يوم الكريهة من

قنا الظهور قنا الخطي مدعما

من كل ذي لمة غطت ضفائرها صدر القناة فقد كادت ترى علما  
(١) الخرقاء : الخمقاء ، مؤنث الأخرق . يقول : لولا قمت النية يوم الوغى للبطت بالأرض  
خوفا وفرعا لا يتجه لها رأى في السلامة فهي تنهم الإقدام وتنهم الهرب خشية الإدراك :  
أى تقدر أنها إن هربت أدركت . قال أبو تمام :

من كل أروع ترتاع المون له إذا تجرد لا ينكس ولا حذر  
وقل أيضا :

شوس إذا خفقت عقاب لوائهم ظلت قلوب الموت منها تحق  
(٢) النهب : الكواكب . يقول : إن لهم مراتب عالية علت في السماء فصارت أعلى  
من الكواكب ، لأن الفكر الذى يتبعها جاز الكواكب ولم يلحقها .

(٣) نرفت : استنفدت ، وآل : عاد ورجع ؛ ونضب : جف . قال الواحدى :  
جعل اقتضاء المحامد أن تنظم بالشعر نرفا وجعل الشعر — لكونه مقتضى — مزوفا .  
يقول : لم تمتلئ هذه المحامد من شعري : أى لم تبلغ الغاية التى تستحقها من شعري ،  
ولا شعري فنى ، فأنا أبدا أمدحهم : وبيان ذلك أن لهم محامد استخرجت شعري لينظم  
تلك المحامد كلها فلم تنحصر بالشعر ولم يفن الشعر يريد كثرة محامدهم وكثرة مدائحهم لم  
يعنى أنه سيعود إلى استيفاء مدحهم ، وجعل الشعر كالماء ينزف ، واستغراق محامدهم  
في الشعر كلها بالماء ، ولما جعل الشعر . كالماء جعل فناءه نضوبا .

(٤) يقول : لك مكارم سبقت بها العالمين فليس فى مكنة أحد إدراكها ومن يستطيع  
إدراك أمر فائت ؟

١٤ لَمَّا أَقَمْتَ بِأَنْطَاكِيَّةَ اخْتَلَفْتَ ١  
 ١٥ فَمِزْتُ نَحْوَكَ لَا أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ ٢  
 ١٦ أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلْوَى شَرِقْتُ بِهَا ٣  
 ١٧ وَإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةَ ٤  
 ١٨ بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِمًا ٥  
 ١٩ قُحَّ يَكَادُ صَهِيلُ الْخَيْلِ يَقْذِفُهُ ٦  
 ٢٠ إِلَى بَاتِلِخَيْرِ الرَّكْبَانِ فِي حَلْبًا (١)  
 ٢١ أَحْتُ رَاحِلَتِي الْفَقْرَ وَالْأَدْبَا (٢)  
 ٢٢ لَوْ ذَاقَهَا لَبَكِي مَا عَاشَ وَأَنْتَحَبَا (٣)  
 ٢٣ وَالسَّمْهَرِيَّ أَخَا وَالْمَشْرَفِيَّ أَبَا (٤)  
 ٢٤ حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَابًا (٥)  
 ٢٥ عَنْ سَرَجِهِ مَرَحًا بِالْعَزْوِ أَوْ طَرَبًا (٦)

(١) و (٢) اختلفت : ترددت وجاءت مرة بعد أخرى ، والمراد بالركبان : القصاد الذين صمدوا إلى المدوح فأبوا بالهبات والعطايا ، ولا ألوي لا أعرج . يقول : لما أقمت بأنطاكية جاءتني ركبان العفاة — الذين قصدوا إليك وأنا في حلب — فما عثمت أن سرت نحوك لا أعرج في سيرى ولا أقف ، حتى وصلت إليك محمولا على راحتين من ققرى الذى يحفرنى إلى بابك طلبا لجذواك وأدبى الذى تسببت به إليك .  
 (٣) شرفت : غصصت ، وضمير ذاقها : للزمن . وقوله ما عاش . أى ما بقى وامتد . والاتحباب : رفع الصوت وتردده بالبكاء . يقول : أذاقنى الدهر من الفقر والغربة شيئا لو ذاقه هو لبكى واتحجب مدة حياته ولم يستطع عليه صبرا لأنه الغاية في الشدة ، فكيف أصبر أنا عليه ؟

(٤) عمرت : عشت ، والسهمري : الرمح ، والمشرفي : السيف ، كفى بهذه القرايات عن ملازمة هذه المذكورات . يقول : إن عشت وتنفس بي العمر لازمت الحرب حتى أدرك طلبى . هذا ويقال عمر الرجل بكسر الميم يعمر عمرا وعمارة وعمرا ، وعمر — بالفتح — يعمر ويعمر : أى عاش وبقى زمانا طويلا ومنه قولهم : أطال الله عمرك وعمرك وهما وإن كانا مصدرين بمعنى ، إلا أنه استعمل في القسم أحدهما وهو المفتوح .

(٥) و (٦) الأشعث : القبر من طول السفر ولقاء الحروب ؛ والقح : الخالص : أى العربى الخالص النسب ؛ وقح : نعت لأشعث ، والمرح : النشاط . يقول : للازمت الحرب بكل رجل قد طال تمرسه بالحروب والأسفار حتى تراه يرمى نفسه في التهلكة كأن القتل حاجة له ينتفحها ويتهاك عليها ، وإذا هو سمع صهيل الخيل استخفه ذلك حتى يكاد يطرحه عن السرج لما يجد من النشاط والطرب ؛ وروى ابن جنى بدل صهيل الخيل

فَالْمَوْتُ أَعْذَرُ لِي وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِي وَالْبِرُّ أَوْسَعُ وَالْدُنْيَا لِمَنْ غَلَبَهَا (١)

\*\*\*

صهيل الجرد - جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر - وذلك مما محمد في الخيل، ويروى بدل مرحا بالغزو : مرحا بالعز . ومن جيد ما قيل في معنى البيت الأول قول أبي تمام :

مُسْتَرْسِلِينَ إِلَى الْخُتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْخُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ  
وقول البحترى :

مُسْتَرْعِينَ إِلَى الْخُتُوفِ كَأَنَّمَا وَفَرُّ بِأَرْضِ عَدُوِّهِمْ يُتَنَهَّبُ

(١) يقول : الموت أعذر لي من أن أعيش ذليلاً ، فإذا قتلت في طلب المعالي قام للموت بعذري ، والصبر أجمل ، لأن الجزع عادة اللثام ، والبر أوسع لي من بلد يضيق بي رزقه فأنا أسافر وأضطرب في مناكب الأرض ؛ والدنيا لمن غلب وزاحم لا لمن لزم عقرداره ، قال العكبري : وهذه الأبيات التي أتى بها في آخر القصيدة خارجة عما هو فيه لأنه يمدح رجلاً ، ويذكر أنه قد قصده وأن الزمان قد أذاقه بلوى وشدة ، وقد جاء يستجدي منه ثم يذكر الشجاعة منه وطلب الملوك وأخذ البلاد . . . وأين أبو الطيب والملوك ؟ رحم الله امرأ عرف قدره . . . ولقد أحسن ابن دريد فيما قال :

من لم يقف عند انتهاء قدره تقاصرت عنه فسيحات الخطأ  
وقد غاب عن العكبري - رحمه الله - خلائق الثنبي وأنه لا يمدح الناس إلا ليمدح نفسه وينوه بما تنطوي عليه من اللطام والآمال الكبار والنزاع إلى الطعن والنزال .

وقال يمدح على بن منصور الحاجب \*

بأبي الشَّمُوسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبًا      الْأَلْبَسَاتُ مِنَ الْخَرِيرِ جَلَابِبًا<sup>(١)</sup>  
الْمَنْهَبَاتُ قُلُوبِنَا وَعُقُولُنَا      وَجَنَاتِهِنَّ النَّاهِبَاتِ النَّاهِبَا<sup>(٢)</sup>  
النَّاعِمَاتُ الْقَاتِلَاتُ الْمُحْيِيَا      تِ الْمُبْدِيَاتُ مِنَ الدَّلَالِ غَرَابِيبَا<sup>(٣)</sup>  
حَاوِلُنْ تَفْدِيَتِي وَخِفْنِ مَرَاقِبَا      فَوَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ فَوْقَ تَرَابِيبَا<sup>(٤)</sup>

\* قيل: إنه لم يحزه على هذه القصيدة إلا ديناراً واحداً ، ولذلك سميت بالدينارية .  
(١) الباء للتفدية ؛ والشموس : إما مرفوعة على أنها مبتدأ محذوف الخبر والتقدير :  
الشموس مفديات بأبي ؛ وإما منصوبة على أنها مفعول فعل محذوف والتقدير : أفدى  
الشموس بأبي ؛ والجائحات : المائلات ؛ والجلاب : جمع جلاب ، وهو ما يلتحف  
به من الثياب ، وأصله جلايب : قال تعالى « يدنين عليهن من جلابيبهن » حذف الياء  
ضرورة . كنى بالشموس عن النساء ، وبغروبهن . عن بعدهن . وعبرة الواحدى :  
لما سماهن شموسا كنى عن بعدهن بالغروب ، لأن بعد الشموس عن العيون لا يكون إلا  
بالغروب ، وقد بين في آخر البيت أن الشموس : النساء الحسان ؛ إذ قال : اللابسات الخ .  
وقال ابن جنى : غبن عنك فى الحدور .

(٢) المنهبات : اسم فاعل ، ووجناتهن : مفعول أول ؛ وقلوبنا : مفعول ثان ،  
وعقولنا : عطف عليه ؛ والناهبات : صفة لوجناتهن ؛ ولك أن ترفع وجناتهن على أنها  
فاعل المنهبات : أى اللاتى أنهبت وجناتهن قلوبنا ، فيكون قد اقتصر على مفعول واحد ؛  
ويقال أنهبت الشيء إذا جعلته نهباله . يقول : اللواتى جعلن قلوبنا وعقولنا نهبا لوجناتهن  
يسببها بحسنهن ، ثم وصف الوجنات بأنها تنهب الناهب : أى الرجل الشجاع المغوار  
الذى ينهب الناس . بعد أن أبلى البلاء الحسن فى الحرب ، وهذا من قول أبى تمام :

سَلَبْنَ غِطَاءَ الْحَسَنِ عَنْ حُرِّ أَوْجِهِ      تَفَلُّ لِّلْبِّ السَّالِبِيهَا سَوَالِبَا

(٣) الناعمات : أى اللينات للفاصل ، والقاتلات : أى بهجرهن ، والمحيات :  
بوصلهن ، والمبديات : أى المظهرات من الدلال عجائب ، والدلال : جرأة المرأة على  
الرجل فى تكسر وتغنج .

(٤) التراب : موضع القلادة من الصدر . يقول : حاولن أن يقلن لى نقديك بأنفسنا  
فوضعن أيديهن على صدورهن إشارة إلى ذلك خوف الرقيب . وقال ابن جنى : أشرن

وَبَسَمَنَ عَنِ بَرْدٍ خَشِيَتْ أُذْيِيهِ <sup>(١)</sup> مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي فَكُنْتُ الذَّائِبَا  
يَا حَبَّذَا الْمُتَحَمِّلُونَ وَحَبَّذَا <sup>(٢)</sup> وَإِ لَثَمْتُ بِهِ الْغَزَالَهَ كَاعِيَا  
كَيْفَ الرَّجَاءِ مِنَ الْخَطُوبِ تَخَلُّصَا <sup>(٣)</sup> مِنْ بَعْدِ مَا أَنْشَبَنِي فِي مَخَالِبَا

إلى من بعيد ولم يجهرن بالسلام والتحية خوف الرقباء والوشاة . جعل ابن جني هذه الإشارة تحية وتسليما ، وقال الواحدى : طلبن أن يقلن تفديك بأنفسنا وخفن الرقيب ، فقلن التفدية من القول إلى الإشارة : أى أنفسنا تفديك ؛ وهذا أولى من قول ابن جني لذكر التفدية فى البيت ، ولم يقل حاولن تسليمى ؛ لأن الإشارة بالسلام لا تكون بوضع اليد على الصدر . وقال ابن فورجه : وضع اليد على الصدر لا يكون إشارة بالسلام وإنما أراد وضع أيديهن فوق رائهن تسكيناً للقلوب من الوجيب . قال الواحدى : وليس كما قال — ابن فورجه — ، وصدر البيت ينقض ما قاله . هذا وبديع قول بعضهم ينظر إلى هذا المعنى :

أَضْحَى يَجَانِبُنِي مُجَانِبَةَ الْعِدَا وَيَبِيْتُ وَهُوَ إِلَى الصَّبَاحِ نَدِيمٌ  
وَيَمُرُّ بِي خَوْفَ الْوُشَاةِ وَلَفْظُهُ شَتْمٌ وَحَشْوٌ لِحَاطَةِ تَسْلِيمٍ

(١) أراد بالبرد : أسنانهن التى تشبه البرد فى تقائها ، وقوله خشيت أذيه : أى أن أذيه . يقول : إني كنت أخاف على ثغورهن أن تذوب من حرارة أنفاسى ، فلما رحلن ذبت أنا من شوق إليهن ، ومن هذا الباب قول الصنوبرى :

وَضَاحِكُ عَنِ بَرْدِ مُشْرِقِ أَمَا حَفِيهِ دُونَ جُلَاسِي  
فَكَلِمَا قَبْلَتُهُ خِفْتُ أَنْ يَذُوبَ مِنْ نِيرَانِ أَنْفَاسِي

وقول بعضهم :

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يُذَيَّبَ مَفَاصِلِي مِمَّنْ لَوْ جَرَى نَفْسِي عَلَيْهِ لَذَابَا  
(٢) المتحملون : المرتحلون ؛ والمراد بالغزالة إما الشمس وإما الحيوان المعروف ،

والكاعب : التى بدا ثديها للنهود . يقول : قبلت غزالة فى صورة كاعب من النساء .

(٣) الخطوب : الأمور الثقال ، وتخلصا : مفعول الرجاء ، أعمله مع اقترانه بأل

وهو ضعيف ، أنشد سيويه :

أَوْ حَدَّثَنِي وَوَجَدَنَ حُزْنَآ وَاحِدًا مُتْنَاهِيَا فَجَعَلَنهُ لِي صَاحِبًا<sup>(١)</sup>  
وَنَصَّبَنِي غَرَضَ الرُّمَاءِ تُصِيبُنِي مَحْنٌ أَحَدٌ مِنَ الشُّيُوفِ مَضَارِبًا<sup>(٢)</sup>  
أُظْمِتَنِي الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُهَا مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبًا<sup>(٣)</sup>  
وَحَيِّتُ مِنْ خُوصِ الرَّكَّابِ بِأَسْوَدِ

مِنْ دَارِشٍ فَغَدَوْتُ أَمْشِي رَاكِبًا<sup>(٤)</sup>  
حَالٌ مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبًا<sup>(٥)</sup>

ضعيفُ النَّكَايَةِ أعداءه يَحَالُ الْفِرَارَ يَرَاخِي الْأَجَلَ<sup>(١)</sup>

وَأَنْشَبِن : علقن ، والمخالب : جمع الخلب — بكسر الميم — وهو للسياح وجوارح  
الطير بمنزلة الظفر للانسان يقول : كيف أرجو التخلص من الخطوب بعد أن نالت مني  
وتفد في حكمها ؟

(١) أوحدتني : أي الخطوب — أي صيرتني واحدا . يقول : تركتني الخطوب  
وحيدا بعد أن فرقت بيني وبين الأحبة ، وجعلت صاحبي بعدهم ما أجده من الحزن التناهي  
الذي هو واحد الأحزان ، وهو حزن الفراق .

(٢) الغرض : الهدف يرمى بالسهم ؛ ومضاربا : تميز جمع مضرب — بفتح الراء  
وكسرها — حد السيف . يقول : إن الخطوب نصبتة هدفا للمحن .

(٣) أظمتني من الظمأ : العطش : فأصلها أظمتني ، فأبدل الهمزة ألفا ثم حذفها .  
يقول : كان حظي من الدنيا الحرمان . فلما التمس عطاءها أفرغت على الصائب .

(٤) قوله من خوص الركاب : أي بدلا من خوص الركاب ، والخوص جمع الخوصاء ،  
وهي الناقة الفائرة العينين من الجهد والإعياء ، والركاب : الإبل ، والدارش : ضرب  
من السختيان ، وهو جلد أسود : يقول أعطيت عوضا من الإبل خفا أسود ، فأنا  
راكب ماش .

(٥) حال : خبر مبتدأ محذوف : أي هذه حال ، ويروى حالا — بالنصب — على

(١) يهجو رجلا يقول : هو ضعيف عن أن يشكى أعداءه وجبان عن أن يشبث لقرنه  
ولكنه يلجأ إلى الفرار ويغاله مؤخرآ لأجله .

مَلِكٌ سِنَانُ فَنَاتِهِ وَبَنَانُهُ      يَتَبَارَيَانِ دَمًا وَعُرْفًا سَاكِبًا<sup>(١)</sup>  
يَسْتَصْغِرُ الْخَطَرَ الْكَبِيرَ لَوْ فِدَهُ      وَيَظُنُّ دِجْلَةَ لَيْسَ تَكْفِي شَارِبًا<sup>(٢)</sup>  
كِرْمًا فَلَوْ حَدَّثْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ      بِعَظِيمٍ مَا صَنَعْتَ لظَنِّكَ كَاذِبًا<sup>(٣)</sup>

إضمار عامل محذوف : أى أشكو أو أذم . يقول : إن حالى هذه لو علم بها ابن منصور تلافها بإحسانه وحال دون إساءة الزمان ، فيكون إحسانه بمنزلة توبة الزمان إلى ومثل هذا لأبي تمام قال :

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ يَرَى      بِبِنْدَاكَ وَهُوَ إِلَى مِنْهَا تَائِبٌ  
وَقَالَ أَيْضًا :

عَضِبَ إِذَا هَزَهُ فِي وَجْهِ نَائِبَةٍ      جَاءَتْ إِلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ  
(١) السنان : نصل الرمح ، والبنان فى الأصل : أطراف الأصابع ، والمراد بها هنا الكف ، ويتباريان : يفتل كل منهما ما يعارض به صاحبه . ودما : تميز أو منصوب على نزع الخافض : أى فى دم ، والعرف : المعروف والمراد به الجود ، والساكب : المنسكب . يقول : إن سنان رمحه يقطر دما من الأعداء ، وكفه تسكب جوداً على الأولياء . وهذا من قول البحترى :

تَلْقَاهُ يَقْطُرُ سَيْفُهُ وَسِنَانُهُ      وَبِنَانُ رَاحَتِهِ دَمًا وَنَجِيمًا  
(٢) الخطر : الأمر الخطير : أى العظيم . يقول : إنه يستصغر الشيء العظيم لمن يقصده ويتنجع إليه لكرمه ويظن — لكثرة عطائه — أن نهر دجلة — ذلك النهر العظيم — ليس يكفى شارباً . ومثل هذا قول أبى تمام وزاد الشكر :

فَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَا حَبَبَتْ مِنَ اللَّهِأ      تَزْرَأُ وَأَصْغَرَ مَا شَكَرَتْ جَزِيلًا  
(٣) كرما : مفعول مطلق : أى كرم كرما ، أو مفعول له عامله . يظن فى البيت قبله يقول : لو حدثته بما يصنع من الأفعال الجسام لظنك كاذبا لخروج تلك الأفعال عن طوق القدرة . قال الواحدى — ناقداً — : وقد أساء فى هذا ، لأنه جعله يستعظم فعله وبضده يمدح ، وإنما يحسن أن يستعظم غيره ما فعل كما قال أبو تمام .

تَجَاوَزَ غَايَاتِ الْعُقُولِ رَغَائِبٌ      تَكَادُ بِهَا لَوْلَا الْعِيَانُ تُكْذِبُ  
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

سَلُّ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَزُرَّهُ مُسَلِّمَا      وَحَذَارٌ مُمٌّ حَذَارٌ مِنْهُ مُحَارِبًا<sup>(١)</sup>  
فَالْمَوْتُ تُعْرَفُ بِالصِّفَاتِ طِبَاعُهُ      لَمْ تَلْقَ خَلْقًا ذَاقَ مَوْتًا آيًّا<sup>(٢)</sup>  
إِنْ تَلَّقَهُ لَا تَلْقَ إِلَّا قَسْطَلًا      أَوْ جَحْفَلًا أَوْ طَاعِنًا أَوْ ضَارِبًا<sup>(٣)</sup>  
أَوْ هَارِبًا أَوْ طَالِبًا أَوْ رَاغِبًا      أَوْ رَاهِبًا أَوْ هَالِكًا أَوْ نَادِبًا<sup>(٤)</sup>

وَحَدِيثٌ بَجْدٍ عَنكَ أَفْرَطُ حُسْنِهِ      حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَوْضُوعٌ  
(١) حذار : اسم فعل بمعنى احذر ، ومسالما ومحاربا : حالان . يقول : سل عن شجاعته لتعرفها بالخبر ولا تحاول أن تعرفها بالمشاهدة والتمرس بها وإلا هلكت : أى لا تحاول أن تعرفها بالقتال ، فإنك إن قاتلته قتلت ، وقد ضرب البيت التالى مثلا لذلك .  
(٢) يقول : فإن الموت يعرف بالوصف لا بالتجربة ، إذ لم نجد مخلوقا مات ثم رجع فيخبرنا عن حقيقة الموت ، وإذن فالموت إن عرف بالمشاهدة أهلك ألبتة ، وكذلك شجاعة المدوح ، وقوله خلقا : أى مخلوقا ، مفعول أول لتلق ، وآييا : مفعول ثان .  
(٣) القسطل هنا : غبار الحرب ؛ وهو القسطل ، والقسطال والقسطول والقسطلان والقسطل — بالصاد — كله . الغبار الساطع . وقال الجوهري : القسطال لغة فيه كأنه ممدود منه مع قلة فعالل فى غير المضاعف ؛ وأشد أبو مالك لأوس بن حجر يرثى رجلا :  
وَلَنِعَمَ رَفْدُ الْقَوْمِ يَنْتَظِرُونَهُ      وَلَنِعَمَ حَشْوُ الدِّرْعِ وَالسِّرْبَالِ  
وَلَنِعَمَ مَاوَى الْمُسْتَضِيفِ إِذَا دَعَا      وَالخَيْلِ خَارِجَةَ مِنَ الْقَسْطَالِ  
وقال آخر :

\* كَأَنَّهُ قَسْطَالٌ رِيحٌ ذِي رَهَجٍ \*

الجحفل : الجيش العظيم . يقول : إنه لا ينفك عن هذه الأشياء  
(٤) تبيين لأحوال الناس معه . يقول : فلا ترى إلا هاربا من جيشه ، أو طالبا رفته ، أو راغبا فى إحسانه ، أو راهبا من بأسه ، أو هالكا بسيفه ، أو نادبا على قتيل له من الأسرى الذين أسرهم . وقال الواحدى : ويجوز أن تكون هذه أحوال المدوح : أى تلقاه هاربا من الدنيا ، وطالبا للعلو ، وراغبا فى المكلام ، وراهبا من الله تعالى . وهالكا : أى مهلكا — كما قال العجاج :

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْجِبَالِ رَأَيْتَهَا      فَوْقَ السُّهُولِ عَوَاسِلًا وَقَوَاضِبًا<sup>(١)</sup>  
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى السُّهُولِ رَأَيْتَهَا      تَحْتَ الْجِبَالِ فَوَارِسًا وَجَنَائِبًا<sup>(٢)</sup>  
وَعَجَاجَةً تَرَكَ أَحْمَدِيدُ سَوَادَهَا      زَنْجًا تَبَسَّمُ أَوْ قَذَالًا شَائِبًا<sup>(٣)</sup>

وَمَهْمَهُ هَالِكٍ مَنْ تَعَرَّجًا<sup>(١)</sup>

ونادبا : من يبارزه من النذب . وهذا تعسف من الواحدى كما ترى .  
(١) و (٢) العواسل : الرماح ، والقواضب : السيوف ، والجنايب : جمع الجنيبة ،  
وهى التى تقاد إلى جنب انفارس . يقول : عمت جنوده السهل والجبل ، فإذا نظرت إلى  
الجبال رأيتها رماحا وسيوفا ، وإذا نظرت إلى السهول رأيتها فوارس وجنايب :  
أى غصت بهما .

(٣) وعجاجة . بالنصب . عطف على ماتقدم : أى ورأيت عجاجة ، أو  
بالجر على إضمار رب ، والعجاجة : الغبار ، وتبسم - بخذف إحدى التائين - أى تبسم ،  
والقذال : جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس فوق فأس القفا ، وقيل ابن الأعرابي :  
القذال : مادون القمحدوة إلى قصاص الشعر ، قال الأزهري : القمحدوة ما أشرف على  
القفا من عظم الرأس ، والهامة فوقها ، والقذال دونها مما يلي القفا ، ويقال : القذالان  
ما اكتنف فأس القفا عن يمين وشمال ، والزنج - بفتح الزاى وكسرها - جيل من  
السودان ، وهم الزنوج يقول : إن يريق الأسلحة فى سواد الغبار يشبه تبسم الزنج أو شيب  
القذال ، ولحمود الوراق :

حتى تبدى الصبح يتلو الدجى      كالحبشيِّ اقرَّ للضحك  
ولأبى نواس :

لما تبدى الصبح من حجابهِ      كطلعةِ الأشمطِ من جلابهِ  
وهذا التشبيه متداول كثير فى الشعر :

(١) تمامه : هائلة أهواله من أدلجا . قال فى اللسان : هالك بمعنى مهلك لغة تميم  
كما يقال : ليل غاض أى مغض ، وقال الأصمى فى قوله ، هالك من تعرجا : أى هالك  
التعرجين إن لم يهدبوا فى السير : أى من تعرض فيه هلك .

فَكَأَنَّهَا كُوسِي النَّهَارُ بِهَا دُحِي      لَيْلٍ وَأَطْلَعَتِ الرَّمَاحُ كَوَاكِبًا<sup>(١)</sup>  
قَدَعَسْكَرَتْ مَعَهَا الرِّزَايَا عَسْكَرًا      وَتَكْتَبَتْ فِيهَا الرِّجَالُ كِتَابِيًا<sup>(٢)</sup>  
أَسْدٌ فَرَايِسُهَا الْأَسُودُ يَقُودُهَا      أَسَدٌ تَصِيرُ لَهُ الْأَسُودُ ثَعَالِبًا  
فِي رُبْتِيَةِ حَجَبِ الْوَرَى عَنْ نَيْلِهَا      وَعَلَا فَسَمَّوَهُ عَلِيَّ الْحَاجِبَا<sup>(٣)</sup>  
وَدَعَوَهُ مِنْ فَرْطِ السَّخَاءِ مُبَدَّرًا      وَدَعَوَهُ مِنْ غَضَبِ الثُّفُوسِ الْفَاصِبَا  
هَذَا الَّذِي أَفْنَى الثُّنْضَارَ مَوَاهِبَا      وَعِدَاهُ قَتْلًا وَالزَّمَانَ تِجَارِبَا<sup>(٤)</sup>  
وَمُخَيَّبُ الْعُدَالِ فِيمَا أَمَلُوا      مِنْهُ وَلَيْسَ يَرُدُّ كَفًّا خَائِبَا<sup>(٥)</sup>

(١) شبه يياض الحديد في ظلمة العجاجة بكواكب في ليل . يقول : كأن النهار ألبس بتلك العجاجة ظلمة ليل ، وكان الرماح أطلعت من أسنتها كواكب ، وأطلعت هي كواكب في تلك الظلمة . فقوله : أطلعت إما قرأتها بصيغة اللعوم على أنه من فعل الرماح ، وإما بصيغة المجهول لما شاكله قوله كسي ، وهذا المعنى من قول صريع الغواني :  
فِي عَسْكَرٍ شَرِقَ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ بِهِ      كَاللَّيْلِ أَنْجُمُهُ الْقُضْبَانُ وَالْأَسْلُ  
وقول بشار :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رَهْوِ سِنَا      وَأَسْيَافَنَا لَيْلٍ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ  
(٢) عسكرت : تجمعت ، وتكتبت : تجمعت كتاب ، والكتاب : جمع كتيبة .  
الفرقة من الجيش - وعسكرا وكتائب : حالان . يقول : إن المصاب تجمعت مع تلك العجاجة كأنها عسكر تقع بالعدو ، وتكاثر فيها رجال الممدوح حتى صارت كتاب .  
(٣) هذا مثل قول ابن الرومي :

كَأَنَّ أَبَاهُ حِينَ سَمَاهُ صَاعِدًا      دَرَى كَيْفَ يَرْتَقِي فِي الْمَعَالِي وَيَصْعَدُ  
وقوله على : أراد عليا ، فاضطره الوزن إلى حذف التنوين ، وسوغ له ذلك سكونه وسكون اللام في الحاجب : ومثله كثير ، وذلك كقراءة من قرأ « قل هو الله أحد »  
الله « بغير تنوين ، حذفه لا لقاء الساكنين .

(٤) الثنضار : الذهب ، ومواهبها وما بعده : تميز . يقول : إنه أفنى الذهب بالعتاء ، والأعداء بالقتل ، والزمان بالتجارب : أي أنه حصل له من التجارب ما يعرف به ما يأتي فيها يستقبل من الزمان ، فكأنه أفنى الزمان لأنه لا يحدث عليه شيئا لا يعرفه .  
(٥) ومخيب : عطف على « هذا الذي أفنى » في البيت قبله ، وذكر الكف - وإن كان

هذا الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ حَاضِرًا      مِثْلُ الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ غَائِبًا<sup>(١)</sup>  
 كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتَّ رَأَيْتَهُ      يُهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا ثَاقِبًا<sup>(٢)</sup>  
 كَالْبَحْرِ يَقْدِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا      جُودًا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَابًا  
 كَالشَّمْسِ فِي كِبِدِ السَّمَاءِ وَضَوْوُهَا      يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

الأفصح تأنيثها - على معنى العضو ، أو على إرادة السائل : أى لا يرد سائلا ، أو المراد خائبا صاحبها . وبعد : فإن أكثر ما استعمل العرب الكف مؤنثة على أنها بمعنى اليد ، فهم يقولون هذه كف واحدة ، وقال بشر بن أبي خازم :

له كَفَانٌ كَفٌّ كَفٌّ ضُرٌّ      وَكَفٌّ فَوَاضِلٌ خَضِلٌ نَدَاها

وقال الأعشى :

يَدَاكَ يَدَا صِدْقٍ فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ      وَأُخْرَى إِذَا مَا ضُنَّ بِالْمَالِ تُنْفِقُ

وقالت الحنساء :

فَمَا بَلَغَتْ كَفُّ امْرِئٍ مُتَنَاوِلٍ      بِهَا الْمَجْدَ إِلَّا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلَ

وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَكُ مِدْحَةً      وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فَيْكَ أَفْضَلُ

أما قول الأعشى :

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا      يُضْمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبًا

فانه أراد العضو ، وقيل هو حال من ضمير يضم ، أو من هاء كشحه .

(١) أبصرت - بقاء التكلم - يعنى التناهي نفسه ، و يروى على الخطاب وحاضرا وغائبا على الروایتين : حال من فاعل أبصرت ، ومثل : يجوز فيه الرفع والنصب ، فالرفع قال ابن جنى : هذا مبتدأ أول ، والذي : مبتدأ ثان ، ومثل : خبر الذى ، والجملة خبر هذا ، والعائد على هذا من الجملة التى هى خبر عنه الهاء فى منه . والنصب يجعل هذا ابتداء ، والذي : خبره ، ونصب مثل أبصرت . يقول : إنه يرى عطاءه حيثما كان حضره أو غاب عنه ، ومثله لأبى تمام :

شَهِدْتُ جَسِيَمَاتِ الْعُلَا وَهُوَ غَائِبٌ      وَلَوْ كَانَ أَيْضًا حَاضِرًا كَانَ غَائِبًا

(٢) الثاقب : المضى . يقول : حيثما كنت ترى عطاءه قد غمر الناس - قريبهم

أَمْهَجْنَ الْكُرْمَاءَ وَالْمُزْرِيَّ بِهِمْ وَتَرَوْكَ كُلَّ كَرِيمٍ قَوْمٍ عَارِبًا<sup>(١)</sup>

وبعدهم - كما ترى ضوء القمر حيثما كنت من البلاد ، والبيتان التاليان في معنى هذا البيت : يريد أنه عام النفع ، ومثل هذا لأبي تمام :

قَرِيبُ النَّدَى نَائِي الْمَحَلِّ كَأَنَّهُ هِلَالُ قَرِيبِ النُّورِ نَائِي مَنَازِلِهِ

وللبحتري :

كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْعُلُوِّ وَضَوْؤُهُ لِلْمُعْصِبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبٍ

وله أيضا :

عَطَاءُ كَضْوَةِ الشَّمْسِ عَمَّ قَمَرِيبٌ يَكُونُ سَوَاءً فِي سَنَاهُ وَمَشْرِيقُ

وقال العباس بن الأحنف :

نِعْمَةٌ كَالشَّمْسِ لِمَا طَلَعَتْ ثَبَتَ الْإِشْرَاقُ فِي كُلِّ بَلَدٍ

(١) أمهجن : أى يا مهجن ، فالهمزة للنداء ، وهجته : قبحه ، قال صاحب اللسان : الهجنة من الكلام ما يعيبك ، والمهجين : العربي ابن الأمة لأنه معيب ، ولهذا المناسبة تقول : إن الهجنة في الناس والحيل إنما تكون من قبل الأم ، فإذا كان الأب عتيقا والأم ليست كذلك : كان الولد هجينا . قال الراجز :

الْعَبْدُ وَالْمُهْجِنُ وَالْفَلْتَقَسُ ثَلَاثَةٌ فَأَيُّهُمْ تَلَمَّسُ

والأقرف : من قبل الأب ، أو الذى أمه عتيقة وأبوه ليس كذلك . روى الرواة أن روح بن زبياع كان قد تزوج هند بنت النعمان بن بشير فقالت - وكانت شاعرة - :

وَهَلْ هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرِيْبَةٌ سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلٌ

فَإِنْ تُتِجَتْ مُهْرًا كَرِيمًا فَبِالْحَرَى وَإِنْ يَكُ إِقْرَافٌ فَمِنْ قَبْلِ الْفَحْلِ

وأزرى به : عابه ، قال في اللسان : الإزراء : التهاون بالثى ، يقال أزرت به : إذا قصرت به ، وحقرته ، وهوته ، وزريت عليه ، وزرى عليه زريا ، وزراية ، ومزربة ، ومزرة ، وزريانا : عابه وعاتبه . قال الشاعر :

يَا أَيُّهَا الزَّارِي عَلَى عُمَرَ قَدْ قَلَّتْ فِيهِ غَيْرَ مَا تَعْلَمُ

وقال الآخر :

وَإِنِّي عَلَى لَيْلَى لَزَارٍ وَإِنِّي عَلَى ذَاكَ فِيمَا بَيْنَنَا مُسْتَدِيمٌ<sup>(٢)</sup>

شَادُوا مَنَاقِبَهُمْ وَشَدَّتْ مَنَاقِبًا      وَجِدَتْ مَنَاقِبَهُمْ بِهِنَّ مَشَابِلًا<sup>(١)</sup>  
كَتَبْتُكَ غَيْظَ الْحَاسِدِينَ الرَّاتِبَا      إِنَّا لَنَخْبِرُ مِنْ يَدَيْكَ عَجَائِبًا<sup>(٢)</sup>  
تَدِيرُ ذِي حُنْكَ يُفَكِّرُ فِي غَدٍ      وَهَجُومٌ غَيْرٌ لَا يَخَافُ عَوَاقِبًا<sup>(٣)</sup>

أى عاتب ساخط غير راض، وزرى عليه عمله : إذا عابه وعنفه ، وتروك مبالغة في تارك ، وهو مضاف لكل - الذى هو مفعوله الأول - وعابها مفعول ثان ، وروى عابها . يقول : إنك هجنت الكرماء لتقصيرهم عن بلوغ كرمك وتركهم عاتبين عليك لما يظهر من كرمك المزرى بهم أو عاتبين على أنفسهم حيث لم يفعلوا ما فعلت ، أو تركتهم عاتبين لك حسدا .

(١) شادوا : بنوا ورفعوا ، وتشيد البناء : إحكامه ورفعته ، والبناء المشيد - بالتشديد - المطول ، أما الشيد فهو : المبنى بالشيد ، والشيد كل ما طلى به الحائط من جص أو بلاط . قال عدى بن زيد :

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كَلْبًا      فَلطَيْرٍ فِي ذَرَاهُ وَكَورُ  
هذا ما عليه أكثر أهل اللغة ، ومنهم من يجعل المشيد والمشييد بمعنى ، ومما يتفرع عن هذه المادة قولهم : أشاد بذكره : أى نوه به ورفع قدره ، وقال أبو عمرو : أشدت بالشيء : عرفته . والمناقب : الفخار ، والمثالب : المخازى والمعائب . يقول : لفضل مناقبك على مناقبهم صارت مناقبهم كالمثالب ، وهذا كقول أبي تمام :

مَحَاسِنُ مِنْ مَجْدٍ مَتَى يَقْرَنُوا بِهَا      مَحَاسِنَ أَقْوَامٍ تَكُنُ كَالْمَعَائِبِ  
(٢) لييك : أى إجابة لك بعد إجابة ، ونصبه على المصدر ، وغَيظَ الحاسدين : منادى ، والراتب : اثابت القيم ، ونخب : نشاهد ونعلم . قال الواحدى : أظهر الإجابة إشارة إلى أنه بندا مناد . أى كأن المدح يناديه بلسان كرمه للتنويه به . وسماه غيظ الحاسدين إشارة إلى أنه قد بالغ في غيظهم حتى صار يعرف بذلك . قال الخطيب : وصرع البيت لا تنقله من المدح إلى الإجابة .

(٣) تدبير : مبتدأ محذوف الخبر : أى لك تدبير . وروى تدبير وهجوم : منصوبين ، على أن تدبير بدل من عجائب - فى البيت السابق - وهجوم : عطف عليه . وحنك : جمع حنكة ، وهى الخبرة والتجربة ، وضده العر : أى الذى لم يجرب الأمور ولا يفكر فى العواقب . يقول : إنك تدبر مملوك تدبير مجرب محتمر مفكر فى العواقب . وإذا

وَعَطَاهُ مَالٌ لَوْ عَادَهُ طَالِبٌ أَنْفَقْتُهُ فِي أَنْ تُلَاقِي طَالِبِيَا<sup>(١)</sup>  
خُذْ مِنْ ثَنَائِي عَلَيْكَ مَا أَسْطِيعُهُ لَا تُلْزِمْنِي فِي الثَّنَاءِ الْوَاجِبَا<sup>(٢)</sup>  
فَلَقَدْ دَهَشْتُ لِمَا فَعَلْتَ وَدُونَهُ مَا يُدْهَشُ الْمَلِكَ الْخَفِيفَ الْكَاتِبَا<sup>(٣)</sup>

هجمت في الوغى هجمت هجوم الغر : أى أنك تفعل كلاً في موضعه ، فتدبر الملك تدبير  
مجرب بصير بأعقاب الأمور ، وتقدم في الحرب إقدام الغر ؛ وهذا من قول أبي تمام :  
وَمَجْرَبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَأْسِهِ فَإِذَا نُقُوا فَكَأَنَّهُمْ أَغْمَارُ  
وقوله :

كَهْلُ الْأَنَاةِ فَتَى الشَّدَاتِ إِذَا غَدَا لِلْحَرْبِ كَانَ الْمَاجِدَ الْغَطْرِيقَا  
وقال البحتري :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامُ غِرٍّ وَاعْتِرَافُ مَجْرِبٍ  
(١) وعطاء : عطف على تدبير ؛ وعدها : تجاوزه . يقول : إذا لم يأتك طالب  
أنفقت مالك في البحث عن طالب تعطيه .

(٢) أسطيعه : هو أستطيعه ، وبهما جاء التبريل الحكيم . يقول : إني إنما أثنى  
عليك بقدر ما أستطيع ، لا بقدر ما يجب لك وما تستحقه ، لأنه فوق طاقتي ، فاعذرني  
في ذلك ، ثم بين عذره في البيت التالي . وقد قصر أبو الطيب الثناء في قوله ثنأى - وهو  
ممدود - ضرورة . قال العكبري : حكى ابن سعد عن أبي الطيب - وهو علي بن سعد ،  
وليس هو محمد بن سعد صاحب الطبقات ، لأن ذلك قديم الوفاة . توفي بعد المائتين ،  
وأبو الطيب ولد سنة ثلاث وثلثائة - قال سمعت أبا الطيب يقول : ما قصرت ممدوداً  
في شعري إلا هذا الموضع - خذ من ثنأى - وذلك أنه رأى بخط أبي الفتح - ابن جني - :  
\* وقد فارقت دارك واصطفاك \*

بكسر الطاء - هذا وقد قال أهل اللغة : إن الثناء ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم  
أى أنه يستعمل في الخير والشر ، وأنشدوا :  
أُثْنِي عَلَىٰ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي أُثْنِي عَلَيْكَ بِمَثَلِ رِيحِ الْجُورِبِ  
وخص بعضهم به المدح .

(٣) دهش : تحير ، ومثله شده . قال صاحب اللسان : دهش دهشاً ، فهو دهش

وقال يمدح بدر بن عمار ارتجالاً وهو على الشراب والفاكهة والزرجس حوله :

إِنَّمَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ سَحَابٌ هَاطِلٌ فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ<sup>(١)</sup>

إِنَّمَا بَدْرٌ رَزَايَا وَعَظَايَا وَمَنَايَا وَطِعَانٌ وَضِرَابٌ<sup>(٢)</sup>

مَا يُجِيلُ الطَّرْفَ إِلَّا حَمْدَتُهُ جُهْدَهَا الْأَيْدِي وَذَمَّتُهُ الرَّقَابُ<sup>(٣)</sup>

ودهش فهو مذهوش ، وكرهها بعضهم وأدهشه الله وأدهشه الأمر ودهش الرجل — بالكسر — دهشاً : تحير ويقال : دهش وشده ، واللغة العالية : دهش ، على فعل ، والملك الحفيظ : هو الموكل بالإنسان يكتب حسناته وسيئاته . يقول : لقد تحيرت أمام أفعالك فلا أقدر أن أحصيها وأثنى بها ، وأقل من ذلك ما يحير الملك الموكل بك ، لأنه لم ير مثله من غيرك ، ولأنه لكثيرته يعجز عن كتابته .

(١) يقول : هو نفاع ضرار ، مثله في ذلك مثل السحاب الذي ينهل بالمطر وتنفض منه الصواعق ، ففيه حياة لقوم ، وهلاك لآخرين . قال الواحدي : هذه الأبيات مضطربة الوزن ، وهي من الرمل ، وذلك لأنه جعل العروض فاعلاتن ، وهو في الأصل في الدائرة ، ولكن لم يستعمل العروض ههنا إلا محذوفة السبب على وزن فاعلن كقول عبيد :

مِثْلَ سَحْقِ الْبُرْدِ عَفَّ بَعْدَكَ الْقَطْرُ مَغْنَاهُ وَتَأْوِيْبُ الشَّمَالِ<sup>(١)</sup>

غير أن هذا البيت الأول صحيح الوزن ، لأنه مصرع ، فتبعته عروضه ضربه .  
(٢) جعله هذه الأشياء مبالغة لكثرة وقوعها منه حتى صاروا إياها كالشيء الواحد ، على حد قول الخنساء :

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا دَاكَرَتْ فإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ

« تصف الخنساء وحشية تطلب ولدها مقبلة ومدبرة ، فجعلها إقبالا وإدبارا لكثرتيها منها »

(٣) الطرف — بفتح الطاء — العين ؛ والجهد — بالضم — الطاقة ، أما بالفتح فهو المشقة ، وقيل هما لغتان : كالشهد والشهد ، والأيدى : فاعل حمدته . يقول : إنه لا يجيل طرفه إلا على إحسان وإساءة ، فله في كل طرفة ونظرة إحسان تحمده الأيدي جهدها لأنه

(١) السحق : الثوب الخلق الذي انسحق وبلى ؛ كأنه بعد من الانتفاع به

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرَجُّو الذَّنَابُ (١)  
 فَلَهُ هَيْبَةٌ مِنْ لَأَ يُتَرَجَّى وَلَهُ جُودٌ مُرَجَّى لَا يَهَابُ (٢)  
 طَاعِنُ الْفَرَسَانِ فِي الْأَحْدَاقِ شَزْرًا  
 وَعَجَّاجُ الْحَرْبِ لِلشَّمْسِ نِقَابُ (٣)  
 بَاعِثُ النَّفْسِ عَلَى الْهَوْلِ الَّذِي لَيْسَ لِنَفْسٍ وَقَعَتْ فِيهِ إِيَابُ (٤)  
 بِأَبَى رِيْحِكَ لَا نَرُجِسُنَا ذَا وَأَحَادِيثُكَ لَا هَذَا الشَّرَابُ (٥)

يملؤها بالعطاء ، وذهب اليازجي إلى أن الطرف بكسر الطاء - أي الفرس الكرم .  
 قال : يقول المتنبي : إنه ما أجال فرسه في الحرب إلا ملاً أيدي أوليائه من الغنائم فحمدته  
 جهدها ؛ وضرب رقاب أعدائه فذمته . . .

(١) يقول : لا يقتل أعدايه ليسترىح منهم لأنه أمن جانبهم لعجزهم عن أذاه فلا يهجمه  
 بقاؤهم ، ولكنه قد عود الذئاب أن يطعمها لحوم القتلى ، فهو إنما هو يقتل الأعداء خشية  
 أن يخلف رجاء الذئاب ، وهو لم يتعود أن يخيب راجياً ؛ وهذا كقول مسلم :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقَنَ بِهَا فَهِنَّ يَتَّبَعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْتَحَلٍ

(٢) يقول : إنه مهيب كل الهيبة ، وجواد غاية في الجود ، فإنه يهاب هيبة من لا يرجي  
 العفو عنده ، ويجود جود سمح كريم يرجي إحسانه ولا يخشى مهابته .

(٣) الطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال ، والعجاج : الغبار ، والنقاب : ما تستر  
 به المرأة وجهها . يصفه بالحدق في الطعن . يقول : إنه يصب أحداق الفرسان والجو  
 مظلم بغبار الحرب الذي كأنه نقاب للشمس يسترها ، وهذا كقوله :

\* يَضَعُ السِّنَانَ بِحَيْثُ شَاءَ مَحَاوِلًا \*

(٤) يقول : إنه يحمل نفسه على ركوب الأمر العظيم الهائل الذي لا خلاص لمن  
 وقع فيه .

(٥) بأبي : تفدية . قال الواحدى : يريد أن ريحه أطيب من ريح الترجس « الذي  
 بين يديه » وحديثه ألد من الشراب ، وليس هذا مما يمدح به الرجال : أي وإنما يخاطب  
 بمثله المحبوب .

لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ إِنْ بَرَزْتَ سَبْقًا      غَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعَرَابُ<sup>(١)</sup>

وجلس بدر بن عمار يلعب بالشطرنج وقد كثر المطرف قال أبو الطيب :

أَلَمْ تَرَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَرْجِيُّ      عَجَائِبَ مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّحَابِ  
تَشْكِي الْأَرْضُ غَيْبَتَهُ إِلَيْهِ      وَتَرْشِفُ مَاءَهُ رَشْفَ الرُّضَابِ؟<sup>(٢)</sup>  
وَأُوهِمُ أَنْ فِي الشُّطْرَنْجِ هَمِّي      وَفِيكَ تَأْمَلِي وَلَكَ أَنْتِصَابِي<sup>(٣)</sup>

(١) برز : بذ وسبق ، وسبقا : مفعول مطلق ، كأنه قال إن سبقت سبقا ، والعراب : الخيل العربية . يقول : ليس بمستنكر أن تسبق الناس وتبذم لأنك أهل ذلك ، كما أن كرام الخيل لا تدفع عن سبق . هذا وكان الوجه أن يقال غير مدفوعة عن سبق العراب ، كما تقول هند غير مصروفة ، ولكنه ذكر ضرورة كأنه أراد العراب جنس غير مدفوع . قال ابن جني : كان يجوز له أن يقول غير هذا ويقول : لا تدفع عن سبق العراب — بالتاء والياء — فأجرى غير مجرى لا ، وأجرى مدفوع مجرى يدفع ضرورة ؛ وقد يزن البيت بأن يقول :

\* قط لا يدفع عن سبق عراب \*

أقول : وابن قط لا يدفع عن سبق عراب من غير مدفوع عن سبق العراب ؛ ولكنه النحو والنحويون .

(٢) تشكى — بحذف إحدى التائين — أي تشكى ؛ وإليه : متعلق بتشكى ، والضمير في غيبته وفي إليه : للسحاب ؛ والرشف : المص ، وأصله أن تستقصى مافي الإناء حتى لا تدع فيه شيئا ، والرضاب : الريق . يريد بيان ما ذكره في البيت السابق من العجائب . يقول : إن الأرض بعطشها تشكو إلى السحاب غيبته عنها ، وعند لقائه ترشف مائه كما يرشف العاشق ريق المعشوق .

(٣) يقول : إني إنما أتأمل في محاسنك لافي الشطرنج ، وأنتصب جالسا لأراك لا لأراه . والشطرنج فارسي معرب من شدرنج ، ومعناه — كما قال العكبري — من اشتغل به ذهب عناؤه باطلا . وكسر الشين فيه أجود ليكون من باب جردحل : وهو الضخم من الإبل : هذا وقد قال ابن جني : إن هذه الأبيات لم أقرأها عليه ، وشعره عندي أجود منها ، وقال غيره هي مقروءة عليه بمصر وبعداد .

سَأْمُضِي وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي مَغِيبِي لَيْلَتِي وَغَدَا إِيَابِي<sup>(١)</sup>

وقال في لعبة أحضرت مجلس بدر على صورة جارية وأديرت فوقفت حذاء بدر  
رافعة رجلها وكانت ترقص بحركات :

يَا ذَا الْمَعَالِي وَمَعْدِنَ الْأَدَبِ      سَيِّدَنَا وَأَبْنَ سَيِّدِ الْعَرَبِ  
أَنْتَ عَلِيمٌ بِكُلِّ مُعْجِزَةٍ      وَلَوْ سَأَلْنَا سِوَاكَ لَمْ يَجِبِ<sup>(٢)</sup>  
أَهْدِيهِ قَابِلَتَكَ رَاقِصَةً      أَمْ رَفَعَتْ رِجْلَهَا مِنْ التَّعَبِ؟

وقال يمدح على بن محمد بن سيار بن مُكرم التميمي ، وكان يحب الرمي  
بالنشاب ويتعاطاه ، وكان له وكيل يتعرض للشعر ، فأنفذه إلى أبي الطيب يناشده ،  
فتلقاه وأجلسه في مجلسه ، ثم كتب إلى عليّ يقول :

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَّاقٌ ضُرُوبًا      فَأَعْذَرُهُمْ أَشْفَهُمْ حَبِيبًا<sup>(٣)</sup>  
وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الْأَعَادِي      فَهَلْ مِنْ زُورَةٍ تَشْفِي الْقُلُوبَا؟<sup>(٤)</sup>

(١) يقول: إنني سأمضي وأغيب عنك ليلة واحدة ثم أعود إليك .

(٢) بكل معجزة : أي بكل مسألة يعجز الناس عن بيانها والإجابة عليها ، فلو سئل  
عنها غيره أجبل « انقطع » قال العكبري : هذه أبيات رديئة عملها ارتجالا في معان  
ليست هناك .

(٣) الضروب : الشكول والأصناف ؛ وأشفهم : أفضلهم . يقول : شكول الناس على  
اختلافهم يحبون شكول المحبوبات على اختلافها ، وأحقهم بأن يعذر في العشق والحب من  
كان محبوبه أفضل ، وهذا كالتמיד للبيت التالي . وهذا وقد ذهب بعض السراخ إلى أن  
ضروبا : حال ، كأنه قال : الناس عشاق مختلفين في عشقهم . ولكن الأجود أن يكون  
منصوبا بوقوع الفعل عليه وهو العشق : أي ضروب الناس يعشقون ضروبا .

(٤) السكن : ما تسكن نفسك إليه وهواه . يقول : فالذي أحبه أنا وتسكن إليه  
نفسى هو قتل أعدائي ، فهل من زيارة لهذا الحبيب ؟ أي هل أظفر بذلك وأتمكن منه  
حتى أشفي قلبي كما يشفي قلب المحب زورته الحبيب ؟

تَظَلُّ الطَّيْرُ مِنْهَا فِي حَدِيثٍ تَرُدُّ بِهِ الصَّرَاصِرَ وَالنَّعِييَا<sup>(١)</sup>  
 وَقَدْ لَبَسَتْ دِمَاءَهُمْ عَلَيْهِمْ حِدَادًا لَمْ تَشُقَّ لَهَا جُيُوبًا<sup>(٢)</sup>  
 أَدْمَنَا طَعْنَهُمْ وَالْقَتْلَ حَتَّى خَلَطْنَا فِي عِظَامِهِمُ الْكُؤُوبًا<sup>(٣)</sup>  
 كَأَنَّ خِيُولَنَا كَانَتْ قَدِيمًا تُسْقَى فِي قُحُوفِهِمُ الْحَلِيْبَا<sup>(٤)</sup>  
 فَمَرَّتْ غَيْرَ نَافِرَةٍ عَلَيْهِمْ تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاحِمَ وَالتَّرِيْبَا<sup>(٥)</sup>  
 يُقَدِّمُهَا وَقَدْ خُضِبَتْ شَوَاهَا فَتَى تَرْمِي الْخُرُوبُ بِهِ الْخُرُوبَا<sup>(٦)</sup>

(١) ترد : أى تردد : والصراصر : جمع صرصرة ، وهو صوت النسر والبازي ونحوهما ، والنعيب : صوت الغراب . يقول : هل من سبيل إلى وقعة تكثر فيها القتلى فيجتمع عليها الطير فيصرصر النسر وينعب الغراب ؟ جعل صياح الطيور الميتمعة على القتلى كأنه حديث يتحدث به .

(٢) وقد لبست : أى الطير ؛ وعليهم : متعلق بحدادا ؛ والحداد : الثياب السود تلبس عند المصيبة ؛ والجيوب : جمع جيب ، وهو طوق اقميص ؛ وعند العامة : كيس يخاط في جانب الثوب من الداخل ويجعل فيه من الخارج . يقول : إن هذه الطير تغوص في دماء القتلى فتتلطخ بها وتجف عليها فتسود وتصير كأنها ثياب حداد على القتلى . بيد أنها لم تشق على هؤلاء القتلى جيوبا كما تفعل ربات الحداد . هذا وقد روى دماؤهم — بالرفع — فيكون المعنى أن الدماء اسودت على القتلى ، فكأنها لبست ثوبا غير ما كانت تلبس من الحرمة .

(٣) الكعوب : جمع كعب ، وهو ما بين الأنويتين من القناة . يقول : لم نزل نطعنهم حتى كسرنا كعوب الرماح فيهم فاختلطت في أبدانهم بعظامهم .

(٤) و (٥) القحوف : جمع قحف — بكسر القاف — وهو العظم الذى فوق الدماغ ؛ والجمجمة : العظم الذى فيه الدماغ ؛ والتريب : عظم الصدر ، والجمع : الترائب : موضع القلادة من الصدر . يقول : كأن خيلنا كانت في صغرها تسقى اللبن في أقحاف رؤوسهم فألفتهم حتى صارت تدوس جماجمهم وصدورهم ونحن عليها لاتنفر منهم ... وقد جرت عادة العرب بأن تسقى اللبن كرام خيولها .

(٦) الشوى من الخيل : قوائمها . يقال : فرس عبل الشوى ، والشوى من الآدميين اليدان والرجلان ؛ وقبل اليدان والرجلان والرأس ، وكل ماليس مقتلا ؛ ومن هذا

شَدِيدُ الْحَزْوَانَةِ لَا يُبَالِي أَصَابَ إِذَا تَنَمَّرَ أُمُّ أُصَيْبًا<sup>(١)</sup>  
 أَعَزَمِي طَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَانظُرْ أَمِنْكَ الصُّبْحُ يَفْرَقُ أَنْ يَثُوبًا؟<sup>(٢)</sup>  
 كَانَ الْفَجْرَ حَبُّ مُسْتَزَارٍ يُرَاعِي مِنْ دُجْنَتِهِ رَقِيبًا<sup>(٣)</sup>

قولهم : رماه فأشواه : أى أصاب شواه ، ولم يصب مقتله ، قال الهذلي :  
 فَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ التِّي لَا شَوَى لَهَا إِذَا زَلَّ عَنْ ظَهْرِ اللِّسَانِ انْفِلَاتُهَا  
 « أى إن من القول كلمة لا تشوى ولكن تقتل » وقال الفراء فى قوله تعالى  
 « كلا إنها لظى » نزاعة للشوى « : الشوى اليدان والرجلان وأطراف الأصابع  
 وقحف الرأس : ويقال لجلدة الرأس شواة ، وقد توسعوا فى الشوى فاستعملوه فى كل  
 من أخطأ غرضاً وإن لم يكن له شوى ولا مقتل — وقد رويت خضبت — بالبناء  
 للمعوم ، والضمير للخيل — ، يقول : إن هذه الخيل يقدمها إلى الحرب — وقد خضبت  
 قوائمها بالدم — فتى قد طال تمرسه بالحروب — يعنى نفسه — فكلمها فرغ من حرب :  
 خاض حرباً أخرى .

(١) الحزوانة فى الأصل : ذبابة تطير فى أنف البعير فيشمخ لها بأنفه ، واستعيرت  
 للكبر . وتنمر . صار كالتمر غضباً . وقوله أصاب ، أى أصاب — بهمزة التسوية —  
 يقول : إذا غضب على أعدائه وقتلهم لا يبالي لايبالي أم قتلوه .  
 (٢) الهمزة فى أعزى : للنداء ، ويفرق : يخاف ، ويثوب : يرجع . يقول .  
 — مخاطباً عزمه — انظر يا عزمى هل علم الصبح بما أنا عازم عليه من الاقتحام فتأخر  
 خشية أن يصاب فى جملة أعدائى ؟ وعبرة ابن فورجه : أراد : لعظم ما عزمتم عليه  
 ولشدة ما أنا عليه من الأمر الذى قتت به ، كأن الصبح يفرق من عزمى ، ويخشى أن  
 يصيبه بمكروه ، فهو يتأخر ولا يثوب .

(٣) الحب : المحبوب : وراعى : يراقب وينتظر ، والدجنة الظلمة ، والدجنة من  
 النعيم المطبق تطبيقاً والريان المظلم الذى ليس فيه مطر ، يقال : يوم دجن ويوم دجنة  
 — وكذلك الليلة على وجهين بالوصف والإضافة ، — والدجنة : الظلمة جمعها دجن  
 ودجنات ، والداجنة : المطرة المطبقة نحو : الديمة ، والضمير فى دجنته : ليل . شبه الفجر  
 بحبيب قد طلب إليه زيارة محبه وهو يراعى من ظلمة الليل رقيباً فتأخر زيارته خوف  
 الرقيب — يريد طول الليل ، وأن الفجر ليس يطلع ، فكأنه حبيب يخاف رقيباً .

كَأَنَّ نُجُومَهُ حَلَىٰ عَلَيْهِ وَقَدْ مُحْدِثَتْ قَوَائِمُهُ الْجُبُوبَا<sup>(١)</sup>  
 كَأَنَّ الْجُوءَ قَاسَىٰ مَا أَقَاسَىٰ فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبَا<sup>(٢)</sup>  
 كَأَنَّ دُجَاهَهُ يَجْذِبُهَا سُهَادِي فَلَيْسَ تَغِيْبُ إِلَّا أَنْ يَفِيْبَا<sup>(٣)</sup>  
 أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي  
 أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا<sup>(٤)</sup>

(١) الجيوب : وجه الأرض ومثنها ، من سهل أو حزن أو جبل ، وقيل الأرض الغليظة ، وقيل : الأرض الغليظة من الصخر لا من الطين ، ولا يجمع . والحلى : ما زين به من الذهب والفضة وغيرهما ، وجمعها حلى : مثل ثدى وثدى ، وقد تكسر الحاء لمكان الياء مثل عصى . قال الفارسي : وقد يجوز أن يكون الحلى جمعا وتكون الواحدة حلية كهدية وهدى ؛ وحديث قوائمه الجيوب : أى جعل الجيوب حذاء لقوائمه . يقول : كأن النجوم حلى على الليل فليست تفارقه ، وكأن الأرض قد جعلت حذاء له فلا يستطيع أن يمشى لتقل الأرض على قوائمه .

(٢) الشحوب : تغير اللون من هزال ونحوه ، والضمير من سواده الليل ، ومن فيه : للجو . يقول : كأن الجو كابد ما أكابد من طول الوجد فاسود لون الليل وصار سواده شحوبا : أى كأن الليل اسود لأنه دفع إلى مادفت إليه فصار السواد بمنزلة الشحوب

(٣) الدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة ، والسهاد : السهر . يقول : إن سواده يطول والليل يطول معه ، فكان سواده يجذب ظلمة الليل ، فهى لا تنقضى إلا بانقضائه ، وسواده لا ينقضى ، وكذلك ظلمة الليل .

(٤) يقول : إنى أقلب أجفانى فى ذلك الليل ، ولكثرة تقليبى إياها كأتى أعد على الدهر ذنوبه ، فكما أن ذنوب الدهر كثيرة متوافرة لاتكاد تنفى . كذلك تقليبى أجفانى كثير لا يفنى ، فلا نوم هناك . ولك أن تقول : أقلب أجفانى فى ذلك الليل وأنا أرى نجومه كأتى أعد بها ذنوب الدهر التى هى مثلها فى العدد . وهذا المعنى ينظر إلى قول ديك الجن :

أَنَا أَحْصَىٰ فِيكَ النُّجُومَ وَلَكِنْ لِدُنُوبِ الزَّمَانِ لَسْتُ بِمُحْصِيٍّ

وَمَا لَيْسَ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ      يَظَالُ بِلَحْظِ حُسَادِي مَشُوبًا<sup>(١)</sup>  
 وَمَا مَوْتُ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ      أَرَى لَهُمْ مَعِيَ فِيهَا نَصِيبًا<sup>(٢)</sup>  
 عَرَفْتُ نَوَائِبَ الْخُدَّانِ حَتَّى      لَوْ أَنْتَسَبْتُ لَكُنْتُ لَهَا نَقِيبًا<sup>(٣)</sup>  
 وَمَا قَلَّتِ الْإِبِلُ أَمْتَطِينَا      إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْخَطُوبَا<sup>(٤)</sup>  
 مَطَايَا لَا تَذِلُّ لِمَنْ عَلَيْهَا      وَلَا يَنْبَغِي لَهَا أَحَدٌ رُكُوبًا<sup>(٥)</sup>  
 وَتَرْتَعُ دُونَ نَبْتِ الْأَرْضِ فِينَا      فَمَا فَارَقْتُمَا إِلَّا جَدِيدًا<sup>(٦)</sup>  
 إِلَى ذِي شَيْمَةٍ شَعَفْتُ فُوَادِي      فَلَوْلَاهُ لَقَلْتُ بِهَا النَّسِيبَا<sup>(٧)</sup>

(١) بلحظ حسادى أى بلحظى حسادى . يقول : ليس لىلى وإن طال بأطول من  
 نهار يشوبه - أى يخالطه - أن أنظر فيه إلى حسادى وأعدائى .  
 (٢) يقول : إذا كان لحسادى نصيب معى فى الحياة وشاركونى فيها وعاشوا كما أعيش  
 فليس الموت بأبغض إلى من تلك الحياة : أى أنه لا تحلو له الحياة حتى يقتل حساده .  
 (٣) الخدنان : حوادث الدهر ونوبه ؛ ويقال : انتسب الرجل إلى فلان : إذا نسب  
 نفسه إليه ؛ والنقيب : الخبير بأحوال القوم وأنسابهم . يقول : لكثرة ما أصابنى من  
 نوائب الدهر صرت عارفاً بها حتى لو كان لها أنساب لكنت أنا نقيبها .  
 (٤) يقول : لما أعوزتنا الإبل وقصدناها لقله ذات اليد أدتني الحن والشدائد إلى  
 المدوح ، فكأنها كانت مطايا ركبناها إليه .  
 (٥) و (٦) رعت الإبل : رعت فى بجوحة وخصب ؛ والجذب : ضد الحصب ؛  
 ومكان جديد : لا نبات فيه . يقول : إن الخطوب مطايا لا ينبغى أحد ركوبها ، وهى  
 لا ترعى نبات الأرض ، إنما ترعانا وتنال منا . فما فارقتها عند وصولى إليك إلا جديداً  
 لأنها رعتنى وأتت على فلم تترك منى شيئاً .

(٧) الشيمة : الخلق ؛ وتقول : شعفتى حبا وشعفتنى ؛ والمعنى تيمنتى وبلغت منى ،  
 وشعفتنى : من شغاف القلب ، وهو غلافه ، أو سويداؤه . والنسيب : التشبيب بالنساء  
 فى الشعر . يقول : إن أخلاق المدوح شعفتنى بحسنا . فلو لا مهابته واحتشامه لتغزلت  
 بها كما يتغزل العاشق بمعشوقه .

تُنَازِعُنِي هَوَاهَا كُلُّ نَفْسٍ      وَإِنْ لَمْ تُشْبِهِ الرَّشَاءَ الرَّبِيبَا<sup>(١)</sup>  
عَجِيبٌ فِي الزَّمَانِ وَمَا عَجِيبٌ      أَنِّي مِنْ آلِ سَيَّارِ عَجِيْبَا<sup>(٢)</sup>  
وَشَيْخٌ فِي الشَّبَابِ وَلَيْسَ شَيْخًا      يُسَمَّى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيْبَا<sup>(٣)</sup>  
قَسَا فَالْأَسْدُ تَفْزَعُ مِنْ قُوَاهُ      وَرَقٌّ فَتَجُنُّ نَفْزَعُ أَنْ يَذُوبَا<sup>(٤)</sup>  
أَشَدُّ مِنَ الرِّيَّاحِ الْهُوجِ بَطْشَا      وَأَسْرَعُ فِي النَّدَى مِنْهَا هُبُوبَا<sup>(٥)</sup>  
وَقَالُوا ذَاكَ أَرْمَى مِنْ رَأِينَا      فَقُلْتُ رَأَيْتُمْ الْغَرَضَ الْقَرِيْبَا<sup>(٦)</sup>

(١) الضمير في هواها : للشيمة ؛ والرشاء : ولد الظبية إذا تحرك ومشى ؛ والربيب : المرابي . يقول : إن كل نفس تعشق أخلاقه كما أعشقتها أنا . فهي محبوبة إلى كل إنسان ، وإن لم يكن بينها وبين الرشاء شبه ، لأنها من الرجولة والفضل بحيث تسمو عن شبهها بالظباء التي تشبه بها الحسان .

(٢) عجيب : خبر مبتدأ محذوف يعود إلى الممدوح ؛ وعجيبا : خبر ما العاملة عمل ليس . يقول : هو عجيب في الزمان ، وليس ما يأتي من آل سيار عجيبا ، لأنهم الغاية في المجد والكرم .

(٣) وليس شيخا إلخ : أي ليس كل من بلغ المشيب يسمى شيخا ؛ فشيخا : مفعول ثان مقدم ليسمى ؛ وكل : يجوز أن يكون اسم ليس ، أو نائب فاعل يسمى على طريق التنازع . يقول : هومع أنه شاب — في حنكة الشيوخ وجودة رأيهم ورجحان ألبابهم ؛ ورب إنسان غيره بلغ المشيب ولكنه لا يستحق أن يسمى شيخا لتخلفه ونقصه .

(٤) قوله من قواه : يروى من يديه . يقول : قسا قلبه في الحروب حتى لتخاف الأسد بطشه وسطوته وهو مع ذلك في مجلته قدرق طبعاً وكرماحتي لتخاف أن يذوب ؛ ويقال فلان يذوب ظرفاً : إذا لان جانبه ، واحلوت شيمته .

(٥) الهوج : جمع هوجاء ؛ وهي الشديدة العصف في حمق وطيش . والبطش : الأخذ بقوة ؛ والندى : الجود ؛ وبتشاً وهبوباً : نصبا على التمييز ؛ وقال آخرون : هما مصدران وقعا موقع الحال . يقول : هو لندى الوغى أشد بطشاً من هوج الرياح ، ولندى الجود أسرع منها في العطاء .

(٦) الغرض : الهدف يرمى بالسهم . يقول : إن الناس يقولون : إنه أرمى من رأيناه



أَلَسْتَ ابْنَ الْأَوْلَى سَعِدُوا وَسَادُوا      وَلَمْ يَلِدُوا أُمْرًا إِلَّا نَجِيبًا<sup>(١)</sup>  
وَنَالُوا مَا أَسْتَهْوُوا بِالْحَزْمِ هَوْنًا      وَصَادَ الْوَحْشَ تَمْلُهُمْ دَيْبًا<sup>(٢)</sup>  
وَمَا رِيحُ الرِّيَاضِ لَهَا وَلَكِنْ      كَسَاهَا دَفْنُهُمْ فِي التُّرْبِ طِيْبًا<sup>(٣)</sup>  
أَيًّا مَنْ عَادَ رُوحُ الْمَجْدِ فِيهِ      وَعَادَ زَمَانُهُ الْبَالِي قَشِيْبًا<sup>(٤)</sup>

كأَنَّمَا يَسْتَضْرِمَانِ الْعَرْجُفَا<sup>(١)</sup>

(١) الأولى بمعنى الدين : والاستفهام للتقرير أى أنت ابن أولئك ، وسعدوا ؛ من السعادة ؛ والنجيب : الكريم .

(٢) يقول : وأنت ابن الدين أدركوا بحزمهم ما طلبوا في رفق وأناة وتؤدة فأدركوا الصعب البعيد بأهون سبب ودون جهد ونصب . وجعل الوحش مثلا للمطلوب البعيد ؛ وديب النمل مثلا لرفقهم ولطف تأنيهم .

(٣) يقول : إن الطيب الذى يتضوع من الرياض ليس لها في الحقيقة ولكنه شيء أفادته من دفن آبائه في التراب ، وهذا من قول أبي تمام :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ      فِطْيِبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلٌّ عَلَى الْقَبْرِ

(٤) الضمير فى زمانه : للمجد ، والقشيب الجديد ، قال ابن جنى : معناه أن روح المجد انتقل إليه فصار هو المجد مبالغة ، وقال غيره : إن روح مجد آبائه انبعث فيه فعاد إلى عالم الظهور ، وتجدد زمانه بعد انقضائه ، وقال آخرون : معناه يا من عاد به روح المجد فى المجد ، أى أن المجد كان ميتاً فعاد به حياً وعاد الزمان الذى كان باليا جديداً به ، وقد نظر إلى هذا المعنى بعضهم فقال :

سَأَلَتِ النَّدَى وَالْمَجْدَ حَيَّانِ أَتَمَّا      وَهَلْ عَشْتَا مِنْ بَعْدِ آلِ مُحَمَّدٍ

فَقَالَا نَعَمْ مَتَنَا جَمِيعًا وَضَمْنَا      ضَرِيحَ وَأَحْيَانَا دَيْسَ بْنِ مَزِيدٍ

(١) العرفج شجر معروف سريع الاشتعال بالنار ، ولهبه شديد الحمرة ، ويبالغ بحمرته فيقال : كأن لحيته ضرام عرْفَجَةٍ .

تَيَمَّمَنِي وَكَلِّكَ مَادِحًا لِي وَأَنْشَدَنِي مِنَ الشَّعْرِ الْغَرِيْبَا (١)  
فَاجْرَكَ إِلَاهُ عَلَى عَلِيلٍ بَعَثَ إِلَى الْمَسِيحِ بِهِ طَيْبِيَا (٢)  
وَلَسْتُ بِمُنْكَرٍ مِنْكَ الْهَدَايَا وَلَكِنْ زِدْتَنِي فِيهَا أُدْبِيَا  
فَلَا زَالَتْ دِيَارُكَ مُشْرِقَاتٍ وَلَا دَانَيْتَ يَا شَمْسُ الْغُرُوبَا (٣)  
لِأَصْبَحَ آمِنًا فِيكَ الرَّزَايَا كَمَا أَنَا آمِنٌ فِيكَ الْعُيُوبَا (٤)

(١) تيممني تصدني ، قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا المجد كريم بن الفضل رحمه الله  
قال : سمعت والدى أبا بشر قاضى القضاة يقول : أخبرنى أبو الحسين الشامى الملقب بالشوق  
قال : كنت عند التنبى فجاءه هذا الوكيل فأنشده هذه الأبيات :

فؤادى قد انصدع وضرعى قد انقلع  
وللىالى عطفى قد انهوى وما رجع  
يا حب طيبي غننج كالبدر لما أن طلع  
رأيتنه فى بيته من كوة قد اطلع  
فقلت ته ته ته وته فقال لى مر بالكع  
هات قطع ثم قطع ثم قطع ثم قطع  
وضع بكفى وفى جيبى أدعك أن تضع

فهذا الذى عناه التنبى بقوله : وأنشدنى من الشعر الغريب .  
(٢) أجره الله : أثابه ؛ جعل نفسه كالمسيح ؛ وهذا الشاعر كعليل قد جاء ليداوى  
المسيح الذى يحيى الموتى ويرى الأكمه والأبرص ، وإذا فلا حاجة به إلى طيب ؛ ولا سيما  
إذا كان الطيب عليلًا .

(٣) جعله شمسًا لشرفه وعموم منفعتة ، يدعو له بأن لاتزال دياره مشرقات بنوره  
وبأن لايشرف على الغروب : أى لايموت .

(٤) لأصبح : تعليل للدعاء السابق : يقول : أنا آمن عليك من العيوب فإنها  
لاتقربك ، ولكن الذى أخشاه أن نرزا فىك ، فأنا أدعو الله أن يقىك الرزايا لأصبح  
آمنًا فىك المذورين معًا .

وقال يصف مجلسين لأبي محمد الحسن بن عبد الله بن طنج ، قد انزوى أحدهما  
عن الآخر ليرى من كل واحد منهما ما لا يرى من صاحبه :

المَجْلِسَانِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا      مُقَابِلَانِ وَلَكِنْ أَحْسَنًا الْأَدْبَابِ<sup>(١)</sup>  
إِذَا صَعِدْتَ إِلَى ذَا ، مَالِ ذَا رَهْبًا      وَإِنْ صَعِدْتَ إِلَى ذَا ، مَالِ ذَا رَهْبًا<sup>(٢)</sup>  
فَلِمَ يَهَابُكَ مَا لَاحِسٌ يَرُدُّعُهُ      إِنِّي لَا أَبْصِرُ مِنْ شَأْنِنِيهَا عَجَبًا<sup>(٣)</sup>

وقال وقد استقل في القبة ونظر إلى السحاب :

تَعَرَّضَ لِي السَّحَابُ وَقَدْ قَفَلْنَا      فَقُلْتُ لَيْتَكَ إِنْ مَعِيَ السَّحَابًا<sup>(٤)</sup>  
فِشْمٍ فِي الْقُبَّةِ الْمَلِكِ الْمَرْجِي      فَأَمْسَكَ بَعْدَ مَا عَزَمَ أَنْسِكَابًا<sup>(٥)</sup>

وأشار إليه طاهر العلوي بمسك وأبو محمد حاضر فقال :

الطَّيِّبُ مِمَّا غَنِيَتْ عَنْهُ      كَفَنِي بِقُرْبِ الْأَمِيرِ طَيِّبًا  
يَبْنِي بِهِ رَبَّنَا الْمَعَالِي      كَمَا بِكُمْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَا<sup>(٦)</sup>

(١) و (٢) يقول : إن هذين المجلسين — وإن كان قد ميز كل منهما في وضعه عن  
الآخر — مقابلان بعضهما لبعض ولكنهما أحسنا الأدب فتميزا فإنك إذا صعدت إلى  
أحدهما جلست عليه مال الآخر عنه هيبة لك .

(٣) يقول : إذا كان مالا حس له ولا عقل يهابك فما الظن بغيره ؟

(٤) و (٥) قفلنا : رجعنا ، وإليك بمعنى اكفف ، وشم أمر من شام البرق إذا  
نظر إليه برجو المطر ، وتقول عزم فلان الأمر وعزم عليه إذا هم به ، وقوله فشم — البيت  
— يأمر السحاب بأن ينظر إلى الأمير برجو مطره كما ترجو الناس من السحاب مبالغة  
في جود الأمير حتى صار السحاب مفتقراً إلى سقياه ، ثم قال : إنه لما قال ذلك للسحاب  
أمسك عن الانسكاب بعد أن هم به حياء من جوده .

(٦) ضمير به للأمير . والخطاب في بك لظاهر العلوي ، وهو من نسل الزهراء كريمة  
سيدتنا رسول الله عليه وسلم ، ومن ثم قال : كما بك يغفر الذنوبا .

وقال وقد استحسنت عين باز في مجلسه :

أَيَا مَا أَحْيَيْتَهَا مُقْلَةً وَلَوْلَا الْمَلَاخَةُ لَمْ أُعْجَبِ (١)

خَلُوقِيَّةٌ فِي خَلُوقِيهَا سُوَيْدَاهُ مِنْ عِنَبِ الثَّعْلَبِ (٢)

إِذَا نَظَرَ الْبَازُ فِي عِظْفِهِ كَسْتُهُ شُعَاعًا عَلَى الْمُنْكَبِ (٣)

وقال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوي (\*) :

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهَوَّ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ

وَرُدُّوا رُقَادِي فَهَوَّ لِحَظِّ الْحَبَائِبِ (٤)

(١) التصغير في ما أحيينها : مبالغة في الاستحسان ؛ وقوله لم أعجب : أي لم أقل ما أحيينها : أي لولا حسنها لم أقل ذلك .

(٢) خلوقية : نسبة إلى الخلق ضرب من الطيب أصفر اللون — وفي خلوقها : خبر مقدم ، وسويداء : مبتدأ مؤخر يقول : هذه القملة صفراء مثل لون الخلق يتوسط صفرتها إنسان — إنسان عين — أسود كأنه الحبة الصغيرة من عنب الثعلب .

(٣) يقول : إذا نفتت الباز إلى جانبه اكتسى من نور مقلته شعاعا .

\* قالوا : إن الأمير أبا محمد بن طعج لم يزل يسأل المتنبي أن يخلص أبا القاسم طاهراً العلوي بقصيدة من شعره وأنه قد اشتبه ذلك ، وأبو الطيب يقول : ما قصدت إلا الأمير ولا أمدح سواه ؛ فقال أبو محمد : عزمت أن أسألك قصيدة تنظمها في فاجعلها فيه . وضمن له عنده مئاة من الدنانير فأجاب . قال محمد بن القاسم الصوفي : فسرت أنا والمطلبي برسالة طاهر إلى أبي الطيب فركب معنا حتى دخلنا عليه وعنده جماعة من الأشراف ، فلما أقبل أبو الطيب ، نزل طاهر عن سريره والتقاء مسلما عليه ؛ ثم أخذه بيده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها ، وجلس هو بين يديه وتحدث معه طويلا . ثم أنشده أبو الطيب نخلع عليه — للوقت — خلعا نفيسة . قال علي بن القاسم الكاتب : كنت حاضرا هذا المجلس ، فما رأيت ولا سمعت أن شاعرا جلس المدوح بين يديه مستمعاً لمدحه غير أبي الطيب ؛ فإني رأيت هذا التبريد قد أجلسه في مجلسه وجلس بين يديه فأنشده هذه القصيدة .

(٤) الكواعب : جمع كاعب ، وهي التي بداندباها للنهود ، والحبايب : جمع حبيبة ولحظ الحبايب أي رؤيتهن . يقول : أصبح دهرى ليلا كله بعد ظعن الأعبة فليس هناك

فَإِنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مُدْهِمَةٌ عَلَى مُقَلَّةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ فِي غَيَابِ (١)  
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الْجُفُونِ كَأَنَّمَا عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هُدْبٍ بِحَاجِبِ (٢)  
وَأَحْسَبُ أَنِّي لَوْ هَوَيْتُ فِرَاقَكُمْ  
لَفَارَقْتُهُ وَالذَّهْرُ أَخْبَثُ صَاحِبِ (٣)

صباح إلا بردهن ، وقد نفي عن الكرى فلا رقاد إلا برؤيتهن ، والمعنى ردوهن على حتى يرتد صباحى ورقادى .

(١) مدلهمة: شديدة السواد ، والغياب : الظلمات ، وهذا البيت كالتعليل لما ذكره في البيت السابق . يقول : لما رحلت لم أبصر بعدكم شيئا : أى بكيت حتى عميت ، فأض نهارى ليلا حالك السواد . وعبارة الواحدى : يريد أن جفونه محتومة بعدهن لم تفتح ، وإذا انطبقت الجفون فالنهار ليل . وقال التبريزى : هذا معنى البيت الأول : أى غاب عنى الكواعب فغاب صباحى بعدهن ، لأن الدنيا تظلم فى عين المحزون ، فردوا ورقادى فقد كنت أراهم فى نومي وقد فقدتهم منذ فارقت الرقاد . والعرب إذا وصفت الأمر الشديد شبهت النهار بالليل لإظلام الأمر .

(٢) بعيدة : بدل من مقلة — فى البيت السابق — ومن روى بعيدة بالرفع فهى خبر ابتداء محذوف أى هى بعيدة ، والمهدب : الشعر النابت على أشفار العين ولكن المراد بأعلى كل هدب : ما نبت على الجفن الأعلى فهو عام قد خصص . ونص عبارة الواحدى : إذا حمل قوله كل هدب على العموم فالحاجب ههنا بمعنى المانع لأننا إذا حملنا الحاجب على المعهود كان مغمضا لأن هدب الجفن الأسفل إذا عقد بالحاجب حصل التغميض ، وإذا جعلنا الحاجب بمعنى المانع صح الكلام : وإن جعلنا الحاجب المعهود حملنا قوله كل هدب على التخصيص ، وإن كان اللفظ عاما ، وهذا مثل قول الآخر :

وَرَأْسِي مَرْفُوعٌ لِنَجْمٍ كَأَنَّمَا قَفَاهُ إِلَى صُلْبِي بِخَيْطٍ مُخَيِّطُ  
يقول : إن عينيه لا تطبقان وتباعدت أجفانه حتى لكان أعلى أهدابها قد عقدت بالحاجبين ، وهذا مثل قول بشار بن برد :

جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيضِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ  
(٣) يقول : إن الدهر مولع بمخالفتي حتى لو هويت فراقكم لواصلتموني : يعنى أن

فِيَا لَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَبَّتِي      مِنْ الْبُعْدِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَصَائِبِ (١)  
أَرَاكَ ظَنَنْتِ السَّلْكَ جِسْمِي فَمَقَّتِهِ      عَلَيْكَ بَدْرٌ عَنْ لِقَاءِ التَّرَائِبِ (٢)  
وَلَوْ قَلَمٌ أَلْقَيْتُ فِي شِقِّ رَأْسِهِ      مِنْ الشَّقْمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ (٣)

من أهواه يبعد عني ، ومن أجتوبه يقرب مني لسوء صحبة الدهر إياي ، فقوله لفارقته :  
أى لفارقت الفراق مضطراً بحكم الدهر — وفي هذا يقول بعضهم :

أَرَى مَا أَشْتَهِيهِ يَفِرُّ مِنِّي      وَمَا أَشْتَهِيهِ إِلَى يَأْتِي  
وَمَنْ أَهْوَاهُ يُبْفِضُنِي عِنَاداً      وَمَنْ أَشْنَاهُ يَشْبَثُ فِي لَهَاتِي  
كَأَنَّ الدَّهْرَ يَطْلُبُنِي بِثَارٍ      فَلَيْسَ يَسْرُهُ إِلَّا وَفَاتِي

وقال العكبري : قوله لفارقته : كان الوجه أن يقول لفارقتي ، لكنه قلبه لأن من  
فارقت فقدم لفارقته ، وهذا من باب القلب . ثم قل : وكان حقه أن يقول أحببت  
الأصحاب لأنه أراد حبث من يصحبه ؛ وإذا كان اسم الفاعل في مثل هذا يجوز فيه  
الإفراد والجمع كقوله تعالى « ولا تكونوا أول كافر به » أى أول من يكفر :  
وأنشد الفراء :

وَإِذَا هُمْ طَعَمُوا فَأَلَامُ طَاعِمِهِ      وَإِذَا هُمْ جَاعُوا فَشَرُّ جِيعِ  
فَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعاً :

(١) يقول : ليت أحبتي واصلوني مواصلة المصائب ، وليت المصائب بعدت  
عني بعدهم . يعنى أن المصائب ملازمة له فهو يتمنى أن تكون أحبته كذلك وهذا كما  
قال أيضاً :

ليت الحبيب الهاجرى هَجَرَ الكرى      من غير جرم واصلى صلة الضنا  
(٢) أراك أظنك ، والسلك الحيط الذى ينظم فيه الدر وغيره ، وقوله عليك بدر  
يريد بدر عليك قدم الجار والمجرور ، والترائب موضع القلادة من الصدر يقول :  
أظنك حسبت السلك الذى فى قلادتك جسمي لمشابهته إياه فى الدقة فحلت بينه وبين  
ترائبك بالدر المنظوم فيه ثلا يلامس صدرك ، أى أن ولوعك بمشاققي حملك على منافرة  
كل ما يشاكفى ، يشكو مخالفتها إياه ورغبتها عن وصاله وهو من معانى المتنبى البدعية .  
(٣) يقول : لشدة سقمى نخلت حتى لم يبق لى جثمان يحس به فلو ألقىت فى شق

تُخَوِّفَنِي دُونَ الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ      وَلَمْ تَذَرِ أَنَّ الْعَارَ شَرُّ الْعَوَاقِبِ <sup>(١)</sup>  
 وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَّ مُحَجَّلٍ      يَطُولُ اسْتِمَاعِي بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ <sup>(٢)</sup>  
 يَهُونُ عَلَيَّ مِثْلِي إِذَا رَامَ حَاجَةً      وَقُوعُ الْعَوَالِي دُونَهَا وَالْقَوَاضِبِ <sup>(٣)</sup>  
 كَثِيرُ حَيَاةِ الْمَرْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا      يَزُولُ وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبِ <sup>(٤)</sup>

قلم ، لم يتغير بي خط كاتب ، وهذا من مبالغات الشعراء ، وقد افتتوا في هذا المعنى كل الافتنان فمن ذلك قول بعضهم :

ذُبْتُ مِنَ الْوَجْدِ فَلَوْ زُجَّ بِي      فِي مُقَلَّةِ الْوَسْطَانِ لَمْ يَنْتَبِهِ  
 وقول الآخر :

فَاسْتَبَقِ مَا أَبْقَيْتَ لِي فَلَعَانِي      يَوْمًا أَقِيكَ بِهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ  
 مِنْ مُهْجَةٍ ذَابَتْ أَسَى فُلُوَانِهَا      فِي الْعَيْنِ لَمْ تَمْنَعِ مِنَ الْإِغْفَاءِ

(١) قال الواحدى : الذى أمرت به هو ملازمة البيت وترك السفر ، والذى خوفته به هو الهلاك ؛ وتقدير اللفظ : تخوفنى بئىء دون الذى أمرت به : أى تخوفنى بالهلاك وهو دون ما تأمر به من ملازمة البيت ، لأن فيها عارا ، والعار شر من البوار ؛ والضمير فى تخوفنى . للحبيبة ، أو العاذلة : وعبرة ابن جنى : تخوفنى الهلاك وهو عندى دون العار الذى أمرتنى بارتكابه .

(٢) يقول : لا بد لى من يوم مشهور أكثر فيه قتل الأعادى فأسمع بعده صباح النوادب عليهم ؛ والأغر فى الأصل : الذى فى وجهه يياض ، والمجمل : قل أبو عبيدة : المجمل من الحيل أن تكون قوائمه الأربع يياضا يبلغ البياض منها ثلث الوظيف أو نصفه أو ثلثه بعد أن يتجاوز الأرساغ ولا يبلغ الركبتين ، العرقوين — وأغر مجمل كما ترى من صفات الحيل — استعارها لليوم ؛ يريد يوما مشهورا يمتاز عن الأيام كما يمتاز الفرس بالفرقة والتججيل .

(٣) العوالى : صدور الرماح : أى الأسنة ؛ والقواضب : السيوف القواطع يقول : مثلى إذا رام أمرا لم يبال أن يكون دون الوصول إليه رماح وسيوف : يريد أنه يتوصل إليه وإن كان دونه حروب وأهوال .

(٤) كثير : مبتدأ ، ومثل : خبر أول ؛ ويزول : خبر ثان ؛ يحث على الشجاعة

إِلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَنْ إِذَا أُتَّقَى  
عَضَّاصَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ (١)  
أَتَانِي وَعَيْدُ الْأَدْعِيَاءِ وَأَنْهَمُ أَعْدَاؤِي السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ (٢)  
وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَحَذِرْتَهُمْ فَهَلْ فِي وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ (٣)

والإقدام وينهى عن الجبن . يقول : إن طول العمر وقصره سيات لأن نهاية كل منهما الزوال ، وما بقى من العيش لا حق بما ذهب فهو في حكمه ، وإذن لا وجه للحرص على الحياة . وقال ابن الرومي :

رَأَيْتُ طَوِيلَ الْعُمُرِ مِثْلَ قَصِيرِهِ إِذَا كَانَ مُفْضَاهُ إِلَى غَايَةِ تَرَى  
قال العكبري : وهذا من كلام الحكماء قل الحكيم : أو اخر حركات الفلك كأوائها وناشئ العالم كلاله في الحقيقة لا في الحسن :

(١) إليك : اسم فعل بمعنى كفى . يقول : كفى عنى فإنى لست بمن إذا خشى الهلاك صبر على الذل والهوان . جعل الأفاعى مثلا للهلاك لأنها تقتل بسمها دفعة واحدة ، والعقارب مثلا للذل والهوان لأن لسعها لا يقتل ولكنه يتكرر ، فيكون أطول عذابا ، وأمر آلاما وإليك كلمات الشراح . قل ابن جنى : لست بمن إذا تخوف عظيمة صبر على مذلة وهوان ، فشبه الأفاعى بالعظيمة والعقارب بالذل . وقال الواحدي : جعل عض الأفاعى لكونه قاتلا مثلا للهلاك وجعل لسع العقارب مثلا للعار لأنه لا يقتل قل ابن فورجه تعليقا على هذا : من بات فوق العقارب أدته بكثرة لسعها إلى الهلاك كما لو نهشته الأفعى ، إنما يريد أن العار أيضا يؤدي الإنسان ذا المجد إلى الهلاك لتعير الناس إياه بل هو أشد لأنه عذاب يتكرر والهلاك دفعة واحدة فجعل الأفاعى مثلا للهلاك والعقارب مثلا للعار .

(٢) الأدعياء جمع دعى وهو المنتسب إلى غير أب يريد بهم هنا جماعة يدعون نسب على رضى الله عنه أرادوا به سوءا وأعدوا له جماعة من السودان ليقتلوه . وكفر عاقب قرية بالشام من أعمال حلب .

(٣) يقول : لو كانوا قد صدقوا في دعوى انتسابهم إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم لجاز صدقهم في الوعيد أيضا فحذرتهم ، ولكنهم إذ كذبوا في نسبهم علمت أنهم لا يصدقون فهل يكون قولهم في وحدي صادقا ؟

إِلَى لَعْمَرِي قَصْدُ كُلِّ عَجِيبَةٍ      كَأَنِّي عَجِيبٌ فِي عُيُونِ الْعَجَائِبِ (١)  
 بِأَيِّ بِلَادٍ لَمْ أَجْرَ ذُوآبَتِي      وَأَيُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَّأهُ رِكَائِي (٢)  
 كَأَنَّ رَحِيلِي كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ      فَأَثْبَتَ كُورِي فِي ظُهُورِ الْمَوَاهِبِ (٣)  
 فَلَمْ يَبْقَ خَلْقٌ لَمْ يَرِدْنَ فِنَاءَهُ      وَهَنَّ لَهُ شِرْبٌ وَرُودَ الْمَشَارِبِ (٤)  
 فَتَى عَمَّتَهُ نَفْسُهُ وَجَدُودَهُ      قِرَاعَ الْأَعَادِي وَأَبْتِدَالَ الرَّغَائِبِ (٥)

(١) يعرض بالذين توعدوه . يقول : لا عجب من قصدهم إلى بهذا الوعيد فإني لا أزال أتعثر بالعجائب حتى لكانها بذلك تتعجب من صبري وأنا أني وعلو همتي فهي تيممني وتنسل إلي من كل حدب .

(٢) ذؤابة النعل ما أصاب الأرض من المرسل على القدم لتحركه ، ويروي بدل ذؤابتى ذوائبي ، يصف نفسه بكثرة الأسفار يقول : إنني لم أدع موضعا من الأرض إلا جولت فيه .

(٣) الكور : الرحل ، وطاهر هو طاهر بن الحسين العلوي الذي قل فيه المتنبي هذه القصيدة . وهذا البيت من أبداع ما قيل في حسن التخلص . يقول : كما أن مواهب الممدوح لم تدع مكانا إلا آتته كذلك أنا لم أدع مكانا إلا آتيته ، فكأني امتطيت ظهور مواهبه .

(٤) يقول : لم يبق أحد لم ترد مواهب الممدوح داره كما ترد الناس المشارب مع أن مواهبه شرب للناس فكان حقها — كما هي العادة — أن يردها الشاربون ولكنها هي ترد الشاربين ، فقوله يردن أي المواهب وهو من ورود الماء ، والفناء الساحة والمنزل ، والضمير فيه للخلق والشرب المورِد وحظ الوارد من الماء ، وورود : مفعول مطلق ليردن مضاف إلى مفعوله . وعبارة الخطيب التبريزي : كأنهن قد وردن عليه ورود الناس المشارب لينتفعوا بها : يعني أن هذه منفعة للخلق الذي ترد إليه كما ينفع الماء وارده . وقريب من معنى البيت قول القائل :

إذا سألوا شكرتهم عليه وإن سكتوا سألتهم السؤالا

(٥) الابتذال : مثل البذل ؛ والرغائب : جمع رغبة ، وهي الشيء المرغوب فيه . يقول : إن شجاعته وسخاءه غريزتان موروثتان ؛ والأعادى : يروي العوالي ، وهي صدور الرماح .

فَقَدَّ غَيْبَ الشُّهَادِ عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ  
وَرَدَّ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلِّ غَائِبٍ (١)  
كَذَا الْفَاطِمِيُّونَ النَّدَى فِي بَنَانِهِمْ  
أَعَزُّ أُمَّهَاءٍ مِنْ خُطُوطِ الرُّوَاجِبِ (٢)  
أُنَاسٌ إِذَا لَاقَوْا عِدَى فَكُنَّا  
سِلَاحُ الَّذِي لَاقَوْا غُبَارُ السَّلَاحِ (٣)

(١) الشهاد : جمع شاهد ، بمعنى حاضر . يقول : إنه غيب عن وطنه كل من ليس من دينه السفر لأن سخاهه يدعوهم إليه ، ووردتم إلى الأوطان بعد أن غمهم بنعمه وأغدق عليهم العطاء فاستغنوا عن السفر إلى غيره .

(٢) الندى : مبتدأ ، وأعز : خبر ؛ وأصل البنان : أطراف الأصابع ، والمراد بها هنا : الأُكف . وقد روى بدل في بنانهم : في أ كفهم ؛ والمدوح من ولد السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج علي ابن أبي طالب ، ومن ثم قال : كذا الفاطميون . يقول : إن الجود لا يفارقهم حتى إن خطوط الرواجب قد يمكن أن تمحي منها والجود لا يمحي من أ كفهم ، هذا وثمت فرق بين الفاطميين وبين العلويين ؛ فالفاطميون هم أولاد فاطمة من ولدها الحسن والحسين ، فكل فاطمي هو من ولد الحسن والحسين ؛ وأما العلويون فهم من ولد علي يدخل فيهم الفاطميون وغيرهم كأولاد العباس بن علي وعمر بن علي ومحمد بن علي بن الحنفية ، والرواجب : واحدتها راجبة ، وهي مفاصل أصول الأصابع التي تلى الأنامل وقيل : هي بواطن مفاصل أصول الأصابع وقيل هي ظهور السلاميات وقيل هي ما بين البراجم من السلاميات وقيل هي مفاصل الأصابع ثم البراجم ثم الأشاجع التي تلى الكف ؛ وقال ابن الأعرابي : الراجبة البقعة الملساء بين البراجم . والبراجم الشنجات في مفاصل الأصابع في كل أصبع ثلاث برجمات إلا الإبهام .

(٣) السلاهب : جمع سلهب ، وهو الفرس الطويل . يقول : إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث يعد سلاح أعدائهم في نظرهم كأنه غبار خيلهم لا يعباون به ولا يكثرثون ، بل يشقونه لا يرتدون عن أعدائهم : وخص السلاهب لأنها أسرع وغبارها أرق والطف . وقال الواحدى : يجوز أن يكون السلاهب خيل المدوحين ويقال : فرس مسلهب أى ماض ، ولذا قال الجوهري : السلهب من الخيل الطويل على وجه الأرض ، ومنه قول الأعرابي في صفة الفرس : وإذا عدا اسلهب ، وإذا قيد اجلعب ، وإذا انتصب اتلأب . . « اسلهب : امتد ، واجلعب انبسط ولم يتقبض : واتلأب : أقام صدره ورأسه »

رَمَوْا بِنَوَاصِيهَا الْقِسِيَّ فَجَثْنَهَا      دَوَامِي الْهُوَادِي سَالِمَاتِ أُجْلَوَانِي (١)  
 أَوْلَيْكَ أَحْلَى مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ      وَأَكْثَرُ ذِكْرًا مِنْ دُهُورِ الشَّبَابِ (٢)  
 نَصَرْتَ عَلِيًّا يَا أَبْنَةَ بِيَوَاتِرِ      مِنَ الْفِعْلِ لَا فَلَ لَهَا فِي الْمَضَارِبِ (٣)  
 وَأَبْهَرُ آيَاتِ التَّهَامِيِّ أَنَّهُ      أَبُوكَ وَأَجْدَى مَا لَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ (٤)

(١) الضمير في نواصيها : للسلاهب ؛ وهي جمع ناصية ، مقدم شعر الرأس ؛ ومنه نواصي الناس أي أشرفهم . قالت أم قبيس الضبية :

وَمَشْهَدٍ قَدْ كَفَيْتُ الْغَائِبِينَ بِهِ      فِي مَجْمَعٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودِ

وجثنها : أي جثن القسي : أي بلغت السلاهب القسي ؛ والهوادي الأعناق .

ودوامي : حال ؛ وأسكن الياء ضرورة . يقول : إنهم استقبلوا رماة أعدائهم بوجوه خيلهم فلم تنثن حتى وصلت إليهم ، وقد رميت أعناقها دون أعطافها وأعجازها لأنها صممت على الإقدام لا تتحرف بمنة ولا يسرة ، ولهذا لم تصب سهام الأعداء إلا أعناقها وسلت سائر أعضائها ، وفي سبيل هذا المعنى يقول بعضهم :

شَكَرْتُ جِيادُكَ مِنْكَ بَرْدَ مَقِيلِهَا      فِي الْحَرِّ بَيْنَ بَرِاقِعٍ وَجِلالِ

فَجَزَتْكَ صَبْرًا فِي الْوَعْيِ حَتَّى انْتَثَ      جَرَحِي الصَّدُورِ سِوَالِ الْأَكْفَالِ

(٢) الشباب : جمع شبيبة ، وهو أيضاً جمع شبة : مثل ضرة وضراثر ؛ أما الشابة فجمعها شواب . تقول : نسوة شباب وشواب ، قال الراجز :

عَجَازًا يَطْلُبْنَ شَيْئًا ذَاهِبًا      يَمْحُضِينَ بِالْحِنَاءِ شَيْبًا شَابِيًا

\* يَقْلَنَ كِنَّا مَرَّةً شَبَابِيًا \*

يقول : هم أحلى في القلوب من الحياة إذا أعيدت على صاحبها ، وذكرهم أكثر على الألسنة من ذكر أيام الشباب .

(٣) يريد بعلي : علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . لأن الممدوح علوي ؛ والبوار : السيوف القواطع ؛ والفعل ؛ التلم والمضارب : جمع مضرب ، حد السيف . يقول : أتيت من الفعال ما عززت به فعال أيبك ، فكان ذلك منك بمنزلة النصر له ، وقد سلت أفعالك من العيوب فكانت كأنها سيوف قواطع لا فلول في مضاربها .

(٤) التهامي : يريد به سيدنا رسول الله . قال ابن جني : قد أكثر الناس القول

في هذا البيت ، وهو في الجملة شنيع الظاهر ، وقد كان يتعسف في الاحتجاج له والاعتذار منه بما لست أراه مقنعا . ومع هذا فليست الآراء والاعتقادات في الدين مما يقدر في جودة الشعر ورداءته . يقول المتنبي : إن أبهـر آيات النبي أنه أبوك ، وكونه أباك هو أجـدى مناقبكم معشر الفاطميين . أو هو إحدى مناقبكم الكثيرة - على رواية إحدى بدل أجـدى - وروى بعضهم البيت هكذا

\* وأكبر آيات التهامي آية \*

أبوك : يعني أن علي بن أبي طالب أبا المدوح هو أكبر آيات سيدنا رسول الله ؛ وهو حسن لو كانت الرواية صحيحة . وقال العروضي : هذا بيت حسن المعنى ، مستقيم اللفظ ، حتى لو قلت إنه أمدح بيت في الشعر لم أبعـد عن الصواب ؛ ولا ذنب له إذا جهل الناس غرضه واشتبـه عليهم ؛ ومعنى البيت : إن كفار قريش كانوا يقولون إن محمدا صنبور - أي منفرد أبتـر لا عقب له - فإذا مات استرحنا منه ، فأنزل الله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - أي الكثير ، ولست بأبتـر كما قالوا ؛ ما شئتـك : فهو الأبتـر فمات المتنبي أنتم من معجزات النبي وآية لتصديقه وتحقيق قوله تعالى وذلك أجـدى مالكم من مناقب ، ثم قال : فإن قيل : الأنساب إنما تنعقد بالآباء والأبناء لا بالأمهات والبنات كما قال الشاعر :

بَنُونَا بَنُو أَبْنَانِنَا - وَبَنَانِنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الأَبَاعِدِ (١)

قلنا : هذا خلاف حكم القرآن العزيز ، قال تعالى « ومن ذريته داود وسليمان - إلى قوله - ويحيى وعيسى » فجعل عيسى من ذرية إبراهيم ولا خلاف أن عيسى من غير أب وأما قوله التهامي ؛ فإن الله أنزل في التوراة على موسى : إني باعث نبياً من تهامة من ولد إسماعيل في آخر الزمان ؛ وأمر موسى أمته أن يؤمنوا به إذا بعث ودل عليه بآيات أخر ، فأنكر اليهود نبوته . فقال صلى الله عليه وسلم : أنا النبي التهامي الأبي الأبطحي ، فلا أدري كيف تصموا على المتنبي لفظة افتخر النبي بها .

(١) قيل إنه للفرزدق ؛ وبنونا خبر مقدم ؛ وبنو أبنائنا مبتدأ مؤخر أي أن بني

أبنائنا مثل بنينا .

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسَبِ كَأَصْلِهِ  
فَمَاذَا الَّذِي تُعْنِي كِرَامُ الْمَنَاصِبِ<sup>(١)</sup>  
وَمَا قَرَّبَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَبَاعِدٍ وَلَا بَعَدَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَقَارِبَ<sup>(٢)</sup>

(١) النسب : ذو النسب الشريف ، والمناصب : الأصول . يقول : إذا لم تكن نفس النسب مشابهة لأصله في الكرم لم ينفعه الانتساب إلى أصل كريم . يعنى : إن كرم الأصل لا ينفع مع لؤم النفس . وكثيراً ما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال :

وَمَا يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا كَانَتْ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلِهِ  
وقال أبو يعقوب الحريرى :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْمِ الْقَدِيمَ بِحَادِثٍ مِنْ الْمَجْدِ لَمْ يَنْفَعَكَ مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ  
وقال البحرى :

وَلَسْتُ أَعْتَدُ لِلْفَتَى حَسَبًا حَتَّى يُرَى فِي فَعَالِهِ حَسَبُهُ

(٢) الأشباه : جمع شبه بمعنى شبيهه والبيت كاللثمة لما ذكره في البيت السابق . يقول : إن صحة النسب لا تتحقق إلا بمشابهة الفروع للأصول ؛ فإذا ادعى قوم نسباً وهم أشباه لقوم أباعد عن أهل ذلك النسب فليسوا لهم بأقارب ، وكذلك القول فى الأقارب وهذا تعريض بالذين ذكرهم من الأعداء . وإليك عبارة الواحدى : لم أجد فى هذا البيت بياناً شافياً ولا تفسيراً مقنعاً وكل تفسير لا يساعده لفظ البيت لم يكن تفسيراً للبيت والذى يصح فى تفسيره أنه يقول : الأشباه من الأباعد لا يقرب بعضهم من بعض لأن الشبه لا يحصل القرب فى النسب والأشباه من الأقارب لا يعد بعضهم من بعض لأن الشبه يؤكد قرب النسب . هذا إذا جعلنا الأشباه الذين يشبه بعضهم بعضاً كقوله :

\* الناس ما لم يروك أشباه \*

فإن جعلنا الأشباه جمع الشبه من قولهم بينهم شبه : فمعنى البيت : لم يقرب شبه قوم أباعد أى لا يتقاربون فى الشبه ولا يشبه بعضهم بعضاً ولا يعد شبه قوم أقارب ؛ يريد أنهم إذا تقاربوا فى النسب تقاربوا فى الشبه . أقول وهذا لعمرى من الواحدى غريب : وغريب أن يلف هذا اللف والمعنى منه قريب ؛ وتحرير لفظ البيت : إن الذين يشبهون قوماً أباعد لا يكونون أقارب والذين يشبهون قوماً أقارب لا يكونون أباعد .

إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ<sup>(١)</sup>  
يَقُولُونَ تَأْتِيرُ الْكَوَاكِبِ فِي الْوَرَى

فَمَا بِالْهُ تَأْتِيرُهُ فِي الْكَوَاكِبِ<sup>(٢)</sup>  
عَلَا كَتَدَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ تَسِيرُ بِهِ سَيْرَ الذَّلُولِ بِرَاكِبِ<sup>(٣)</sup>  
وَحَقُّ لَهُ أَنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِسًا وَيُدْرِكَ مَا لَمْ يُدْرِكُوا غَيْرَ طَالِبِ<sup>(٤)</sup>

(١) النواصب : الخوارج الذين نصبوا العداء على بن أبي طالب رضي الله عنه . يقول :  
إذا لم يكن العلوي تقياً ورعاً كطاهر — وهو المدوح — كان حجة لأعداء أبي تراب ،  
لأنهم يستدلون بتقصه على نقص أبيه : وهذا من قوله عليه السلام الولد سر أبيه ، وفي  
المثل من أشبه أباه فما ظلم وقال بعضهم :

شريف أصله أصلٌ شريف ولكن فعله غير الحميد  
كان الله لم يخلقه إلا لتنعطف القلوب على يزيد

(٢) يقول : إن الناس تقول : إن الكواكب تؤثر في الخلق — يريد ما يذهب  
إليه المنجمون من السعد والنحس — ولكن المدوح يؤثر في الكواكب ، إذ يجعل  
النحوس بحكم النجوم سعيداً بما يفيض عليه من نعمته ؛ وكذلك يجعل السعيد بحكم النجوم منجوماً  
بما ينزله به من نعمته ، فلا تستطيع الكواكب أن تحول دون ما يريد . وقال ابن فورجه :  
تأثيره في الكواكب إثارته الغبار حتى لا تظهر وحتى يزول ضوء الشمس وتظهر  
الكواكب بالنهار . هذا ولك أن تجعل قوله تأثير الكواكب مبتدأ محذوف الخبر  
تقديره يقولون تأثير الكواكب حق أو كائن ولك أن تجعل الخبر الجار والمجرور أي  
قوله في الوری :

(٣) الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان ، والذلول المنقادة التي تذلل لراكبها .  
يقول : إنه استوى على ظهر الدنيا فانقادت له اقياد الدابة الذلول لراكبها تسير به إلى كل  
غاية قصدها . هذا ومن روى علا فعلاً ماضياً نصب به كتد ؛ ومن خفض كتد على  
الجارفة فهي متعلقة بمحذوف تقديره ركب على كتد .

(٤) يقول : خليق به أن يسبق الناس في سبيل المعالي وهو لا يتكلف لذلك جهداً ،  
ويدرك ما لم يدركوه من غير ما طلب وسعى ؛ يعني أنه بلغ ما بلغه بشرف نسبه وما طبعه

وَيُحَدِّدِي عَرَائِينَ الْمُلُوكِ وَإِنِّهَا (١)  
 يَدُ لِلزَّمَانِ الْجَمْعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ (٢)  
 هُوَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ وَصِيهِ (٣)  
 يَرَى أَنَّ مَا مَا بَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ بِأَقْتَلِ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِعَائِبٍ (٤)

الله عليه من الفضل وعلو الهمة ، وهذا مالا يكتسب ويدرك بالسمى والاجتهاد . هذا وقد قال الفراء : حق لك أن تفعل ذلك وحق وإني لمتوق أن أفعل كذا فإذا قلت حق قلت لك وإذا قلت حق قلت عليك ومعنى قول من قال حق عليك أن تفعل وجب عليك (١) العرائين : الأنوف ، وعرائين : مفعول ثان ليحددي ؛ والمفعول الأول : نائب فاعل يحددي - الذي يعود على المدحوح . يقول : وجدير به أن تجعل عرائين الملوك أحذية له يطؤها بقدميه ، ولو هو فعل ذلك لكانت في أجل المراتب لأنها تتشرف بوطأته . (٢) يد : خبر مقدم ؛ والجمع : مبتدأ مؤخر ؛ واليد : النعمة ؛ ومعنى البيت مأخوذ من قول أبي تمام :

إِذَا الْعَيْسُ لَاقَتْ بِي أَبَا دُلْفٍ فَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ (٣)  
 هو ابن رسول الله لأنه ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ، وابن وصيه لأنه ابن سيدنا على كرم الله وجهه ، وسيدنا على هو وصي سيدنا رسول الله . وقوله وشبههما : أي وهو شبههما ، وقوله شبهت بعد التجارب : كلام مستأنف . يقول : شبهته بهما بعد تجربتي واختباري إياه ، فليس تشيبي عشا . (٤) اسم أن محذوف هو ضمير الشأن ؛ وما الأولى : نافية بمعنى ليس ، والثانية : بمعنى الذي ، والتقدير : يرى أنه ليس الذي ظهر من الإنسان لضارب بالسيف كالعنق ونحوه بأقتل له مما ظهر لظعن عائب . يقول : إنه يرى العيب أشد من القتل ، وهذا من قول أبي تمام :

فَتَى لَا يَرَى أَنَّ الْفَرِيصَةَ (١) مَقْتَلٌ وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْعُيُوبَ الْمُقَاتِلُ  
 وقال ابن جنى : ما الأولى زائدة ، والثانية بمعنى الذي ؛ واسم أن مضمرة فيها .

(١) الفريصة : لحمة عند تغض الكتف في وسط الجنب عند منبض القلب وهما فرهستان ترتعدان عند الفرع .

أَلَا أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِي قَدْ أَبَادَهُ تَعَزَّ فَهَذَا فِعْلُهُ فِي الْكَتَائِبِ (١)  
لَعَلَّكَ فِي وَقْتِ شَغَلَتْ فُؤَادَهُ  
عَنِ الْجُودِ أَوْ كَثُرَتْ جَيْشَ مُحَارِبِ (٢)  
حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيثَةً  
سَقَاهَا الْحَجِّي سَقَى الرِّيَاضَ السَّحَابِ (٣)

(١) تعز : يروى تسل ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهي الفرقة من الجيش .  
يقول : تأس أيها المال الذي أباده المدوح ، فلت وحدك المباد على يده ، ولك الأسوة  
بأعدائه الذين أبادهم مثلك قتلا وأسراً .

(٢) يقول : لعلك أي هذا المال المباد شغلت فؤاد المدوح يوماً ما عن السخاء بفتنتك  
أو أطمعت الأعداء في محاربتك رغبة فيك ، فاستحققت عقوبته بسبب ذلك فأبادك . كأنه  
يلتمس للمال ذنباً عند المدوح حتى استوجب أن يفعل به فعله بالعدو .

(٣) الحديثة : الروضة قد أحرق بها حاجز ، والمراد بها هنا : القصيدة ، والحجى :  
العقل ؛ جعل العقل ساقياً لها ، لأن المعاني التي فيها إنما تحسن بالعقل ، لجعل العقل  
ساقياً كما تسقى السحاب . وقوله : سقى الرياض السحاب : أراد سقى السحاب الرياض ،  
ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالفعول وهو من شواذ الاستعمال وقد جاء كثيراً في  
الشعر - كقول أبي حية النخعي :

كَمَا خَطَّ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمًا يَهُودِيَّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ (١)  
وَقَوْلِ عَمْرَةَ الْخُلَعَمِيَّةِ تَرْمِي ابْنَيْهَا :  
هَمَّا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَالَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبْوَةَ فَدَعَاَهُمَا (٢)

(١) يقول : إن رسم هذه الدار دقيق متناسب كخط الكتاب الذي كتبه ماهر  
حاذق في الكتابة ؛ وخص اليهودي لأنه من أهل الكتاب ، وقيل : المراد التشبيه  
في عدم الانتظام . وقوله يقارب : أي يدنى الكتابة بعضها من بعض ؛ وزيل : أي  
يباعد ما بينها . وكف : مضاف إلى يهودي ، وفصل بينهما بيوما ، وهو الشاهد .

(٢) من أبيات في باب الرثاء من حماسة أبي تمام . فصل بين المضاف والمضاف

فَحَيِّتَ خَيْرَ ابْنِ نَخِيرِ أَبِي بَهَا لِأَشْرَفِ بَيْتِ فِي لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ (١)

وقول جرير :

تَسْقَى امْتِيحاً نَدَى الْمِسْوَاكِ رِيْقَتَهَا  
وقول الأعشى في كلمة يمدح بها سلامة ذا فائس :

أُنْجِبَ أَيَّامَ وَالِدَاهُ بِهِ إِذْ نُجِّلَاهُ فَنِعْمَ مَا نُجِّلَا (٢)

(١) خير أب : منادى ، أو حال ، وبها : أى بالحديقة المعنى بها القصيدة ؛ وكان من عاداتهم أن يحجوا بالزهور والرياحين ؛ ويجوز أن يكون الضمير في بها : للأرض ؛ وإن لم تذكر ؛ قال الخطيب تبريزي : إذا كان الضمير للأرض كان أمدح . ويعنى بخير ابن : الممدوح ، وبخير أب : سيدنا رسول الله ، وبأشرف بيت : هاشم بن عبد مناف ، إذ أن نيته أشرف وله لؤي بن غالب .

إليه بقوله : في الحرب ، يعنى أنهما كانا غوثا لمن لاغوث له ؛ ونبوة السيف كلاله ، والمراد هنا : الشدة .

(١) وقوله :

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ عَنْ شَيْءٍ يَرَوْقُهُمْ  
كَأَنَّهَا مِرْنَةٌ غَرَاهُ وَاصِحَّةٌ  
أَوْ دُرَّةٌ لَا يُوَارِي ضَوْءَهَا الصَّدْفُ

والامتياح : الاستياك ؛ والندى : البلل ؛ والمزنة : السحابة البيضاء ، والرصف : جمع رصفة - حجارة مرصوف بعضها إلى بعض ، وماؤها أرق وأصنى من غيره وامتياحاً ظرف : أى وقت امتياح أو حال . أى ممتاحة ، والمسواك : مفعول أول لتسقى ، وندى : مفعول ثان مضاف إلى ريقتها ؛ وقد فصل بينهما بالمسواك .

(٢) أنجب الرجل . ولد ولداً نجيباً ، ونجلاه : ولداً ، ووالده : فاعل أنجب وأيام : ظرف لأنجب ؛ وبه : متعلق بأنجب ؛ وأيام : مضاف إلى إذ ؛ وقد فصل بينهما بقوله : أيام ، وبه .

وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلاثمائة : وهي من محاسن شعره :

مَنِ الْجَاذِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ حُمْرَ الْخَلْيِ وَالْمَطَايَا وَالْجَلَايِبِ<sup>(١)</sup>  
إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شَكًّا فِي مَعَارِفِهَا فَمَنْ بَلَكَ بِتَسْهِيدٍ وَتَعْذِيبِ<sup>(٢)</sup>

(١) من : استفهام ، والجاذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ، تشبه بها النساء في حسن العيون . والأعاريب : جمع أعراب ، وهم سكان الحيام والوبر . وقوله في زي : حال من الجاذر ؛ والعامل فيها معنى الاستفهام ؛ وحمر الخلي : حال بعد حال والجلابيب : جمع جلباب - الملحفة تلبسها المرأة فوق ثيابها - قالت جنوب أخت عمرو ذى الكلب تربيته ، وكان قد قتل :

تَمْشِي النَّسُورُ إِلَيْهِ وَهِيَ لَاهِيَةٌ مَشَى الْعِذَارَى عَلَيْهِنَّ الْجَلَايِبِ<sup>(١)</sup>

يقول : من هؤلاء النسوة ، الشبهات بالجاذر : وهن في زي الأعاريب ، ومتحليات بالذهب الأحمر ، ومتمطيات النياق الحمر ، ومشمتملات في اثياب الحمراء - يعني أنهن من نساء الملوك ، لأن الحمرة لون ملابس الأشراف عندهم ، والنياق الحمر أكرم النياق لدى العرب .

(٢) شكا : مفعول لأجله : يقول - مخاطبا نفسه - : إن كنت تسأل عنهن لشك بدا لك في معرفتهن ، فمن الذي امتحنك بالسهر والعذاب ؟ يعني أنهن دهنك بجهن حتى صرت مسهدا معذبا ، فكيف لا تعرفهن ؟ وإنما استفهم عنهن لقوة شبههن بالجاذر حتى كأنهن جاذر لا نساء ؛ وهذا من باب تجاهل العارف كما قال ذو الرمة :

أَيَا ظَبِيَّةَ الْوَعْسَاءِ بَيْنَ جَلَاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا آأَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَالِمٍ<sup>(١)</sup>

(١) قوله وهي لاهية : يريد أن النسور آمنة منه لا تخافه لكونه ميتا ، فهي تمشي إليه مشى العذارى .

(١) جلاجل : روى جلاجل - بالحاء المضمومة - وقال ابن بري : روت الرواة هذا البيت في كتاب سيويه : جلاجل - بضم الجيم لا غير -

لَا تَجْزِي بِي بَعْدَهَا بَقْرٌ  
تَجْزِي دُمُوعِي مَسْكَوبًا بِمَسْكَوبِ (١)  
سَوَائِرُ رَبَّمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا مَنِيعَةً بَيْنَ مَطْعُونٍ وَمَضْرُوبِ (٢)  
وَرَبَّمَا وَخَدَتْ أَيْدِي اللَّطِيِّ بِهَا عَلَى تَجْمِعِ مِنَ الْفَرَسَانِ مَضْبُوبِ (٣)

(١) المراد بالبقرة : النساء التي وصفها : يدعوهن يقول : لا جزيني مقابل الضنا الذي حل بي بعد فراقهن ضني مثله كما يحزين دموعي دموعا مثلها : يعني لا أورثهن الله السقام بعدى كما أورثني بعدهن ، وإن كن قد بكين لفراقى كما بكيت لفراقهن . فقوله لا تجزني : دعاء مجزوم بالدعاء ، لأنه بلفظ النهي ؛ فحكه في الجزم حكم النهي كقول مالك بن الربيع من كلمة يرثي بها نفسه :

يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهَمْ يَدْفِنُونَنِي وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا؟ (١)

والباء في قوله ضني : للمقابلة ، وبى : صفة لضني : أى ضني حال بي أو واقع بي ، وبقرة : فاعل تجزني : أى لا تجزني بقرة ضني حل بي ضني يحل بهن ؛ وبعدها : أى بعد فراقها والهاء : راجعة إلى قوله بقرة ، وإن كانت متأخرة ، وجاز ذلك لأنها فاعل والفاعل رتبته التقديم ؛ فإذا أجزت تقديم الضمير العائد عليه ، لأن النية به التقديم ، وقوله : تجزني دموعي الح صفة لبقرة ؛ وقوله مسكوبا : بدل من دموعي : أى تجزني دموعي مسكوبا منها بمسكوب من دموعها ، وتعبيره ببقرة ههنا : غير لائق .

(٢) سوائر : أى هن سوائر ، والهوادج : مراكب النساء على الإبل . يقول : إنهن من قومهن في عز ومنعة ، فمن تصدى لهن طعن أو ضرب ، فسارت هوادجهن ما بين مطعون ومضروب .

(٣) الوخذ : ضرب من سير الإبل ، وهو سعة الخطو في المشي . والنجيع الدم . يقول : ربما سارت بهن مطاياهن على دم مصبوب من الفرسان . يريد أنهن في منعة ، دونهن طعان وضراب وقتال ، فالييت في معنى البيت السابق .

(١) الاستفهام : في قوله : وأين الح بمعنى النفي ، ولذا وقعت «إلا» بعده .  
( ١٩ — المتنبي ١ )

كَمْ زَوْرَةٌ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَائِبَةٌ  
أَذَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذَّيْبِ<sup>(١)</sup>  
أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْتَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِى بِي<sup>(٢)</sup>  
قَدْ وَافَقُوا الْوَحْشَ فِي سُكْنَى مَرَاتِعِهِمَا  
وَخَالَفُوهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْنِيبٍ<sup>(٣)</sup>  
جِبْرَانُهَا وَهُمْ شَرُّ الْجَوَارِ لَهَا وَصَحْبُهَا وَهُمْ شَرُّ الْأَصَاحِبِ<sup>(٤)</sup>  
فَوَادُ كُلِّ مُحِبٍّ فِي بِيُوتِهِمْ وَمَالُ كُلِّ أُخِيذٍ لِمَالِ مَحْرُوبٍ<sup>(٥)</sup>

(١) يصف جرأته في زيارة الحباب بعد أن ذكر منعهن يقول - مخاطبا نفسه - كم قد زرتهن زيارة لم يشعر بها أحد كزيارة الذئب الغنم يقع فيها، ويذهب بما يذهب منها على غفلة من الراعى . وقوله : وقد رقدوا ، جملة معترضة بين أذى ومن زورة الذئب .

(٢) جمع في هذا البيت بين خمس مطابقات : الزيارة والائتناء والسواد والبياض والليل والصبح والشفاعة والإغراء والى وبى . وأنتنى : أى أعود ، وأغراه به : ضراه به وحضه عليه . يقول : أزورهم والليل لى شفيح لأنه يسترني عنهم ، وأنصرف وكأن الصبح يغرى بى ، إذ يشهرني ويدلهم على مكافئ . وهذا البيت - كما ترى - من معجزات التنبي .

(٣) يقول : إن هؤلاء الأعراب قد وافقوا الوحش في سكنى البرارى وخالفوها في أن لهم خياما ، يهدمونها لدى الرحيل وينصبونها لدى الإقامة ؛ أما الوحش فلا خيام لها ، يريد أنهم ممن يسكنون البادية ، والمراتب المسارح التي ترتع فيها الوحوش وتسرح ؛ والتقويض : الهدم ؛ والتطنيب : شد الخيام بالأطناب .

(٤) يقول : هم جيران الوحوش ، بيد أنهم يسيئون جوارها لأنهم يصيدونها ويذبحونها ، وقوله وهم شر الجوار : أى وجوارهم شر الجوار - على حد قوله تعالى « ولكن السبر من آمن بالله » والأصاحيب : جمع أصحاب ؛ جمع صحب اسم جمع لصاحب .

(٥) أخيد : أى مأخوذ ؛ والمحروب : الذى ذهب كل ماله . يقول : إن فيهم الجمال والشجاعة : فمساؤهم ينهين القلوب ، ورجالهم ينهون الأموال

وقال التبريزى : يريد أنهم ملكوا قلوب الرجال - أى بالسخاء - وأموال الأعداء .

مَا أَوْجَهُ الْحَضْرُ الْمُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ كَأَوْجَهُ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَائِبِ (١)  
حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةِ وَفِي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرٌ مَجْلُوبٌ (٢)  
أَيْنَ الْمَعِيزُ مِنَ الْآرَامِ نَاطِرَةٌ وَغَيْرَ نَاطِرَةٍ فِي الْحُسْنِ وَالطَّيِّبِ (٣)

(١) الرعايب : جمع رعبوبة ، وهى المرأة التارة السمينة : والضمير فى به : للحضر  
يقول : ليست الأوجه المستحسنات بالحضر كأوجه نساء البدو يفضل نساء البدو على نساء  
الحضر ، وبين السبب فى البيت التالى .

(٢) الحضارة - بكسر الحاء ، أو فتحها - الإقامة بالحضر ؛ والبدواة : الإقامة فى  
البدو ؛ وانتطرية : المعالجة . تقول : طرى الطيب : خلطه بالأفاويه ، وطرى الطعام :  
خلطه بالتوابل . يذكر السبب فى تفضيل البدويات على الحضريات . يقول : إن حسن  
أهل الحضارة متكلف مجلوب بالحيلة والعلاج أما حسن البدويات فهو خلقته ، لا يعرفن  
التكلف والحسن المجلوب بالاحتيال .

(٣) المعيز : اسم لجماعة العز - كالكلب والعبيد - قال العكبرى : المعيز : اسم  
للعزى ، وهو خلان الضأن ، وهو اسم جنس ، تقول العز والمعيز والأمعوز ، وواحد  
العز : معاز : مثل صحب وصاحب ؛ والأثقى ماعزة وهى العز والجمع مواعز .  
والعز بالفتح والمعز بسكون العين لغتان فصيحتان قرأ أهل الكوفة ونافع بسكون العين ،  
وقرأ الباقون بفتحها . وقال سيدييه : معزى منون مصروف ، لأن الألف لللاحق -  
لا للتأنيث - وهو ملحق بدرهم على فعلل ، لأن الألف الملحقه تجرى مجرى ما هو من  
نفس الكلمة ، يدل على ذلك قولهم : معيز وأريط - فى تصغيرى معزى وأرطى - فى  
قول من نون فكسروا ما بعد ياء التصغير كما قالوا دريهم ، ولو كانت للتأنيث لم يقلبوا  
الألف ياء ، كما لم يقلبوها فى تصغير حبلى وأخرى . وقال الفراء : المعزى مؤنثة وقال  
بعضهم : مذكرة ، وحكى أبو عبيد أن العرب كلها تتون للمزى فى النكرة ، والآرام :  
لظباء الخالصة البيضاء . وقوله ناظرة حال : أى فى حال نظرهن وامتداد أعناقهن ، أو  
فى حال إقبالهن . وقال بعض الشراح : ناظرة : تميز ، وليست اسم فاعل ، والتقدير  
من حسن الآرام عيوننا . شبه نساء الحضر بالمعيز ، ونساء البدو بالآرام . يقول : أين  
تقع المعيز من الظباء فى الحسن والطيب أكانت مقبلة أم معرضة ؟ فالظباء تفضلها عيوننا  
وغير عيون .

أَفْدَى ظَبَاءَ فَلَاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا  
مَضَعَ الْكَلَامِ وَلَا صَبَغَ الْحَوَاجِبِ (١)  
وَلَا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَامِ مَائِلَةً أَوْزَا كَهُنَّ صَقِيَلَاتِ الْعَرَاقِبِ (٢)  
وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُوَهَّةً  
تَرَكَتْ لَوْنٌ مَشِيْبِي غَيْرَ مَحْضُوبِ (٣)

(١) يريد بظباء الفلاة : البدويات نساء الأعراب . ومضع الكلام : ترك إبانته ، كأن التكلم يمضغ شيئا : يقول : هن فصيحات مبيئات ، لا يمضغن كلامهن غنجا وتخنثا كنساء الحضرة ، ولا يصبغن حواجبهن طلبا للزينة مثلهن ، والحواجب : جمع حاجب أشبع الكسرة فتولد عنها ياء كما قال الفرزدق :

\* نَفَى الدنانير تنقاد الصياريف (١) \*

(٢) مائلة : شاخصة ؛ وروى مائلة ، والأولى أظهر . والعراقيب : جمع عرقوب ، وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل . يقول : وليست البدويات كالحضريات يجلبن حسنهن بأن يدخلن الحمام فيخرجن منه وقد شددن خصورهن فشخصت أوراكنهن من تحنها وصقلن عراقيبهن .

(٣) أصل التموه : الطلى بماء الذهب أو الفضة ، ثم استعمل بمعنى التدليس والتزوير . وقوله : من هوى ، متعلق بقوله تركت . يقول : ومن أجل أني لا أحب إلا كل امرأة لا تموه جمالها تركت يابض شيبي دون خضاب : أي لم أموه شيبي كما لم يموهن حسنهن .

(١) صدره :

\* تَنَفَى يداها الحصى في كلِّ هاجرة \*

يصف ناقة تسرع في الهواجر فيقول إن يديها لشدة رفعها الحصى تنفياه فيقرع بعضه بعضا ويسمع له صليل كصليل الدنانير ينتقدها الصيرف فينفي رديتها عن جيدها ونخص الهاجرة لتعذر السير فيها والشاهد في الصياريف وروى بدل الدنانير الدراهم فيكون الشاهد في الصياريف والدراهم

وَمِنْ هَوَى الصَّدَقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ  
رَغِبْتُ عَنْ شَعْرِ فِي الرَّأْسِ مَكْذُوبٍ<sup>(١)</sup>  
لَيْتَ الْخَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذَتْ

مِئْنِي بِحِلْمِي الَّذِي أَعْطَتْ وَتَجَرِبِي<sup>(٢)</sup>  
فَمَا الْخَدَائَةَ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشَّبَّانِ وَالشَّيْبِ<sup>(٣)</sup>  
تَرَعَّرَعَ الْمَلِكُ الْأُسْتَاذُ مُكْذِبًا قَبْلَ الْكُتْبَالِ أُدِيبًا قَبْلَ تَأْدِيبِ<sup>(٤)</sup>

(١) رغب عن الشيء : زهد فيه . والضمير في قوله : وعادته ، يرجع إلى الصدق وهو عطف على هوى . يقول : ومن أجل أني أحب الصدق وقد تعودته لم أجعل شعر رأسي مكذوبا : أي مسودا بالخصاب ، إذ هو غير لونه . فقوله : ومن هوى ، متعلق برغبت ، ويروى بدل قوله عن شعر في الرأس : عن شعر في الوجه .

(٢) يقول : إن حدثان الدهر ونوائبه أخذت مني الشباب وأعطتني الحلم والتجارب ، فوددت لو أنها باعت ما أخذت مني بما أعطت : أي ردت على الشباب واستردت الحلم . والحلم العقل والأناة . وهذا من قول علي بن جبلة :

وَأَرَى اللَّيَالِي مَا طَوَّتْ مِنْ قَوْتِي زَادَتْهُ فِي عَقْلِي وَفِي أَهْمَامِي  
وقول ابن المعتز :

وَمَا يُنْتَقَصُ مِنْ شَبَابِ الرِّجَالِ يُرَدُّ فِي نَهَايَا وَأَلْبَابِهَا

(٣) الخدائة : خدائة السن والشباب . يريد أنه كان حليما قبل تحليم الخوادم إياه . يقول : إن خدائة السن لا تحول دون الحلم ، فالمرء قد يكون حليما في الشباب كما يكون حليما في الشيب — كما قال أبو تمام :

حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا

(٤) ترعرع الصبي : نشأ وشب ، والأستاذ : لقب كافور ؛ وهي كلمة فارسية ، من معانيها : العلم ، والمدبر ، والعالم . يريد المتنبي أن يؤكد بهذا البيت معنى البيت السابق ، وفيه من البديع حسن التخلص . يقول : إن كافورا نشأ على الاكتهال — أي حلم الكهول — قبل أن يكتهل سنا ، وعلى الأدب قبل أن يؤدب : أي أنه ترعرع على ذلك

مَجْرَبًا فَهَمَّا مِنْ قَبْلِ تَجْرِبَةٍ مَهْدَبًا كَرَمًا مِنْ غَيْرِ تَهْدِيبٍ (١)  
 حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نَهَائَتَهَا وَهَمُّهُ فِي ابْتِدَآآتٍ وَتَشْبِيبٍ (٢)  
 يَدْبُرُ الْمَلِكُ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنٍ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فَالنُّوبِ (٣)  
 إِذَا أَتَتْهَا الرِّيَّاحُ النَّكْبُ مِنْ بَلَدٍ  
 فَمَا تَهَبُّ بِهَا إِلَّا بِتَرْتِيبٍ (٤)

طبعاً دون أن يفيد من كر العداة ومر العشى ، وهذا دليل على أن الحدائة ليست  
 بمانعة من حلم .

(١) قال صاحب اللسان : رجل مجرب كمرض — بالفتح — جرب في الأمور  
 وعرف ما عنده ، كأن الأمور جربته وأحكته ؛ ومجرب — بالكسر — عرف الأمور  
 وجربها . ثم قال : إلا أن العرب تكلمت به بالفتح . يقول المتنبي : نشأ كافور مجرباً  
 قبل أن يجرب — لما جبل عليه من الفهم — مهذباً قبل أن يهذب — بما طبع عليه  
 من الكرم — فقها وكرما : مفعول لهما .

(٢) التشبيب في الأصل : ذكر أيام الشباب : وهو يكون في ابتداء القصاد ، ثم  
 سمي ابتداء كل أمر تشبيبا ، وإن لم يكن فيه ذكر أيام الشباب ، ويريد نهاية الدنيا :  
 الملك ، لأنه لا شيء إلا والملك فوقه يقول : إن كافورا أصاب الغاية القصوى من دنياه  
 وهو الملك ، ومع ذلك لا تزال همته في بداية أمرها : أى أنه بعيد مرتقى المهمة .

(٣) يريد فسحة رقعة ملكه وترامى حدودها إلى هذه الأطراف ، لا أنها داخلة في  
 مملكته ، لأن كافورا لم يكن من ملكه عدن ولا العراق ولا أرض الروم — الأناضول  
 — ولا النوب ، إنما مملكته تحد بهذه البلاد ؛ إذ كانت مصر والحجاز والشام محسب .

(٤) يقول : إنه لهيبته وعظمه في النفوس وغيرها إذا هبت الرياح الهوج في بلاده  
 هبت مستوية رزينة مرتبة إعظاماً له وإجلالا ، والرياح مثل أراد به البالغة في إعظام  
 الناس إياه وتنكبهم التمرد عليه حتى لو كانت الرياح تعقل لاستوت واطردت مهابة له .  
 وعبارة الخطيب التبريزي : يعظم أمره وسياسته ، ولم يرد الرياح بعينها ، بل يريد أن  
 الناس له هائبون ، حتى الرياح إذا هبت هبت بترتيب واستواء هية له . فالضمير في  
 أمتها : يعود على الملك بمعنى المملكة والنكب : جمع نكباء ، وهى الریح تهب في  
 غير استواء .

وَلَا تُجَاوِزُهَا شَمْسٌ إِذَا شَرَّقَتْ إِلَّا وَمِنْهُ لَهَا إِذْنٌ بِتَغْرِيبِ<sup>(١)</sup>  
يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِيهَا طِينُ خَاتَمِهِ وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبِ<sup>(٢)</sup>  
يَحْطُ كُلُّ طَوِيلِ الرَّمْحِ حَامِلَهُ  
مِنْ سَرَجِ كُلِّ طَوِيلِ الْبَاعِ يَعْبُوبِ<sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصُ يُوْسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبِ<sup>(٤)</sup>  
إِذَا غَزَتْهُ أَعَادِيهِ بِمَسْئَلَةٍ فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَعْلُوبِ<sup>(٥)</sup>

(١) هذا البيت في معنى الذي سبقه . يقول : ولا تغرب الشمس عن مملكته بعد أن تشرق إلا بإذنه ، وكل هذا مبالغة .

(٢) طلس الكتاب : طمسه ومحاه ، كطرسه . يقول : إن أمره ممثل مطاع في بلاده حتى لو كتب مكتوباً بأمر من الأمور وختم مكتوبه هذا بالطين — كما هي عادتهم إذ ذاك — ثم انمحي كل ما كتب ولم يبق إلا الخاتم امثل أمره بمجرد رؤية الخاتم إعظاماً وإجلالاً . وخاتم : يقال بفتح التاء وكسرهما ، وفيه خاتام وخيتام .

(٣) يحط : ينزل ويضع ، وحامله : فاعل يحط ، والضمير في حاملة : يعود إلى الخاتم ، واليعبوب : الفرس السريع الجري . يقول : إن حامل خاتم كافور ينزل الفارس البطل الطويل الرمح من سرج الفرس السريع الجري : أي أن الفارس إذا رأى خاتم كافور سجد له إعظاماً فنزل عن فرسه ، والمعنى أنه نافذ الأمر مطاع ، وعبارة الواحدى : لم يعرف ابن جنى هذا . فقال مرة : يقتل حامل خاتمه كل فارس فينزل له عن سرج فرسه ومرة : يحط حامل كتابه أعداءه عن سروجهم ، وليس البيت من القتل ولا من إنزال الأعداء في شيء ؛ والمعنى : يريد نفاذ أمره واتساع قدرته ، وقال ابن القطاع : الهاء يعود على كافور : أي إذا رآه الأبطال انحطوا .

(٤) يقول : إنه يسر ويبتهج إذا سمع سؤال سائل — يستجديه — ابتهاج يعقوب حين رأى قميص يوسف ، وذلك لكرمه وجوده .

(٥) يقول : إنه لا يرد السائل أياً كان ، فلو صمدت إليه أعداؤه سائلة مستجديه نالت مطلوبها ، فكأنها غزته بجيش لا يغلب .

أَوْ حَارَبْتُهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ مِمَّا أَرَادَ وَلَا تَنْجُو بِتَجْبِيبٍ<sup>(١)</sup>  
أَضْرَتْ شَجَاعَتَهُ أَقْصَى كِتَابَتِهِ عَلَى الْحِمَامِ فَمَا مَوْتُ بَمَرْهُوبٍ<sup>(٢)</sup>  
قَالُوا هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ قُلْتُ لَهُمْ  
إِلَى غَيْوِثٍ يَدِيهِ وَالشَّايِبِ<sup>(٣)</sup>  
إِلَى الَّذِي تَهَبُّ الدُّوَلَاتُ رَاحَتَهُ وَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبٍ<sup>(٤)</sup>

(١) التقدمة : التقدم ؛ والتجيب : الحرب . قال صاحب اللسان : التجيب النفار ، وجب الرجل تجيباً إذا فر وعرد ، وفي الحديث : التمسك بطاعة الله إذا جيب الناس عنها كالكار بعد الفار : أي إذا ترك الناس الطاعات ورغبوا عنها . يقال جيب الرجل . إذا مضى مسرعاً فإرا من شيء . يقول : إذا قصده أعداؤه محاربين ، لم ينجوا من إرادته فيهم فلا يفيدهم الإقدام لأنهم لا يقدرون عليه ولا الحرب لأنه يدركيهم لا محالة .

(٢) أضرت : من الضراوة ، وهي الدربة والعادة ، تقول : ضرى فلان بكذا : لزمه واعتاده ، وضراه ، بكذا : ألججه به ؛ وفي الأثر : إن للحم ضراوة كضراوة الحجر : أي إن له عادة طلابة لأكله كعادة الحجر مع شاربها ، ويريد بأقصى كتابه الجبناء الذين لا يشهدون القتال ؛ والحمام : الموت . يقول : إن شجاعته عودت الجبناء من رجاله لقاء الموت وجرأتهم عليه فليس الموت مرهوباً عندهم .

(٣) الشؤبوب : الدفعة الشديدة من المطر ؛ وأل في الشايب تقوم مقام الضمير : أي إلى غيوث يديه وشايبهما . يعرض التنبي - فيما يظهر - بسيف الدولة ، يقول : يلومني الناس على هجرى الغيث - يعني سيف الدولة - وهم واهمون في هذا اللوم ؛ لأنني تركت غيثاً إلى غيوث : أي أنني فارقت كريماً إلى من هو أكرم ... وقال ابن فورجه : أراد أن مصر لا تمطر فيقول : لا مني الناس في هجرى بلاد الغيث ، فقلت تعوضت عنها غيوث يديه . وهذا تعسف من ابن فورجه ، بدليل البيت التالي .

(٤) يقول : إنى هجرت إلى من يعطى العطاء الجزيل وبهب الهبات الخطيرة ولا يتبع هبته بالمن . وهذا تعريض بين بسيف الدولة . والدولات : جمع دولة وهو ما يتداول ، فيكون مرة لهذا ومرة لذلك ؛ فتطلق على المال والغلبة ؛ والمراد هنا : المال الجزل أو الولايات والممالك .

وَلَا يَرُوعُ بِمَغْدُورٍ بِهِ أَحَدًا      وَلَا يُفَزِّعُ مَوْفُورًا بِمَنْكُوبٍ (١)  
 كَلَى يَرُوعُ بِذِي جَيْشٍ يُجَدِّلُهُ      ذَا مِثْلِهِ فِي أَحْمَ النَّقْعِ غَرِيبٍ (٢)  
 وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أُذْخِرُهُ      مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَرَى وَتَقْرِيْبٍ (٣)  
 لِمَا رَأَيْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَغْدِرُ بِي      وَفَيْنَ لِي وَوَفَّتْ صُمُّ الْأَنْبَابِ (٤)  
 فَتَنَ الْمَهَالِكِ حَتَّى قَالَ قَائِلَهَا      مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْجُرُودِ السَّرَاحِبِ (٥)

(١) راعه : خوفه وأفرعه ؛ وبه : صلة مغدور ؛ والموفور : الذي لم يصب في ماله ولم يؤخذ منه شيء ، والمنكوب : ضده . يقول إنه لا يغدر بأحد كي يروع به غيره ولا ينكب أحداً فيتخيفه أو يسلب ماله ليغزع به الموفور الذي لم ينكب . يعني أنه حسن السيرة في رعيته ، عادل لا يظلم أحداً بحال .

(٢) يقول : لا يغدر بأحد « إلى آخر البيت السابق » وإنما يروع صاحب جيش صاحب جيش آخر يصرعه على الأرض : أي ينكل بصاحب جيش ليعتبر به صاحب جيش آخر ، وهو - أي كافور - في جيش أسود الغبار قد علاه سواد الحديد . وبلى : حرف جواب تختص بالنفي وتفيد إبطاله ، ويجدله أي يصرعه على الجدالة وهي الأرض - وجملة يجدله : صفة لذى جيش ؛ وذا مثله : مفعول يروع ذا جيش ، مثل جيشه . وقوله في أحم : أي في جيش أحم النقع : أي أسود الغبار ؛ والغريب : الشديد السواد ، ومعنى جيش غريب : أسود الحديد . وقال ابن جنى : إذا رآه ملك وقد صنع بملك آخر ما صنع فإنه يخافه ويغذره .

(٣) يقول : إني وجدت ما في الخيل من عدو وجرى أنفع الأشياء التي ادخرتها لأنها حملتني إلى كافور وأخرجتني من بين الغادرين بي كما بين ذلك في البيت التالي . فالسوابق الخيل والتقريب ضرب من العدو

(٤) : لما رأيت الخيل حدثان الدهر ونوبه تغدر بي - يريد الناس - وفئت لي بعملها إياي عن موطن الغدر إلى كافور ؛ وكذلك وفئت لي الرماح لأنني استظهرت بها على الوصول إلى مصر . فصم الأنابيب . الرماح ، والصم . الصلاب ، والأنابيب : جمع أنبوب ، وهو ما بين العقدين من الرمح وما شاكلة .

(٥) يقول : إن خيلنا قطعت المفاوز وفاتها حتى لو كان لها - أي للمفاوز - قائل لقال ماذا لقينا من هذه الخيل إذ جابتنا بسرعة وذلت الصعب منا ونجت من غوائلنا ،

تَهْوِي بِمُنْجَرِدٍ لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ لِلْبُسِ ثَوْبٍ وَمَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ<sup>(١)</sup>

فالمراد بالمهالك: المفاوز، والجرد: القصيرة الشعر، وذلك يحمّد في الخيل، والسراجيب: جمع سرحوب، وهو الفرس الطويل. وعبارة ابن جنّي: ضجت المفاوز من سرعة خيلى وقوتها، وقال ابن فورجه: إذا أطلقت المهالك لم يفهم منها المفاوز، وإنما تفهم الأمور المهلكة: يعنى أن هذه الخيل لم يعلق بها شيء من الهلاك حتى تعجبت المهالك من نجاتها بسلامتها منها.

(١) تهوى: أى تسرع؛ وقوله بمنجرد: يعنى نفسه، والمنجرد: الجاد في الأمور الماضى فيها لا يردّه شيء؛ وقوله ليست مذاهبه: أى ليست رحلاته للباس ثوب أو ليست أسفاره لهذا. يقول: إن هذه الخيل تسرع برجل جاد ليست أسفاره طلاباً لثقل كسوة أو طعام، وإنما طلبته المعالى. وهذا كقوله:

فَسِيرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي

وقديماً تعاور الشعراء هذا المعنى، قال امرؤ القيس:

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذْنِي مَعِيشَةٍ كَفَانِي - وَلَمْ أَطْلُبْ قَائِلٍ مِنْ الْمَالِ  
وَلَكِنَّا أَسْمَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي<sup>(٢)</sup>

وقال حاتم الطائي:

لِحَا اللَّهِ صُعُوكَا مُنَاهُ وَهَمُّهُ مِنْ الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى كَبُوسًا وَمَطْعَمًا<sup>(٣)</sup>

وقال آخر:

وَلَيْسَ فَتَى الْفَتِيَانِ مِنْ رَاحٍ وَاعْتَدَى لِشُرْبِ صَبُوحٍ أَوْ لِشُرْبِ غَبُوقٍ  
وَلَكِنْ فَتَى الْفَتِيَانِ مِنْ رَاحٍ وَاعْتَدَى لَضَرْ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقٍ

(١) ما - في قوله ما أسعى - مصدرية ومجد مؤتل قديم له أصل، والثائل انخاذ أصل

مال، وقيل المؤتل: المجموع وقيل: المستمر المثبت

(٢) لحاء الله: قبحه وأهلكه. من لحوت العود، إذا قنصرته، والصعلوك: الفقير

الذى لا مال له، وصعاليك العرب: ذو بانها.

يَرَى النُّجُومَ بِمَعْنَى مَنْ يُحَاوِلُهَا كَأَنَّهَا سَلَبٌ فِي عَيْنِ مَنْسُوبٍ (١)  
حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ  
تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلِ غَيْرِ مُحْجُوبٍ (٢)  
فِي جِسْمٍ أَرْوَعَ صَافِي الْعَقْلِ تَضْحِكُهُ  
خَلَائِقُ النَّاسِ إِضْحَاكَ الْأَعَاجِبِ (٣)  
فَالْحَمْدُ قَبْلُ لَهُ وَالْحَمْدُ بَعْدُ لَهَا وَلِلْقَنَاءِ وَإِلْدَلَاجِي وَتَأْوِيبي (٤)

(١) السلب : الشيء المسلوب . يريد أنه بعيد مرتقى المهمة . يقول : إنه لطموحه وبعد همته يطمع في إدراك النجوم ، فهو ينظر إليها بعين من يحاول تناولها حتى لكانها شيء قد سلب منه فلا يستريح أو يحصل عليه ، شأن المسلوب لا تطيب نفسه أو يرجع إليه ما سلب منه .

(٢) يقول : حتى وصلت إلى ملك محجب — لأن الملوك محجبون لا يتناولون أنفسهم للناس — يريد أنه وإن كان محجبا فإن نواله دان قريب لمن طلبه غير محجوب عنه ، ويجوز أن يريد بالنفس همته ، وأنها محتجبة عن الناس لا يبلغها كل أحد ، بدليل قوله في البيت التالي : في جسم أروع ، وما أبدع قول أبي تمام :

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمَقْصِدٍ عَنكَ لِي أَمَلًا إِنَّ السَّمَاءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ  
وقبله يقول مسلم :

كَذَلِكَ الْغَيْثُ يُرَجَّى فِي تَحَجُّبِهِ حَتَّى يُرَى مُسْفَرًا عَنِّ وَأَبْلِ الْمَطَرِ

(٣) في جسم : صفة لنفس — في البيت السابق — أو حال منها ، والأروع هنا : الشهم الذكي الفؤاد وفي غير هذا الموضع الذي يروعك حسنه ؛ والخلائق : الأخلاق . يقول : إذا نظر إلى أخلاق الناس وما هي عليه من الحسة والدناءة : ضحك منها هزوا واستصغارا ، لأنه أسمى منهم نفسا وعقلا .

(٤) له : أي لكافور ؛ ولها أي للخيل ، والإدلاج : سير أول الليل ، والتأويب : سير عامة النهار . يقول : إني أحمدك وأحمد خيلي ورماحي وإدلاجي وتأويبي إذ بلغتني إليك — كما ذكر في البيت التالي .

وَكَيفَ أَكْفَرُ يَا كَافُرُ نِعْمَتَهَا وَقَدْ بَلَغَنكَ بِي يَا كَلَّ مَطْلُوبِي

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْغَائِي بِتَسْمِيَةٍ

في الشَّرْقِ وَالغَرْبِ عَن وَصْفٍ وَتَلْقِيْبٍ (١)

أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلِكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحْبُوبٍ (٢)

(١) الغاي: المستغنى. يقول: أنت مشهور الاسم إذا ذكر اسمك عرفت به، فلم يحتاج معه إلى وصف أو ذكر لقب، وهذا كما يروى، وأن رؤبة بن العجاج أنى البكرى النسابة فقال: من أنت؟ قال: أنا رؤبة بن العجاج، فقال: قصرت وعرفت، فقال رؤبة يفتخر بذلك:

وقد رفع العجاجُ باسمي فادعني باسمي إذا الأنساب طالت يكفني

(٢) الضمير - في قوله به - يرجع إلى الحبيب، ولو أمكنه أن يرده إلى الخطاب لكان أحسن، وهذا أبلغ. يقول: إني أحبك وأنت حبيب إلى، وإني أعود بك من أن لا تحبني، لأن من نكد الدنيا أن تحب من لا يحبك كما قال القائل:

وَمِنَ الشَّقَاوَةِ أَنْ تُحِبَّ وَلَا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّهُ

وقال يمدحه في شوال سنة سبع وأربعين وثلاثمائة<sup>(\*)</sup> :

أَغْلِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ<sup>(١)</sup>

أَمَّا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى بَغِيضًا تُنَائِي أَوْ حَبِيبًا تُقَرِّبُ<sup>(٢)</sup>

\* قالوا : إن كافوراً كان قد تقدم إلى الحجاب وأصحاب الأخبار ، فكانوا كل يوم يرجفون بأنه قد ولي أبا الطيب ناحية من الصعيد ، وينفذ إليه قوماً يعرفونه بذلك فلما كثر ذلك وعلم أن المتنبي لا يثق بكلام سمعه حمل إليه ستمائة دينار ذهباً ، فقال أبو الطيب هذه القصيدة يمدحه بها .

(١) يقول : إن بيني وبين الشوق مغالبة لأجلك ، والغلبة للشوق : إذ هو يغلب صبرى ، وإنى أعجب من هذا الهجر لتراخيه وطوله ، على أن الوصل لو وافقنا كان أعجب منه لأن من شيم الأيام التفريق . وقال الواحدى : الأغلب الغليظ الرقة الذى لا يطاق ولا يغالب ، فكأنه قال : إن الشوق صعب شديد ممتع .

(٢) تنأى تفاعل ، من التأى . وهو البعد ، يقال نأى وأنأيته على أفضل ؛ ولكنه نقله إلى فاعل ، كما يقال أبعدته وبعادته وروى الواحدى تنأى بالتشديد يقول : إن الدهر مولع بتقريب من أبغضه وإبعاد من أحبه ، أفلا يغلط مرة فيبعد البغيض ويدنى الحبيب ؟ وجعل ذلك غلطا من الدهر ، لأنه خلاف ما يأتى به الدهر ؛ وأصل هذا المعنى من قول مضرس :

لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْخَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَى دَلَالٍ وَأَجِيبٌ لِمُنْجَعٍ

وإِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَائِرِي فَقْدَانَهُ لِمُتَعٍ

ويقول الطرماح :

يُفَرِّقُ مِنَّا مَنْ نُحِبُّ اجْتِمَاعَهُ وَيَجْمَعُ مِنَّا الدَّهْرُ بَيْنَ الضَّغَائِنِ

ويقول الآخر :

عَجِبْتُ لِنَطْوِيحِ النَّوْاسِمِ مِنْ أَحِبِّهِ وَإِدْنَاءِ مَنْ لَا يُسْتَلَذُّ لَهُ قُرْبُ

وقال المحدث :

وَمَنْ أَهْوَاهُ يُبَغِضُنِي عِنَادًا وَمَنْ أَشْنَاهُ شِصٌّ فِي لَهَاتِي

وَلِلَّهِ سَيْرِي مَا أَقْلَّ تَدْيِيَّةً      عَشِيَّةً شَرْقِيَّ الْحُدَالِيَّ وَغُرْبَ (١)  
 عَشِيَّةً أَحْفَى النَّاسِ بِي مِنْ جَفَوْنَهُ      وَأَهْدَى الطَّرِيقَيْنِ الَّتِي أُتَجَنَّبُ (٢)  
 وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ      تُخْبِرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ (٣)  
 وَقَالَ رَدَى الْأَعْدَاءَ تَسْرِي إِلَيْهِمْ      وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ الْمُحَجَّبُ (٤)

(١) التثية التلبث والتحكك قال الشاعر :

قِفْ بِالذِّيَارِ وَقُوفَ زَائِرُ      وَتَأَى إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرُ

وتثية : منصوبة على التمييز ، وأراد ما أقله تثية ، مخذف لضيق القام والحدالي : موضع بالشام ، وغرب : جبل هناك معروف ، والحدالي : مبتدأ وشرقي : ظرف خبره ، وأصله شرقيي — ثلاث ياءات — مخذفت الثانية من ياء النسبة للتخفيف . يتعجب من سرعة سيره ويقول : ما كان أسرع سيري وأقل لبنة عشية كان هذان المكانان على جانبي الشرقي : يعني عند رحيله من حلب .

(٢) يريد بأحفي الناس به : سيف الدولة . وعشية : بدل من عشية في البيت السابق — وأحفي : أفعال تفضيل — من حفي به حفاوة : إذا بالغ في إكرامه وإطافه — يقول : إن سيف الدولة كان أحفي الناس بي جفوته وغادرته ، وكانت أهدى طريق هي التي أعود فيها إليه فعدلت عنها إلى مصر . قال ابن جني : كان يترك القصد ويتعسف خوفاً على نفسه .

(٣) المانوية : أصحاب ماني — القائل بالنور والظلمة ؛ وأن الخير كله من النور والشر كله من الظلمة — يخاطب نفسه يقول : كم للظلمة من نعمة عندك تبين أن المانوية الذين ينسبون الشر إليها كاذبون وليس الأمر على ما زعموا وقد بين تلك النعمة في البيت التالي .

(٤) الردى : الهلاك ؛ والسرى : السير ليلاً ، يقول : إن ظلام الليل وقاك غائلة الأعداء وأنت تسير فيما بينهم ليلاً فلا يبصرونك وزارك فيه المحبوب آمناً لم يخش الرقيب إذ حجه عن عيونه وقال ابن فورجه : الطيف قد يزور نهاراً ، فيكون كقول ابن المعتز :

لا تَلْقَ إِلَّا بِإِيلٍ مِنْ تَوَاصِلِهِ      فَالشمسُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَادِ

هذا وقد ذكر شر النور في البيت التالي

وَيَوْمَ كَلَيْلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ      أَرَأَبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَقَرَّبُ<sup>(١)</sup>  
 وَعَيْنِي إِلَى أُذُنِي أَعْرَى كَأَنَّهُ      مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكَبُ<sup>(٢)</sup>  
 لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ      تَجِيءُ عَلَى صَدْرٍ رَحِيبٍ وَتَذْهَبُ<sup>(٣)</sup>  
 شَقَّقْتُ بِهِ الظُّلَمَاءَ أُذُنِي عِنَانَهُ      فَيَطْفِئُ وَأُرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ<sup>(٤)</sup>  
 وَأُصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ      وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أُرْكَبُ<sup>(٥)</sup>

(١) يقول : ورب يوم طال على طول ليل العاشقين استترت فيه خوفا من الأعداء أراقب غروب الشمس لأخرج من السكين وآمن على نفسي . فالواو واو رب ؛ وكتته : أي كمنت فيه ، وأيان بمعنى متى

(٢) يقول : إنه كان في مسيره يراعى أذني فرسه يحفظ نفسه بهما ، وذلك أن الفرس إذا أحس شيئا من بعيد نصب أذنيه حياله فيعلم الفارس أنه أبصر شيئا . ثم وصف فرسه فقال : كأنه في سواده قطعة من الليل وكأن الغرة في وجهه كوكب من كواكب الليل قد بقي بين عينيه ، وهذا من قول أبي داود :

وَلَهَا جَبْهَةٌ تَلَأَلَتْ كَالشَّمْعِ رَى أَضَاءَتْ وَغَمَّ مِنْهَا النُّجُومُ

والغرة : البياض في جبهة الفرس وباق : حال من الليل ، وسكن الياء ضرورة ثم حذفها لالتقاء الساكنين ؛ وقوله كوكب : أي كوكب - من كواكبه - أي كواكب الليل .

(٣) الإهاب : الجلد ؛ والرحيب : الواسع . يقول : إن هذا الفرس رحيب الصدر رحيب الإهاب ، ومن ثم كان واسع الخطو سريع الجرى ؛ إذ لو كان ضيق الصدر كان خطوه قصيرا ، وكذلك إذا كان ضيق الجلد ضاق عن مد يديه ، ولهذا ترى الحمار يضيق إهابه عن مد يديه ، وإذن ففي إهاب هذا الفرس فضلة عن جسمه تجيء وتذهب على صدره الرحيب .

(٤) يقول : شققت ظلام الليل بهذا الفرس فإذا أدنيت لجامه إلى بجذبه وثب وطفئ مرحا ونشاطا ، وإذا أرخيت لجامه لعب برأسه . فالمراد بطفئان الفرس : شدة النشاط والروح ، والعنان : سير اللجام .

(٥) قففته : أتبعته ، ومثله حال من الضمير في عنه ، وحين أركب : حال من الضمير

وَمَا انْخِيلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةً  
وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يُجْرِبُ (١)  
إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيَاتِمِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبٌ (٢)  
لَمَّا اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخًا لِرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدٍ أَلْهَمَ فِيهَا مُعَذِّبٌ (٣)  
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أُنْعَتِبُ (٤)  
وَبِي مَا يَذُودُ الشُّعْرَ عَنِّي أَقْلَهُ وَلَكِنْ قَلْبِي يَا ابْنَتهَ القَوْمِ قَلْبٌ (٥)

في مثله . يقول : إذا طردت به وحشا لحقه فصرعته - قتلته - وإذا نزلت عنه بعد الصيد كان مثله حين أركبه فلم يدركه لغب ولم ينقص من جريه ونشاطه شيء ، مثل ما كان حين الركوب كما قال ابن : المعز

تخالُ آخِرَهُ فِي الشَّدِّ أَوْلَهُ وَفِيهِ عَدُوٌّ وَرَاءَ السَّبْقِ مَذْخُورٌ

(١) يقول : إن الخيل بمثابة الصديق قليلة لدى التجربة والامتحان كثيرة في عين من لم يجرب ، فبالجربة تعرف السكودن من السوابق ، كما أن الصديق يعرف بالتجربة ماعنده من صدق الود أو مذقه ، وحاصل المعنى أن الجياد من الخيل قليلة ، كما أن الصديق الذي يستحق الصداقة قليل .

(٢) الشيات : الألوان - جمع شية - يقول : إن زايا الخيل فيما وراء ألوانها من جريها وعدوها وطباعها ، فإذا لم ترمها إلا حسن ألوانها وأعضائها لم تر حسنها ومزاياها .

(٣) لحاه الله : دعاء عليه : أى قبحه ولعنه ، وأصله من لحوت العود إذا قشرته ، ومناخا : نصب على التمييز . يذم الدنيا ويدعو عليها . يقول : بئس المنزل الدنيا ، فإن من كان بعيد مرتقى الهمة كان أشد نصبا فيها .

(٤) يقول : ليتنى أعلم هل تخلو لى قصيدة من شكاية الدهر وعتابه بأن يبلغنى المراد وأنال منه ما أطلب فأترك الشكاية ؟

(٥) يذود : يدفع ويطرد ؛ وأقله : فاعل يذود ؛ وفلان قلب حول بصير عارف ذو حيلة قلب الأمور . روي أن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه قال في مرضه الذى مات فيه لا بنيه : إنكما لتبكيان حولاً قلباً إن سلم من هول المطلع . يقول التنبى : إن

وَأَخْلَاقُ كَافُورٍ إِذَا شِئْتُ مَدَحَهُ  
وَإِنْ لَمْ أَشَأْ تُمَلِّي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ<sup>(١)</sup>  
إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانَ أَهْلًا وَرَاءَهُ وَيَمَّمُ كَافُورًا فَمَا يَتَغَرَّبُ<sup>(٢)</sup>  
فَتَى يَمَلَا الْأَفْعَالَ رَأْيًا وَحِكْمَةً  
وَنَادِرَةً أَحْسَبُ أَنَّ يَرْضَى وَيَغْضَبُ<sup>(٣)</sup>

بي من هموم الدهر وما انصب على من حدثانه ونوبه ما أقله يمنع الشعر ويلهى خاطر  
عنه ولكن قلبي حسن التقلب للأمر؛ فلا يضيق بنوازل الدهر ولا تخمد معها خطرته،  
وقوله يا ابنه القوم فإن العرب من عادتهم أن يخاطبوا النساء فسمت سمتهن، وإنما قال يا ابنه  
القوم إشارة إلى كثرة أهلها، وقال ابن جنى: هو كناية عن قولهم يا ابنه الكرام.  
(١) يقول: إن خلأق كافور من الظهور والنباهة بحيث تنبئ عنه فما هو إلا أن  
تملى على فأكتب ولا أحتاج إلى جلب معنى أو جلب منقبة فأمدحه شئت أو أبيت إذ لم  
أت بشيء من عندي، وإنما هي أخلاقه تملى على. وقد أخذ صاحب بن عباد هذا  
المعنى فقال:

وما هذه إلا وليدة ليلة يغور لها شعر الوليد وينضب  
على أنها إملاء مجذك ليس لي سوى أنه يملى عليّ وأكتب  
(٢) يم قصد يقول: إذا اغترب الإنسان وفارق أهله وصمد إلى كافور آنسه بعباياه  
وتفقدته إياه حتى كأنه بين أهله لم يفارقهم؛ وفي هذا المعنى يقول الأول:

نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً عن الأوطان في زمن المحل  
فما زال بي إكرامهم وافتقادهم وإطافهم حتى حسبتهم أهلي  
ويقول أبو تمام:

هم رهط من أمسى بعيداً رهطه وبنو أبي رَجُلٍ بغير بني أب  
(٣) يقول: إن أفعاله مفعمة عقلا وحكمة ونوادير غريبة ترى ذلك له في حالي  
رضاه وغضبه لا يخلو منها في حال وكل من نظر إلى أفعاله استشف منها العقل والسداد  
وأصالة الرأي. والنادرة: الشيء النادر الغريب، ورواها ابن جنى بادرة: أي بديهة.

إِذَا ضَرَبْتَ فِي الْحَرْبِ بِالسَّيْفِ كَفَّهُ  
تَبَيَّنَتْ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ<sup>(١)</sup>  
تَزِيدُ عَطَايَاهُ عَلَى اللَّبْثِ كَثْرَةً وَتَلْبَثُ أَمْوَاهُ السَّحَابِ فَتَنْضَبُ<sup>(٢)</sup>  
أَبَا الْمِسْكِ هَلْ فِي الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَالُهُ  
فَإِنِّي أُغْنِي مِنْذُ حِينٍ وَتَشْرَبُ<sup>(٣)</sup>  
وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفِّي زَمَانِنَا وَنَفْسِي عَلَى مِقْدَارِ كَفِّكَ تَطْلُبُ<sup>(٤)</sup>

(١) يقول : إن سيفه يعمل بكفه لا بنفسه فاذا نظرت إلى مضاء سيفه وأثره في الوغى استبان لك أن سيفه إنما يستظهر بكفه على القطع ، لا أن كفه يستظهر بالسيف لأن القطع إنما يحصل بقوة الكف لا بجودة السيف الماضي في يد الضعيف لا يؤثر شيئاً — كما قال البحرى :

فَلَا تُغْلِبَنَّ بِالسَّيْفِ كُلَّ غَلَايِهِ

لِيَمْضَى فَإِنَّ الْكَفَّ - لَا السَّيْفَ - يَقْطَعُ<sup>(١)</sup>

(٢) يقول : إن جوده أفضل من جود السحاب لأن عطاياه إذا مكثت عندك لم تنضب لأنه يعطى الجزيل الذى لا ينفد ، أو لأنه يوالى هباته ويمدها بغيرها . أما ماء السحاب فهو إذا مكث في الأرض وأقام حيناً نضب وذهب في الأرض وجف مكانه ، وقوله على اللبث : أى مع اللبث : حال من عطاياه ؛ وللبث : المكث ؛ ونضب الماء : ذهب في الأرض .

(٣) يعرض المتنبي بتقاضى ما يؤمل . يقول : إني أغنى منذ حين : أى أطربك بمديحى ، وأنت تشرب على غنائى : أى تلتذ سماع مديحى ، ومع ذلك تحرمنى الشراب ، فهل في الكأس فضلة أشربها ؟ أى هلا أعطيتنى ما يتوقعه مثلى من مثلك ؟ يعرض بطلب ولاية — كما صرح بذلك بعد .

(٤) يقول : إنك إذ تعطينى تعطينى على ما يليق بالزمان ويتفق وكرمه ، وأنا إنما أطلب ما توجه عمتك ويقتضيه كرمك .

(١) قوله فلا تغلين بالسيف : يقال غالى بالشيء وأغلى به إذا اشتراه بشمن غال ؛ وغالى به وغلاه : سام فأبعط وجاوز الحد .

إذا لم تنطُ بي ضيعةً أو ولايةً فجدودك يكسوني وشغلك يسلب<sup>(١)</sup>  
 يضحك في ذا العيد كل حبيبه حذائي وأبكي من أحب وأندب<sup>(٢)</sup>  
 أحن إلى أهلي وأهوى لقاءهم وأين من المشتاق عنقابه مغرب<sup>(٣)</sup>  
 فإن لم يكن إلا أبو المنك أوهم  
 فإنك أحلى في فؤادي وأغـذب<sup>(٤)</sup>

(١) ناط به كذا: أسنده إليه؛ والضيعة: ما نسميه الآن «عزبة». يقول: إذا لم تقطعني ضيعة أو تفوض إلى ولاية فإن ما تكسوني إياه بجدودك — أي ما يحدثه جدودك من الآمال — تسلبني إياه باشتغالك عن تحقيق تلك الآمال.

(٢) يقول: أرى كل الناس في هذا العيد فرحين مبتهجين يضحكون من يحبون أمامي؛ أما أنا فعلى العكس منهم: أبكي من أحب وأنديه — كما يندب الميت — لأنه بعيد عني. يقصد المتنبي أن يعزى الأسود بإعطائه ما يطلب لقاء هذه الألقى التي يلاقها من جراء اغترابه.

(٣) العنقاء المغرب قيل: العقاب، وقيل: طائر ضخم ليس بالعقاب؛ وقيل: كلمة لأصل لها: كالغول، وقال ابن السكبي: كان لأهل الرس نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له دمنج، مصعده في السماء ميل فكان يتأبه طائراً كأعظم ما يكون، لها عنق طويل، وكانت تقع منقضة، فكانت تنقض على الطير فتأكلها فجاعت وانقضت على صبي فذهبت به، فسميت عنقاء مغرباً، لأنها تغرب بكل ما أخذته ثم انقضت على جارية «وليدة» ترعرعت، وضمها إلى جناحين لها صغيرين — سوى جناحيها الكبيرين — ثم طارت بها فشكوا ذلك إلى نبيهم. فدعا عليها. فسلط الله عليها آفة فهلكت. فضربت بها العرب مثلاً في أشعارها: يقولون ألوت به العنقاء المغرب، وطارت به العنقاء: يريدون هلاكه أو ذهوبه إلى حيث لا يرجع. قال:

ولولا سليمان الخليفة حلقت به من يد الحجاج عنقاء مغرب  
 ومغرب — من أغرب في البلاد: ذهب وأبعد. يذكر المتنبي تشوقه إلى أهله، وبعد ما بينه وبينهم. بحيث لا يرجو لقاءهم.

(٤) يقول: إنني أوتر لقاءك على لقاءهم حين لا يتيسر لقاءك معاً لأنك أحب إلى منهم.

وَكَلُّ أَمْرِي يُولِي الْجَمِيلَ مُحِبُّبٌ (١) وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ (١)  
يُرِيدُ بِكَ الْحَسَادُ مَا اللَّهُ دَافِعٌ (٢) وَسُمُرُ الْعَوَالِي وَالْحَدِيدُ الْمَذْرَبُ (٢)  
وَدُونَ الَّذِي يَبْتَغُونَ مَا لَوْ تَخَلَّصُوا  
إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ عِشْتَ وَالطُّفْلُ أَشْيَبُ (٣)  
إِذَا طَلَبُوا جَدْوَاكَ أَعْطُوا وَحُكْمُوا  
وَإِنْ طَلَبُوا الْفَضْلَ الَّذِي فِيكَ خَيْرٌ (٤)

(١) أولاه جميلا : صنعه إليه . يقول : إنما أحببتك وآثرتك على أهلي لما أسديت  
إلي من الجميل ، وطابت لي الإقامة بساحتك لما بقيت فيها من العز كما قال البحري :  
وأحب أوطان البلاد إلى الفتى أرضٌ ينالُ بها كريم المطلب  
ومعنى بيت المتنبي مبنى على ما ذكره في عجز البيت السابق .

(٢) والحديد المذرب : أي المحدد ، ومنه لسان ذرب : أي حاد - يريد السيوف -  
يقول إن الحساد يريدون بك سوء ، فلا ينالون ما يبتغون ، لأن الله يدفعه عنك ثم  
الرماح والسيوف .

(٣) يقول : ودون وصول الحساد إلى الذي يبتغون - من التيات الأمر عليك -  
أهوال أي أهوال من جراء بأسك وبطشك هي أمر عليهم من الموت ، ولو هم تخلصوا  
منها إلى الموت لبقيت أنت وشابت أطفالهم لشدة ما يقاسون . وقد روى الجماعة بدل إلى  
الموت : إلى الشيب . قل الواحدى : أي دون الذي يطلب الحساد - من زوال  
ملكك وفساد أمرك - الموت وهو قوله ما لو تخلصوا منه - أي الموت - أي أنهم  
يموتون قبل أن يروا فيك ما يطلبون ، ولو لم يموتوا عشت أنت وشاب طفلكم لشدة  
ما يرون وصعوبة ما يلحقهم وما يقاسون منك . وقال ابن جنى : دون ما يريدون من  
السوء الموت الذي لو تخلصوا منه إلى الشيب لشاب طفلكم ، ولكنهم لا يتخلصون  
من الموت إلى الشيب بل يقتلهم .

(٤) يقول : إذا طلبوا عطايك أعطيتهم وجعلت لهم الحكم فيما يطلبون فينالون كل  
ما يترجون ، أما إذا حاولوا أن يحصلوا على الفضل الذي آتاكه الله فإنهم لا يدركونه ،  
لأنه لا ينال بالاكْتساب ، وإنما ذلك شيء آتاك الله به . وعبارة ابن جنى : إن راموا  
فضلك منعتهم منه . قل ابن فورجه - معقباً على عبارة ابن الفتح : كيف يقدر الإنسان

وَلَوْ جَازَ أَنْ يَحْمُوا عُلَاكَ وَهَبْتَهَا      وَلَكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُوهَبُ (١)  
 وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً      لِمَنْ بَاتَ فِي نِعْمَانِهِ يَتَقَلَّبُ (٢)  
 وَأَنْتَ الَّذِي رَبَّيْتَ ذَا الْمَلِكِ مُرْضِعاً      وَلَيْسَ لَهُ أُمَّ سِوَاكَ وَلَا أَبُ (٣)  
 وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ الْعَرِينِ لِشِبْهِهِ      وَمَالِكَ إِلَّا الْهِنْدُوَانِيَّ مِخْلَبُ (٤)  
 لَقَيْتَ الْقَنَا عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ  
 إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَابِ مِنَ الْعَارِ تَهْرَبُ (٥)

أن يمنع آخر من أن يكون في مثل فضله؟ وإنما الله القادر على ذلك . وقد أتى به المتنبي على ما لم يسم فاعله فأحسن .

(١) يقول : لست تؤتى من بخل وشح ، فلو كانت العلى توهب لوهبتها ، ولكنها لا توهب . والأصل في هذا المعنى قول الأول :

وإن يَقْتَسِمَ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنِي      فلن يَقْسِمُوا خُلُقِي الْكَرِيمَ وَلَا فَضْلِي  
 والله قول أبي تمام :

فَانْفَحْ لَنَا مِنْ طِيبِ خَيْمِكَ نَفْحَةً      إن كانتِ الْأَخْلَاقُ مِمَّا يُوهَبُ (١)

(٢) يقول : إن هؤلاء الحاسدين يتقبلون في نعمائك ، فما كان ينبغي لهم أن يحسدوك ، لأن أشد الظالمين ظلماً من تقلب في نعمة إنسان ثم بات يحسده على تلك النعمة .

(٣) ذو الملك : هو علي بن الأخشيذ صاحب مصر الذي رباه كافور بعد أبيه . يقول : أنت الذي رببته وقتت عنه بحفظ ملكه وهو طفل مرضع ، فكنت له أباً وكنت له أمماً . قوله ربيت ذا الملك : أي صاحب هذا الملك : قالوا : ولو قال المتنبي وأنت الذي رببتي لكان أحسن ، ولكنه قال ربيت كما قال كثير :

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّبْتِ كُلَّ قَصِيرَةٍ      إِلَى مَا تَدْرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرِ

(٤) يقول : وكنت لذي الملك كالأسد لشبهه تذود عنه وتحميه بسيفك الذي هو لك بمنزلة المخلب للأسد يحمي أشباله به ؛ والعرين : الأجمة ، والشبل : ولد الأسد ، والهندواني : السيف الهندي ، والمخلب للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للإنسان .

(٥) يقول . ذدت عنه الرماح ولقيتها بنفسك دونه ، حمية له وحفاظاً وكرماً

(١) الحميم : الخلق وقيل سعة الخلق ، والحميم الأصل

وَقَدْ يَتْرِكُ النَّفْسَ الَّتِي لَا تَهَابُهُ وَيَخْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِي تَتَهَيَّبُ (١)  
وَمَا عَدِمَ اللَّافُوكَ بَأْسًا وَشِدَّةً وَلَسِيكَنَ مَنْ لَا قَوْأَ أَشَدُّ وَأُنْجَبُ (٢)  
مَنَاهُمْ وَبَرَقُ الْبَيْضِ فِي الْبَيْضِ صَادِقٌ  
عَلَيْهِمْ وَبَرَقُ الْبَيْضِ فِي الْبَيْضِ خُلْبٌ (٣)  
سَلَّتْ سُيُوفًا عَمَّتْ كُلَّ خَاطِبٍ  
عَلَى كُلِّ عُوْدٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ (٤)

لأنك من الشجاعة والإباء بحيث تهرب في الحرب من العار إلى الموت : أى تلقى بنفسك إلى التهلكة ، وتعتام « تختار » ذلك على الهزيمة . فالتقنا : الرماح . والهيجا : الحرب — تمد وتقتصر ،

(١) يقول : إن الموت قد يترك الشجاع المقدم الذى لا يهابه ولا يباله ، ويلقى نفسه إلى التهلكة ، وقد يدرك الجبان الهيابة الذى يهاب الموت ويخشاه . فالضمير فى يترك : للموت . ويخترم : أى يهلك .

(٢) يقول : وإن الذين يلاقونك فى الحرب لم يعدموا بأسا وشدة : أى هم شجعان أشداء ، بيد أنك أشد منهم وأنجب ، ومن ثم تبطش بهم . ومثل هذا لفر ابن الحارث :

سَقِينَاهُمْ كَأَسَا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا  
(٣) البيض - بالكسر - السيوف ، وبالفتح : جمع بيضة ، وهى الخوذة من حديد . والبرق الخلب : الكاذب الذى لا مطر فيه يقول : لقد هزمتمهم وصرقتهم عنك وسيوفك تفرع خوذةم ، فكان لكل من السيوف والخوذ برق فى الآخر ، غير أن برق السيوف فى الخوذ صادق لأنها تقطع الجحاجم فتسيل دماؤهم بعده ، أما برق الخوذ فى السيوف ، فهو خلب كاذب لأنها تبرق ولا تسيل الدم فليس لها أثر . وعبارة ابن جنى : يريد أن لمع السيوف صادق لأن السيف إذا ضرب به قطع وبلغ البيض ، وبرق البيض - الخوذ - لا يصدق على السيوف لأنه لا أثر للمع البيض فى السيوف ، فشبه بالبرق الخلب الذى لا مطر فيه ، والأول تأثيره كالبرق الصادق الذى فيه المطر :

(٤) العود هنا : المنبر . قال ابن جنى : يقول ، لما رأى الناس ما صنعت سيوفك بأعدائك أذعنوا لك بالطاعة فدعوا لك على منابرهم رغبة ورهبة . وقال بعض الشعراء :

وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ <sup>(١)</sup> إِلَيْكَ تَنَاهَى لِلْمَكْرُمَاتِ وَتُنْسَبُ  
وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَحِقُّكَ قَدْرُهُ <sup>(٢)</sup> مَعْدُ بْنُ عَدْنَانَ فِدَاكَ وَيَعْرَبُ  
وَمَا طَرَبِي لِمَا رَأَيْتُكَ بِدَعَا <sup>(٣)</sup> لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ  
وَتَعَذَّلْنِي فِيكَ الْقَوَائِي وَهَمَّتِي <sup>(٤)</sup> كَأَنِّي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبٌ

يريد أن سيوفك تعلم الخطباء الخطبة باسمك في الدعاء : يعنى أنك أخذت البلاد بسيفك ،  
فصار كل خطيب بلد يخطب باسمك : أى يدعو لك .

(١) تناهى - بحذف إحدى التاءين - أى تنهاهى . يقول : إنك فى غنى عن  
الأنساب التى يذكرها الناسابون لغيرك ، لان المكرمات تنهاهى إليك وتعزى - إذ  
كنت أصلا لها - إليك ؛ وحسبك هذا شرفا يغنيك محموده عن النسب . وليلحظ أن  
هذا شبه غمز فى كافور قد يكون مقصوداً للمتنبى الداهية ، وقد يكون غير مقصود ،  
ومن هنا قال التبريزى : ليس هذا مما يمدح به ، ولا سباً للولك ، لانه أشبه بنفى النسب  
عنه . على أن هذا المعنى ينظر إلى قول ابن طاهر :

خَلَاتِقُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ مَنَاسِبٍ تَنَاهَى إِلَيْهَا كُلُّ مُجْدٍ مُؤْتَلٍ

وقوله عما ينسب الناس ، فالناس : فاعل ينسب ؛ والتقدير عما ينسبه الناس : أى  
عن النسب الذى ينسبه الناس .

(٢) يقول : ليس هناك من يستحق أن تنسب إليه ، لانك فوق كل أحد . قال  
التبريزى : هذا سخرية منه وقد كان المتنبي يقول لو قلبت مدحى فيه كان هجاء .

(٣) فأطرب : عطف على أرجو . يقول : ليس طربى عند رؤيتك بدعا لأننى  
كنت أرجو أن أراك فأطرب على الرجاء . قال الواحدى : هذا البيت يشبه الاستهزاء به  
لأنه يقول : طربت على رؤيتك كما يطرب الإنسان على وؤبة القرد وكل ما يستملح  
ويضحك منه ! . قال ابن جني : لما قرأت على أبى الطيب هذا البيت قلت له ما زدت  
على أن جعلت الرجل أبازنة - وهى كنية القرد - فضحك !

(٤) يقول : إن شعرى وهمى يلومانى على أن لم أقصدك قبل غيرك ولم أقصر مدحى  
عليك ، فكاننى أذنبت بمدحى غيرك ، فكنت أهلا لأن ألام . وهذا المعنى من  
قول أبى تمام :

وهل كنتُ إلا مُذْنِباً يَوْمَ أَتَيْتَنِي سِوَاكَ بِأَمَالِي فَجِئْتِكَ تَائِباً

وقال الواحدى : المضراع الأول هجاء صريح لولا الثانى . قال الخطيب التبريزى :

وَلَكِنَّهُ طَالَ الطَّرِيقُ وَلَمْ أَزَلْ  
أَفْتَشُ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ وَيُنْهَبُ<sup>(١)</sup>  
فَشَرَّقَ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ<sup>(٢)</sup>  
وَعَرَبَ حَتَّى لَيْسَ لِلْغَرْبِ مَغْرِبٌ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا قَلْتَهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُصُولِهِ  
جِدَارٌ مُعَالِي أَوْ خِبَاءٌ مُطَنَّبٌ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

ليس في البيت هجاء ومعناه أن همته بذلته كيف قنع بغيره ؛ والقوافي لم صرفها في مدح غيره ؟ وشهد له بذلك بقية البيت . أقول : إن الخطيب لم يقل شيئا ؛ وبملا حظه الواحدى صحيح .

(١) يقول : ولكنه طال طريقى إليك ، فحيت كثيرا من البلدان حتى وصلت إليك وكنت في غضون ذلك أطلب بقول الشعر ومدح الناس ، فكان شعري لذلك كأنه ينهب نهبا . يعتذر للتنبي إلى كافور عن مدح غيره .

(٢) يقول : فشرق كلامي حتى بلغ أقصى الشرق حيث لا مشرق وراء ذلك ، وكذلك غرب حتى بلغ أقصى الغرب . وهذا من قول أبي تمام :

فَعَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ      وَشَرَّقْتُ حَتَّى قَدَّ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا

(٣) مطنب : أى مشدود الأطناب . يقول : إذا قلت شعرا لم يمتنع من وصوله إلى ما وراءه حائط قائم مرتفع ولا خيمة مشدودة بالأطناب . يريد أن شعره قد عم الأرض حتى شمل الحضرم سكان للدر ، والبدو سكان الوبر . وهذا كقوله :

قَوَافٍ إِذَا سِرْنَا مِنْ مِقْوَالِي      وَثَبِنَ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبَحَارَا

وقال يمدحه ، وأنشده إياها في شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وهي آخر ما أنشده ، ولم يلقه بعدها :

مُنَى كُنَّ لِي أَنْ الْبَيَاضَ خِضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابُ<sup>(١)</sup>

(١) لك أن تقول أن البياض خضاب مؤولة بمصدر مبتدأ مؤخر ، ومنى : خبر مقدم ، وكن لي : وصف لمني ؛ والمنى : جمع منية ؛ والقرون : ضفائر الشعر ، قال قيس : وهل مالت عليك قرون ليلي كميل الأحصانة في نداها

يقول : إن مشيبي هذا وكون البياض خضاباً لي يخفى به سواد شعري منى كانت لي قديماً : يعني أنه كان يتمنى الشيب من قديم ليخفي شبابه ببيضاض شعره لأنه أوفر وأجل في العين . وجمع المنى نظراً إلى أن ذلك قد تكرر منه مرة بعد أخرى ، فصارت كل مرة منية ، وسمى البياض بالشيب خضاباً لإخفاء السواد به ، كما أن السواد الذي يخفى البياض يسمى خضاباً .

(هذا) . ولا علينا في أن نورد هنا تحقيقاً نحوياً للعلامة العكبري لمناسبة إعراب

\* منى كن لي أن البياض خضاب \*

قال العكبري :

منى نكرة وهي مبتدأ ، وقد يفيد الابتداء بالنكرة إذا أخبرت عنها بجملة تتضمن اسماً معرفة ، كقولك امرأة خاطبتني ، وكذلك إن أخبرت بظرف مضاف إلى معرفة كقولك رجل خلفك ؛ وإنما منع الابتداء بالنكرة لأن النفس تتنبه بالمعرفة على طلب الفائدة ، وإذا كان الخبر عنه مجهولاً كان الخبر حقيقاً باطراح الإصغاء إلى خبره لأنه لا يعرف من أخبر عنه وشرط الكلام إذا كان المبتدأ نكرة أن يتضمن الخبر اسماً معرفاً أو أن يتقدم الخبر : كقولك لزيد مال ؛ لأن الغرض في كل خبر أن يتطرق إليه بالمعرفة ويصدر الكلام بها ، وهذا موجود ههنا لأنك وضعت زيدا مجروراً لتخبر عنه بأن له مالا قد استقر ، فقولك لزيد مال في تقدير زيد ذو مال ، فالمبتدأ الذي هو مال هو الخبر في الحقيقة ، ولزيد هو المبتدأ في المعنى ، وقوله كن لي مفيد ، لأن في ضمن الخبر ضمير المتكلم ، وهو أعرف العازف ؛ ولو قال منى كن لرجل لم يحصل بذلك فائدة لخلوه من اسم معروف وقوله إن البياض يحتمل الرفع والنصب ؛ فالرفع على إضمار ابتداء

كأنه قال إحداهن أن البياض لأنه قد أخبر أن ذلك أيام شيبته بقوله ليالى عند البيض  
وأما النصب فعلى إضمار تمنيت لدلالة منى عليه كما أضمر تتبع في قوله تعالى « قل بل ملة  
إبراهيم » وإذا قيل إن التمني مما لم يثبت كالرجاء والطمع فلا يقع على أن التقيية لأنها  
للتحقيق ، فهي أشبه باليقين ، وإنما يقع التمني وما شاكاه على أن الحقيفة لأنها تخلص  
الفعل للاستقبال ، فهي أشبه بالطمع والرجاء والتمني من حيث تعلقت هذه المعاني بما  
يتوقع ، ومنه قول لبيد :

تمنى ابتتاي أن يعيش أبوها وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر<sup>(١)</sup>

قيل لا يمتنع وقوع التمني على أن التقيية ، كما لم يمتنع وقوع وددت عليها ووددت  
وتمنيت بمعنى واحد . وفي التزويل : « وتودون أن غير ذات الشوكة » الآية ويجوز أن  
يكون منى : منصوبة نصب الظروف ؛ والجملة التي هي كمن وأن واسمها وخبرها نعت لها ،  
فتتعلق أن بما قبلها كأنه قال في منى كمن لى أى فى جملة منى ، كما قالوا : أحقا أنك ذاهب  
وأكبر ظنى أنك مقيم يريدون فى حق وفى أكبر ، وإذا أردت معنى الظرفية فى منى فلك  
فى أن مذهبان : فمذهب سيويه والآخر الكوفيين رفع أن بالظرف ، وكل اسم  
حدث يتقدمه ظرف يرتفع عند سيويه بالظرف ارتفاع الفاعل ، وقد مثل ذلك بقوله  
غدا الرحيل وأحقاً أنك ذاهب ، قال : حملوه على أفى حق أنك ذاهب ، وإذا كان  
هذا مذهب سيويه ومن معه فالنية تقارب الظن ، فيحسن أن تقول أكبر منى أنك  
ذاهب، فتصب أكبر بتقديرى ، وأنشد:

أحقاً بنى أبناء سلمى بن جندل تهذؤكم إنبأى وَسَطَ المجالس<sup>(٢)</sup>

(١) من أبيات للبيد قلها قرب وفاته وبعده

فقوما فقولا بالذى تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر  
وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضع ولا خان عهداً ولا غدر  
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

(٢) هذا البيت للأسود بن يعفر شاعر جاهلى ، وهو من أبيات راجعها وراجع  
منبها فى الأغاني وفى خزائن الأدب فى شواهد المبتدأ والخبر . وبني منادى مضاف لما

لِيَالِي عِنْدَ الْبَيْضِ فَوَدَايَ فِتْنَةٌ وَفَخْرٌ وَذَلِكَ الْفَخْرُ عِنْدِي عَابٌ<sup>(١)</sup>  
فَكَيْفَ أَذَمُّ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي  
وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أَجَابُ<sup>(٢)</sup>  
جَلَا اللَّوْنُ عَن لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَسَلِّكَ  
كَمَا أَنْجَابَ عَن ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابُ<sup>(٣)</sup>

والمذهب الآخر مذهب الخليل ، وذلك أنه يرفع أسماء الحدث بالابتداء ، ويخبر عنه بالظرف المتقدم حكاة عنه سيويه قال : وزعم الخليل أن التهديد هنا بمنزلة الرحيل في غد وأن أن بمنزلة وموضعها كموضعه .

(١) البيض : النساء ، والفودان جانباً الرأس ؛ والعاب : هو العيب . يقول : إن تمنى المشيب كان في الليالي التي كان شعر رأسه فيها لدى النساء فتنة لحسن شعره وسواده ، ولكن يفخرن بوصلي ؛ بيد أن ذلك الفخر عيب عندي ، لأنني ممن يعف عن النساء ويرغب عن صالحهن .

\* وَالشَّيْبُ أَوْ قَرُّ وَالشَّبِيبةُ أَنْزَقُ \*

وقوله ليالي : منصوب بفعل مضمر دل عليه مني كأنه قال تمنيت ذلك ليالي فوداي عند النساء فتنة وليالي مضاف إلى الجملة بعده ، وقد فصل بالظرف وهو قبيح (٢) يقول : فكيف أذم للشيب اليوم ، وقد كنت أتمناه وأشتهيه ؛ وكيف أدعو لنفسي وأطلب لها ما إذا أجبت إليه شكوته : يعني لا ينبغي أن أشكو الشيب انتهاء وقد دعوته ابتداء . وقد سميت في هذا سميت ابن الرومي في قوله :

هِيَ الْأَعْيُنُ النَّجْلُ الَّتِي كُنْتُ تَشْتَكِي مَوَاقِعَهَا فِي الْقَلْبِ وَالرَّأْسِ أَسْوَدُ  
فَمَا لَكَ تَأْسَى الْآنَ لِمَا رَأَيْتَهَا وَقَدْ جَعَلْتَ مَرْمِيَّ سِوَاكَ تَعَمُّدُ  
(٣) جلا : زال وانكشف — من قولهم جلا القوم عن منازلهم : إذا ارتحلوا .

وانجاب : انكشف ، والضباب : ما يصعد من الأرض إلى السماء ، مثل الدخان : الواحد ضبابة ؛ ويقال أضب يومنا : أي صعد فيه الضباب يقول : إن بياض الشيب كان بعده ، وتجدي في الحزاة تحقيقاً وإفياً لهذا الموضوع الذي تعرض له الإمام العكبري فراجع إن شئت

وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ  
وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْوَجْهِ مِنْهُ حِرَابٌ<sup>(١)</sup>  
لَهَا ظْفُرٌ إِنْ كَلَّ ظْفُرٌ أُعِدَّهُ  
وَنَابٌ إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي النِّمْرِ نَابٌ<sup>(٢)</sup>  
يُغَيِّرُ مِنِّي الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا  
وَأَبْلُغُ أَقْصَى الْعُمُرِ وَهِيَ كَعَابٌ<sup>(٣)</sup>  
وَإِنِّي لَنَجْمٌ تَهْتَدِي بِي صُحْبَتِي  
إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابٌ<sup>(٤)</sup>  
غَنِيٌّ عَنِ الْأَوْطَانِ لَا يَسْتَفْزِنِي  
إِلَى بَلَدٍ سَافَرْتُ عَنْهُ إِيَابٌ<sup>(٥)</sup>

كأنه كامن في السواد ، فلما زال السواد عنه بدا وانكشف ، فاهتدى صاحبه إلى كل طريق من الرشد والحير : كالتنهار إذا جلا عنه الضباب اهتدى السالك في ضوءه .  
(١) لما ذكر أنه كان يتمنى الشيب — والشيب فيه الضعف والعجز — ذكر أن همه لا تشيب ولا ينال منها الضعف بشيب جسمه ، ولو أن الشعرات البيض في وجهه كانت حرايا . والهاء في قوله منه : للجسم .  
(٢) يقول : إن كل ظفري ولم يبق في فمي ناب من الكبر ، فهتمى لا يكل ظفرها ولا يذهب نابها ، قال العكبري : قوله أعده في موضع جزم ، جواب الشرط ، واختار سيبويه في المضاعف الرفع في موضع الجزم  
(٣) غيرها استثناء ، والسكعاب : الجارية يبدو ثديها للنهود . يقول : إن نفسي شابة أبدا لا يغيرها الدهر ، وإن تغير جسمي .  
(٤) يقول : إذا خفيت النجوم بالسحاب فلم يهتد للطريق اهتدى بي أصحابي وكنت لهم كالنجم الذي يهتدى به ، يريد أنه خربت خبير بالفلوات . والصحبة : اسم جمع بمعنى الأصحاب ، وروى تهتدى صحبتي به .  
(٥) يستفزني : يستخفني ويحركني . يقول : إني غير مولع بالأوطان وجميع البلاد عندي سواء ، فإذا غادرت وطني لم يستخفني حب الرجوع إليه .

وَعَنْ ذَمْلَانَ الْعَيْسِ إِنْ سَاحَتْ بِهِ وَإِلَّا فَنِي أَكْوَارِهِنَّ عُقَابٌ<sup>(١)</sup>  
 وَأُضْدَى فَلَا أَبْدَى إِلَى الْمَاءِ حَاجَةٌ وَاللِّشْمَسِ فَوْقَ الْيَعْمَلَاتِ لُعَابٌ<sup>(٢)</sup>  
 وَلِلسَّرِّ مَنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابٌ<sup>(٣)</sup>  
 وَلِلخَوْدِ مَنِّي سَاعَةٌ ثُمَّ بَيْنَنَا  
 فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ اللَّقَاءِ تَجَابٌ<sup>(٤)</sup>

(١) الذملان : ضرب من السير ؛ والعيس : الإبل . وقوله : إن ساحت به ، كلام مستأنف وجواب الشرط محذوف للعلم به تقديره : سرت عليها ؛ والأكوار : جمع كور ، وهو الرحل . والعقاب : الطائر المعروف . يقول : وأنا غني كذلك عن سير الإبل ، فإن سمحت به سرت عليها ، وإلا فإنني كالعقاب : أجوب الفيافي دون أن أحتاج إلى ما يحملني

(٢) اليعمالات : النياق النجبية المعتملة المطبوعة على العمل ؛ ولعاب الشمس : ما يراه المسافر من أشعة الظهيرة كأنه خيوط تتدلى فوق رأسه . يقول : وأعطش في الفيافي الحارة التي يشتد فيها حر الشمس ويسيل لعابها فوق الإبل ، فلا أبدى حاجتي إلى الماء تصبرا وتجلداً وحزماً، وهذا من قول أبي تمام :

جَدِيرٌ أَنْ يَكُرَّ الطَّرْفُ شَرُّرًا إِلَى بَعْضِ الْمَوَارِدِ وَهُوَ صَادِي

(٣) النديم : الذي ينادمك ويخالسك على الشراب . يقول : إنه كتوم للأسرار يضع السر حيث لا يطلع عليه النديم ولا يصل إليه الشراب مع تغلغله في البدن كما قال مسكين الدارمي :

يَظْلُونَ شَتَى فِي الْبِلَادِ وَسَرْمٍ إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَنَ الرِّجَالَ انْصِدَاعَهَا

وقد نظر النبي في هذا البيت إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

تَغْلَغَلُ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فَوَادِي وَبَادِيِهِ مَعَ انْخَافِي يَسِيرُ

تَغْلَغَلُ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنَ وَلَمْ يَبْلُغْ سُورُ

(٤) الخود من النساء : الشابة الناعمة . وتجاب : تقطع . يقول : إنما أصحب للمرأة قدرا يسيراً ثم أسافر عنها ، فيكون بيني وبينها فلاة أقطعها إلى غير لقاءها . أو تقول : ثم أبتعد عنها ، وأمعن في الابتعاد .

وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبُ نَفْسَهُ فَيَصَابُ<sup>(١)</sup>  
 وَغَيْرُ فُوَادِي لِلْغَوَائِي رَمِيَّةٌ وَغَيْرُ بِنَائِي لِلزُّجَاجِ رِكَابٌ<sup>(٢)</sup>  
 تَرَ كُنَّا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلِّ شَهْوَةٍ  
 فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بَيْنَ لِعَابٍ<sup>(٣)</sup>  
 نَصْرَفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَادِرِ قَدِ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِعَابٌ<sup>(٤)</sup>

(١) الغرة : الغرور . يقول : إن عشق النساء غرور بهن وطمع في وصلهن إذا وقعا في قلب العاشق عرض نفسه للعشق فيصاب به . ويروى فئصاب — بضمير النفس — فيكون المعنى : إن دواعي العشق تقع أولا في القلب ، ثم تنقاد النفس لهوى القلب ، لأنه يستهويها ويغلبها على رشدها .

(٢) الغواني : الحسان ؛ والرمية الطريدة التي ترمى . يقول : إن قلبي لا تصيبه النساء بسهام الحافظين إذلا أصبو إليهن ، وإنما أنا عزهاة عزوف النفس عنهن ، وكذلك لا أحب الخمر ومعاقرتها فبنائي ليست مطايا للزجاج : أي لا أحمل كأس الخمر بيدي . ويروى للرخاخ — جمع رخ — فيكون المعنى : ولست بمن يلعب الشطرنج . قال ابن فورجه : يرد على هذه الرواية : البنان ركاب القدح وأما الرخ فالبنان راكبة له في حال حملها ، وأيضا فإنه كلمة أعجمية لم تستعملها العرب القدماء ولا الفصحاء ، والتزّه عن شرب الخمر أليق بالتزّه عن الغزل من اللعب بالشطرنج .

(٣) اللعاب : الملاعبة ومنه حديث جابر : مالك وللعذارى ولعابها ؟ والتلعاب بالفتح اللعب ، صيغة تدل على تكثير المصدر . ويقال رجل تلعباة — بكسر التاء — وتلعاب وتلعباة : كثير اللعب . يقول : تركنا شهواتنا للرماح : أي لالذة لنا إلا فيها ، يريد أنه فطم نفسه عن الملاهي ، وقصرها على الجدل في طعان الأعداء .

(٤) نصرفه : أي القنا ؛ والحوادر : الخيل الغلاظ السمان . ويروى حوادر — بالحاء المعجمة — أي كأنها أصابها الحدر لما لحقها من التعب والجراحات ورويت حوادر — بالحاء المهملة والذال المعجمة — يعني خيلا تحذر الطعن لأنها معودة ومن ثم تميل عنه . والكعاب : العقد بين أنابيب الرمح . يقول — على رواية حوادر — : نصرف الرماح ونقلها من حال إلى حال فوق خيل غلاظ سمان قد ألفت الطعن وانكسرت فيها كعاب من القنا ؛ وهذا من قول الجاهلي :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرِيحٌ

وَخَيْرٌ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ (١)

وَبَحْرٌ أَبُو الْمَسْكِ الْخَضَمُ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُبابٌ (٢)

تَجَاوَزَ قَدْرَ الْمَدْحِ حَتَّى كَأَنَّهُ بِأَحْسَنِ مَا يُثْنَى عَلَيْهِ يُعَابٌ (٣)

وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمَّسَهَا الْقَنَا لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاةِ بِنَانِيَا

هذا ورواية حواذر هي رواية ابن جنى ، وقد تفدها بعض الشراح بقوله : كيف يصفها بالحذر وقد وصفها بانكسار الرماح فيها ؟ وقد دافع بعضهم عن هذه الرواية بقوله : يجوز على رواية ابن جنى هذه أن يكون حواذر أى تميل عن الطعن وتحذره بكثرة ما قد طوعن عليها ، فقد عرفت كيف تحيد عن الطعن . وقوله انقصت فهن من الطعن كعاب ، يجوز أن يكون في أول ما طوعن عليها وهي في غرة من الطعن فلما كثر الطعان عليها وألفتها صارت تحذره وتبطله بميلها عنه . ويجوز أن يكون المراد تحذر الطعن وتحيد عنه . ومن كثرة الفرسان الذين يقاتلونها يصيبها من الطعن قليل وتسلم لحذرها من طعن كثير .

(١) الدنى : جمع دنيا ، والسايح : الفرس السريع الجرى يقول : إن سرج الفرس هو أعز مكان لأنه يمتطي لطلب المعالي أو محاربة الأعداء لدفع شرهم ، أو للهرب من الضيم واحتمال التل ، وأن الكتاب هو خير جليس لأنه مأمون الجانب فلا أذى ولا شر ولا يحتاج في مجالسته إلى مؤنة فضلا أنه يفاد من آدابه وكل ما يحتويه والله قول القائل :

مَا تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكُتْبِي جَلِيسًا

(٢) بحر : خبر مقدم ، وأبو المسك : مبتدأ مؤخر . والخضم : صفة له ، والخضم : الكثير الماء ، وزخر البحر : طمى وامتد ، والعباب كثرة الموج وارتفاعه . يقول : وأبو المسك الخضم بحر يربو على كل بحر جوداً وعطاء ، وهذا كقول الشاعر :

دَعَانِي إِلَى عُمَرٍ جُودُهُ وَقَوْلِ الْعَشِيرَةِ بَحْرُ خَضَمٍ

وروى : وبحر أبى المسك ، على أن بحر : مبتدأ مضاف إلى أبى المسك والخضم خبره : أى أن بحر المسك هو البحر الخضم . وروى ابن جنى وبحر - بالجر - عطفاً على جليس : أى وخير بحر أبو المسك .

(٣) يقول : هو فوق كل مدح يثنى عليه به ، فإذا بالغت في حسن الثناء عليه استحق

وَوَغَالِبَهُ الْأَعْدَاءُ ثُمَّ عَنَوْا لَهُ كَمَا غَالَبَتْ بَيْضَ الشُّيُوفِ رِقَابٌ<sup>(١)</sup>  
وَأَكْثَرُ مَا تَلَقَى أَبَا الْمَسْكِ بِذَلَّةٍ إِذَا لَمْ تَصْنُ إِلَّا الْحَدِيدَ ثِيَابٌ<sup>(٢)</sup>

قدره فوق ذلك ، فيصير ذلك الثناء الحسن كأنه عيب لقصوره عن استحقاقه ، وهذا كقول البحترى :

جل عن مذهب المديح فقد كما د يكون المديح فيه هجاء  
وقال ابن جنى : هذا من المدح الذى كاد أن ينقلب لإفراطه - هجوا ، وهذا ضد قول  
أبى نواس :

وكلهم أثنوا ولم يعلموا عليك عندى بالذى عابوا

(١) عنوا : خضعوا وذلوا : قال تعالى : وعنت الوجوه للحي القيوم « من العنوة »  
وهى القهر . يقول : وحاول الأعداء غلبه ثم عجزوا عن غلبته فخضعوا له وانقادوا  
كالرقاب إذا غلبت السيوف آضت مغلوبة

(٢) بذلة : تمييز ؛ اسم من الابتدال ؛ وهو أن يترك المرء صيانة نفسه يقول :  
وأكثر ما تلقاه مبتذلاً نفسه لم يحصنها بالدرع حين لا يصون الأبدان شئ . من الثياب إلا  
الحديد : أى إبان اشتداد الوغى وتكاثر الجيش عليه يعنى أنه لشجاعته وإقدامه لا يتوقى  
الحرب بالدرع والحديد . فالحديد مستثنى مقدم من الثياب . وهذا كما قال الأعشى :

وإذا تكون كتيبة مملومة شهباء يخشى الذائدون نهالها

كنت المقدم غير لايس جنه بالسيف تضرب معلماً أبطالها<sup>(١)</sup>

هذا ، وقد ذهب ابن جنى إلى غير ما أوردناه قال : إذا لبست الأبطال الثياب فوق  
الحديد خشية واستظهاراً ، فذلك الوقت أشد ما يكون تبذلاً للطعن فجعل الثياب كما ترى  
تصون الحديد . قال العروضى يرد عليه : أظن أبا الفتح يقول قبل أن يتدبر ؛ وإنما لتنبئ  
جعل الصون للحديد لا للثياب . يريد إذا لم يصن الثياب إلا الحديد يعنى الدروع ، وإنما  
يريد التنبئ لانه المستثنى . وأنشد بيت السكيت .

ومالى إلا آل أحمد شيعه ومالى إلا مذهب الحق مذهب

(١) كتيبة مملومة مجتمعة : وشهباء لما فيها من بياض السلاح والحديد ، ونهالها  
عطاشها ، والجنة ما ورازك من السلاح ، وأبطالها مفعول تضرب ، ومعلماً : حال .  
ورجل معلم إذا علم مكانه فى الحرب بعلامة أعلمها . وسيأتى شرح البيتين .

وَأَوْسَعُ مَا تَلْقَاهُ صَدْرًا وَخَلْفَهُ      رَمَاءَ وَطَعْنٍ وَالْأَمَامَ ضِرَابٌ<sup>(١)</sup>  
 وَأَنْفَذُ مَا تَلْقَاهُ حُكْمًا إِذَا قَضَى      قَضَاءَ مُلُوكِ الْأَرْضِ مِنْهُ غِضَابٌ<sup>(٢)</sup>  
 يَقُودُ إِلَيْهِ طَاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ      وَلَوْ لَمْ يَكُنْ يَأْكُلُ نَائِلٌ وَعِقَابٌ<sup>(٣)</sup>  
 أَيَا أَسَدًا فِي جِسْمِهِ رُوحٌ ضَيِّعٌ      وَكَمْ أَسَدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلَابٌ<sup>(٤)</sup>

ومعنى البيت : أكثر ما يلقي هذا الممدوح في الحرب باذلاً نفسه لم يحصنها بدرع كما تفعل الأبطال ، وذلك لشجاعته وإقدامه ، ومن ثم لا يتوقى الحرب بالدرع . . . وهذا الذى قاله العروضى هو الذى قلناه .

(١) يقول : وأوسع ما يكون صدرا إذا حمى الوطيس وأحاط به العدو من كل جانب وكان خلفه الرماء والطعن وأمامه الضراب . فقوله وأوسع : مبتدأ ؛ وقوله وخلفه رماء : جملة حالية قامت مقام خبر أوسع ، والرماء : الرمي ، والضراب : الضرب ؛ ولكنهما تدلان على المفاعلة ، والأمام : منصوب على الظرفية ؛ وقال ابن جنى : المعنى : أوسع ما يكون صدراً إذا تقدم في أول الكتيبة يضرب بالسيف وأصحابه من ورائه بين طاعن ورام . فجعل ابن جنى الرماء من أصحاب الممدوح ، وليس في هذا مدح ، لأن كل أحد إذا كان خلفه من يرمى ويطعن من أصحابه فصدره واسع وقلبه مطمئن ، وإنما أراد - كما قلنا - خلفه رماء وأمامه طعن من أعدائه . يعنى : إذا كان في مأزق متضيق في الحرب ، وقد أحاط به العدو من كل جانب لم يضق صدره وإنما تراه أوسع ما يكون صدراً .

(٢) يقول : إذا أراد أمرا لا يرضى به سائر الملوك فذلك الأمر أنفذ أحكامه لأنهم لا يقدرون على خلافه وقد استفادوا له : أى أعطوه مقادتهم . فهما أبرم أمراً نفذ وإن غاضبهم فيه .

(٣) النائل : العطاء . يقول : لو لم يطعه الناس رغبة في عطائه ولا رهبة لعقابه لأطاعوه محبة وإجلالاً لما اختصه الله به من الفضل

(٤) يقول : أنت أسد قوة وبطشا ، وهمتك همه الأسود - والأسد موصوف بعلو الهمة ، فهو لا يأكل من فريسة غيره كما قال الشاعر :

وكانوا كأنفِ الليثِ لاشمَّ مرغماً      ولا نالَ قط الصيدِ حتى يُعفراً<sup>(١)</sup>

(١) أى أنه لا يطعم إلا بما صاده بنفسه .

وقد قال أبو تمام :  
إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريمة في المسلوب لا السلب

ثم قال المتنبي - وأراد ما عداه من الملوك - : وكم من أسد دقء النفس ساقط المهمة؟  
أى كم من ملك يشبه الأسد في قوة بطشه ولكن زوجه روح كلب ؟ هذا وللعلامة  
العسكري هنا كلمة في المنادى أوردتها لمناسبة إعرابه «أيا أسدا» رأينا أن نوردتها لتفاسيتها  
ولأننا أخذنا على أنفسنا أن لا تغفل شيئا مما أوردته جميع الشراح . قال العسكري : أيا  
أسداً : هو نداء منكر ينتصب بفعل مضمر ، ولو رفع ونون لكان أجود؛ لأنه خصصه؛  
والتكرات إذا خصصت كان حكمها في النداء كحكم المفرد العلم : قال الله تعالى « يا جبال  
أوبي معه » فلما خصصها بالنداء كان حكمها حكم العلم المفرد؛ والطير من رفعه جعله عطفاً  
على الجبال ، ومن نصبه - وهو المشهور - فله ثلاثة أوجه : الأول : أن يكون عطفاً على  
موضع الجبال لأنها في موضع نصب؛ الثاني : أن تكون الواو بمعنى مع ؛ الثالث : أن يكون  
مفعولاً عطفاً على ما قبله وهو قوله تعالى « ولقد آتينا داود منا فضلاً » ؛ واختلف  
الصريون وأصحابنا الكوفيون في المنادى ؛ فقال الصريون : هو مبنى على الضم  
وموضعه نصب ، لأنه مفعول . وقال أصحابنا : بل هو معرب مرفوع بغير تنوين ،  
وحجبتنا أنا وجدناه لا يصحبه ناصب ولا رافع ولا خافض ووجدناه مفعولاً في المعنى ولم  
تحفضه لثلاثه يشبهه بالضاف إلى ياء المتكلم ؛ ولم نصبه لثلاثه يشبهه ما لا ينصرف فرفعناه  
بغير تنوين ليكون بينه وبين ما هو مرفوع برفع صحيح فرق . وأما المضاف فنصناه  
لأننا وجدنا أكثر الكلام منصوباً فحملناه على وجه من النصب لأنه أكثر استعمالاً من  
غيره . وحجة الصريين على أنه ليس بمعرب بل هو مبنى - وإن كان يجب في الأصل  
أن يكون معرباً - أنه أشبه كاف الخطاب ، وهي مبنية فكذلك ما أشبهها من هذه  
الأوجه ، فوجب أن يكون مبنياً ؛ ووجه آخر : وهو أنه وقع موقع اسم الخطاب ، لأن  
الأصل في قولك : يا زيد ، يا إياك ، ويا أنت . لأن المنادى لما كان مخاطباً كان ينبغي أن  
يستغنى عن ذكر اسمه ويؤتى بانتم الخطاب ، فيقال يا إياك ؛ ويا أنت ، فلما وقع الاسم  
المنادى موقع الخطاب : وجب أن يكون مبنياً ؛ كما أن اسم الخطاب مبنى . قالوا وبنينا  
على الضم لوجهين ، أحدهما : أنه لا يخلو إما أن يبنى على الفتح أو على الكسر أو الضم ،  
بطل أن يبنى على الفتح لأنه كان يلتبس بما لا ينصرف ، وبطل أن يبنى على الكسر

وَيَا آخِذًا مِنْ دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ وَمِثْلُكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيُهَابُ (١)  
لَنَا عِنْدَ هَذَا الدَّهْرِ حَقٌّ يُلْطَهُ وَقَدْ قَلَّ إِعْتَابُ وَطَالَ عِتَابُ (٢)  
وَقَدْ تَحَدَّثُ الْأَيَّامُ عِنْدَكَ شَيْمَةً وَتَنْعَمِرُ الْأَوْقَاتُ وَهِيَ يَبَابُ (٣)

لأنه كان يلتبس بالضاف إلى النفس ، وإذا بطل أن يبنى على الفتح والكسر وجب أن يبنى على الضم ؛ والوجه الآخر: أنه يبنى على الضم فرقاً بينه وبين المضاف إليه لأنه إن كان مضافاً إلى النفس كان مكسوراً ، وإن كان مضافاً إلى غيرها كان منصوباً ، فبنى على الضم لئلا يلتبس بالضاف ، وقلنا إنه مفعول لأنه في موضع نصب لأن تقدير يزيد أدعو زيداً ، وأنادي زيداً ، فلما قامت «يا» مقام أدعو : عملت عمله ، فقلت على أنها قامت مقامه من وجبين : أحدهما أنها تدخلها الإمالة نحو يازيده والإمالة لا تدخل الحروف ، وإنما تدخل الاسم والفعل . والثاني أن لام الجر تعلق بها نحو يازيد وبالعمرو ، فإن هذه اللام لام الاستغاثة وهي حرف جر ، فلولا تكن قد قامت مقام الفعل : لما جاز أن يتعلق بها حرف الجر ، لأن الحرف لا يتعلق بالحرف .

(١) يقول : إن الدهر يخشاك ويهايك ولا يجري ، على أن ينقصك حقه ، ومن ثم تأخذ منه كل حقوقك . يعنى : لا تجحفك الأيام شيئاً لمنعتك .

(٢) يلطه : يحجده ويمطل به ومنه قول يحيى بن يعمر في رواية : أنشأت تلتطها : أى تمنعها حقها من المهر ، ويروى تطلها وأصله لطلطت حقه إذا جودته وربما قالوا تلتطيت حقه لأنهم كرهوا اجتماع ثلاث طآت فأبدلوا من الأخيرة ياء كما قالوا من اللعاع تلتعت (١) . ويقال أطله على أى أعانه أو حمّله على أن يلط حقى . يقال : مالك تعينه على لطلطه . وأعبه : أزال عتبه أى أرضاه . يقول : لنا عند الدهر حق يحجده ويمسائل في قضائه ، وقد طال عتابنا له ، فلم يزل عتبنا : أى لم يرضنا بقضاء الحق .

(٣) الشيمة : العادة والخلق ، وتنعمر : مطاوع عمرت المكان : إذا صيرته عامراً أهلاً ، واليباب : الخالي ليس به أحد . يقول : إن الأيام قد تغيرت شيمتها لديك ، إذ أنها ترضى العاتب وتسالم أهل الفضل ، فلا يلحقهم منها سوء لئروهم في كنفك وجوارك وهذا خلاف عاداتها من اضطهاد ذوى الفضل ، والأوقات تصير عامرة لهم : بأن يدركوا

(١) اللعاع : هو الهندباء ؛ بقل معروف يؤكل ، وتلتى اللعاع : أكله

وَلَا مُلْكَ إِلَّا أَنْتَ وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ كَأَنَّكَ سَيْفٌ فِيهِ وَهُوَ قِرَابٌ<sup>(١)</sup>  
أَرَى لِي بِقُرْبِي مِنْكَ عَيْنًا قَرِيرَةً وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالْبِعَادِ يُشَابُ<sup>(٢)</sup>  
وَهَلْ نَأْفِي أَنْ تَرْفَعَ الْحُجْبُ بَيْنَنَا  
وَدُونَ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْكَ حِجَابٌ<sup>(٣)</sup>  
أَقَلُّ سَلَابِي حُبًّا مَا خَفَّ عَنْكُمْ وَأَسْكُتُ كَيْمَا لَا يَكُونُ جَوَابٌ<sup>(٤)</sup>  
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سَكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابٌ<sup>(٥)</sup>

مطلوبهم مع أنها عند غيرك خراب لا تسعف : يعنى إن أظفرتنى الأيام بمطلوبى لديك  
فلا عجب فإنها تحدث شيعة غير شيمتها مهابة لك وإجلالا

(١) القراب : قراب السيف وهو غمده . يقول : إنما الملك فى الحقيقة والواقع  
هو أنت ، لا ذلك السؤدد الذى أنت فيه والذى نلته بعلو همتك وسداد رأيك ، فهو  
بالقياس إليك نافلة وفضلة ، وكأنه قراب وأنت فيه السيف . واللزية كلها للسيف  
لا للقراب . ويروى بدل قوله كأنك سيف : كأنك نصل .

(٢) و (٣) قرت عينه : بردت ، وهو كناية عن السرور ، وضمير كان : يعود إلى  
القرب ، ويشاب : يمزج ويخلط ، يقول : إن عيني قريرة بقربك وأنا مبتهج بذلك لأنى  
بلقت ما كنت أود من لقائك وإن كان هذا القرب مشوباً بالبعاد ، لأنى لم أنل منك  
ما كنت أرجوه من الصنعة إلى ، وهل ينفعنى أن لا حجاب بيننا وما أرجيه منك محجوب  
عنى ؟ وهذا كلام بديع يعزو المتنبي به — وبما بعده — الإشارة إلى ما يتوقعه من كافور  
من الحصول على ولاية من الولايات .

(٤) حب : مفعول له ، كأنه قال : لحب ما خف عنكم . يقول : لإشارى التخفيف  
عنكم أقلل التسليم عليكم وأسكت عن الكلام كى لا أحوجكم إلى الإجابة : هذا ولك  
أن تنصب يكون : على إعمال كى ، وتكون ما : زائدة ، وأن ترفعها على أنها لاتعمل ،  
وتكون ما : مصدرية .

(٥) يقول : إن فى نفسى حاجات لا ينبعث بها لسانى وأنت من الفطانة بحيث  
تدر كها دون أن أذكرها ، فسكوتى عنها يقوم مقام الإفصاح عنها . وهذا كما يقول أمية  
ابن أبى الصلت : أقول والله ما كنت أرى من عبيدك من لم يفتنه (١)

وَمَا أَنَا بِالْبَاقِي عَلَى الْحَبِّ رِشْوَةً      ضَعِيفٌ هَوَى يُبَغَى عَلَيْهِ ثَوَابٌ<sup>(١)</sup>  
وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أُدَلَّ عَوَازِلِي      عَلَى أَنْ رَأَيْتُ فِي هَوَاكَ صَوَابٌ<sup>(٢)</sup>

أَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي      حِبَاؤُكَ إِنْ شِئِمَّتْكَ الْحِبَاءُ<sup>(١)</sup>  
إِذَا أَتَيْتُ عَلَيْكَ لِلرَّهْ يَوْمًا      كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ  
ويقول أبو تمام :

وَإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الرَّهْ      تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِي  
ويقول أبو بكر الخوارزمي :

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً      فَلِقَاؤُهُ بِكَفَيْكَ وَالنَّسِيمِ  
فَإِذَا رَأَاكَ مُسَلِّمًا عَرَفَ الَّذِي      حَمَلْتَهُ وَكَأَنَّهُ مَلْزُومِ

(١) يريد أن يستدرك على نفسه . يقول : أنا لا أطلب ما طلبته منك رشوة على حبي إياك ، لأن الحب الذي يطلب عليه ثواب ضعيف . قوله ضعيف : خبر مقدم ، وهوى : مبتدأ مؤخر ، ثم ذكر السبب في البيت التالي . هذا : والرشوة ؛ بضم الراء ، وفتحها ، وكسرهما ، والجمع رشى ، ورشى . قال سيويه من العرب من يقول : رشوة ورشى ، ومنهم من يقول : رشوة ورشى ، والأصل : رشى ، وأكثر العرب يقول : رشى . ورشاه يرشوه رشواً : أعطاه الرشوة ، وارتشى منه رشوة : إذا أخذها . قال اللبرد : الرشوة مأخوذة من رشا الفرخ إذا مد رأسه إلى أمه لترقه . وقال ابن الأثير عند ذكره الحديث : لعن الله الراشي والمرتشي والرائش : الرشوة ، والرشوة الوصلة إلى الحاجة بالصانعة ، وأصله من الرشاء الذي يتوصل به إلى الماء ؛ فالراشي من يعطى الذي يعينه على الباطل ، والمرتشي : الآخذ ، والرائش : الذي يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستقص لهذا .

(٢) يقول : وإنما أردت بطلب ما طلبت أن أعرف اللأني يلتمنى على قصدي إليك أنى كنت مصيباً في هوائك ، وأنتك تفضل على وتبلغنى ما أرجيه منك .

(١) الحباء : ما يحبو به الرجل صاحبه وبكرمه به ، أو هو العطاء بلا من ولاجزاء ويروي حياؤك إن شيمتكَ الحياء .

وَأَعْلَمَ قَوْمًا خَالَفُونِي فَشَرَقُوا      وَغَرَّبْتُ أُنَى قَدْ ظَفَرْتُ وَخَابُوا<sup>(١)</sup>  
جَزَى الْخُلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنْكَ وَاحِدٌ      وَأَنْكَ لَيْثٌ وَالْمَلُوكُ ذِنَابٌ<sup>(٢)</sup>  
وَأَنْكَ إِنْ قُوَيْسَتْ صَحَفَ قَارِيءٌ      ذِنَابًا وَلَمْ يَخْطِيءْ فَقَالَ ذِنَابٌ<sup>(٣)</sup>  
وَإِنَّ مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ      وَمَذْحَكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابٌ<sup>(٤)</sup>

(١) يقول: وأردت أن أعلم الدين خالفوني وصمدوا إلى غيرك من الملوك أنى قد ظفرت بقصدي إليك، وأنهم أخفقوا بعدولهم عنك إلى سواك. وهذا كقول البحترى:

وأشهد أنى في اختياريك دونهم      مؤدّى إلى حظى ومُتبع رُشدى  
والتشريق والتغريب في البيت تمثيل أراد به تحقيق المخالفة، ولعله أراد به الحقيقة.  
(٢) يقول: إن الخلاف جار في كل شيء إلا في أنك واحد مناز عن الأشكال؛ وفي أنك أسد، والملوك بالقياس إليك ذناب، وهذا ينظر إلى قول أبي تمام:  
لو أن إجماعنا في فضل سُودده      في الدين لم يختلف في الأمة اثنا  
ويقول البحترى:

وأرى الناس مجمعين على فضلك      من بين سيّد ومسود  
فالخلف بمعنى الاختلاف وأنك واحد بدل اشتغال من الكاف في قوله فيك.  
(٣) يقول: إذا صحف القارىء لدى هذه المقايسة لفظ الذناب — المذكورة في البيت السابق — فقال وإنك لَيْثٌ والملوك ذناب: لم يخطيء ولم يعد الصواب في هذا التصحيف، لأن من عدالك من الملوك كذلك.  
(٤) الكذاب: الكذب، يقال كذب يكذب كذباً وكذباً وكذاباً وكذاباً.  
قال الشاعر:

فصدقتها وكذبتها      والمرء ينفعه كذابه  
وأنشدوا:

نادت حليلة بالوذاغ وأدّت      أهل الصفاء وودعت بكذاب  
ورجل كاذب وكذاب وتكذاب وكذوب وكذوبة وكذبة مثال همزة وكذبان

إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوَدَّ فَلِمَسَالُ هَيْنٌ      وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ  
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلَّا مُهَاجِرًا      لَهُ كُلُّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وَصِحَابٌ<sup>(١)</sup>  
وَلِكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَى حَبِيبَةٍ      فَمَا عَنَّكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابٌ<sup>(٢)</sup>

وكيذبان وكيذبان ومكذبان ومكذبانة وكذبان وكذب وكذب . قال الشاعر :

فَإِذَا سَمِعْتَ بَأَنِّي قَدْ بَعَثَكُمْ      بُوَصَالِ غَانِيَةٍ قَلَّ كُذُّبُذُبٌ<sup>(١)</sup>

والكذب : جمع كاذب ، مثل راع وركع . قال أبو داود الرؤاسي :

مَتَى يَقُولُ تَنْفَعُ الْأَقْوَامَ قَوْلُهُ      إِذَا اضْمَحَلَّ حَدِيثَ الْكُذْبِ الْوَلَعَةُ  
أَلَيْسَ أَقْرَبَهُمْ خَيْرًا وَأَبْعَدَهُمْ      شَرًّا وَأَسْمَحَهُمْ كَفًّا لِمَنْ مَنَعَهُ  
لَا يُحْسَدُ النَّاسَ فَضَلَ اللَّهُ عِنْدَهُمْ      إِذَا تَشَوَّهَ نَفْسُ الْخُسْدِ الْجَشِعَهُ

« الولعة جمع والع وهو الكاذب » يقول : إن الناس يمدحون بالحق وبالباطل لأن بعضه يكون كذبا : أما أنت فمدحك الحق الصراح لا كذب فيه وهذا كقول أبي تمام :

لَمَّا كَرُمْتَ نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقِ حَقِّ      فَلَمْ آتَمْ وَلَمْ أَتَّحَوِّبْ<sup>(١)</sup>

وَلَوْ أَمْتَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَى يَضِيقُ

عَنِّي لَهُ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَسْكَدُ

(١) يقول : لولاك لكان كل بلد بلدي وكل أهل أهلي : أي لولاك لم أقم بمصر وكنت لا أزال مهاجرا في الأرض أتقل من بلد إلى بلد ومن ناس إلى ناس ، لأن جميع البلاد وجميع الناس لدى سواء .

(٢) يقول : ولكنك جميع الدنيا الحبيبة إلى والقي انصبت عليها آمالي ، فإن

(١) الرواية قد بعته - يعني جملة - وقبله :

قَدْ طَالَ إِضَاعِي الْخُدْمِ لَا أَرَى      فِي النَّاسِ مِثْلِي فِي مَعْدِ يُخْطَبُ

حَتَّى تَأْوِبْتَ الْبُيُوتَ عَشِيَةَ      فَحَطَطْتَ عَنْهُ كُورَهُ يَتَنَابُ

فَإِذَا سَمِعْتَ بَأَنِّي قَدْ بَعَثَ الْخُ .

(٢) فلان يتحوب من كذا : أي يترك الحوب ، وهو الإثم ، كيتائم : أي :

يترك الإثم .

ومرّ في صباه برجلين قد قتلوا جرذاً وأبرزاه يُعجبان الناس من كبره فقال :

✓ لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرْدُ الْمُسْتَعْبِرُ      أُسِيرَ لِلْمَنَايَا صَرِيحَ الْعَطْبِ<sup>(١)</sup>  
 ✓ رَمَاهُ الْكِنَانِيُّ وَالْعَامِرِيُّ      وَتَلَاهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ الْعَرَبِ<sup>(٢)</sup>  
 ✓ كَلَّا الرَّجُلَيْنِ أُنَلَّا قَتْلَهُ      فَأَيْكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلْبِ<sup>(٣)</sup>  
 ✓ وَأَيْكُمَا كَانَ مِنْ خَلْفِهِ      فَإِنَّ بِهِ عِضَّةً فِي الذَّنْبِ

حاولت الذهاب عنك كان ذلك ذهاباً إليك ، وكذلك الدنيا : من أراد السفر عنها سافر إليها ، إذ ليس من سبيل إلى الخروج عنها . قوله حبيبة حال من الدنيا وإلى متعلق بحبيبة . وقوله فما عنك : أى فمالى ذهاب عنك إلا إليك . وأورد العكبرى حبيبة — بالرفع — وقال إنها مبتدأ ، وإلى : خبر ، وقال ابن جنى : التقدير هى إلى حبيبة . يريد أن حبيبة خبر مبتدأ محذوف . وقال : إن المعنى يريد أنك السلطان ، والسلطان هو الدنيا ، يعنى أنت جميع الدنيا ، فإن ذهبت عنك عدت إليك ، فإن الحى لا بد له من الدنيا . وهذا قريب مما قلناه .

(١) الجرذ : ضرب من الفأر ، والمستعير : الذى يطلب الفارة على ما فى البيوت وغيرها .

(٢) تلاه صرعا ، يقال تله يتله تلا فهو متلول ، وتليل : صرعه ، قال تعالى : « فلما أسلما وتله للجبين » أى صرعه كما تقول كبه لوجهه . يقول : رماه هذان الرجلان اللذان أحدهما من بنى كنانة والآخر من بنى عامر ، وصرعاه لوجهه ، كما تفعل العرب بالقتيل .

(٣) اتلا : تولى وباشر ، وغل : خان من الغلول : الحيانة فى المغنم ، والسلب ، ما يسلب من ثياب القتيل وسلاحه وما إليهما ، وحره جیده . يقول : لقد اشتركتما فى قتله فأيكما انقرد بجيد سلبه وخانه فى ذلك ، وهذا كله من باب التهم والسخرية ولناسبة كلا وكلتا تقول : ذهب الكوفيون إلى أن كلا وكلتا فهما تثنية لفظية ومعنوية فأصل « كلا » كل ، خففت اللام وزيدت الألف للتثنية ؛ وزيدت التاء فى كلتا للتأنيث ، والألف فهما كالألف فى قولك الزيدان ، وحذفت نون التثنية منهما للزومهما الإضافة وذهب البصريون إلى أن فهما إفراداً لفظياً وتثنية معنوية والألف فهما كألف رحا

وعصا . وحجة الكوفيين النقل والقياس ؛ فالنقل قول الشاعر :

فِي كَلَّتْ رَجُلِيهَا سُلَامِي زَائِدَةٌ      كَلَّتَاهَا قَدْ قُرْنَتْ بِوَاحِدَةٍ<sup>(١)</sup>  
فإفراده كلت يدل على أن كلتا ثنية ؛ والقياس أنها تنقلب إلى الياء جرأ ونصبا إذا  
أضيفت إلى الضمر ، نحو : رأيت الرجلين كليهما والمرأتين كلتيهما ، ومررت بكليهما ،  
فلو كانت الألف في آخرهما كألف عصا ورحا لم تنقلب كما لم تنقلب ألفاهما نحو رأيت  
عصاهما ومررت برحاهما . فلما انقلبت الألف فيهما انقلاب ألف الزيدان دل على أن  
ثنيتهما لفظية ومعنوية ، وحجة البصريين: أن الضمير يعود إليهما تارة مفرداً حملا على  
اللفظ ، وتارة مثنى حملا على المعنى ؛ فرد الضمير مفرداً كقوله تعالى « كلتا الجنتين  
آتت أكلها » وكقول جرير :

كَلَّا يَوْمِي أَمَامَةَ يَوْمِ صَدَّةٍ      وَإِنْ لَمْ نَأْتِهَا إِلَّا لِمَامَا  
فقال يوم بالإفراد ، وأما رد الضمير مثنى حملا على المعنى فكقول الفرزدق :

كَلَاهَا حِينَ جَدَّ الْجَرِيُّ بَيْنَهُمَا      قَدْ أَقْلَعَا وَكَلَا أَنْفِيهِمَا رَابِي<sup>(٢)</sup>

(١) قيل : إن هذا البيت من رجز يصف به نعامة ، فضمير رجلها يرجع إلى  
النعامة ، والسلامي : عظم في فرسن البعير وعظامه صغار طول أصبع أو أقل في اليد  
والرجل ، والجمع سلاميات ، والفرسن للبعير بمنزلة الحافر للفرس ، والضمير في كلتاها :  
للرجلين ، والمصراع الثاني : تأكيد للأول ، وقوله قرنت بواحدة: أي من السلاميات .  
(٢) من أبيات للفرزدق في جرير ؛ وكان جرير روج بنته أم غيلان من عصيدة  
ابن أخي امرأته وكان منقوض العضد فخلعها منه أي طلقها فقال الفرزدق :

مَا كَانَ ذَنْبُ التِّي أَقْبَلْتَ تَعْتَلِيهَا      حَتَّى اقْتَحَمْتَ بِهَا أُسْكَفَةَ الْبَابِ  
كَلَاهَا . . . . .

يا ابن المراغة جهلا حين تجعلها      دون القلوص ودون البكر والناب  
تعتلها : تجذبها جذبا عنيفا ، والضمير لأم غيلان بنت جرير وفي رواية : ما بال  
لومكها أي لومك إياها ، والأسكفة ، عتبة البساب : أي حتى أدخلتها عتبة بابك ،  
وكلاهما أي كل من ابنة جرير وزوجها ؛ وجد الجري : أي اشتد ، وأقلا : أي أقلا

وقال يهجو ضبة بن يزيد العتي (\*):

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضَبَّةً وَأُمَّهُ الطَّرْطَبَةَ<sup>(١)</sup>

فقال: قد أقلعا حملا على المعنى - وقال رابى حملا على اللفظ - وقالوا: الدليل على أن فيهما إفراداً لفظياً أنك تضيفهما إلى التثنية. فتقول: جاءني كلا أخويك، ورأيت كليهما؛ وكذلك حكم كلنا في الضمر والمظهر، فلو كانت التثنية منهما لفظية لما جاز إضافتهما إلى التثنية لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه ويدل على أن الألف لا تكون فيهما للتثنية أنها تمال في قراءة حمزة والكسائي. وإذا أردت التوسع في هذا الباب فارجع إلى كتب النحاة وإلى لسان العرب \* كان ضبة هذا فيمن كان مع الحارثي الذي نجم في بني كلاب وهو المشار إليه في القصيدة التي مدح بها دلبر بن لشكروز بالكوفة - وسبب هذه الأبيات القبيحة أن قوماً من أهل العراق قتلوا أبا ضبة هذا وسبوا امرأته - أم ضبة - وفسقوا بها، وكان ضبة غداراً بكل من نزل به، واجتاز به أبو الطيب في جماعة من أشرف الكوفة، فامتنع منهم، وأقبل يجاهر بشتمهم، فأرادوا أن يجيبوه بمثل ألفاظه القبيحة، وسألوا ذلك أبا الطيب فتكلفه لهم على كراهة وقال هذه القصيدة وهو على ظهر فرسه. قال الواحدى: كان المتنبي إذا قرئت عليه هذه القصيدة ينكر إنشادها - أقول: ولولا أن يقال إننا تصرفنا في الديوان وأن هذا الديوان أدركه الحداج - إذا حذفنا منه بعض شعر المتنبي فيسيء الناس بنا الظن - لما أثبتنا هذه الأبيات التي ينبو بها السمع.

(١) يقول: ما أنصف القوم هذا الرجل إذ فعلوا بأبيه وأمه ما فعلوا، والطرطبة: القصيرة الضخمة، وقيل المسترخية الثديين أو الطويلة الثديين قال الشاعر:

لَيْسَتْ بِقَتَاتَةٍ سَبَهَلَّةٍ وَلَا بِطَرْطَبَةٍ لَهَا هَلْبٌ<sup>(١)</sup>

عن الجري؛ ورابى من الربو وهو النفس العالى المتتابع، وهذا تمثيل يقول: إن بنت جرير وزوجها قد افترقا حين حصلت الألفة بينهما ولم يمضيا على حالهما كفرنسين جدا في الجري ووفقا قبل الوصول إلى الغاية:

(١) القتاة النجوم من القت وهو النخمة والكذب الميأ، ويقال للفارغ النشيط الفرح سهيلاً، وروى عن عمر أنه قال، إنى لأكره أن أرى أحداً سهيلاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة. وكل فارغ سهيلاً، والهاب ما غلظ من الشعر.

رَمَوْا بِرَأْسِ أَبِيهِ وَبَاكُوا أَلَامَ غُلْبَةٍ<sup>(١)</sup>  
فَلَا يَمُنُّ مَاتَ فَخْرٌ وَلَا يَمُنُّ نِيكَ رَغْبَةٍ<sup>(٢)</sup>  
وَإِنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْتُ رَحْمَةً لَا تَحْسَبُهُ<sup>(٣)</sup>  
وَحِيلَةَ لَكَ حَتَّى عُدِرْتَ لَوْ كُنْتَ تَبِيهَ<sup>(٤)</sup>  
وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْلِ إِنَّمَا هِيَ ضَرْبَةٌ<sup>(٥)</sup>  
وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْقَدْرِ إِنَّمَا هُوَ سُبَّةٌ<sup>(٦)</sup>  
وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْعَا رِ إِنَّ أُمَّكَ فَحْبَةٌ<sup>(٧)</sup>  
وَمَا يَشُقُّ عَلَى الْكَلْبِ أَنْ يَكُونَ ابْنُ كَلْبَةٍ  
مَا ضَرَّهَا مِنْ أَنَاهَا وَإِنَّمَا ضَرَّ صُلْبَهُ

(١) يقال بالك الحمار الأتان : نزا عليها ، والغلبة : المغالبة جعلهم كالحمير في غشيانها بفحش .

(٢) يقول : فلا نخر له بأبيه ولا يرغب بأمه أيضاً عما فعل بها .

(٣) يقول : وإنما قلت ما أنصفوك رحمة بك لما أصابك من الذل والعار لا محبة لك وغيره عليك . يريد شدة ما وصل إليه حتى صار بالرحمة أحق منه بالثماتة ، وليلحظ أن ضبة هذا من الغباء بحيث لم ير المتنبي بدا من أن يسلك معه هذا المسلك ، فقد صرح باسمه . . . وأيضاً كان يكفي أن يقول ما أنصف الناس ضبة وأمه الطرطبة ، ولا يقول بعد ذلك : وإنما قلت رحمة لا محبة .

(٤) تبيه بكسر التاء - مضارع ، وبه : بمعنى أبه وبألى واكثره ، وتروى لو كنت تبه . أى تفطن . يقول : وقلت ذلك حيلة لك حتى يعذرك الناس فيما ألم بك إذا سمعوا قولى هذا وعرفوا أنك مظلوم .

(٥) و(٦) و(٧) مافي الأبيات الثلاثة استفهام إنكارى ، وهى فى البيتين الأولين : ضمير الشأن ، والنسبة : العار يسب به ، والقحبة : البغى ، والفاسدة الفاجرة . وهذا من أبى الطيب استهزاء واستهجان لضبة . يقول : لا يعلق بك من قتل أهلك عار ، إنما ذلك ضربة وقعت بأبيك فمات منها ، وانغدرسة تسب به ، فما عليك منه ؟ ولا عار عليك من فجور أمك .

وَلَمْ يَنْكَبْهَا وَلَكِنْ عَجَانُهَا نَاكَ زُبَّةً<sup>(١)</sup>  
يَلُومُ ضَبَّةً قَوْمٌ وَلَا يَلُومُونَ قَلْبَهُ  
وَقَلْبُهُ يَنْتَشِسُ وَيُلْزِمُ الْجِسْمَ ذَنْبَهُ  
لَوْ أَبْصَرَ الْجَذْعَ شَيْئًا أَحَبَّ فِي الْجَذْعِ صَلْبَهُ<sup>(٢)</sup>  
يَا أَطْيَبَ النَّاسِ نَفْسًا وَالْبَيْنَ النَّاسِ رُكْبَهُ<sup>(٣)</sup>  
وَأَخْبَثَ النَّاسِ أَصْلًا فِي أَخْبَثِ الْأَرْضِ تَرْبَهُ  
وَأَرْخَصَ النَّاسِ أُمَّا تَبِيْعُ الْفَأْ بِحَبَّةِ  
كُلِّ الْفُعُولِ سِهَامٌ لِمُرِيْمٍ وَهِيَ جَعْبَةٌ<sup>(٤)</sup>  
وَمَا عَلَى مَنْ بِهِ الدَّاءُ مِنْ لِقَاءِ الْأَطِيْبَةِ<sup>(٥)</sup>  
وَلَيْسَ بَيْنَ هَلُوكٍ وَحُرَّةٍ غَيْرُ خِطْبَةٍ<sup>(٦)</sup>  
يَا قَاتِلًا كُلَّ ضَيْفٍ غَنَاهُ ضَيْحٌ وَعَلْبَةٌ<sup>(٧)</sup>

(١) العجان : ما بين القبل والدبر . يقول : إنها عجوز كبيرة مهزولة تصيب بعجانها متاع من أتاها فصكه .

(٢) هذا كناية عن الأير . يقول : لجه ذلك يحب أن يكون مصلوباً في ذلك الجذع .

(٣) يقول : إنه سمح القياد يلين لمن راوده وقد أملت ركبته لكثرة البروك عليها .

(٤) يريد بالفعول : الذين يفعلون بها ، فجعلها تجمعهم وتضمهم كما تضم الجعبة السهام .

(٥) يقول : إن الذين يأتونه كالأطباء له ، ومن كان به داء فعالجه بدوائه لم يعب به .

يهون عليه ما يسبه به من الأمر القبيح استجهالاً له .

(٦) الهلوك : البغي الفاجرة . يقول : إن الفاجرة كالحجرة المخطوبة إلى أهلها لا فرق بينهما إلا الاستحلال بالخطبة .

(٧) غناه : هو غناؤه ، فقصره : أي يكفيه ضيحه وعلبة ، والضيح : اللبن المزوج بالماء ، والعلبة : قدح من جلد يشرب فيه اللبن . يقول : إنه لشحه ولؤمه إذا نزل به

ضيح قتله ليتخلص من قراه ؛ ولو كان هذا الضيف صعلوكاً : يكتفي بقليل من الضيح

في علبة . ويجوز أن يكون المعنى أنه لما طبع عليه من الغدر يقتل كل من ألم به ، ولو

كان صعلوكاً لامال معه يطعم فيه

كان صعلوكاً لامال معه يطعم فيه

كان صعلوكاً لامال معه يطعم فيه

وَخَوْفُ كُلِّ رَفِيقٍ أَبَاتَكَ اللَّيْلُ جَنْبَهُ (١)  
 كَذَا خُلِقَتْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يُفَالِبُ رَبَّهُ (٢)  
 وَمَنْ يُبَالِي بِذَمِّ إِذَا تَعَوَّدَ كَسْبَهُ  
 أَمَا تَرَى الْخَيْلَ فِي الذَّخْلِ سُرْبَةً بَعْدَ سُرْبَةٍ (٣)  
 عَلَى نِسَائِكَ تَجَلُّوْ فَعَوْلَهَا مُنْذُ سَنَبِهِ (٤)  
 وَهَنَّ حَوْلَكَ يَنْظُرُونَ وَالْأَحْيِرَاحُ رَطْبَهُ (٥)  
 وَكَلُّ غُرْمُولٍ بَعْلٍ يَرَيْنَ يَحْسُدَنَّ قُنْبَهُ (٦)  
 فَسَلْ فُوَادَكَ يَا ضَبُّ أَيْنَ خَلَفَ عُجْبَهُ (٧)  
 وَإِنْ يَحْنُكَ لَعَمْرِي لَطَأَلْنَا خَانَ صَحْبَهُ (٨)  
 وَكَيْفَ تَرَعَبُ فِيهِ وَقَدْ تَبَيَّنَتْ رَعْبَهُ (٩)

- (١) وخوف : عطف على قاتلا - في البيت السابق - أي ويا خوف كل رفيق الخ .  
 يقول : هو من الغدر بحيث إذا بايته رفيق في السفر لا يأمن أن يغدر به إذا نام .  
 (٢) يقول : إن الله خلقه مجبولا على الغدر والسفال ، ومن ثم لا يزال على ما جبله  
 الله عليه لا يستطيع الناس تهذيبه ، لأن الله جل شأنه لا يغالب  
 (٣) و (٤) السربة : الجماعة من الخيل ، فعولها : كناية عن غرمولها . والسنبه :  
 الحين والقطعة من الزمان .  
 (٥) الأحيراح : تصغير أحراج - جمع حر ، وأصله حرج - الفرج  
 (٦) القنب : وعاء القضيبي من ذوات الحافر .  
 (٧) ضب : ترخيم ضبة . يقول : أسأل فؤادك يا ضبة أين ترك ما كان فيه من  
 العجب والكبر ؟ يعني حين اختبأ وامتنع منهم بالحصن وهو يسمع الشتم فلا يخرج إليهم .  
 (٨) و (٩) يقول : إن خانك فؤادك - أي خذلك في هذا الموقف فلم يطاوعك  
 على الإقدام علينا خوفا ورعباً - فلست أول من خانه قلبه ، لأنه تعود خيانة  
 أصحابه .

مَا كُنْتَ إِلَّا ذُبَابًا فَتَتَّكَ عَنَّا مِذْبَةً<sup>(١)</sup>  
وَكَنْتَ تَفْخَرُ بِهَا فَصِرْتَ تَضْرِبُ رَهْبَةً  
وَإِنْ بَعْدُنَا قَلِيلاً حَمَلْتَ رُمْحًا وَحَرَبَةً<sup>(٢)</sup>  
وَقُلْتَ لَيْتَ بِكَفَى عِنَانَ جَرْدَاءَ شَطْبَةٍ<sup>(٣)</sup>  
إِنْ أَوْحَشْتِكَ الْمَعَالِي فَإِنَّهَا دَارُ غُرْبَةٍ<sup>(٤)</sup>  
أَوْ آتَسْتِكَ الْمَخَازِي فَإِنَّهَا لَكَ نِسْبَةٍ<sup>(٥)</sup>  
وَإِنْ عَرَفْتَ مُرَادِي تَكشَّفَتْ عَنْكَ كُرْبَةٍ<sup>(٦)</sup>  
وَإِنْ جَهِلْتَ مُرَادِي فَإِنَّهُ بِكَ أَشْبَهُ<sup>(٧)</sup>

- (١) يقول : إنك حين اختبأت وتحصنت منا جئنا ما كنت إلا ذباباً طردناه بمذبتنا فهرب ، وروى «عنه» بدل عنا ، والضمير في عنه وفي فيه : يرجع إلى العجب : يعني كيف تريد العجب وقد علمت شؤمه وكنيت كالدباب يقتل بالمذبة . وذهب ابن جنى إلى أن الضمير يعود إلى القلب فقال : يريد بقيت بلا قلب .
- (٢) يقول : وإذا بعدنا عنك فأمنت . عاودك العجب فحملت السلاح ، وهذا مثل قوله :
- وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزاً الآفة
- (٣) العنان : سير اللجام ، والجرداء من الحيل : القصيرة الشعر ، والشطبة : الطويلة .
- (٤) و (٥) يقول : إذا استوحشت من المعالي فلا بدع في ذلك ، لأنك غريب عنها ، أما المخازي فإنك تستأنس بها لما بينك وبينها من النسب والقرابة .
- (٦) يقول : إن مرادى أن أنه إلى ما فيك من الغدر والشح ، فإن عرفت مرادى هذا : سررت بما قلت ، لأنه لا يقصدك إنسان بسؤال أو قرى بعد ما أشعت من خلاك وقال ابن جنى يقول : أنت مع ما أوضحته من محالك غير عازف به لجهلك فإذا عرفت أنه هجاء زالت عنك كربة لمعرفتك إياه . . . وهذا كلام من لم يعرف معنى البيت كما قال الواحدى .
- (٧) فإن الجهل بك أشبه لأنك لست ممن يفهم .

وقال يعزى أبا شجاع عضد الدولة بعمته وقد توفيت ببغداد :

أَخِرُ مَا لِلْمَلِكُ مُعَزَّى بِهِ      هَذَا الَّذِي أَثَرَ فِي قَلْبِهِ (١)  
 لَا جَزَعًا بَلْ أَنْفًا شَابَهُ      أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَضَبِهِ (٢)  
 لَوْ دَرَّتِ الدُّنْيَا بِمَا عِنْدَهُ      لَأَسْتَحْيَتِ الْأَيَّامُ مِنْ عَتْبِهِ (٣)  
 لَعَلَّهَا تَحْسَبُ أَنَّ الَّذِي      لَيْسَ لَدَيْهِ لَيْسَ مِنْ حِزْبِهِ (٤)  
 وَأَنَّ مَنْ بَفِئْدَادُ دَارٍ لَهُ      لَيْسَ مُقِيمًا فِي ذَرَى عَضْبِهِ (٥)  
 وَأَنَّ جَدَّ الرَّءِ أَوْطَانَهُ      مَنْ لَيْسَ مِنْهَا لَيْسَ مِنْ صُلْبِهِ (٦)

(١) هذا خبر معناه الدعاء . يقول : جعل الله هذا الحادث آخر ما يعزى به الملك فلا يصاب بشيء بعده . والملك تخفيف الملك . وهذا ، مبتدأ مؤخر وآخر : خبر مقدم .  
 (٢) جزعا : مفعول له ، عامله أثر ، والأنف الحية والاستنكاف ، وشابه خالطه .  
 يقول : لم يؤثر هذا الحادث في قلبه لأنه جزع له فإنه شجاع لا عهد له بالجزع ، ولكنه أخذته الحية والأنف حين رأى الدهر قد استطاع أن يتطرق حماه ويستبيح حرمة ويعتصبه من يعز عليه

(٣) يقول : لو كانت الدنيا تدرى ما يحوزه من الفضل لأخذها الحياء من عتبه عليها ولكفت عنه أذاها ، وقيل : إن المعنى لعل الأيام لم تعلم من غاب عن حضرته من أهله وأسرته ، ولو علمت لما عرضت لثيء من أسبابه . وقد دل البيت التالي على ذلك .

(٤) يعتذر عن الأيام . يقول : لعل الدنيا ظنت أن عمته — وقد توفيت في بغداد بعيدة عنه — لما لم تكن عنده لم تكن من أسرته فسقط عليها .

(٥) الذرى : الكنف ، والعضب : السيف القاطع . يقول : ولعل الدنيا ظنت أن عمته لما كانت ببغداد ولم تكن بحضرتك لم تكن بمن يحميه سيفك فلذلك عرضت لها وأخذتها .

(٦) يقول : ولعلها ظنت أن جد الإنسان بلده ، فمن لم يكن من أهل بلده فليس من صلب جده : يعنى أن عمته لما كانت في غير وطنه ظنت الأيام أنها ليست من عشيرته . ومن ثم اجترأت عليها ولم ترع حقه . وروى : وأن جد المرء — بالحاء — فيكون المعنى أن حرمة وطنه ، فمن لم يكن مستوطنا معه لم يكن من عشيرته .

أَخَافُ أَنْ تَفْطَنَ أَعْدَاؤُهُ فَيَجْفِلُوا خَوْفًا إِلَى قُرْبِهِ (١)  
لَا بَدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَجْعَةٍ لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعِ عَنْ جَنْبِهِ (٢)  
يَنْسَى بِهَا مَا كَانَ مِنْ عَجْبِهِ وَمَا أَذَاقَ الْمَوْتَ مِنْ كَرْبِهِ (٣)  
نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بَدَّ مِنْ شُرْبِهِ (٤)  
تَبْخَلُ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا عَلَى زَمَانٍ هِيَ مِنْ كُنْسِهِ (٥)

(١) أجفل : أسرع في الهرب ، يقول : إني أخاف - إذ قلت هذا - أن تفتن أعداؤه إلى أن الأيام لا ترزأ كل من كان في حماه وقربه فيسرع إلى حضرته خوفا من الأيام وطلبا للسلامة بحصولهم في ذمته واشتغالهم بعزه .

(٢) يقول : لا بد للإنسان من اضطجاع في القبر لا يتقلب معه المضطجع أي يبقى كذلك أبد الدهر ، ولو قل لن - بدل لا - لكان أحسن ؛ لأن لن يدل على التأيد .

(٣) يقول : ينسى الإنسان بتلك الضجعة تبه وإعجابه بنفسه وما أذاقه الموت من البرح والكرب عند احتضاره : أي ينسى بتلك الضجعة كل ما لاقاه في حياته وفي مماته .

(٤) يقول : نحن أبناء الموتى لأن آباءنا كلهم ماتوا فلا بد لنا أن نرد الموت كما وردوه ؛ فما بالنا نكروه ما لا بد منه ؛ وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

أَلَا يَا ابْنَ الَّذِينَ فَنُوا وَبَادُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا بَادُوا لَتَبَقِي  
وأصله قول متمم بن نويرة :

فَعَدَدْتُ آبَائِي إِلَى عِرْقِ الثَّرَى فِدَعْوَتِهِمْ فَعَلِمْتُ أَنْ لَمْ يَسْمَعُوا  
وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَلَا مَحَالَةَ أَنْتِي لِلْحَادِثَاتِ فَهَلْ تَرَانِي أُجْرَعُ ؟

وروى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمرو بن عبيدة يعزيه عن أبيه : «أما بعد» فإننا أناس من أهل الآخرة ، أسكننا في الدنيا أمواتا آباء أموات ، وأبناء أموات فالعجب ليبت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت والسلام .

(٥) يقول : إننا نحرص على أرواحنا ضنا بها على الزمان مع أنها مما كسب الزمان لا من كسبتنا نحن ، وقد فسر ذلك في البيت التالي ؛ قال العكبري : وهذا من قول الحكميم : إذا كان تاشؤ الأرواح من كروز الأبام فما لنا نعا ف رجوعها إلى أما كنها .

فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَوْهٍ      وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تَرَبٍّ (١)  
لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى      حُسْنِ الَّذِي يَسْتَبِيهِ لَمْ يَسْبِهِ (٢)  
لَمْ يَرِ قَرْنُ الشَّمْسِ فِي شَرْقِهِ      فَشَكَّتِ الْأَنْفُسُ فِي غَرْبِهِ (٣)  
يَمُوتُ رَاعِي الضَّانِ فِي جَهْلِهِ      مَوْتَةَ جَالِينُوسَ فِي طَبِّهِ (٤)  
وَرَبَّمَا زَادَ عَلَى عُمُرِهِ      وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سِرِّهِ (٥)  
وَعَايَةَ الْمَفْرِطِ فِي سِلْمِهِ      كَعَايَةَ الْمَفْرِطِ فِي حَرْبِهِ (٦)

(١) يريد أن الإنسان مركب من جوهر لطيف - هو الروح - وجوهر كثيف - هو البدن - فجعل اللطيف من الهواء ، والكثيف من التراب . قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : اللطائف سماوية والكثائف أرضية ، وكل عنصر عائد إلى عنصره ، « هذا » ؛ وليس ثم مجال للكلام على الروح وذكر المذاهب الفلسفية فيه ، لأن هذا إنما هو تفسير لشعر المتنبي حسب .

(٢) يقول : لو فكر العاشق الاستهام فيما تصير إليه محاسن معشوقه من البلى والفناء لأقلع عن عشقه ولم تملك تلك المحاسن قلبه . ولك أن تجعل هذا مطرداً في كل معنى من معاني الحياة فتقول : لو فكر الحريص التهاك على جمع المال في منتهى ذلك وأن مصير هذا المال إلى الزوال أو أنه مائت عنه لا محاله : لما تهالك على جمعه ، وهلم . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : النظر في عواقب الأشياء يزيد في حقائقها ؛ والعشق عمى الحس عن درك رؤية المعشوق .

(٣) قرن الشمس : أول ما يبدو منها . وهذا مثل ، معناه . أن كل حادث لا بد أن ينتهي إلى الزوال : كالشمس من رآها طالعة لم يشك في غروبها .  
(٤) قوله : في جهله وفي طبه ، حالان . يقول : إن الموت حتم على رقاب العباد لا ينجو منه إنسان : أكان شريفاً أم وضيعاً ، عاقلاً أم جاهلاً . فيموت الراعي الجاهل كما يموت الطبيب الحاذق .

(٥) السرب : النفس . يقول : وربما زاد راعي الضأن عمراً على عمر جالينوس ، وكان آمن على نفسه منه ؛ لأن الطبيب لعلمه وتقديره لضرور الأدوية وارتباط الأسباب بالمسيبات يبقى دائماً قلقاً خائفاً كثيراً الوسواس .

(٦) يقول : من بالغ في السلم والموودة كمن بالغ في الحرب والمعاداة والتحرش بالخطر

فَلَا قَضَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ فَوَادُهُ يَخْفِقُ مِنْ رُغْبِهِ (١)  
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِشَخْصٍ مَضَى كَانَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنْبِهِ (٢)  
 وَكَانَ مَنْ عَدَّدَ إِحْسَانَهُ كَأَنَّهُ أَفْرَطَ فِي سَبِّهِ (٣)  
 يُرِيدُ مِنْ حُبِّ الْعَالِي عَيْشَهُ وَلَا يُرِيدُ الْعَيْشَ مِنْ حُبِّهِ (٤)  
 يَحْسَبُهُ دَافِنُهُ وَحَدَّهُ وَبِحَدِّهِ فِي الْقَبْرِ مِنْ صَحْبِهِ (٥)  
 وَيُظْهِرُ التَّذَكُّيرُ فِي ذِكْرِهِ وَيُسْتَرُّ التَّائِبُ فِي حُجْبِهِ (٦)

كلاهما إلى الموت . قال العسكبرى : وهذا من قول الحكيم : آخر إفراط التوقى أول موارد الخوف ؛ ويقال أفرط : إذا أسرف وجاوز الحد ؛ وفراط بتشديد الراء : قصر . وفي الحديث « لا يرى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً » .

(١) يقول : لا أدرك حاجته من يرهب الموت ، يعنى إذا كان لا متدوحة عن الموت فلم يخافه الإنسان ؟ بحث على الشجاعة والإقدام ، ويدعو على الهيابة الجبان . والضمير في رغبه : للفؤاد :

(٢) هذا ضرب من المدح الذى يشبه الدم ، يقول : أستغفر الله لشخص مضى كان جوده هو غاية ذنبه : أى لا ذنب له أستغفر الله له لأجله إلا جوده ؛ يعنى المرثية عممة عضد الدولة .

(٣) يقول : وكان يكره ذكر إحسانه تناسياً للمعروف ، فمن أحصى فواضله وأياديه كان عنده كمن أسرف فى سبه .

(٤) يقول : إنه كان يحب أن يعيش لكسب المعالى لا لحب العيش : فالضمير فى عيشه : للمرتى ، والتقدير : يريد عيشه من حب العلى ، ولا يريد العيش من حب العيش .

(٥) يقول : إن الذى يدفنه يظن أنه يدفنه وحده ، وهو قد دفن معه المجد والعفاف والبر وسائر فضائله التى هى أصحابه لا تفارقه .

(٦) يقول : إنها فى حجبها وخدرها أنقى على الحقيقة ، وليس ثم إلا الصون والعفاف وما إليهما مما هو شيمة المخدرات ، أما إذا ذكرت أفعالها ومساعبها — من طلب المعالى وإيثار المعروف وإغاثة الملهوف — فهناك التذكير حقاً ، لأن مثل هذه الأفعال إنما هى من شيم الرجال .

أُخْتُ أَبِي خَيْرٍ أَمِيرٍ دَعَا فَقَالَ جَيْشٌ لِلْقَنَا لَبِّهِ (١)  
يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ مَنْ رُكْنُهَا أَبُوهُ وَالْقَلْبُ أَبُو لَبِّهِ (٢)  
وَمَنْ بَنُوهُ زَيْنُ آبَائِهِ كَانَتْهَا النُّورُ عَلَى قُضْبِهِ (٣)  
فَخَرًّا لِدهْرِ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَمُنْجِبٌ أَصْبَحْتَ مِنْ عَقْبِهِ (٤)  
إِنَّ الْأَسَى الْقِرْنَ فَلَا تُحْيِهِ وَإِنَّ السَّيْفَ الصَّبْرُ فَلَا تُنْزِيهِ (٥)

- (١) أخت : خبر مبتدأ محذوف : أى هى أخت ، ولبه : أجييه ، يقول : هى أخت ركن الدولة الذى هو أبو عضد الدولة خير أمير دعا إلى نفسه ، فقال الجيش للرمح - أجييه : أى يدعو الجيش فيجيه بالسلاح . ويجوز أن يكون المعنى : أن عضد الدولة خير أمير دعا جيش فقال للقنا: لب الجيش . يعنى أنه يجب الصارخ ويغيث المستغيث .
- (٢) يريد أن عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة وضرب لهما التمثيل بالقلب واللب - أى العقل - فجعل اللب مثاله والقلب مثلاً لأبيه ، والقلب ، وإن كان أبا اللب - أى مصدره - إلا أن اللب أشرف من القلب ، فكذلك عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة ، وإن كان ركن الدولة أباه : قال ابن جنى : لولا حنق المتنبي ماجراً على هذا .
- (٣) النور : الزهر ؛ والقضب : جمع قضيب . يقول : إن أبناء عضد الدولة زين آباءه ، وليسوا بزین له هو ، لاستغناؤه بمزية علاقته عن أن يزین بأبائه : يعنى أن أبناءك يزینون آباءك كما يزین النور القضب .
- (٤) خراً : مفعول مطلق ، نائب عن عامله ، واللام فى قوله لدهر : لبيان الفاعلية ؛ كما فى قولهم : تباً لزيد ؛ والمنجب : الذى يلد النجباء : وعقب الرجل : أولاده . يقول : ليفتخر الدهر بكونك من أهله ، وليفتخر أبوك الذى صار منجيباً بكونك من عقبه .
- (٥) الأسى هنا : الحزن ، وهو مقصور مفتوح ، والقرن : من قارنك وماتلك فى السن أو القوة والشجاعة ؛ ونبأ السيف : إذا لم يقطع ويعمل فى الضريبة . يقول : إن الحزن - أى حزن عضد الدولة على عمته - بمنزلة القرن المغالب لك فلا تحيه بإغاته على نفسك : وأن الصبر الذى تغالب به الحزن بمنزلة السيف فلا تجعله نايماً كليلاً . أى لا تضعه فيغلبك الحزن .

مَا كَانَ عِنْدِي أَنْ بَدَرَ الدُّجَى يُوْحِيَهُ الْمَفْقُودُ مِنْ شُهْبِهِ (١)  
حَاشَاكَ أَنْ تَضَعُفَ عَنْ حَمَلٍ مَا  
حَمَلَ السَّائِرُ فِي كُتُبِهِ (٢)  
وَقَدْ حَمَلَتِ الثَّقَلُ مِنْ قَبْلِهِ فَأَغْنَتِ الشَّدَّةُ عَنْ سَخْبِهِ (٣)  
يَدْخُلُ صَبْرُ الْمَرْءِ فِي مَدْحِهِ وَيَدْخُلُ الْإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ (٤)  
مِثْلُكَ يَثْنِي الْحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمَعَ عَنْ غَرْبِهِ (٥)  
إِنَّمَا لِإِبْقَاءِ عَلَى فَضْلِهِ إِنَّمَا لِتَسْلِيمِ إِلَى رَبِّهِ (٦)

(١) جعله كالبدر ، وأهله وعشيرته كالنجوم حول البدر . يقول : ما كان ينبغي أن  
تغم لفقدهم لأن البدر يستغنى بنوره عن الكواكب .  
(٢) أراد بالسائر : الذي حمل إليه الكتاب بوفااتها . يقول : حاشاك أن تضعف عن  
حمل ما أطاق حمله الرسول : أي إذا كان الرسول أطاق حمل ذكر وفاتها فأنت أشد  
إطاقة له ، قل الواحدى : وهذا في الحقيقة ضرب من المغالعة ، وإنما أراد تسكينه  
فتوصل إلى ذلك من كل وجه :  
(٣) يقول : إنك قد حملت الثقل من الأمور قبل هذا الحادث فأغنتك قوتك عن  
جر ذلك الثقل — وذلك أن حامل الثقل إذا عجز عن حمله جره على الأرض ، كما قال  
عتاب بن ورقم :

وَجَرَّهُ إِذْ كَلَّ عَنْ حَمَلِهِ وَنَفْسُهُ مِنْ حَتْفِهِ عَلَى شَفَا

والمعنى : أنك صبور على تحمل الشدائد فلا تجزع عن حمل هذا الرزم .  
(٤) الإشفاق : الحوف والجزع ، والثلب ، الدم — ثلبه : ذمه وعابه . يقول :  
إن الصبر مما يمدح به الإنسان والجزع مما يعاب به . يريد : أن يحسن الصبر لديه ليرغب  
فيه ، ويقبح الجزع ليجتنبهه .  
(٥) الصوب : القصد والناحية ؛ والغرب : مجزى الدمع . يقول : مثلك يقدر على  
صرف الحزن والتغلب عليه بالصبر إذا قصدك ؛ ومثلك يسترد الدمع عن مجراه إلى قراره .  
(٦) إما : لغة في إما . يقول : يفعل ذلك إما بإبقاء على فضله لئلا يضيع فضله  
بالجزع ، وإما لتسليم الأمر إلى الله ، ورعا وتقوى .

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلَكَ أُعْنِي بِهِ سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشِيهِ (١)

وقال في صباه يهجو القاضي الذهبي :

لَمَّا نَسِبتَ فَكُنْتَ ابْنًا لِغَيْرِ أَبِي

مِمَّ أُمَّتُحِنْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبِ

سُمِّتَ بِالذَّهَبِيِّ الْيَوْمَ تَسْمِيَةً

مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ لَا الذَّهَبِ (٢)

مُلَقَّبُ بِكَ مَا لُقِّبْتَ وَبِكَ بِهِ

يَا أَيُّهَا اللَّقْبُ الْمُلْقَى عَلَى اللَّقْبِ (٣)

- (١) يقول : لم أعن بقولي : مثلك يثنى الحزن عن صوبه — إنساناً آخر غيرك . لأنك الفرد الذي لا مثل له ، ولكن المثل قد يذكر في الكلام صلة ويراد به عين ما أضيف إليه كقوله تعالى : « ليس كمثل شيء » — يريد إنما أردت نفسك لا غيرك .
- (٢) هذا البيت جواب لما في البيت الأول . يقول : لما لم يعرف لك أب ولم يكن لك أدب تعرف به : سميت اليوم بالذهبي : أي أن هذه النسبة مستحدثة لك ليست بموروثة واشتقاقها من ذهاب العقل ، لا من الذهب : أي إنما قيل لك الذهبي لذهاب عقلك .
- (٣) وبك : هي وبلك ، حذف اللام لنكسرة الاستعمال . يقول : إن الذي لقبك به هو ملقب بك : أي أنت شين وعار للقبك ، فلقبك ملقى على لقب — أي على عار وخزي — قال الواحدى : ومثل هذا الكلام لا يستحسن ولا يستحق التفسير ولا يساوى الشرح ، ولو طرح أبو الطيب شعر صباه من ديوانه كان أولى به ، وأكثر الناس لم يرو هذه القطعة ولا القطعة التي أولها :

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرْذُ الْمُسْتَفِيرُ أَسِيرَ الْمَنَائِمِ سَرِيعَ الْعَطْبِ (٤)

وقال يهجو وردان بن ربيعة الطائي ، وقد كان أبو الطيب نزل به في أرض  
حِسْمَى مُنْصَرَفَهُ مِنْ مِصْرَ ؛ فَاسْتَعْوَى وَرْدَانَ عُبَيْدَ أَبِي الطَّيِّبِ ، فَجَعَلُوا يَسْرِقُونَ لَهُ  
مِنْ أُمَّتَعَتِهِ ؛ فَلَمَّا شَعَرَ أَبُو الطَّيِّبِ بِذَلِكَ ضَرَبَ أَحَدَ عُبَيْدِهِ بِالسَّيْفِ فَأَصَابَ وَجْهَهُ  
وَأَمَرَ الْعُلَمَانَ فَأَجْهَرُوا عَلَيْهِ :

كَلَّمَ اللَّهُ وَرْدَانًا وَأُمَّ أُمَّتْ بِهِ  
لَهُ كَسْبُ خَنْزِيرٍ وَخَرْطُومٌ تُعَلَّبُ (١)  
فَمَا كَانَ فِيهِ الْغَدْرُ إِلَّا دَلَالَةً  
عَلَى أَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمِّ وَالْأَبِ (٢)  
إِذَا كَسَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ هُنَّ عَرْسِهِ  
فِيَا لَوْمَ إِنْسَانَ وَيَا لَوْمَ مَكْسَبِ (٣)  
أَهَذَا اللَّذِيًّا بِنْتُ وَرْدَانَ بِنْتُهُ  
هُمَا الطَّالِبَانِ الرَّزْقَ مِنْ شَرِّ مَطْلَبِ (٤)

(١) الخنزير يأكل العذرة ، وكذلك بنات وردان ، وهي دوية كريمة الريح .  
تألف الأماكن العذرة في البيوت - ولاتفاق الاسمين جعله كالخنزير في أكل العذرة ،  
ويريد بقوله : له خرطوم ثعلب ، أنه نأى الوجه . فوجهه كخرطوم الثعلب ، وهو ألقه  
ولمه ؛ ولحاء الله . قبحة ولعنه .

(٢) يقول : إن غدرة بن دلالة على أنه ورث الغدر من أمه وأبيه : يعني  
أنهما كانا غادرين ، والغدر موروث له . لا عن كلاله ؛ وأحسن من هذا ما رواه  
ابن جني .

\* على أنه فيه من الأم بالأب \*

أى أن غدرة بن دلالة على أن أمه غدرت فيه بأبيه ، فجاءت به لغير رشده .

(٣) الهن : الفرج - قرفه بأنه ديوث يقود إلى امرأته ويجعل ذلك كسباً له .

(٤) يقول - تجاهلاً واستهزاء - : أهذا هو الذي تنسب إليه بنت وردان -



## قافية التاء

وأنفذ إليه سيف الدولة قول الشاعر :

رَأَى خَـلِيلِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا  
فَكَانَتْ قَدَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتْ (١)

(١) الحلة : الحاجة والفقر ، ويقال : في الدعاء للبيت : اللهم اسدد خلته : أى الثلثة التي ترك . وأصله من التخلل بين الشيئين . قال الأصمعي : يقال للرجل إذا مات له ميت اللهم اخلف على أهله ، واسدد خلته : يراد الفرجة التي ترك بعده من الخلل الذي أبقاه في أموره ، وفي المثل . الحلة تدعو إلى السلة ، والسلة : السرقة . ورجل محل ومحتل وأخل وخليل : معدم فقير ؛ قال زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبةٍ يقول لا غائب مالي ولا حرمٍ  
يعنى بالخليل المحتاج الفقير المحتل الحال ، والحرم : الممنوع ، وقوله : من حيث يخفى مكانها يريد : من حيث لا يدركها لحاظ غيره ، وقد أدمج في هذه الكلمة زاهة نفسه وصيانة عرضه . وقوله : فكانت قذى عينيه : أبرع كلمة في معنى الاهتمام بالحاجة ، وتجلت انكشفت وزالت ، والقذى : ما يقع في العين من غبار ونحوه ، والبيت لعبد الله ابن الزبير الأسدي وقوله :

سأشكرُ عمراً ما تراخت منيتي أياي لم تمنن وإن هي جلت  
فتى غيرُ محبوبٍ الغنى عن صديقه ولا مظهرُ الشكوى إذا النعل زلت (١)  
قيل أنه زار عمرو بن عثمان بن عفان يوماً ، فنظر عمرو فرأى تحت ثيابه ثوباً زائلاً - وهذا هو مغزى قوله : \* رأى خلقى من حيث يخفى مكانها \* فدعى وكيله وقال

(١) قوله سأشكر : فإن العزب تستعمل السين إذا أرادت تكرار الفعل وتأكيديه ولا تريد التنفيس فيه ، ولم تمنن : لم يتبعها من ؛ وزلت نعله : يريد زلت قدمه في مزالِق الدهر فلا يجد مراكباً بقيه مصرع السوء .

وسأله إجازته ، فقال أبو الطيب والرسول واقف ارتجالاً :  
لَنَا مَلِكٌ لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ هُمُهُ مَمَاتٌ لِحَىٰ أَوْ حَيَاةٌ لِمَيَّتِ (١)  
وَيَكْبُرُ أَنْ تَقْدَىٰ بِشَيْءٍ جُفُونُهُ إِذَا مَا رَأَتْهُ خَلَّةٌ بِكَ فَرَّتْ (٢)  
جَزَىٰ اللَّهُ عَسَىٰ سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ فَإِنَّ نَدَاهُ الْعَمْرَ سَيِّفِي وَدَوْلَتِي (٣)

وقال في صباه عند وداعه بعض الأمراء :

أَنْصُرُ بِجُودِكَ الْفُلَّاطَا تَرَكَتُ بِهَا  
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مِنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا (٤)

اقترض لنا مالا ، فقال: هيات ، ما يعطينا التجار شيئاً . قال: فأربحهم ماشاءوا ، فاقترض له عشرة آلاف درهم . فوجه بها إليه مع تحت ثياب فقال هذه الأبيات :  
(١) همه : مبتدأ ، وممات : خبر ، ويطعم : يذوق . يقول : لنا ملك لا يذوق النوم ، إذ ليس بصاحب لهو ، وإنما همه الحرب والجود ؛ فميت بقتاله الأعداء ، ويعني بنوالة الأولياء .

(٢) هذا كالأرد على قوله : فكانت قذى عينيه . يقول : هو أكبر من أن تقذه جفونه — أي يتأذى بشيء — فميت رأته خلة فرت وزالت ولا تمكث حتى يراها ويقذف بها : أي أن صاحب الخلة متى رأى هذا الملك — سيف الدولة — استغنى بتأميله قبل أن يرى خلته ، ومن ثم كان أكبر من أن يرى شيئاً يتأذى به .

(٣) حذف مفعول جزى للتعميم : أي جزاه عن كل خير ، ونداه : أي جوده ، والعمر : الكثير ، وماء عمر : كثير مغرق ، ويقال رجل عمر الرداء وعمر الخلق : أي واسع الخلق كثير العروف سخى ، وإن كان رداؤه صغيراً قال كثير :

عَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقَتْ لِضَحْكِهِ رِقَابَ الْمَالِ

وكله على المثل :

(٤) مكبوتاً ذليلاً . قال الجوهري : السكبت : الصرف والإذلال . يقال : كبت الله العدو : أي صرفه وأذله ، وكبته : أي صرعه لوجهه . وفي القرآن الكريم « كبتوا كما كبت الذين من قبلهم » . وفيه أيضاً « أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » وقال الفراء : كبتوا أي غيظوا وأحزنوا يوم الحندق كما كبت من قاتل الأنبياء قبلهم . قال الأزهرى : وقال

فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مِرْتَحَلِي وَذَا الْوَدَاعُ فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِئْنَا<sup>(١)</sup>

وقال مرتجلاً يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي :

فَدَتِكَ أَنْخِيلُ وَهِيَ مَسُومَاتُ وَبِيضُ الْهِنْدِ وَهِيَ مَجْرَدَاتُ<sup>(٢)</sup>

وَصَفْتِكَ فِي قَوَافِ سَائِرَاتِ وَقَدْ بَقِيَتْ وَإِنْ كَثُرَتْ صِفَاتُ<sup>(٣)</sup>

أَفَاعِيلُ الْوَرَى مِنْ قَبْلُ دُهُمُ وَفِعْلُكَ فِي فِعَالِهِمْ شِيَاتُ<sup>(٤)</sup>

من احتج للفراء : أصل الكبت : الكبد ، قلبت الدال تاء — أخذاً من الكبد وهو معدن الغيظ والأحقاد — فكان الغيظ لما بلغ بهم مبلغه أصاب أكبادهم فأحرقها . ولهذا قيل للأعداء : هم سود الأكباد . يقول : انصر بعطايك قصائدي التي مدحتك بها والتي غاظت أعداءك في الشرق والغرب حتى تركتهم أذلاء . ومن نصره إياها أن يصدقها فيما وصفه به من الجود ويعطيه حتى يزيد منها .

(١) نظرتك : أي انتظرتك ؛ والمرتحل : الارتحال . يقول : لقد انتظرت عطاءك حتى قرب ارتحالي عنك ، وهذا وقت وداعي إياك فاختر : إما أن تجود فتكون أهلاً للمدح ، أو تمنع وتحرّم فتكون أهلاً للذم . وهذا كقول أحمد بن أبي فتن :

حَانَ الرَّحِيلُ فَقَدْ أَوْلَيْتَنَا حَسَنًا وَالْآنَ أَحْجَجُ مَا كُنَّا إِلَى زَادِ

(٢) مسومات : معلمات بعلامات تعرف بها . يقول : فدتك الحيل والسيوف في الحرب حتى تفنى هي وتبقى أنت ، إذ يبقى الحير لنا ما بقيت .

(٣) فاعل كثرت : ضمير القوافي ، وفاعل بقيت : صفات . يقول : لقد وصفتك بقصائد كثيرة ، بيد أنه — مع كثرتها — بقيت صفات لك لم أخط بها .

(٤) أفاعيل : جمع أفعال ، جمع فعل ، والدّم : السود ، والشيات : جمع شية ، وهي لون يخالف بقية لون الجلد كالغرة والتحجيل . يقول : إن أفعال الناس من قبلك سود بالقياس إلى فعلك ، وفعلك متميز منها بتميز الشية من اللون الأسود : أو هي — أفعالهم — تزين بفعلك تزين الأدمم بالغرة والتحجيل — كمال يقول أبو تمام :

قَوْمٌ إِذَا اسْوَدَّ الزَّمَانُ تَوَضَّحُوا فِيهِ وَغَوَدَرَ وَهُوَ مِنْهُمْ أَبْلَقُ

وقال يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران :

سِرْبٌ مَحَاسِنُهُ حُرِمْتُ ذَوَاتِهَا      دَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدٌ مَوْصُوفَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
 أَوْفَى فَكُنْتُ إِذَا رَمَيْتُ بِمُقَلَّتِي      بَشْرًا رَأَيْتُ أَرْقَ مِنْ عِبْرَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
 يَسْتَأْقُ عَيْسَهُمْ أَنْ يَنْبِي خَلْفَهَا      تَتَوَهَّمُ الزَّفَرَاتِ زَجْرَ حُدَاتِهَا<sup>(٣)</sup>  
 وَكَانَهَا شَجْرٌ بَدَتْ لِكِنِّهَا      شَجْرٌ جَنَيْتُ الْمَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا<sup>(٤)</sup>

ومعنى البيت من قول أبي تمام أيضاً :

حتى لو أن الليالي صُوِّرَتْ لَعَدَّتْ      أفعالُه الغرُّ في آذَانِهَا شَفْنَا<sup>(١)</sup>

(١) السرب : القطيع من الظباء والقطا وما إليهما ، والمراد هنا : جماعة النساء ، وسرب : خبر مبتدأ محذوف : أى الذى أشتاقه أو أصفه مثلاً ، وذواتها : صواحبها . يقول : إن هذا السرب قد حرمت ربات محاسنه لما حيل بينى وبينهن ، وهو قريب الصفات لأن صفاته — أى محاسنه — لا تزال نصب عيني وعلى ذكر منى ، ولكن الموصوفات بهذه الصفات — أى أشخاص النساء — بعيدة عني .

(٢) أوفى : أى السرب : أى أشرف ، والبشر : جمع بشرة . وهى ظاهر الجلد . يقول : إن هذا السرب أشرف على — لما سار — من مكان عال ، أو علا هوادجه للسير ، فكان بصرى إذا وقع على بشرته رأى شيئاً أرق وألطف من دموع القملة ، ولك أن تجعل الضمير فى عبراتها : للبشر . ويراد بالعبرات : العرق الذى يسيل من البشرة ، ويكون المراد أنهم عرقن من الجهد والإعياء ، وروى الخوارزمى : نشزا ، وهو ما ارتفع من الأرض . يقول : إذا نظرت إلى النشز الذى أوفى عليه السرب رأيت له طول البعد كأنه سراب ؛ والسراب أرق من العبرات . ويكون الضمير للمقلة .

(٣) يستاق : يسوق . والعيس : الإبل ، والحداد الذين يسوقون الإبل . يقول : إن الإبل كانت تسمع أنبى خلفها فتسرع فى سيرها لأنها تظن زفراتى أصوات الحدادة تزجرها لتسرع ، فسائقها — على الحقيقة — أنبى وزفراتى .

(٤) العرب تشبه الإبل عليها هوادجها بالنخل والشجر والسفن .

(١) الشنف كفسل — وحركه ضرورة — ما يعلق فى أعلى الأذن

لَا سِرْتٍ مِنْ إِبِلٍ لَوْ أَنِّي فَوْقَهَا : لَمَحَتْ حَرَارَةٌ مَدْمَعِي سِمَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
وَحَمَلْتُ مَا حَمَلَتْ مِنْ هَذِي الْمَهَا : وَحَمَلْتُ مَا حَمَلْتُ مِنْ حَصْرَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
إِنِّي عَلَى شَفْنِي بِمَا فِي خُمْرِهَا : لِأَعْفُ عَمَّا فِي سَرَائِلَاتِهَا<sup>(٣)</sup>

يقول : كأن هذه الإبل شجر ، بيد أني جنيت الموت من ثمراتها ، لأنها كانت سبب فراق أحبه ، وروى ابن جنى : بلوت المر من ثمراتها . وبلوت : اخبرت وذقت وهذا من قول أبي نواس :

لا أذودُ الطير عن شجرٍ قد بلوتُ المر من ثمره

(١) لا سرت : دعاء ؛ ومن إبل . تميز : وقوله لحت : من المحو ؛ واللام : جواب لو . وللدأمع في الأصل : مجرى الدمع من العين ، والمراد بها هنا : الدموع والسبات : جمع سمة ، وهي أثر السكى على الجلد . يدعو على الإبل أن لا تسير لأنها فرقت بينه وبين من يحب ، ثم قال : ولو كنت من ركاب هذه الإبل لكانت حرارة دمي تمحو آثار وسمها ، وقوله : لو أني : حرك الواو الساكنة من لو بحركة الهمزة وحذفها وهو كثير مستعمل في كلامهم

(٢) المهَا : بقر الوحش ، والمراد : النساء الشبهات بالمها لحسن عيونهن . وهذا دعاء أيضاً . يدعو أن يكون حاملاً ما حملته هذه الإبل من الحباب ، وأن تحمل الإبل ما حملته هو من حشرات فراقهن .

(٣) الحجر : جمع خمار . وهو ما تغطي به المرأة رأسها ، والسراويلات : جمع سراويل ، فارسي معرب ، وهو ذلك اللباس الذي يستر النصف الأسفل من الجسم . وقال سيبويه : سراويل واحدة ، وهي أعجمية عربت ، فأشبهت من كلامهم ما لا ينصرف في معرفة ولا نكرة ، فهي مصروفة في النكرة ، وإن سميت بها رجلا لم تصرفها ، وكذلك إن حقرتها اسم رجل ، لأنها مؤنث على أكثر من ثلاثة أحرف مثل عناق ؛ ومن النحويين من لا يصرفها في النكرة . ويزعم أنها جمع سروال وسروالة ، وينشد :

عليه من اللؤم سرؤالة فليس يرق لمستعطف<sup>(١)</sup>

(١) قيل : إن هذا البيت مصنوع وقيل قائله مجهول : قال السيرافي : سروالة : لغة في السراويل . وقوله من اللؤم : كان في الأصل صفة لسروالة . فلما قدم عليه صار حالاً منه واللؤم : شح النفس ودناءة الآباء .

وَتَرَى الْفُتُوَّةَ وَالْمُرُوَّةَ وَالْأَبُوَّةَ فِي كُلِّ مَلِيحَةٍ ضَرَاتِهَا<sup>(١)</sup>

ويحتج في ترك صرفه بقول ابن مقبل يصف الثور الوحشي :  
أَتَى دُونَهَا ذَبُّ الرِّيَادِ كَأَنَّهُ فَتَى فَارِسِيٌّ فِي سِرَاوِيلَ رَامِحٍ<sup>(٢)</sup>  
قال صاحب ابن عباد : كان الشعراء يصفون المآزر تنزيهاً لألفاظها عما يستشنع ؛  
حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع . . . إلى التصريح . . . وكثير من العهر عندى  
أحسن من هذا العفاف . قال بعضهم : هذا مما عابه الصاحب على المتنبي . . . وإنما قال  
للمتنبي عما في سراييلاتها ؛ جمع سربال ، وهو القميص ، وكذا رواه الخوارزمي . يريد  
للمتنبي : إنى مع حبي لو جهنن أعف عن أبدانهن ، ومثله لفظويه — أحد أئمة النحو  
وتلميذ ثعلب — :

أَهْوَى النِّسَاءَ وَأَهْوَى أَنْ أَجَالَسَهَا      وليس لى فى خَنَا مَا يَبْنِنَا وَطَرُ  
وما أروع قول العباس بن الأحنف :

لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ      عَفُّ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسِقُ النَّظَرِ  
(١) كل مليحة : فاعل ترى ، والفتوة وما عطف عليها : مفعول أول ترى ؛  
وضراتها : مفعول ثان . والفتوة : الكرم والسخاء ، والمروة والمروة الإنسانية ،  
والأبوة هنا الأئفة وعزة النفس والأبوة أيضاً : الآباء — مثل العمومة والخوولة — وكان  
الأصمى يروى قول أبي ذؤيب :

لَوْ كَانَ مِدْحَةٌ حَى أَنْشَرْتَ أَحَدًا      أَحْبَبِي أَبَوَتَكَ الشَّمَّ الْأَمَادِيحِ  
وغیره يرويه .

\* أَحْيَا أَبَا كَنْ يَالَيْلَى الْأَمَادِيحِ \*

يقول : إن هذه المعاني تحول بينه وبين الخلوّة بالحسان فسكأنها ضرائر لهن ، وقد  
زاد ذلك تبيانا فى البيت التالى .

(٢) الضمير فى دونها : لأنثاه ، ودون : بمعنى قدام ؛ وذب الرياد : الثور الوحشى ؛  
قال القالى : يقال فلان ذب إذا كان لا يستقر فى موضع ؛ ومنه قيل للثور الوحشى :  
ذب الرياد . شبه الشاعر ما على قوائم الثور الوحشى من الشعر بالسراويل — وهو من  
لباس الفرس — ولذا شبهه بفتى فارسى ١ وشبه قرنه بالرمح ، ولذا قال رامح .

هُنَّ الثَّلَاثُ لَمَّا نِعْمَايَ لَدَيَّ فِي خَلْوَتِي لَا انْخَوْفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا (١)  
 وَمَطَالِبِ فِيهَا الْهَلَاكُ أَتَيْتَهَا ثَبَتَ الْجَنَانَ كَأَنِّي لَمْ آتِهَا (٢)  
 وَمَقَانِبِ بِمَقَانِبِ غَادَرْتُهُمَا أَقْوَاتَ وَحْشٍ كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا (٣)  
 أَقْبَلْتُهَا غُرَّرَ الْجِيَادِ كَأَنَّمَا أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَيْبَاتِهَا (٤)  
 الثَّابِتِينَ فَرُوسَةَ كَجُلُودِهَا فِي ظَهْرِهَا وَالطَّمْنَ فِي لَبَاتِهَا (٥)

(١) يقول : إن الفتوة وما بعدها هي التي تكفه عن لذاته في خلوته لاخوفه من عواقب هذه اللذة : يعني أنه لو لم يكن للذة عواقب آتية يخشاها لاجتنبها بما طبع عليه من الفتوة والمروءة والأتفة . قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : النفوس المتجوهرة تترك الشهوات البهيمية طبعاً لا خوفاً أقول : والله شيخ المعرة إذ يقول : - وإن كان أعب

ولتفعل النفس الجميل لأنه خير وأفضل لأجل ثوابها

(٢) الواو : واو رب ، والجنان القلب . يقول : رب مطالب فيها الهلاك أتيتها وقلبي هو هو على حاله لم يتغير كأنني لم آتيتها ولم أر أهوالها . يصف نفسه بالشجاعة ورباطة الجأش وأنه لا يبالي بالأخطار .

(٣) المقانِب : جمع مقنب - الطائفة من الحيل تجتمع للغارة ، وغادرتها : تركتها ، وأقوات : مفعول ثان لغادرتها . يقول : ورب جيش من الفرسان لقيته بمثله من صبحي فتركته قوتا للوحوش التي كانت قوتا له ، يصيدها ويذبحها ويأكلها ، وجمع الوحش على عادة العرب في أكلهم مادب ودرج .

(٤) أقبلتها : أي المقانِب التي أهلكتها : يقال أقبلته الشيء : أي وجهته إليه وجعلته قبالة مما يليه ، والغرر : جمع غرة ، وهي البياض يكون في وجه الفرس ، والأيدى هنا النعم . شبه بياض غرر خيله بنعم المدوحين ، ويد النعمة توصف بالبياض مجازاً . وقد جرت العادة في جمع يد النعمة بالأيدى وفي يد العضو بالأيدى ، ولكن التنبي وضع هذه مكان تلك في موضعين : أحدهما هذا البيت . . . وقال ابن القطاع - في قوله أقبلتها غرر الجياد : جعلتها تقبل غرر جيادها التي أوصلتهم إلى أعدائهم وشفّت صدورهم منهم كأنها أيدى بني عمران المعتادة التقبيل ، ويقال أقبلت الرجل يد فلان : أي جعلته يقبلها . وفي البيت من البديع حسن التخلص كما ترى .

(٥) يصفهم بالإقدام والشجاعة والحذق بركوب الحيل ، يقول : إنهم يثبتون في ظهور الحيل ثبات جلودها عليها حال كونهم في معمة الحرب والطمع مستابع في لباتها ،

الْعَارِفِينَ بِهَا كَمَا عَرَفْتَهُمْ وَالرَّاكِبِينَ جُدُودَهُمْ أُمَّاتِهَا<sup>(١)</sup>  
فَكَأَنَّهَا نُسِجَتْ قِيَامًا تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وُلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا<sup>(٢)</sup>

وفروسة أى — أى حدقا — تميز ، والثابتين : فى موضع خفض على النعت أو البدل من بنى عمران ، ويجوز أن يكون فى موضع نصب على المدح ؛ ومن روى والظعن بالرفع — فالواو واو الحال ، ومن رواه بالخفض فمعناه يثبتون فى ظهورها ثبوت الظعن ؛ والتقدير: كجلودها كالظعن : واللبات جمع لبة ، وهى المنحر .

(١) كان الوجه أن يقول والراكب جدودهم أمماتها : أى والذين ركب جدودهم أمماتها ، إلا أن هذا على لغة من يقول : قاموا إخوتك وذهبوا أخواك ، والأمامت : جمع أم لما لا يعقل ، وتجمع للعافل أمهات ، هذا هو الغالب ، ويجوز العكس . قال الواحدى : والذى يذكره الناس فى معنى البيت أن هذه الخيل تعرفهم وهم يعرفونها ، لأنهما من تتأبجهم تناسلت عندهم ، فجدود المدوحين كانوا يركبون أمهات هذه الخيل ؛ وسياق الآيات قبله يدل على أنه يصف خيل نفسه لاختيل المدوحين بنى عمران — وهو قوله : أقبلتها غرر الجياد — وإذا كان كذلك لم يستقم هذا المعنى ، إلا أن يدعى مدع أنه قاتل على خيل المدوحين فإنهم يقودون الخيل إلى الشعراء . قال ابن فورجه : والذى عندي أنه يصف معرفتهم بالخيل ولا يعرفها إلا من طالع مراسمها ، والخيل تعرفهم أيضاً لأنهم فرسان . هذا كلامه . ولم يوضح ما وقع به الإشكال ، وإنما يزول الإشكال بأن يقال الجياد اسم جنس فى قوله : غرر الجياد أراد جياد نفسه ، وفيما بعده أراد جياد المدوحين . والجياد تعم الخيلين جميعاً . وقوله : والراكبين جدودهم أمماتها : يريد أن جدودهم كانوا من ركاب الخيل ، يعنى أنهم عريقون فى الفروسية طالما ركبوا الخيل ، فهذه الخيل مما ركب جدودهم أمماتها . ويشبه هذا قول شيخ المعرة :

يا ابن الألى غير زجر الخيل ما عرفوا إذ تعرف العرب زجر الشاء والعسكر  
« العسكر : جمع عكرة : القطعة من الإبل : أى أنهم ملوك ما اعتادوا إلا ركوب الخيل وزجرها ولم يكونوا رعاة شاء وإبل » .

(١) تسجت — بالبناء للمجهول — ولدت ، قال الأزهري : يقال تسجت الناقة إذا ولدت فى منتوجة ؛ وأتسجت إذا حملت ، فهى تتوج ، ولا يقال منتجج ، وتسجت الناقة : إذا ولدتها ؛ والناجج للابل كالتفالبة للنساء ، وعبارة الجوهري فى الصحاح : تسجت الناقة على

إِنَّ الْكِرَامَ بِإِلَافٍ كِرَامٍ مِنْهُمْ      مِثْلُ الْقُلُوبِ بِإِلَافٍ سُؤْدَاوَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
تِلْكَ النَّفُوسُ الْغَالِيَاتُ عَلَى الْعَلَى      وَالْمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
سُقِيَتْ مَنَابِتُهَا الَّتِي سَقَّتِ الْوَرَى      بِيَدِي أَبِي أَيُّوبَ خَيْرِ نَبَاتِهَا<sup>(٣)</sup>

مالم يسم فاعله تنتج ، وقد تتجها أهلها : تتجا . قال الكمي :

وقال المذمّرُ لِلنَّاتِجِينَ      مَتَى ذُمِّرَتْ قَبْلِي الْأَرْجُلُ<sup>(١)</sup>

والتتوج من الخيل وجميع الحافر الحامل ، وقد أتجت . وبعضهم يقول : تتجت ، وهو قليل ؛ أما ابن الأعرابي فقد قال تتجت الفرس والناقة : ولدت وأتجت : دنا ولادها ، كلاهما فعل مالم يسم فاعله - ولم أسمع تتجت ولا أتجت على صيغة فعل الفاعل . والصهوة : مقعد الفارس . يقول : كأن الخيل ولدت تختمهم قائمة مستعدة للجري ؛ وكأنهم ولدوا راكبين على ظهورها يصفهم بطول إلفهم للفروسية وطول مراسهم ركوب الخيل .

(١) السويداوات جمع سويداء - حبة اقلب - يقول . إن الكرام من الخيل إذا لم يكن عليها فرسان من هؤلاء المدوحين كالقلب دون سوداء . وقال بعض الشراح : يعني أنهم زبدة الكرم ولبابه . فهم من الكرام بمنزلة السويداء من القلب .

(٢) يقول : إنهم يغلبون الناس على العلى فيحزونها دونهم ، والمجد يغلبهم على شهواتهم ؛ فلا يمكنهم من الشهوات المركبة في بني آدم خشية العيب والشين .

(٣) أراد بمنابت هذه النفوس : آباء المدوحين ، وجعل أبا أيوب أكرم نبات تلك النباتات : يعني أن نفسه أشرف هذه النفوس . ولما جعلهم منابت أثبت لهم السقيا التي تحيي الأرض ، وجعل النبات يسقى المنابت على عكس العادة تقننا وإغرابا في الصنعة . يقول : إن آباء المدوحين الذين أحيوا الناس بجودهم قد حيي مجدهم بجود هذا المدوح الذي هو خير أبنائهم . ويروي بدل يدي : بندي - بالنون - وعبارة ابن جني : لا أزال الله ظله عن أهله وذويه . قال ابن فورجه : ليس الغرض أن يدعو لقومه بدوام إفضاله عليهم ، ولكن الغرض تعظيم شأنه وعظائه .

(١) المذمر : الذي يدخل يده في حياء الناقة لينظر أذكر جنينها أم أنثى ؟ سمي بذلك لأنه تلمس المذمر فيعرف ما هو . والمذمر : هو الكاهل والعنق وما حوله إلى الذفري . وهو الذي يذمره المذمر . يقول الكمي : إن التذمير إنما هو في الأعناق لافي الأرجل .

لَيْسَ التَّعَجُّبُ مِنْ مَوَاهِبِ مَالِهِ بَلْ مِنْ سَلَامَتِهَا إِلَى أَوْقَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
عَجَبًا لَهُ حَفِظَ الْعِنَانَ بِأَتْمَلٍ مَا حَفِظَهَا الْأَشْيَاءُ مِنْ عَادَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
لَوْ مَرَّ يَرَّ كُضُّ فِي سُطُورِ كِتَابَةٍ أَحْصَى بِخَافِرٍ مُهْرِهِ مِثْيَاتِهَا<sup>(٣)</sup>  
يَضَعُ السَّنَانَ بِحَيْثُ شَاءَ مُجَاوِلًا حَتَّى مِنْ الْأَذَانِ فِي آخِرَاتِهَا<sup>(٤)</sup>  
تَكْبُو وَرَاءَكَ يَا ابْنَ أَحْمَدَ قَرَّحَ  
لَيْسَتْ قَوَائِمُهُنَّ مِنْ آلَاتِهَا<sup>(٥)</sup>

(١) يقول : لسنا نتعجب من كثرة عطاياه وواهبه ، وإنما نتعجب كيف سلمت أمواله من بذله وتفريقه إلى وقت بذلها ؟ إذ ليس من عادته أن يمسك شيئاً .  
(٢) العنان . سير اللجام ، و يروى : حفظ العنان : بإضافة حفظ إلى العنان ، والبيت في معنى البيت السابق : يتعجب منه كيف حفظ العنان بأتمل ما عاداتها أن تحفظ الأشياء ؟ يريد أنه شجاع يكثر ركوب الخيل في الحرب ، وأنه جواد معطاء .  
(٣) يصفه بالفروسية ، وأن فرسه يطاوعه في جميع حركاته ، فلا يضع حافره إلا حيث أراد ؛ وخص الليم لأنها أشبه بالخافر من سائر حروف المعجم .  
(٤) مجاولاً : من الجولان ، و يروى مجاولاً : من المحاولة . وهي الطلب والأخترت : جمع خرت ، وهو الثقب . يقول : إنه من الخدق في الطعن بحيث يضع رمحاً في ثقب الأذن متى أراد .

(٥) القرّح : جمع القارح من الخيل ، وهو ما أتى عليه خمس سنين ، وهو إذ ذلك يكون في جن نشاطه وقوته ، والضمير في آلاتها : يعود إلى القرّح : أي أن قوائمه لا تصلح أن تكون آلات لها في لحاقك ، وهذا مثل . يقول : إنك سبقت الناس في المسكرم ، فإذا أراد غولهم وكبارهم اللحاق بك كبت وسقطت وراءك ولم تستطع اللحاق بك لصعوبة مسالكك . ولك أن ترجع الضمير - من آلاتها - إلى وراء ، وهي مؤنثة أي ليست قوائمه من آلات الجرى وراءك . وإليك عبارات الشراح ، قال ابن جنى : لو تبعتك هذه القرّح لكبت وراءك ولم تحملها قوائمه لصعوبة مسالكك . وقال الواحدي : يجوز أن تكون الهاء عائدة إلى القرّح : أي أنها إذا تبعتك لم تعنها قوائمه فليست من آلاتها ، وهذا مثل ، يريد أن الكبار والفحول إذا راموا لحاقك في مدى الكرم : عثروا وكبوا ولم يلحقوك ، والمعنى أن سييلك في العلى يخفى على من تبعك فيعثر وإن ( ٢٣ - التنبؤ ١ )

رَعْدُ الْفَوَارِسِ مِنْكَ فِي أَبْدَانِهَا أُجْرَى مِنَ الْعَسَلَانِ فِي قَنَوَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
لَا خَلْقَ أَسْمَحُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ  
بِكَ رَأَى نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا<sup>(٢)</sup>

كان قويا كالقارح من الخيل . وقال ابن القطاع : المعنى ليست قوائم هذه الخيل من الآلات وراءك : أى ليست مما يكون خلفك فنطردك .

(١) الرعد : جمع رعدة ، والعسلان : الاهزاز والاضطراب ؛ والقنوات - جمع قناة - الرمح . يقول : إن الارتعاد في أبدان الفرسان من جراء خوفك أظهر وأسرع جريا من الاهزاز في رماحهم .

(٢) راء : مقلوب رأى ، كما قالوا : ناء ونأى . يقول ليس أحد أسمع منك إلا من كان عارفا بك وبما طبعك الله عليه من الكرم والجود ثم رآك ولم يسألك أن تهبه نفسك ، إذ لو سألك إياها لجدت بها ، فكان تركها لك جودا عليك بها ، وهذا من قول أبي تمام :

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتيق الله سائله

وإليك تحفة نحوية للعلامة العكبرى أوردتها لمناسبة قول المتنبي : لا خلق : قال العكبرى : ذهب البصريون إلى النكرة التي مع لا مبنية على الفتح كقولك لا رجل في الدار ، وتقديره : لا من رجل ، فلما حذف «من» من اللفظ وركبت مع لا : تضمنت معنى الحرف ، فوجب أن يبنى ، وبنيت على حركة لأن لها حالة تمكن قبل البناء ، وبنيت على الفتح لأنه أخف الحركات . وذهب أصحابنا إلى أنها نكرة معربة منصوبة بلا ، وحببتنا أنه اكتفى بها عن الفعل ، لأن التقدير في قولك : لا رجل في الدار ، أى لأجد رجلا ، فاكثفوا بلا : من الفعل العامل ، كقولك : إن قمت وإلا فلا ؛ تقديره وإن لم تقم فلا أقوم ؛ فلما اكتفوا بلا من الفعل العامل : نصبوا النكرة به ، وحذفوا التنوين بناء على الإضافة ، ووجه آخر : أن «لا» تكون بمعنى غير : كقولك زيد لا عاقل ولا جاهل : أى غير عاقل وغير جاهل ، فلما جاءت هنا بمعنى ليس نصبوا بها ليخرجوها من معنى «غير» إلى معنى «ليس» ووجه آخر : إنما عملوها النصب لأنهم لما أولوها بالنكرة - ومن شأن النكرة أن يكون خبرها قبلها ، نصبوا بها من غير تنوين لما حدث فيها من التغيير . كما رفعوا المنادى بغير تنوين لما حدث فيه من التغيير . . . ويقال : هات يا رجل ، بكسر التاء أى

غَلَّتِ الَّذِي حَسَبَ الْعُشُورَ بِآيَةٍ تَرْتِيلُكَ الشُّورَاتِ مِنْ آيَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
كِرْمٌ تَبَيَّنَ فِي كَلَامِكَ مَائِلاً  
وَيَبِينُ عِتْقُ الْخَيْلِ فِي أَصْوَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
أَعْيَا زَوَالُكَ عَنْ مَحَلِّ نِلْتَهُ  
لَا تَخْرُجُ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا<sup>(٣)</sup>

أعطى ، وللاثنين هاتيا : مثل آتيا ، وللجمع هاتوا ، والمرأة هاتي بالياء والمرأتين هاتيا  
وللنساء هاتين مثل عاطين . وتقول هات لا هاتيت وهات ، إن كانت بك مبهاتاة ،  
وما أهاتيك . كما تقول ما أعاطيك ، ولا يقال منه هاتيت ولا ينهى بها . وقال الخليل :  
أصل هات من آتى يؤاتى . فقلبت الألف هاء .

(١) غلت : هو غلط ، يقال في الحساب خاصة . والعشور : جمع عشر - بفتح العين  
- الطائفة المعروفة من القرآن الكريم تقرأ مرة واحدة . والترتيل ؛ التبيين في القراءة  
وبآية : متعلق بغلت ؛ وترتيلك : مبتدأ ؛ ومن آياتها : خبره ؛ والجملة استثنائية . يقول  
إن الذى عد أعشار القرآن قد غلط وفاته آية لم يعدها ، وهى ترتيلك للسور ، فإن هذا  
الترتيل معجزة فى الإتقان وحسن الأداء : فهو آية من الآيات ينبغى أن تلحق بآيات  
التزويل فيزيد آية إلى آياته ، ومعجزة إلى معجزاته .

(٢) مائلاً : ظاهراً ؛ والعنق : الكرم ؛ وعنتت الفرس تعنت وعنتت عتقا : سبقت  
الخيول فنجت ، وفرس عاتق : سابق ، ورجل معتاق الموسيقى إذا طرد طريفة سبق بها  
وأنجأها ، وفرس معتاق الموسيقى . قال الأصمعي : وهو الذى إذا طرد عليه طريفة أنجأها  
وسبق بها . قال أبو المثلم برئى صحرا :

حامي الحقيقة نسال الوديقة معتاق الموسيقى لانكس ولا واني

« الموسيقى : اقطع من الإبل يطردها الطارد » يقول : من سمع كلامك عرف  
منه كرمك وطيب عنصرك ، كما أن الفرس الكريم إذا سهل عرف عتقه بصهيله . وإنما  
يعرف كرمه من كلامه ؛ لأن كلامه يدور على أمر بالعطاء ووعده بالإحسان وما إلى ذلك  
مما يدل على طيب أعراقه ومحاسن أخلاقه .

(٣) أعياء النوى : أعجز طالبه . والهالة ، الدائرة حول القمر . يقول : لقد بلغت  
مكاناً علياً من المجد والشرف ، فأنت فيه كالقمر فى علو المنزلة وهولك كالهالة . فلست تزياله ،

لَا نَعْدُلُ الْمَرَضَ الَّذِي بِكَ شَائِقٌ  
 أَنْتَ الرَّجَالَ وَشَائِقٌ عِلَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
 فَإِذَا نَوَتْ سَفَرًا إِلَيْكَ سَبَقْتَهَا فَأَضَفْتَ قَبْلَ مُضَافِهَا حَالَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
 وَمَنْازِلُ الْحَمَى الْجُسُومُ فَقُلْنَا مَا عُذْرُهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا<sup>(٣)</sup>  
 أَعْجَبْتَهَا شَرَفًا فَطَالَ وَقُوفُهَا لِتَأْمُلِ الْأَعْضَاءَ لَا لِأَذَاتِهَا<sup>(٤)</sup>

كما أن القمر لا يزال حالته . قال النراج : وجمع القمر - وإن كان في العنق واحداً - باعتبار ظهوره في كل شهر ، فحسن الجمع .

(١) شاقه : حملة على الشوق، وشائق : خبر مقدم ، وأنت : مبتدأ مؤخر ، والرجال مفعول شائق ، والتقدير : أنت شائق الرجال وعلاقتها . يقول : لانلوم المرض الذي ألم بك ، لأنك أنت تشوق الرجال وتشوق علاقتها : يعني أن المرض الذي بك لا يلام على إنمامه بك . فإنك شوقت الرجال إلى زيارتك وشوقت علاقتها أيضاً ، فهي تزورك مثلهم وتنقل إليك عنهم شوقاً إليك . قال العكبري : وقد كان المدوح مريضاً حين مدحه المتنبى بهذه القصيدة .

(٢) المضاف : مصدر بمعنى الإضافة : يقول : إذا نوت الرجال السفر إليك سبقتها علاقتها فجاءت قبلها شوقاً فأضفت حالات الرجال - أي علاقتها المذكورة - قبل أن تضيفهم ، لأنها وصلت إليك قبلهم . ويروى بدل سبقتها - بالنون - سبقتها - بالتاء - يعني إذا أراد الرجال سفراً إليك : سبقتها بإضافة أحوالها قبل إضافتك إيها : يريد إقامة العذر للمرض الذي نزل به . وقال ابن القطاع : معناه إذا نوت الرجال سفراً إليك أعددت لها أموراً ، فكانت ضيفت أحوالها قبل نزولها بك .

(٣) خيراتها . جمع خيرة مؤنث خير أي أفضل ، والضمير للجسوم . يقول : إن الحمى إنما تنزل على الأجسام ، فإذا تركت جسمك - الذي هو أفضل الأجسام - وأملت بغيره فما عذرهما في ذلك ؟ «هذا» ويقال حمى وحمة . قال الضباب بن سبيع  
 لَعُمْرَى لَقَدْ بَرَّ الضَّبَابُ بَنُوهُ وَبَعْضُ الْبَنِينَ حَمَّةٌ وَسُعَالُ

(٤) يقول : لقد أعجبت الحمى بما رأيت فيك من خصال الكرم والشرف فأطالت إقامتها بك لتأمل أعضائك المشتملة على تلك الخصال ، لا لتؤذيك . والأداة : مصدر

وَبَدَّلَتْ مَا عَشِقْتَهُ نَفْسَكَ كُلَّهُ حَتَّى بَدَّلَتْ لِهَذِهِ صِحَّاتِهَا<sup>(١)</sup>  
حَقُّ الْكَوَاكِبِ أَنْ تَزُورَكَ مِنْ عَلٍ  
وَتَعُودَكَ الْأَسَادُ مِنْ غَابَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
وَالْجِنُّ مِنْ سُرَاتِهَا وَالْوَحْشُ مِنْ فَلَواتِهَا وَالطَّيْرُ مِنْ وَكُنَاتِهَا<sup>(٣)</sup>  
ذُكِرَ الْأَنْامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيْدَةً  
كُنْتَ الْبَيْدِيْعَ الْفَرْدَ مِنْ أُبْيَاتِهَا<sup>(٤)</sup>  
فِي النَّاسِ أَمْثَلَةٌ تَدُوْرُ حَيَاتِهَا كَمَمَاتِهَا وَمَمَاتِهَا كَحَيَاتِهَا<sup>(٥)</sup>

أذى ، فتكون من إضافة المصدر إلى فاعله : أى لتأمل الأعضاء لا لتأذى بها الأعضاء .

(١) لهذه : أى للحمى ، والضمير فى صحتها للنفس . يقول : إنك بدلت كل ما أحبته نفسك ، حتى بدلت لهذه الحمى صحتك . يريد أنه جواد يوجد بكل شيء يحبه .

(٢) من عل : من فوق . يقول : حق الكواكب أن تزورك عائدة لك لأنها شريكتك فى العلو ، وكذلك الأسود لأنها تشبهك فى الشجاعة .

(٣) والجن : عطف على الأسود . يقول : إن جميع هذه الأجناس تألم لعلتك ، لعموم نفعك ، فلو قدرت على عيادتك لجاءت إليك عائدة . والسترات : جمع ستر ، والوكنات : جمع وكنة ، عش الطائر . زاد الجوهري فى جبل أو جدار : والوكر مثله ، وقال الأصمى : الوكنة والوكن : مأوى الطائر فى عش ، والوكر - بالراء - ما كان فى غير عش . وقال أبو عمرو ابن العلاء : الوكنة والأكنة - بالضم - مواقع الطير حيثما وقعت على حائط أو عود أو شجر ؛ وتوكن : تمكن ، ووكن الطائر : دخل فى الوكن ووكن بيضه : حضنه .

(٤) يقول : قد استأثرت - دون سائر الناس - بالناقب والمحمد . فكنت منهم بمنزلة البيت البديع للبتكر الفرد من القصيدة .

(٥) أمثلة : جمع مثال - أى صور ، وتدور صفة لأمثلة . وحياتها : مبتدأ . وكماتها : خبره . يقول : إنهم أشباه الناس وليسوا بناس فى الحقيقة تدور بين الوجود والعدم ، وحياتها كماتها : فى أنه لا غناء فيها ولا نفع ، ومماتها كحياتها : فى عدم المبالاة به .

هَيْتُ النِّكَاحِ حِذَارَ نَسْلِ مِثْلِهَا  
حَتَّى وَفَرْتُ عَلَى النِّسَاءِ بِنَاتِهَا<sup>(١)</sup>  
فَالْيَوْمَ صِرْتُ إِلَى الَّذِي لَوْ أَنَّهُ مَلَكَ الْبَرِّيَّةَ لَأَسْتَقَلَّ هِبَاتِهَا<sup>(٢)</sup>  
مُسْتَرَحْصٌ نَظَرْتُ إِلَيْهِ بِمَا بِهِ نَظَرْتُ وَعَثْرَةُ رِجْلِهِ بِدِيَاتِهَا<sup>(٣)</sup>

- (١) يقول : خفت - إن تزوجت - أن يكون لي نسل مثل هذه الأمثلة ، فتركت البنات موفورة على الأمهات ، لم أتزوج واحدة منهن .
- (٢) يقول : لو كانت الخليفة ملكاً له ثم وهبها لا استقل ذلك بالقياس إلى كرمه . ومن روى وهب البرية : كان المعنى أنه لو عم البرايا بالهبات لا استقلالها . والبرية : الخلق تقول : براه الله يروه بروا أي خلقه . ويجمع على البرايا والبريات : من البرى . وهو التراب . هذا . إذا لم يهمز ، ومن ذهب إلى أن أصله الهمز : أخذه من برا الله الخلق يروهم : أي خلقهم ، ثم ترك فيها الهمز تخفيفاً . قال ابن الأثير : ولم تستعمل مهموزة .
- (٣) نظر : مبتدأ مؤخر ؛ ومسترحص ، خبره مقدم ولك أن تجعل مسترحص خبر مبتدأ محذوف ، ونظر فاعل مسترحص وعثرة رجله : روى بدلها عثر رجله : أي غبار رجله . والديات : جمع دية ثمن دم القتل . يقول : لو اشترت البرية نظرها إليه بأعينها التي بها لكان رخيصاً ولو فدت عثرة رجله بمثل أثمان دياتها لكان ذلك رخيصاً أيضاً : أي أن دية عثرته أكثر من ديات الخلائق .

## قافية الجيم

وقال يمدح سيف الدولة ، وقد صف الجيش في منزل يعرف بالسنبوس وركب  
قاصداً سمندو :

لَهَذَا الْيَوْمِ بَعْدَ غَدِ أَرِيحَ      وَنَارٌ فِي الْعَدُوِّ لَهَا أُجِيحُ<sup>(١)</sup>  
تَبَيْتُ بِهَا الْحَوَاصِنُ آمِنَاتٍ      وَتَسَلَّمُ فِي مَسَالِكِهَا الْحَجِيحُ<sup>(٢)</sup>

(١) الأريح : الرائحة الطيبة ؛ والأجيج اشتعال النار وتلهبها : أجت النار توج  
وتشج أجيباً. وكذلك اتجت : على افعلت ، وتأججت ؛ وقد أججها تأججاً ، وأجج  
بينهم الشر أوقده ؛ والأجوج : المضيء . قاله ابن العلاء ، وأنشد لأبي ذؤيب يصف برقاً :

يُضِيءُ سَنَاهُ رَاتِقًا مُتَكَشَفًا      أَعْرَى كَمِصْبَاحِ الْيَهُودِ أُجُوجُ<sup>(١)</sup>

يقول : سيكون لهذا اليوم — الذي سرت فيه للحرب — أبناء طيبة تسر الأولياء ،  
ونار حرب يضطرم لهيها على الأعداء ، وعبارة ابن جنى : يأتي خير طيب يسر المسلمين  
ويسوء المشركين .

(٢) الحواصن : العقيدات ؛ وتروى الحواصن — أي النساء المريات لأطفالهن —  
وتروى : الحواصر — أي نساء أهل الحضر — يقول : إن نار هذه الحرب  
تأمن بها النساء من السبي ، ويسلم الحجاج في مسالكهم فلا يتعرض لهم الروم إذ تنتصر  
عليهم ، فالضمير في مسالكها : للحجيج ؛ والحجيج : الحجاج : جمع حاج ، ومثله غاز  
وغزى وناج ونجى ، وناد وندى — للقوم يتناجون ويجتمعون في مجلس — وللعادين  
على أقدامهم عدى ، والضمير في بها : للنار ومن روى به : فالضمير للأجيج .

(١) يصف سبحانه متابعا ؛ والهاء في سناه : تعود على السحاب ، وذلك أن  
البرقة إذا برقت انكشف السحاب ؛ وراتقا : حال من الهاء في سناه ، ورواه الأصمعي  
راتق متكشف ، فجعل الراق : البرق .

فَلَا زَالَتْ عُدَاتُكَ حَيْثُ كَانَتْ فَرَأَيْسَ أَيُّهَا الْأَسَدُ الْمُهَيِّجُ<sup>(١)</sup>  
عَرَفْتُكَ وَالصُّفُوفُ مُعَبَّاتٌ وَأَنْتَ بَغَيْرِ سَيْفِكَ لَا تَعِيجُ<sup>(٢)</sup>  
وَوَجْهُ الْبَحْرِ يُعْرِفُ مِنْ بَعِيدٍ  
إِذَا يَسْجُو فَكَيْفَ إِذَا يَمْجُو<sup>(٣)</sup>

(١) المهيج: الذي هاجه غيره؛ وفرائس: خبر زالت. لما ذكر الأسد استعار له الفريسة فقال: لا زالت عداتك أيها الأسد فرائس لك في حيثما كانت.

(٢) لا تعيج: لا تبالي. وكان أبو الطيب مع سيف الدولة في بلاد الروم. فلما صف الجيش كان أبو الطيب متقدماً، فالتفت فرأى سيف الدولة خارجاً من الصفوف يدير رحماً، فعرفه وجاء إليه وسأله وأنشده. يقول: عرفتك والصفوف معبأة من حولك وأنت لا تبالي إلا بسيفك. يشير إلى أنه لا يحتفل بجنده وبتعبته، وأنه شجاع لا يعبأ إلا بسيفه، هذا. ويقال عبأت الجيش عبأ وعبأتهم تعبئة، وقد يترك الهمز فيقال عبيتهم تعبئة: أي رتبهم في مواضعهم وهبأتهم للحرب؛ وقد قلنا: لا تعيج بمعنى لا تبالي. قال صاحب اللسان: العيج شبه الاكترات، وأنشد:

وما رأيتُ بها شيئاً أعيجُ به إلا الثمامَ وإلا موقدَ النار

قال ابن سيده: ما عاج بقوله عيجا وعيجوجة: لم يكثر له أو لم يصدق؛ وما عاج بالدواء عيجاً: أي ما انتفع، وما أعيج من كلامه شيء: أي ما أعبأ به؛ وبنو أسد يقولون ما أعوج بكلامه: أي ما ألقت إليه؛ أخذوه من عجت الناقة. ويقال: ما عجت بغير فلان، ولا أعيج به: أي لم أشنف به ولم أستيقنه. قال ابن العلاء: العياج الرجوع إلى ما كنت عليه.

(٣) يسجو: يسكن بموجه، قال تعالى «والليل إذا سجا» أي سكن بالناس، ومنه البحر الساجي، قال الأعشى:

فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمكم وبمرك ساج لا يوارى الدعامص<sup>(١)</sup>  
وليلة ساجية: إذا كانت ساكنة البرد والريح والسحاب غير مظلمة.

(١) الدعامص والدعاميص: جمع دمحوص: دويبة صغيرة تفوص في الماء، وكثيراً ما تكون في المستنقعات.

بأرضٍ تَهْلِكُ الْأَشْوَاطُ فِيهَا  
إِذَا مُلِئَتْ مِنَ الرَّكْضِ الْفُرُوجِ<sup>(١)</sup>  
تُحَاوِلُ نَفْسَ مَلِكِ الرُّومِ فِيهَا  
فَتَقْدِيهِ رَعِيَّتُهُ الْعُلُوجِ<sup>(٢)</sup>  
أَبَالْعَمَرَاتِ تُوَعِدُنَا النَّصَارَى  
وَنَحْنُ نُجُومُهَا وَهِيَ الْبُرُوجِ<sup>(٣)</sup>  
وَفِينَا السَّيْفُ حَمَلْتُهُ صَدُوقُ<sup>(٤)</sup>  
إِذَا لَاقَى وَغَارَتْهُ الْجُجُوجِ<sup>(٤)</sup>  
نُعَوِّذُهُ مِنَ الْأَعْيَانِ بَأْسًا  
وَيَكْتُرُ بِالِدُعَاءِ لَهُ الضَّجِيجِ<sup>(٥)</sup>

قال الحارثي :

يا حبذا القمراء والليلُ الساجُ وطُرُقٌ مثلُ ملاءِ النساجِ  
وامرأة ساجية : فاترة الطرف . وهو معنى حسن في النساء ؛ وناقاة سجواء : ساكنة  
عند الحلب ؛ وسجى الميت غطاءه ، والمتسجى : التغطى ، من الليل الساجي ، لأنه يغطي  
بظلامه وسكونه . يقول : إن البحر يعرف وهو ساكن فكيف إذا ماج وتحرك؟ وضرب  
هذا مثلاً له لسارآه يدير رمحاً بيده ؛ فشبهه بالبحر المائج .  
(١) الشوط : الطلق من العدو ، قال في اللسان : الشوط الجري مرة إلى غاية ؛  
والجمع أشواط . وقد عدا شوطاً : أى طلقاً ؛ والفروج : ما بين قوائم الفرس . يقول :  
عرفتك بأرض واسعة يتلاشى فيها السير ، وإن كانت تملأ ما بين القوائم عدواً لطلوها  
(٢) تحاول : تطلب ، والضمير للخطاب ، والضمير من فيها للأرض ؛ والعلج : الجافي  
الغليظ من كفار العجم . يقول : تريد أن تأخذ نفس ملك الروم في هذه الأرض  
فتفديه أصحاب العلوج إذ تفنيهم وتستأصلهم .  
(٣) العمرات : الشدائد . يقول : أتهددنا النصارى بالحرب ونحن أبناؤها لا تفارقها  
كما لا تفارق النجوم منازلها .  
(٤) لج في الأمر لججاً ولجاجاً ولجاجة : تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه . يقول :  
وفينا سيف الدولة الذي إذا حمل على الأعداء صدق في حملته ، ماجبن وما خام عن اللقاء  
وإذا أغار عليهم لجت غارته ودامت ، فلا ينثنى حتى يستأصلهم ويعصف بهم .  
(٥) الأعيان : العيون ، جمع عين ، قال يزيد بن عبد المدان :

رَضِينَا وَالْدُمُسْتَقُ غَيْرُ رَاضٍ  
بِمَا حَكَمَ الْقَوَاضِبُ وَالْوَشِيحُ<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ يُقَدِّمُ فَقَدْ زُرْنَا سَمْنَدُو  
وَإِنْ يُجْجِمُ فَمَوْعِدُهُ الْخَلِيجُ<sup>(٢)</sup>

ولكنني أغدو على مفاضة دِلاص<sup>(١)</sup> كأعيان الجراد المنظم<sup>(١)</sup>  
وبأسا : أى شدة وشجاعة ، وهو مفعول له - أى لبأسه - كما تقول نعوزه بالله  
حسنا : أى لحسنه . وقال ابن جنى : بأسا أى خوفا - من قولهم لا بأس عليك - وهو  
أصح فى التركيب ، إلا أن الأول أليق بالمعنى : يقول : نعوذ الممدوح بالله من أن تصيه  
العيون لدى رؤية بأسه ، لأننا لا نخاف عليه غير ذلك .

(١) الدمستق : قائد جيش الروم ؛ والقواضب : السيوف القواطع والوشيح :  
عيدان الرماح ، ووشجت العروق والأغصان . اشتبكت ؛ والواشجة الرحم المشتبكة ،  
وقد وشجت به قرابة فلان ، والاسم الوشيح . يقول : رضينا بما حكمت به السيوف  
والرماح فى الحرب ، ولكن الدمستق لم يرض بذلك ، لأنها حكمت لنا بالفوز والظفر  
فرضينا ، وحكمت عليه بالهزيمة والفشل فلم يرض . هذا : والأوجه أن يكون الدمستق  
مبتدأ ، خبره : غير راض ، والجملة حال ، وبما حكم : متعلق برضينا .

(٢) سمندو : قلعة بالروم يقال هى المعروفة اليوم بيلغراد ؛ والخليج : خليج  
القسطنطينية . يقول : فإن أقدم على قتالنا فقد قصدنا بلادنا ، وإن هرب وخام عن  
لقاتنا لحقناه إلى الخليج .

(١) مفاضة دلاص : يريد درعا .

## قافية الحاء

وقال يعتذر إليه وقد تأخر مدحه عنه فظن أنه عاتب عليه :

أذنى أبنيسامٍ منك تحمياً القرامحُ  
 وَتَقْوَى مِنَ الْجِسْمِ الضَّعِيفِ الْجَوَارِحِ<sup>(١)</sup>  
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يَفْضِي حُقُوقَكَ كُلَّهَا  
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِي سِوَى مَنْ تُسَامِحُ<sup>(٢)</sup>  
 وَقَدْ تَقَبَّلُ الْعُذْرَ الْخَفِيَّ تَكْرُمًا  
 فَمَا بَالُ عُذْرِي وَاقِفًا وَهُوَ وَاضِحُ<sup>(٣)</sup>

(١) القرامح : الطبايع - يقال فلان جيد الطبيعة : إذا كان ذكي الطبع ؛ وجيد القرحة : إذا كان له نظر وفهم ومعرفة ؛ وقيل القرحة : خالص الغريزة - من قولهم ماء قراح : أى خالص - وقرحة البئر : أول ما يخرج من مائها ؛ ورجل قرحان : إذا لم يصبه جدري ولا طاعون يراد خالص الجسد . والجوارح : الأعضاء - اليدان والرجلان والعينان والفم والأذن - وسميت كذلك لأن أصل الجرح الاكتساب ، والاكتساب يقع بهذه الجوارح من خير وشر . قال تعالى « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » أى كسبتم . وقال « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » أى اكتسبوها . يقول : إذا ابتسمت إلى إنسان انشرح صدره وحي طبعه وقويت جوارحه وإن كان ضعيف الجسم ، لأنه يفرح والفرح يقوى القلب والجسم . يشير بذلك إلى عذره فى تأخر مدحه لأنه كان معتلا .

(٢) يقول : إن حقوقك أكثر من أن يقدر أحد على القيام بقضائها ، ومن ذا الذى يرضيك بقضاء حقوقك غير الذى تسامحه وتتساهل معه ؟  
 (٣) تكريما : مفعول لأجله ، وواقفا : حال من عذرى . يقول : إنك لكريمك تقبل العذر الخفى . فما بال عذرى واقفا لا يلتفت إليه وهو واضح ؟

وَإِنْ مُحَالًا - إِذْ بَكَ الْعَيْشُ - أَنْ أَرَى  
وَجِسْمُكَ مُعْتَلٌّ وَجِسْمِي صَالِحٌ<sup>(١)</sup>  
وَمَا كَانَ تَرَكِي الشُّمْرَ إِلَّا لِأَنَّهُ  
تَقَصَّرُ عَنْ وَصْفِ الْأَمِيرِ الْمَدَامِحُ  
وقال في صباه وقد بُلِّغَ عن قومٍ كلاماً :

أَنَا عَيْنُ الْمَسْوَدِ الْجَحْجَاحِ هَيَّجَتْنِي كَلَابُكُمْ بِالنَّبَاحِ<sup>(٢)</sup>  
أَيَكُونُ الْهَجَانُ غَيْرَ هِجَانٍ أَمْ يَكُونُ الصَّرَاحُ غَيْرَ صُرَاحٍ<sup>(٣)</sup>

(١) يقول : إذا كان عيشنا بك فمن المحال أن تعتل ولا أشاركك في علتك . وهذا من قول أبي تمام :

وَإِنْ يَجِدُ عِلَّةً نَعَمُ بِهَا حَتَّى تَرَانَا نُعَادُ فِي مَرَضِهِ

قال العكبري : قوله إن محالا : جعل اسم إن نكرة للضرورة لأنها تدخل على المبتدأ والخبر ، ولا يجوز أن يكون المبتدأ نكرة إلا في مواضع ليست هذه منها .  
(٢) المسود : الذي جعله قومه سيدا . والسيد : الكريم . ولا توصف به المرأة ؛ وجمع الجحجاج : ججاجح ، قال الشاعر :

مَاذَا بِيَدْرِ فَالْعَقْنَ قَلَّ مِنْ مَرَازِبَةِ جَجَاجِحِ

وإن شئت ججاجيح ، وإن شئت ججاجحة ، والهاء عوض من الياء المحذوفة لا بد منها أو من الياء ، ولا يجتمعان . ويظهر أن الجمع في الحقيقة : ججاجيح ، لا الججاجيح ، وإنما حذف الياء من البيت - ماذا ييدر الخ - ضرورة قاله ابن بري . يقول : أنا نفس الججاجح - السيد الكريم - أثارتنى وأغضبتني سفهاؤكم بسفهيها . ولما سماهم كلاباً سمى كلامهم نباحا . وروى - بدل هيجتني - هجتني : أي نسبتني إلى الهجنة . يدل على ذلك البيت التالي .

(٣) الهجان : الرجل الكريم الحسب النقي ، وامرأة هجان : كريمة من نسوة هجان وهي الكريمة الحسب التي لم تعرق فيها الإمام تعريفا . وقول على كرم الله وجهه :

هَذَا جِنَايَ وَهَجَانِهِ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

معناه : خياره وخالصة ، وأنشد أبو الهيثم :

جَهْلُونِي وَإِنْ عَمَرْتُ قَلِيلًا نَسَبْتَنِي لَهُمْ رُءُوسُ الرَّمَّاحِ<sup>(١)</sup>

وقال يمدح مساور بن محمد الرومي :

جَلًّا كَمَا بِي فَلَيْسَ التَّبْرِيحُ أَغْدَاهُ ذَا الرِّشَاءِ الْأَعْنَ الشَّيْحِ<sup>(٢)</sup>

وإذا قيل من هيجان قريش كنت أنت الفتى وأنت الهيجان  
وكل ذلك مأخوذ من الإبل؛ والهيجان من الإبل: البيض الكرام. قال عمرو بن  
كثوم في معلقته :

ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَدْمَاءٍ بَكْرٍ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا  
« يصف امرأة يقول: تريك ذراعين ممتلئتين لحمًا كذراعى ناقة طويلة العنق لم تلد  
بعد، يضاء اللون، فقوله: لم تقرأ جنينا: أي لم تضم في رحمها ولدا ». .  
قال أهل اللغة: يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع؛ يقال: بعير هجان وناقة هجان،  
وربما قالوا: هجان. قال ابن أحرر:

كَأَنَّ عَلَى الْجَمَالِ أَوْانَ خَفْتِ هِجَانٍ مِنْ نِعَاجِ أَوَارِعِينَا  
والصراح: الخالص النسب. يقول: إن المكرم الخالص النسب لا يصير غير كريم  
وغير خالص النسب: يعني أن هجو الهاجى لا يؤثر فيه: لأنه ذكر في البيت الأول  
شكواه من السفهاء واللثام، وذكر في هذا البيت أن سفههم لا يقدر في نسبه ولا يغيره.  
(١) يقول: إن أولئك العائنين قد جهلوا قدرى ونسبى وأصلى، فإن عشت قليلا  
عرفتهم الرماح نسي، إذ يرون غنائى وحسن بلائى. ينوعدهم ويهددهم بالقتل. وعبارة  
الواحدى: يَحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ إِذَا طَاعَنْتَهُمْ وَرَأَوْا حَسْنَ بِلَائِي اسْتَدَلُّوا بِذَلِكَ عَلَى كَرَمِ نَسْبِي.  
(٢) الجلل: الأمر العظيم؛ وجللا: خبر «فليك» مقدم. والتبريح: الجهد والشدة،  
والرشأ: ولد الظبية، والأغن: الذى فى صوته غنة، وهو من أوصاف الظباء. والشيح  
نبات طيب الرائحة. يقول: ليسكن تبريح الهوى عظيما مثل ما حل بي وإلا فلا! ثم قال:  
أتظنون غداء من فعل بي هذا الفعل الشيح شأن مثله من ظباء الصحراء؛ إنما غداؤه  
قلوب العشاق ينحلهم وبهزلهم فيورثهم هذا التبريح كما قل بعضهم:

يَرَعَى الْقُلُوبَ وَتَرْتَعِي السِّفْرَ لَأَنَّ فِي الْبَيْدَاءِ شَيْحَهُ

هذا : - وإليك ما أورده سائر الشراح زيادة على ما أوردهناه . قال العكبري : يريد أن من كان في شدة فليك كما أنا - تعظما لما هو فيه من الشدة - وتم الكلام ههنا ، ثم استأنف قولاً آخر متعباً من حسن المشبه أي كأنه ظلي في حسنه ، ووقع الشك لوقوع الاشتباه كقول قيس !

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيدِكِ جِيدُهَا وَلَكِنَّ عَظْمَ السَّاقِ مِنْكَ دَقِيقُ  
وقوله أغذاء : هو استفهام معناه الإنكار ، يريد أن الرشا الذي يهواه إنس لا وحش فيغذى بالشيخ ، وقال ابن جنى : المصراعان متباينان ، فلذلك أفرد كل واحد بمعنى ، وقال أصحاب المعاني : قد يفعل الشاعر مثل هذا في التشبيب خاصة ليدل به على وله وشغله عن تقويم خطابه ؛ كقول جرير العود :

يَوْمَ ارْتَحَلْتُ بِرَحْلِي دُونَ بَرْدَعَتِي وَالْقَلْبُ مُسْتَوْهَلٌ بِالْبَيْنِ مَشغُولُ  
ثُمَّ اغْتَرَزْتُ عَلَى نِضْوَى لِأَبْعَثَهُ إِثْرَ الْحُمُولِ الْفَوَادِي وَهُوَ مَعْقُولُ<sup>(١)</sup>

(١) جاء في اللسان والقاموس وشرحه : جرير العود شاعر من نيمر قال الجوهري : واسمه المستورد ، وقد غلظه الصاغاني . وقال : إنما اسمه عامر بن الحارث - وهو شاعر إسلامي - ولقب بذلك لقوله .

عَمَدَتُ لِعَوْدٍ فَالتَّحِيْتُ جِرَانَهُ وَلَلْكَيسُ أَمْضَى فِي الْأُمُورِ وَأَنْجَحُ  
خُذَا حَذْرًا يَا خُلَّتِي فَإِنِّي رَأَيْتُ جِرَانَ الْعَوْدِ قَدْ كَادَ يَصْلِحُ  
يخاطب امرأته . وأراد بجران العود - والعود البعير السن - سوطاً قد من جلد عنق عود نحره ، وهو أصلب ما يكون ، ليضرب به امرأته ، وكانت قد نشزت عليه . والجران . باطن العنق الذي يضعه البعير على الأرض إذا مد عنقه لينام ، والتحيت أخذت ؛ والسكيس ، حسن التأني في الأمور ، وياخلتى يروى يا جارتي ؛ وقوله فإنني الخ : يقول : فإنني رأيت السوط قد قارب صلاحه للضرب ، وقوله يوم ارتحلت الخ فالبردعة المجلس الذي يلقى تحت الرحل ، ويكنى عن الزوجة بالبردعة ، ومستوهل . فازع ، واغترزت . وضعت رجلي في العرز ، وهو الركاب . والنضو . البعير الذي أنضاه السفر ، والحمول . الإبل ، ومعقول : أي لم يحلل عقاله دهشاً .

يريد أنه لشغل قلبه لم يدر كيف يرحل ، ولم يدر أن بعيره معقول ؛ وفي كلامه  
ما يدل على وله مما ذكر من حاله ، وعلى هذا يحمل قول زهير :

\* قف بالديار التي لم يَعْنُهَا الْقَدَمُ \*

مم قال :

\* بلى وغيرها الأرواحُ والديمُ \*

وقال القاضي الجرجاني : بين المصراعين اتصال لطيف ، وهو أنه لما أُخبر عن  
عظم تبرعه بين أن الذي أورثه ذلك هو الرشا الذي شكه على شكل الغزلان في غذائه .  
وإليك بعد هذا تحفة نحوية للعلامة العسكبرى قال : قوله : فليك : حذف النون لسكونها  
وسكون التاء في التبريح ، ولم يكن حذفها كحذفها من قوله تعالى « ولم تك شيئاً »  
وقوله :

\* لم يَكْ شَيْءٌ يَا إلهي قبلكما \*

لأنها قد ضارعت بالخروج والسكون والغنة حروف المد وحذفت كما تحذفن وهي هنا في قول  
المتنبي قوية بالحركة ، لأن سبيلها أن تحرك ، فكان ينبغي أن لا يحذفها ، لكنه لم يعتد  
بالحركة في النون لما كانت غير لازمة ضرورة ؛ ومثله :

لم يَكْ الحق سوى أن هاجه رَسْمُ دارٍ قد تعنى بالسرر<sup>(١)</sup>

وقد حذفت النون من لكن في الشعر ضرورة ، أنشد سيبويه .

فأستُ بآتيه ولا أستطيعه ولاك استقني إن كان مأوك ذا فضل<sup>(٢)</sup>

(١) جاء في لسان العرب أنه للحسن بن عرفة ، جاهلي ، والسرر لعله يريد الموضع

الذي هو على أربعة أميال من مكة قال أبو ذؤيب :

بآية ما وقفت والركاب وبين الخحون وبين السرر

(٢) للنجاشي الشاعر وقبله :

وماء قديم العهد بالورد آجن يُخال رُضاباً أو سلاقاً من العسل

لقيت عليه الذئب يعوى كأنه ضليعٌ خلا من كل مالٍ ومن أهل

لَعِبَتْ بِمِشِيَتِهِ الشَّمُولُ وَغَادَرَتْ  
صَنَامًا مِنَ الْأَصْنَامِ لَوْلَا الرُّوحُ (١)  
مَا بِالْهُ لَأَحْظَتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ وَفُؤَادِي الْمَجْرُوحُ (٢)

وإذا جاز حذف النون من لكن — وقد حذف منها نون أخرى — جاز أن تحذف من قوله: فليك التبرج. وفيه قبح من وجه آخر: وهو أنه حذف النون مع الإدغام وهو غريب جدا، لأن من قال في بني الحرث بلحارث لم يقل في بني النجار بنجار . . . والأغن الذي في صوته غنة، وهو صوت من الحيشوم، والأغن: الذي يتكلم من قبل خياشيمه، وواد أغن: كثير العشب لأنه إذا كان كذلك ألفه الذباب، وفي أصواته غنة؛ ومنه قيل للقرية الكثيرة الأهل والعشب: غناء، وأما قولهم: واد مغن: فهو الذي صار فيه صوت الذباب ولا يكون الذباب إلا في واد محصب معشب؛ وأغن السقاء: إذا امتلأ ماء.

(١) الشمول: الحجر. يقول: إن الحجر رنحته فتبايل في مشيته وزادت في حسنه حتى تركته كأنه صنم لولا أنه ذو روح. وفي هذا البيت نظر إلى قول ديك الجن:

ظَلَّلْنَا بِأَيْدِينَا نَتَعْتَعُ رُوحَهَا فَتَأْخُذُ مِنَّا أَقْدَامِنَا الْحَرُّ نَارَهَا  
وقد جرت عادتهم بأن يسهوا الحسان بالدمى والأصنام ناظرين إلى أن مصورها أبدوها في تجميلها واقتنوا في تزويقها حتى أصاروها كأنها الجمال مائلا. ويروى بدل - وغادرت - وجردت: أي سيرته بحيث بمجرد منه صنم لحسنه. هذا: وإنما سميت الحجر شمولا؛ قيل لأنها تشمل بريحتها الناس؛ وقيل شبهت بالشمال من الريح لأنها تعصف باللب كما تعصف الشمال.

(٢) يقول: إن فؤادي هو المجروح بنظري إليه، فما بال وجناته قد احمرت وظهر الدم فيها وفؤادي هو الأجدر بذلك؟ وفي هذا المعنى يقول كشاجم:

فقلت له يا ذئب هل لك في أبيض يواسي بلا منَّ عليك ولا بمُخل  
فقال هداك الله للرشد إنما دعوت لما لم يأتني سيع قبلي  
فلمست بآتيه . . . . . (البيت)

والعسل: جمع عسل كأعسال. والضيع: القوى الشديد؛ والمعوج، والمضروب في ضلعه، والظاهر أن هذا هو المراد.

وَرَمَى وَمَا رَمَتَا يَدَاهُ فَصَابِنِي سَهْمٌ يُعَذِّبُ وَالسَّهَامُ تُرِيحُ (١)  
قُرْبَ الْمَزَارِ وَلَا مَزَارَ وَإِنَّمَا يَفْغَدُوا الْجَنَانَ فَفَلْتَقِي وَيَرُوحُ (٢)  
وَفَشَّتْ سَرَائِرُنَا إِلَيْكَ وَشَفْنَا تَعْرِيفُنَا فَبَدَا لَكَ التَّصْرِيحُ (٣)

أَرَاهُ يُدَمِي خَدَّهُ وَهُوَ جَارِحِي بِعَيْلِيهِ وَالْمَجْرُوحُ أَوْلَى بَأَن يَدَمِي  
وقوله تضرجت : أى تلطخت بالدم . برید احمرت خجلا ، وأصله من انضرج : إذا  
انشق ، كأنه قد انشق جلده فظهر الدم ؛ وفي الضرج بمعنى الشق يقول ذو الرمة  
يصف نساء :

\* ضَرَجْنَ الْبُرُودَ عَن تَرَائِبِ حُرَّةٍ \*

أى شققن . وتضرج الثوب الثوب : انشق ، وتقول : تكاد تتضرج من الماء : أى  
تنشق ؛ ومنه انضرجت له الطريق : أى انسعت ؛ وانضرج ما بين القوم : تباعد ما بينهم ،  
وتضرجت عن البقل لفائفه : إذا انفتحت .

(١) كان الوجه أن يقول : وما رمت يدها ولكنه على لغة من يقول قما أخواك ،  
وصابه : لغة فى أصابه ؛ يقول : رمانى بلحظه فأصابنى منه سهم ليس كالسهم المعروفة تقتل  
فتريح ، وإنما يعذب من أصابه .

(٢) المزار الأول : مكان الزيارة ، والثانى : مصدر بمعنى الزيارة . والجنان : القلب .  
يقول : إن دارك أيها الحبيب قريبة منى ، ولكن لاسبيل إلى الزيارة خشية الرقباء ،  
وإنما تتلاقى بالقلوب ، فيغدو قلبى إليك ويروح أى أتذكرك فأمثلك فى قلبى ؛ فكأننا قد  
التقينا - كما قال ابن العز :

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقِي بِالذِّكْرِ إِن لَّمْ نَلْتَقِ  
ومثله لأبى الطيب :

لَنَا وَلِأَهْلِ أَبْدَاءِ قُلُوبٍ تَلْقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلْقَى

(٣) السرائر : بمعنى الأسرار المكتومة . وشفه : أنخله . يقول : إن كتان الهوى  
أقتصارنا فيه على التعريف قد أسقمنا وهزلنا ، فذلك هزالنا البادى على ما نحنه الضلوع من  
الوجد ، فقام ذلك مقام التصريح .

لَمَّا تَقَطَّعَتِ الْجُمُولُ تَقَطَّعَتْ نَفْسِي أَسَى وَكَأَنَّهَا طُلُوحٌ<sup>(١)</sup>  
وَجَلَا الْوَدَاعُ مِنَ الْحَبِيبِ مَحَاسِنًا  
حُسْنُ الْعَزَاءِ وَقَدْ جَلِينِ قَبِيحٌ<sup>(٢)</sup>  
فِيذُ مُسَلَّمَةٌ وَطَرْفُ شَاخِصٌ  
وَحَشَى يَذُوبٌ وَمَدْمَعٌ مَسْفُوحٌ<sup>(٣)</sup>  
يَجِدُ الْحَمَامُ وَلَوْ كَوْجِدِي لِأَنْبَرِي  
شَجَرُ الْأَرَاكِ مَعَ الْحَمَامِ يَنْوَحُ<sup>(٤)</sup>

(١) الجمول : الأحمال على الإبل ، ويريد بها الإبل التي حملتها ، والطلوح : جمع طلح ، وهو شجر أسفله دقيق وأعلاه كالقبة ، تشبه به الإبل عليها الهوادج . يقول : لما تفرقت الجمول سائرة وكأنها طلوح تقطعت نفسي وجداً وحرزناً .

(٢) يقول : كشف الوداع محاسن الحبيب عند الفراق ، فصار الصبر الجميل عنها قبيحاً . وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً فأصبح يدعى حازماً حين يجرع  
ويقول العتي محمد بن عبيد الله يذكر ابناً له مات ومنه أخذ أخذ أبو تمام :

والصبر يُحمد في المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم  
وقوله حسن العزاء الخ : تقديره حسن العزاء قبيح ، وقد جليلين : أي المحاسن : فأقحم بين المبتدأ والخبر جملة فعلية .

(٣) المراد بالدمع : الدمع . يصف حال الوداع . يقول : لو ترانا عند الوداع ونحن على هذه الحال لرحمتنا ، فهناك يدتشير بالسلام ، وطرف شاخص إلى وجه المودع ، وقلب يذوب حرزناً على الفراق ، ودمع مصبوب .

(٤) يجد : من الوجد . وقوله ولو كوجدي : أي ولو كان وجده كوجدي لأنبري الخ والأراك : شجر معروف . يقول : إن الحمام يحزن عند فراق إلفه ، ولو كان وجده كوجدي لرق له الشجر وانبعث يبكي معه وينوح رحمة ورقة ؛ وقوله : لأنبري ، يريد لاندفع وأخذ . ويقال : برى له يبرى برى وأنبري : عرض له : وباراه عارضه ، وباريت فلاناً مباراة : إذا كنت تفعل مثل مايفعل .

وَأَمَقَّ لَوْ خَدَّتِ الشَّمَالُ بِرَاكِبٍ

فِي عَرْضِهِ لِأَنَّاخَ وَهِيَ طَلِيحٌ<sup>(١)</sup>

نَازَعَتْهُ قَلَصَ الرَّكْبِ وَرَكِبَهَا خَوْفَ الْهَلَاكِ حُدَاهُمْ التَّسْبِيحُ<sup>(٢)</sup>

لَوْلَا الْأَمِينُ مُسَاوِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ مَا جُشِمَتْ خَطَرًا وَرُدَّ نَصِيحُ<sup>(٣)</sup>

(١) وأمق: الواو واو رب . يصف مهمها طويلا . والأمق : المكان الطويل .  
والوخذ . ضرب من السير ؛ وخذت هنا . أسرع . والطيح : المعى ، يقال طلع البعير  
أعيا : فهو طليح ، وأطلحته أنا وطلحته : حسرته ، ويقال ناقة طليح أسفار . إذا جهدها  
السير وهزلها ؛ وإبل طلع وطلأخ ، والطلح - بالكسر - المعى من الإبل ، يستوى  
فيه الذكر والأنثى ، والجمع أطلاق . قل الحطيئة يصف إبلا وراعيا :

إِذَا نَامَ طَلِحَ أَشَعَّتْ الرَّأْسَ خَلْفَهَا هِدَاهُ لَهَا أَنْفَاسُهَا وَزَفِيرُهَا

« يقول الحطيئة . إن هذه الإبل تنفس من البطنة تنفساً شديداً فيقول . إذا نام  
راعيا عنها وندت تنفست ، فوقع عليها وإن بعدت » يقول : لو أسرع ربح الشمال في ذلك  
المهمة وعليها راكب لأناخ ذلك الراكب ونزل والشمال معية ، وإذا كانت الشمال تعي فيه  
فكيف الإنسان أو الناقة ؟ وإنما ذكر العرض ليدل على السعة لأن العرض أقل  
من الطول .

(٢) اقلص - جمع قلوص - الناقة الفتية . والركاب الإبل . يقول : خاصمت هذا  
المهمة على الإبل ، فهو يأنى إلا أن ينال منها ويعصف بها بطوله ومشقته ، وأنا أنى إلا أن  
أستبقها لمسيرى . ثم قال : وكان ركاب هذه الإبل - لحوفهم الهلاك - يسبحون الله  
ويسألونه النجاة ، فكان التسبيح حذاء للإبل مكان الغناء الذي تعدى به . وقال ابن  
جنى : نازعته أخذت منه - من الأمق . أى المهمة - بقطعي إياه وأعطيته ما نال من  
الركاب ؛ قل الواحدى : ليس المعنى على ما قل ابن جنى ؛ لأن المتنازع فيها هى اقلص ،  
فالبلد يفنيها ويأخذ منها وهو يستبقها . والمعنى . إني أحب إبقاءها ، والأمق يجب  
إفناءها بالمتنازع فيها كقول الأعشى :

\* نازعتهم قُضِبَ الرِّيحَانُ مُتَكِنًا \*

أى أخذت منهم وأعطيتهم ، وهم أخذوا منى وأعطوني .

(١) جشمت : كلفت . يقول : لولا المدوح ما عرضنا إبنا لهذا الخطر ، ولا ردونا

الناصح الذي كان ينصح لنا وينهانا عن ركوب هذه الأهوال . وإليك درة نحوية للعلامة العسكري ، قال : لولا الأُمير : الأُمير مرتفع بالابتداء عند البصريين ، وعندنا أن الاسم مرفوع بها ، لأنها نائبة عن الفعل الذي لو ذكر لرفع الاسم كما تقول لولا زيد لجئت ، تقديره لو لم يمتنعى ، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفاً وزادوا لا على لو فصارا بمنزلة حرف واحد . كقولهم : أما أنت منطلقا انطلقت معك . تقديره إن كنت منطلقا انطلقت معك . قال الشاعر :

أبا خراشةً أما أنت ذا نفرٍ فإن قومي لم تأكلهم الضبع<sup>(١)</sup>

أى إن كنت ذا نفر ، فحذف الفعل وزاد «ما» عوضا عنه ، والذي يدل على أنها عوض عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها لثلاثي جمع بين العوض والمعوض ، وكقولهم أمالا فافعل هذا ، تقديره إن لم تفعل ما يلزمك فافعل هذا ، فحذف الفعل لكثرة الاستعمال وزيدت ما على أن عوضا عنه فصارتا بمنزلة حرف واحد . ويجوز إمالتها لأنها صارت عوضا عن الفعل ، كما أمالوا بلى ويا فى النداء ، والشواهد كثيرة على أن الفعل بعدها محذوف ، واكتفى الاسم بلولا ، ويدل على أن الاسم بعدها يرتفع بدون الابتداء أنها إذا وقع بعدها «أن» انفتحت كقولك : لولا أن زيدا معنى ، قل الله تعالى :

(١) البيت لعباس بن مرداس السلمى الصحابى ، وأبو خراشة كنية خفاف بن ندبة ، وندبة أمه - وهو صحابى جليل وأحد فرسان قيس وشعرائها ، وهو ابن عم الحنساء .  
وبعد البيت :

والسلمُ تأخذ منها ما رَضِيتَ به والحرب يكفيك من أنفاسها جُرْعُ  
ونفر الرجل رهطه ، ويقال لعدة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، والمراد بالضبع السنة المجدية ، وأصله أن الناس إذا أجدبوا ضعفوا عن الانتصار وسقطت قواهم فعانت فيهم الضباع والدئاب فأكلتهم . يقول : يا أبا خراشة إن كنت عزيزا بقوم كثيرا لهم فإن قومي ليسوا بأذلاء ، ثم قال : إن السلم أنت فيها وادع تنال من مطالبك ما تريد ، أما الحرب فإنها على العكس من السلم ، وأراد بأنفاسها : أوائلها يحرضه على الصلح ويثبطه عن الحرب .

وَمَتَى وَنَتَّ وَأَبُو الْمُنْفَرِ أُمَّهَا فَاتَّاحَ لِي وَهَذَا الْحَمَامَ مُتَّبِعٌ<sup>(١)</sup>  
شِمْنَا وَمَا حُجِبَ السَّمَاءَ بَرُوقَهُ وَحَرَمِي يَجُودُ وَمَا مَرَّتَهُ الرِّيحُ<sup>(٢)</sup>

« فلولا أنه كان من المسبحين » ولو كانت في موضع الابتداء لوجب أن تكسر ، فلما فتحت دل على صحة قولنا . وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون لولا : أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً و « لولا » يختص بالاسم دون الفعل ، وقد يختص بالفعل والاسم . قال الشاعر :

لَا دَرَّ دَرُّكَ إِنِّي قَدْ سَمَّيْتَهُمْ لَوْلَا حُدِدْتُ وَلَا عَذْرَى بِمَحْدُودٍ<sup>(١)</sup>  
ونحن نقول : إن هذا البيت على معنى لولا أي حددت ، فصارت مختصة بالاسم دون الفعل .

(١) ضمير ونت : للابل أي توانت وفترت ؛ وأمها قصدها : أي مقصودها وقوله فاتَّاح لي الخ دعاء وأتاح الله الشيء قدره . يقول : إذا توانت الإبل في سيرها وهذا الممدوح مقصودها فالوت خير لي ولها . يعني : الموت خير لنا إن تخلفنا عنه .  
(٢) شمتنا : فعل وفاعل ، وبروقه : مفعوله ، وما حجب السماء . جملة مترصة وشام البرق : نظر إليه برجو المطر . وقوله : وحرى ، أي وشمتنا سحاباً حرى أن يجود : أي

(١) أورد عبد القادر البغدادي هذا البيت في أبيات هذانصها :  
قالت أمامة لما جئت زائرهما هَلَّا رَمَيْتَ بَعْضَ الْأَسْهَمِ السُّودِ  
لَا دَرَّ دَرُّكَ إِنِّي قَدْ رَمَيْتَهُمْ لَوْلَا حُدِدْتُ وَلَا عَذْرَى بِمَحْدُودِ  
إِذْهُمْ كَرَّ جِلِّي الدَّبِي لَادَرَّ دَرُّهُمْ يَفْزُونَ كُلَّ طَوَالِ الْمَشِيِّ بِمَحْدُودِ  
فَمَا تَرَكَتُ أَبَا بَشِيرٍ وَصَاحِبَهُ حَتَّى أَحَاطَ صَرِيحَ الْمَوْتِ بِالْجَيْدِ  
قال قيل إنها لراشد بن عبد الله السلمي الصحابي ؛ وقيل للجموح - أحد بني ظفر من سليم بن منصور - وحددت أي حرمت ومنعت ؛ وقد حد الرجل عن الرزق : إذا منعه ، وهو محدود . يقول : قد رميت واجتهدت في قتالهم ولكني حرمت النصر عليهم ، ولا يقبل عذر المحروم . والعذري : اسم بمعنى للمذرة ، والرجل : القطعة من الجراد والدبي : أصغر الجراد ، والطوال : الطويل .

مَرَجُوْهُ مَنفَعَةً مَّخُوْفٌ اُذِيَّةٌ مَغْبُوْقٌ كَايْسٌ مَحَامِدٍ مَصْبُوْحٌ (١)  
حَقِيْقٌ عَلَيَّ بَدْرٍ اللُّجَيْنِ وَمَا اَتَتْ بِاِسَاءَةٍ وَعَنِ الْمَسِيءِ صَفُوْحٌ (٢)  
لَوْ فَرَّقَ الْكَرَمُ الْمَفَرَّقُ مَا لَهُ

فِي النَّاسِ لَمْ يَكُ فِي الزَّمَانِ شَجِيْحٌ (٣)  
اَلْفَتْ مَسَامِعُهُ الْمَلَامَ وَغَادَرَتْ سِمَةً عَلَيَّ اَنْفِ النَّاسِ تَلُوْحٌ (٤)

جديرا به أن يجود — أي يمطر — . ومرته الريح : استدرته وأصله في الناقة يمسح  
ضرعها لتدر . يقول : شمنا بروق المدوح : أي رجونا عطاءه والسماء لم يحجبها القيم ،  
ونظرنا منه إلى سحاب حقيق بالجود : أي بالمطرو وإن لم تمره الريح . يفضله على السحاب  
لأن السحاب يحجب جمال السماء ولا يجود إلا إذا استدرته الريح ، أما المدوح  
فليس كذلك .

(١) المغبوق : الذي يسقى بالعمى ؛ والمصبوح : الذي يسقى صباحا . يقول : إنه محمد  
في كل وقت ، فكأنه يسقى كأس المحامد غبوقا وصبوحا .  
(٢) البدر : جمع بكرة ، وهي عشر آلاف درهم . واللجين : الفضة . والمعنى ظاهر .  
(٣) يقول : لو فرق في الناس كرمه الذي يفرق ماله لصار الناس كلهم أسخياء .  
وهذا ينظر إلى قول منصور الفقيه :

أقول إذ سألوني عن سماحته ولست ممن يطيل القول إن مدحا  
لو أن مافيه من جود تقسمه أولاد آدم عادوا كلهم سُمحا  
والأصل في هذا قول العباس بن الأحنف — وإن كان من باب آخر — :  
لو قسم الله جزءاً من محاسنه في الناس طرأ لهم الحسن في الناس  
ويقول أبو تمام :

لو اقتسمت أخلاقه الفُرُّ لم تجد مميياً ولا خلقاً من الناس عائباً  
(٤) يقول : إن مسامعه أهملت وأسقطت لوم من يلومه على الجود ، فلم يبال به  
ومضى على سخائه ، وروى ابن جنى : ألفت — من الألفة — أي أن مسامعه — لكثرة  
ما سمعت اللوم — ألفتة واعتادته فصار شيئاً مألوفاً لا قيمة له عنده ، وغيره ممن أطاعوا  
اللائم وأصغت مسامعهم إليه صاروا لئاماً يرى عليهم أثر اللوم كما ترى السمة على الأنف .

هَذَا الَّذِي خَلَّتِ الْقُرُونُ وَذِكْرُهُ  
وَحَدِيثُهُ فِي كُتُبِهَا مَشْرُوحٌ<sup>(١)</sup>  
أَلْبَابًا بِحَمَالِهِ مَبْهُورَةٌ وَسَحَابًا بِنَوَالِهِ مَفْضُوحٌ<sup>(٢)</sup>  
يَفْشَى الطَّمَّانَ فَلَا يَرُدُّ قَنَاتَهُ  
مَكْسُورَةٌ وَمِنَ الْكِمَاةِ صَاحِحٌ<sup>(٣)</sup>

(١) المراد بخلت ههنا : تخلو ؛ وآتى بالماضي : للتحقيق — على حد قوله تعالى « أتى أمر الله » — يقول : هذا الذي تمضي القرون والأدهار ويبقى ذكره ويخلد في الكتب والأسفار . قال الواحدي : المعنى : أن الكتب مشحونة بذكر الكرم ونعت الكرام وأخلاقهم ، وهو المعنى بذلك ؛ إذ الحقيقة منها له ، فذكره إذا في الكتب مشروح . « هذا » : وقوله وذكره وحديثه إلخ . قال العكبري : قال ذكره وحديث مشروح ولم يقل مشروحان لأن الذكر والحديث واحد ، وقيل هما جملتان : حذف الأولى لدلالة الثانية عليها ، وهذا مثل قوله تعالى : « والله ورسوله أحق أن يرضوه ، وهذا مذهب سيويه ، وأنشد :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ<sup>(١)</sup>  
وذهب البرد إلى أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، وتقديره : والله أحق أن يرضوه ورسوله . وقال قوم : بل الضمير عائد على المذكور ، كقول رؤبة :  
فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَاقِي كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلِيْعُ الْبَهَقِ<sup>(٢)</sup>  
أى كأن المذكور :

(٢) الألباب : العقول ؛ والنوال : العطاء . والمعنى ظاهر .  
(٣) يقول : يخوض الحرب فلا يرد رماحه إلا بعد أن لا يبقى من الأبطال صحيح .

(١) لقيس ابن الخطيم [ راجع معاهد التنصيص ج ١ ص ٦٧ ] .  
(٢) من أرجوزته التي مطلعها :

\* وقام الأعماق خاوي المحترق \*  
[ راجع أرجوزة العرب للبكري ، « وخزانة الأدب » للبغدادي ج ١ ص ٩٠ ] .

وَعَلَى التُّرَابِ مِنَ الدِّمَاءِ مَجَاسِدُ      وَعَلَى السَّمَاءِ مِنَ الْعَجَاجِ مُسُوحٌ<sup>(١)</sup>  
يَخْطُو الْقَتِيلَ إِلَى الْقَتِيلِ أَمَامَهُ      رَبُّ الْجَوَادِ وَخَلْفَهُ الْمَبَطُوحُ<sup>(٢)</sup>  
فَمَقِيلٌ حُبٌّ مَجْبِيٌّ فَرِحَ بِهِ      وَمَقِيلٌ غَيْظٌ عَدُوَّةٍ مَقْرُوحٌ<sup>(٣)</sup>  
يُخْفِي الْعَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ      نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أُسْرَ يَبُوحُ<sup>(٤)</sup>

وهذا من قول الفرزدق :

بأيدي رجالٍ لم يشيموا سيوفهم . ولم تكثر القتلى بها حين سلَّت  
« أي لم يعمدوها إلا بعد أن كثرت بها القتلى »<sup>(١)</sup> قال الواحدي : وقوله مكسورة  
حشو : أراد أن يطابق بينها وبين الصحيح ، لأنه لا فائدة من أن ترد القناة من الحرب  
مكسورة ، ولو ردها صحيحة لم يلحقها نقص ، والكلمة : جمع كمي : الشجاع التكمي  
أي التغطي بسلاحه ؛ إذ أنه كمي نفسه : أي سترها بالدرع وخلافه .

(١) المجاسد : جمع المجد ، وهو المصوغ بالجساد : أي الزعفران ؛ والمسوح : جمع  
مسح ، وهو ما ينسج من الشعر الأسود . يقول : لكثرة ما يسفك من الدم صبغت  
الأرض به حتى كأن عليها مجاسد ، واسودت السماء بالغيبار فكانت عليها مسوحا .  
(٢) رب الجواد : فاعل يخطو ، يعني الفارس . يقول : قد اكتظت المعركة بالقتلى ،  
فترى الفارس يخطو من قتيل إلى قتيل ، ويخلف وراءه فارسا مبطوحا - أي قتيلاً أيضاً -  
ويعجز أن يكون المراد برب الجواد : الممدوح .

(٣) المقيل : المقام . المستقر ؛ قال تعالى : « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن  
مقيلا » وقال ابن رواحة :

اليوم نضربكم على تنزيله      ضرباً يُزيلُ الهامَ عن مقيله

« الهام : جمع هامة ، وهي أعلى الرأس ؛ ومقيه : موضعه ، مستعار من موضع  
القائلة » ومقيل الحب ، ومقيل الغيظ : القلب . يقول : إن قاب حبة فرح به مبهج ،  
وقلب عدوه مقروح مكتئب .

(٤) فاعل يخفي ضمير العدو ، يقول : إن عدوه يخفي العدو خوفاً منه . يد أن

(١) قال اللبرد : « وهذا البيت طريف عند أصحاب المعاني وتأويله : لم يشيموا لم  
يعمدوا ولم تكثر القتلى ، أي لم يعمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى حين سلَّت .

يَا ابْنَ الَّذِي مَا ضَمَّ بُرْدُ كَابِنِهِ شَرَفًا وَلَا كَالْجَدِّ صَمَّ ضَرِيحٌ<sup>(١)</sup>  
نَفْدِيكَ مِنْ سَيْلٍ إِذَا سُئِلَ النَّدَى  
هَوْلٌ إِذَا أُخْتَلَطَا دَمٌ وَمَسِيحٌ<sup>(٢)</sup>

العداوة لا تخفى ، لأن نظر العدو إلى من يعاديه يظهر ما بقلبه من العداوة . قال  
ابن الرومي :

تَحَبَّرَنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ وَلَا جِنٌّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرُّ  
« لا جن : لاختفاء » وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي :  
تَكَاشَرْنِي كَرَاهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنِكَ تُبَدِّي أَنَّ صَدْرَكَ لِي دَوِي<sup>(١)</sup>  
وقال الآخر :

خَلِيلِي لِلْبَغْضَاءِ عَيْنٌ مُبِينَةٌ وَلِلْحُبِّ آيَاتٌ تَرَى وَمَعَارِفُ  
(١) البرد : شكل من الثياب . والكاف - من قوله كابنه - بمعنى مثل : صفة  
لموصوف محذوف ، هو مفعول ضم : أى ما ضم برد أحداً مثل ابنه ولا ضم قبر مثل  
الجد . وشرفاً : تمييز . والضريح : القبر كله ؛ وقيل الشق في وسط القبر ، واللحد في  
جانبه ، وسمى كذلك لأنه يشق في الأرض شقاً ، وكل ماشق فقد ضرح . قال ذو الرمة :  
ضَرَحْنَ الْبُرُودَ عَنْ تَرَائِبِ حُرَّةٍ وَعَنْ أَعْيُنٍ قَتَلْنَا كُلَّ مَقْتَلٍ  
يقول : ليس في الأحياء مثلك شرفاً ، ولا في الأموات مثل جد أهلك في الشرف .  
(٢) المسيح : العرق ؛ سمي مسيحاً لأنه يمسح إذا صب . قال الراجز :

يَا رَيْبَهَا وَقَدْ بَدَأَ مَسِيحِي وَابْتَلَّ ثَوْبَايَ مِنَ النَّضِيحِ  
« ياربها : يروي ناديتها » وقوله : هول ، أى وهول . فهو عطف على سيل . وكان  
الوجه أن يقول إذا اختلط دم ومسيح ، ولكنه قال اختلطاً - على لغة من يقول :  
قما أخواك - يقول : أنت سيل عند العطاء : أى مثل المطر ، وهول عند القتال إذا  
سالت الدماء وامتزجت بالعرق .

(١) مطلع أبيات جيدة في بابها يعاتب فيها يزيد هذا ابن عمه - [ أمالي القالى ج ١  
ص ٦٨ . والحزانة ج ٣ ص ١١٨ سلفية ] وفي الأغاني : ودوى صدره مرض وضغن

لَوْ كُنْتَ بَحْرًا لَمْ يَكُنْ لَكَ سَاحِلٌ  
أَوْ كُنْتَ غَيْثًا ضَاقَ عَنْكَ اللُّوحُ<sup>(١)</sup>  
وَخَشِيتُ مِنْكَ عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا  
مَا كَانَ أَنْذَرَ قَوْمَ نُوحٍ نُوحٌ<sup>(٢)</sup>  
عَجَزٌ بِحُرِّ فَاقَةٍ وَوَرَاءَهُ رِزْقُ الْإِلَهِ وَبَابُكَ الْفَتْوحُ<sup>(٣)</sup>  
إِنَّ الْقَرِيضَ شَجٍ بِعِطْفِي عَائِدٌ  
مِنْ أَنْ يَكُونَ سَوَاءَكَ الْمَمْدُوحُ<sup>(٤)</sup>

(١) الغيث : السحاب فيه مطر . واللوح : الهواء بين السماء والأرض .  
والمعنى ظاهر .

(٢) يقول : لو كنت غيثا لخشيت منك الطوفان الذي أنذر به نوح قومه . فقوله  
وخشيت : عطف على قوله ضاق - في البيت قبله - .

(٣) يقول : من العجز أن يقاسي الحر الفاقة مع وجود رزق الإله ، وبابك الذي  
لا يحجب عنه طالب : يعنى أن الله قد وسع بك الرزق على الناس ، فمن لم يصمد إليك  
ملتسماً الرزق فذلك لعجزه ، كما قال أبو تمام :

خَابَ أَمْرٌ وَلَا يَخْسَ الْخَوَارِثُ رِزْقَهُ وَأَقَامَ عَنْكَ وَأَنْتَ سَمْدُ الْأَسْعَدِ  
وما أجمل قول بعضهم :

وَعَجَزٌ بِذِي أَدَبٍ أَنْ يَضِيقَ بَعِيشَتِهِ وَسُعُ هَذِي الْبِلَادِ

وعجز : خبر مقدم عن فاقة ، وبحر : متعلق بفاقة ، والضمير في وراه : للحر ؛  
قل العكبري : عجز ابتداء ، وقد تفيد النكرة ؛ وخبره : فاقة ، فالباء متعلقة بفاقة ؛  
ويجوز أن تكون فاقة ابتداء ، والخبر عجز مقدم عليه ، وتقديره فاقة بحر عجز ؛ فعلى  
هذا تكون النكرة قد تقدم عليها خبرها ؛ وقيل : بل عجز خبر ابتداء محذوف دل عليه  
المعنى ، تقديره : التعمود عن قصدك عجز بحر ؛ وفاقة ابتداء ثان خبره محذوف تقديره :  
به فاقة . قال : ووراءه أى قدامه ، قال تعالى « وكان وراءهم ملك » أى قدامهم -  
من الأضداد .

(٤) شج : حزين . والعطف : الجانب . وبعطفي : متعلق بعائد ، وعائد : لاجيء ،

وَذَكِيٌّ رَائِحَةَ الرِّيَاضِ كَلَامُهَا      تَبَغِي الثَّنَاءَ عَلَى الْحَيَا فَتَفُوحُ<sup>(١)</sup>  
جُهْدُ الْمُقِلِّ فَكَيْفَ بَابُنِ كَرِيمَةٍ      تُولِيهِ خَيْرًا وَاللِّسَانَ فَصِيحُ<sup>(٢)</sup>

والقريض : الشعر ؛ ويقال : قرضت الشعر أقرضه : إذا قلته ، ومنه قول عبيد بن الأبرص :  
حال الجريض دون القريض ؛ « الجريض : العصب ، قله للنعمان بن المنذر حين أراد  
قتله فقال له أنشدني من قولك » وقوله سواك : فسواك إذا فتحت مدت ، وإن كسرت  
قصرت . يقول : إن الشعر لاجيء إلى مستجير بي من أن أمدح به غيرك ؛ إذ لا يستحقه  
أحد سواك .

(١) الحيا : المطر . يقول : إن الرائحة الطيبة من الرياض بمنزلة الكلام لها ،  
تحاول أن تثني على المطر الذي أحياها فتسطع رائحتها فتكون بذلك قد أثنت على المطر .  
وهذا من قول ابن الرومي يصف روضة :

شَكَرْتَ نِعْمَةَ الْوَالِيِّ عَلَى الْوَسْءِ      مِثْمَ الْعِهَادِ بَعْدَ الْعِهَادِ<sup>(١)</sup>  
فَهِيَ تُثْنِي عَلَى السَّمَاءِ ثَنَاءً      طَيِّبَ النَّشْرِ شَانِعًا فِي الْبِلَادِ  
مِنْ نَسِيمٍ كَأَنَّ مَسْرَاهُ فِي الْخَيْدِ      شَوْمَ مَسْرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ  
وأخذه السرى الرفاء فقال :

وَكُنْتَ كَرُوضَةٍ سَقِيَتْ سَحَابًا      فَأَثْنَتْ بِالنَّسِيمِ عَلَى السَّحَابِ

(٢) جهد المقل : أى ذلك جهد المقل . والجهد : الطاقة والوسع ، والمقل الذى  
قلت ذات يده : وتوليه : تعطيه . يقول : إن رائحة الرياض جهد المقل لأنها لا تستطيع النطق ،  
فكيف ظنك بي إذا أحسنت إلى وأنا شاعر فصيح ؛ أى أننى لا أغادر شكرك  
والثناء عليك . والجهد - بالفتح والضم - قل العكبرى ؛ وقل الفراء بالضم ، الطاقة ،  
وحجته قراءة الجمهور : « والذين لا يجدون إلا جهدهم » . والجهد - بالفتح - من  
قولهم أجهد جهدك فى الأمر : أى ابلغ غايتك ، ولا يقال أجهد جهدك - بالضم - والجهد  
بالفتح - المشقة ، يقال : جهد دابته وأجهدها : إذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها ،  
وأجهد فى كذا : أى جد فيه وبالغ .

(١) الوسمى : مطر الربيع الأول ، لأنه يسم الأرض بالنبات ؛ والولى المطر يأتي  
بعد الوسمى ويليه . والعهاد : جمع عهد ، وهو مطر بعد مطر .

وقال يصف لعبة على صورة جارية :

جَارِيَةٌ مَا لِحْسَمِهَا رُوحٌ بِالْقَلْبِ مِنْ حُبِّهَا تَبَارِيحٌ<sup>(١)</sup>  
فِي كَفِّهَا طَاقَةٌ تُشِيرُ بِهَا لِكُلِّ طَيْبٍ مِنْ طَيْبِهَا رِيحٌ<sup>(٢)</sup>  
سَأَشْرَبُ الْكَأْسَ عَنْ إِشَارَتِهَا وَدَمْعُ عَيْنِي فِي انْتِدَاءِ مَسْفُوحٍ<sup>(٣)</sup>

وأراد الانصراف من عند سيف الدولة ليلا فقال :

يُقَاتِنِي عَلَيْكَ اللَّيْلُ جِدًّا وَمُنْصَرَفِي لَهُ أَمْضَى السَّلَاحِ<sup>(٤)</sup>

(١) التباريح : الشدائد . يقول : إن القلوب تحبها للطف صورتها . وجارية - كما قل العكبري - ابتداء ، وروح اسم ما المشبهة بليس ؛ والجار والمجور الخبر . وقوله تباريح : ابتداء خبره انقدم عليه : وهو الجار والمجور ، وحرف الجر يتعلق بالاستقرار ، ومن حبا : يتعلق بالابتداء .

(٢) يقول : إن كل طيب يستفيد طيب الرائحة من هذه الطاقة ؛ لأنها أطيب الأشياء ريحا .

(٣) يقول : إنني سأشرب الكأس امتثالا لإشارتها ، برغم أني أكره الخمر ؛ ومن ثم سيسيل دمي على خدي استنشاعا للخمر .

(٤) منصرفي : مصدر ميمي بمعنى انصرافي . قل الواحدى : إن الليل يقول له انصرف ، وهو يميل إلى مجلس الأمير وإطالة اللبث فيه ويعصى الليل وبذلك حصل تنازع وجعل ذلك قتالا . ثم قال : وإذا انصرفت فقد أعتته على نفسي . ويجوز أن يكون المعنى : إن الليل برده ندماءه وتفريقه جلساءه يعمل على الخلو به ، فانصرافي أمضى سلاح له وأعون على مراده . وقل العكبري - في قوله منصرفي - يريد انصرافي ، وإذا زاد الفعل على الثلاثي استوى فيه المصدر واسم الزمان والمكان ، وإذا كان متعديا ساوت هذه الأشياء لفظ المفعول ، فالمنصرف يقع على المصدر ، والموضع الذي ينصرف عنه ، وعلى الوقت الذي يقع فيه ذلك ، وانصرف فعل لا يتعدى إلى مفعول فلو بنى مثل هذه الأشياء مثل اجتذب ونحوها - مما هو على أربعة أو أكثر - استوت في الأشياء الأربعة المصدر

لَأَنِّي كَلَّمَا فَارَقْتُ طَرْفِي بَعِيدٌ بَيْنَ جَنَفِي وَالصَّبَاحِ<sup>(١)</sup>

وجرى حديث وقعة أبي الساج مع أبي طاهر صاحب الأحساء ، فذكر أبو الطيب ما كان فيها من القتل ، فهال بعض الجلساء ذلك وجزع منه ، فقال أبو الطيب لأبي محمد بن طفج ارتجالاً :

أَبَاعْتُ كُلَّ مَكْرُمَةٍ طُمُوحٍ وَفَارِسَ كُلِّ سَلْهَبَةٍ سُبُوحِ<sup>(٢)</sup>

والزمان والمكان والمفعول ، يقال جبل مجتذب وعجيب من مجتذبى جملك أى اجتذابى وهذا مجتذب جملك أى الموضع الذى يجتذب فيه والوقت الذى كان فيه الاجتذاب .

(١) البيت تعليل لقوله: ومنصرفى له أمضى السلاح . يقول : لأنى كلما فارقت عيني ، ولم أرك ، لم أتم من شوقى إلى لقاءك ، فطال ليلى وبعد ما بين جنفى والصبح : هذا ؛ ويجوز رفع بين على إخراجها عن الظرفية وجعله مبتدأ وخبره بعيد . قال العكبرى : ويجوز أن يكون فاعلاً يعيد ؛ كقول الشاعر :

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بَيْتٍ بَعِيدٍ بَيْنَ جَائِلَيْهَا جَرُورِ<sup>(١)</sup>

ويجوز نصبه على الظرفية وتقدير المبتدأ محذوفاً : أى بعيد ما بين جنفى ؛ قال الواحدى : ولو قال بين عيني الصباح لكان أظهر ، لأن الصباح إنما يرى بالعين لا بالجنف .

(٢) الباعث : المحيى — من بعث الله الميت : إذا نشره — والطموح : الجموح ، وهى العزيرة الممتعة . والسلهبة : الطويلة من الخيل : والسبوح : التى تسبح فى جريها . يقول : يا محيى كل مكرمة تستعصى على غيرك ، ويا فارس الخيل الشديديات الجرى .

(١) الأشطان : جمع شطن ، وهو الجبل الطويل الشديد القتل الذى يستقى به وتشد به الخيل ؛ والجال : كل ناحية من نواحي البئر من أسفلها إلى أعلاها ؛ والجورور : البئر البعيدة القعر ، وبين : قال ابن منظور : بين ههنا الوصل ، قال لأن البين فى كلام العرب من الأضداد ؛ إذ يكون بمعنى الفرقة ويكون الوصل كما فى هذا البيت

وَطَائِعِنَ كُلِّ نَجْلَاءٍ وَعَمَاصِي كُلِّ عَذَالٍ نَصِيحٍ (١)  
 سَقَانِي اللَّهُ قَبْلَ الْمَوْتِ يَوْمًا دَمَ الْأَعْدَاءِ مِنْ جَوْفِ الْجُرُوحِ (٢)  
 وأرسل أبو العشائر بازياً على حجلة فأخذها فقال المتنبي :  
 وَطَائِرَةٌ تَتَّبِعُهَا الْمَنَائِيَا عَلَى آثَارِهَا زَجِجُ الْجَنَاحِ (٣)  
 كَانَ الرِّيشَ مِنْهُ فِي سِيَاهِمِ عَلَى جَسَدٍ تَجَسَّمُ مِنْ رِيَاكِ (٤)

(١) النجلاء : الواسعة ، والعموس : التي تعمس المطعون في الدم . يقول : إنه كان يطعن كل طعنة واسعة تعمس صاحبها المطعون في الدم ، ويعصى كل من يعذله في الجود والإقدام .

(٢) يقول : أمكنني الله من الأعداء حتى أمريق دماءهم وآتى عليهم ، والعرب تقول شربنا دم بني فلان يريدون قتلناهم وأرسلنا دماءهم على الأرض كأناء . هذا : وسقى وأسقى لغتان فصيحتان نطق بهما القرآن الكريم قل تعالى : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً » وقال جل شأنه « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » .

(٣) المراد بالطائرة : الحجلة ، والحجلة : واحدة الججل ؛ طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين يعيش في الصرود العالية يستطاب لحمه . والزجل ذو الصوت ؛ وأراد بالزجل : جناح البازي — يعني حفيف جناحيه في الطيران . قال العكبري : من رفع زجل يكون الكلام تاماً في النصف الأول ؛ ويرتفع على لا ابتداء ؛ والجبر ، الجار والمجرور وهو متعلق بالاستقرار وقال الواحدى : من نصبه نصبه على الحال إذا جعل المنايا البازي لأنه سبب منايا الطير ، وتتبعها هي تتبعها . ورواها العكبري تتبعها وقال : يقال تبعته واتبعته وتتبعته . ثم قال : تبعت القوم إذا كنت خلفهم ومروا بك فمضيت معهم وكذلك اتبعتم وهو افتلعت وأتبعت القوم على أفعلت إذا كانوا قد سبقوك فلحقتم وأتبعت غيري يقال : أتبعته الشيء فتبعه ، وقال الأخفش : تبعته وأتبعته بمعنى . مثل ، ردفته وأردفته .

(٤) جعل قصب ريشه سهاما لاستوائها وسرعة مرها ، وجعل جسده جسماً من رياح لسرعة انقضاضه على الصيد ، فالضمير منه : يعود على زجل الجناح ، وفي سهام متعلق بمحذوف تقديره ظهر في سهام ، وعلى جسد : في موضع الصفة ، ومن رياح : متعلق بتجسم .

كَأَنَّ رُؤُوسَ أَقْلَامٍ غِلَظِيٍّ      مُسِيحِنَ بَرِيشِ جُوجُورِ الصَّحَاحِ<sup>(١)</sup>  
فَأَقْمَصَهَا بِحُجْنٍ تَحْتَ صُفْرِ      لَهَا فِعْلُ الْأَسِنَّةِ وَالصَّفَاحِ<sup>(٢)</sup>  
فَقُلْتُ لِكُلِّ حَىٍّ يَوْمُ مَوْتٍ      وَإِنْ حَرَّصَ النَّفُوسُ عَلَى الْفَلَاحِ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

(١) الجوجور: الصدر . شبه سواد صدره بأثار مسح رؤوس أقلام حبر غلاظ في ثوب أبيض ؛ وروى ابن جنى : غلاظا — نصبا على النعت للرؤوس — وهو أجود ، لأن المراد غلظ الرؤوس حتى يكون أثر الحبر عريضا ؛ والصحاح : جمع صحيح ، وروى الصحاح — بفتح الصاد — على النعت للجوجور أو للبريش على اللفظ لا المعنى .

(٢) أقمصها : قتلها قتلا وحيأ سريعا . والحجن : جمع أحجن ، وهو الموعج — يريد محاله — والصفر . أصابعه ؛ والأسنة : نصال الرماح ؛ والصفاح : السيوف ، يريد أن البازي قتل هذه الحجة قتلا سريعا . هذا : ويقال مات فلان قمصا إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه ، وضربه فأقصه أى قتله مكانه ، وأقصه بالرمح وقمصه : طعنه طعنا وحيأ . والقعاص داء يأخذ الغنم لا يلبثها أن تموت ؛ وفي الحديث : من أشراط الساعة موتان يكون في الناس كقعاص الغنم . والحجن — بالتحريك — الاعوجاج ، وصقر أحجن الخالب : معوجها ، والمحجن : الصولجان لاعوجاجه .

(٣) لكل حى : خبر مقدم ، ويوم موت : مبتدأ مؤخر ، والفلاح : البقاء والفوز والنجاة ، والفلاح السحور ومنه : حتى خفنا أن يفوتنا الفلاح أى السحور لأنه به بقاء الصوم ، وحى على الفلاح أى أقبل على النجاة .

## قافية الدال

وقال يمدح سيف الدولة ، ويرثي ابن عمه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ،  
وقد توفى في حمص سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة :

مَا سَدِغَتْ عِلَّةٌ بِمَوْرُودٍ      أ كْرَمَ مِنْ تَغْلِبَ بْنِ دَاوُدِ (١)  
يَأْنَفُ مِنْ مَيِّتَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ      حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ الْمَوَاعِيدِ (٢)  
وَمِثْلُهُ أَنْكَرَ الْمَمَاتَ عَلَى      غَيْرِ سُرُوجِ السَّوَابِحِ الْقُودِ (٣)  
بَعْدَ عِنَارِ الْقَنَا بِلَبَّتِهِ      وَصَرَبِهِ أَرْؤُسِ الصَّنَادِيدِ (٤)

(١) سدك الشيء بالشيء : لزمه ؛ والعلة : المرض ؛ والمورود المغموم في لغة أهل  
اليمن وقد وردته الحمى فهو مورود قل ذو الرمة :

\* كَأْتَنِي مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ مَوْرُودِ \*

والورد يوم الحمى إذا أخذت صاحبها لوقت ، ويقال : أكل الرطب موردة ، أى محمة  
وقال أعرابي لآخر : ما أمار إفراق المورود ؟ فقال : الرضاء . ويروي بمولود .  
يقول : ما لزمتم علة مورودا أكرم من هذا الرجل .

(٢) أصدق المواعيد : الموت . يقول : إنه يأنف من موته على الفراش لأنه شجاع  
أخو حروب ؛ وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

لَوْ لَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذْ نُو      لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الْكُزَنِ  
(٣) القود : الطوال من الخيل . يقول : مثله في شجاعته وملاسته الحروب ينكر  
موته على غير السروج : أى في غير الحروب . يحكى عن خالد بن الوليد أنه قال وهو  
يحتضر : ليس في جسدى موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية وها أنا ذا أموت  
موت الحمار ، فلا نامت أعين الجناء .

(١) يقول : مثله ينكر موته على الفراش بعد أن كانت الرماح تتعثر بصدده في  
الحرب ، وبعد ضربه رؤس الأبطال . وتعثر الرماح بصدده : إصابتها إياه ، وجعله

وَخَوْضِهِ غَمْرٌ كُلٌّ مَهْلَكَةٌ لِلذَّمْرِ فِيهَا فُوَادٌ رِعْدِيدٌ<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا صَبْرٌ وَإِنْ بَكِينًا فَعَبْرٌ مَرْدُودٌ<sup>(٢)</sup>  
وَإِنْ جَزَعْنَا لَهُ فَلَا عَجَبٌ  
ذَا الْجَزْرُ فِي الْبَحْرِ غَيْرٌ مَعْمُودٌ<sup>(٣)</sup>

مطعوننا إشارة إلى أن قرنه يخاف جانبه فيقاتله بالرمح ، وجعله ضاربا إشارة إلى أنه لا يخاف أن يدنو من قرنه . والصناديد جمع صنديد وهو السيد الشجاع ، ومنه الصناديد من الأمور وهي الشدائد والدواهي ، وكان الحسن يقول : نعوذ بالله من صناديد القدر — أي من دواهيه ونوائبه العظام الغوالب — ومن جنون العمل — وهو الإعجاب — ومن ملخ الباطل ، وهو التبخر فيه .

(١) العمر : الكثير ، والمراد هنا أصعب مواضع الحروب ، والذمر : الشجاع والرعيد : الجبان . يقول : وبعد خوضه كل حومة في الحرب صعبة إذا خاضها الشجاع خاف خوف الجبان .

(٢) صبر : جمع صبور . يقول : فإن صبرنا على فقدته فإن الصبر عادة لنا وإن بكينا لم يردده علينا البكاء ، فلا تقع في البكاء ولا غناء . وإن شئت قلت : فغير مردود . أي لم يرد علينا البكاء : أي لا تعاب به ، لاستحقاقه ذلك وشدة الفجعة به .

(٣) شبهه بالبحر وشبه موته بالجزر . يقول : وإن جزعنا لموته فلا عجب ، لأن مثل هذا الجزر لم يعهد في البحر إذ العهود في البحر إذا جزر أن يتراجع ماؤه حسب ، ولكن لم يعهد فيه أن يجزر حتى ينضب ويجف . والمعنى : قد تقع المصائب ، ولكن لم تعهد مثل هذه للصيبة ، وهذا كقول أعشى باهلة :

فَإِنْ جَزَعْنَا فَمِثْلُ الشَّرِّ أَجْزَعْنَا      وَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعَشْرُ صَبْرٍ  
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

فَإِن صَبَرْتَ فَأَنْتَ كَوَكْبٍ مَعَشْرٍ      صَبَرُوا وَإِنْ تَجَزَعُ فَعَبْرٌ مَعْدٍ  
وَأَخَذَهُ الْحَرَمِيُّ فَقَالَ :

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتَهُ      عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ  
( ٢٥٠ — انتهى ١ )

أَيْنَ الْهَبَاتِ الَّتِي يُفْرَقُهَا عَلَى الزَّرَافَاتِ وَالْمَوَاحِيدِ<sup>(١)</sup>  
سَالِمٍ أَهْلِ الْوَدَادِ بَعْدَهُمْ يَسْلَمُ لِلْحُزْنِ لَا لِتَخْلِيدِ<sup>(٢)</sup>  
فَمَا تَرْجَى النَّفْسُ مِنْ زَمَنِ  
أَحْمَدُ حَالِيهِ غَيْرُ مُحَمَّدٍ<sup>(٣)</sup>

إِنَّ نِيُوبَ الزَّمَانَ تَعْرِفُنِي  
أَنَا الَّذِي طَالَ عَجْمَهَا عُوْدِي<sup>(٤)</sup>  
وَفِي مَا قَارَعَ الْخُطُوبَ وَمَا آنَسَنِي بِالْمَصَائِبِ الشُّوْدِ<sup>(٥)</sup>

(١) الزرافات : الجماعات ؛ والمراد بالمواحيد : الأفراد ، كأنه أخذها من مواحيد الجبال ، وهي أكمات منفردات كل واحدة بائنة عن الأخرى . يقول : إن العطاء انقطع بموته وانقطع ما كان يعطى الجماعات والأفراد من الهبات .

(٢) يقول : إن الذي يسلم من القوم المتحايين بعد ذهاب أصحابه إنما يسلم ليحزن لفقدهم ، لا ليخلد ، لأنه يتبعهم ، وإن تأخر أجله عن آجالهم .

(٣) قال ابن جني : أحمد حاله أن يبقى بعد صديقه وذلك غير محمود لتعجل الحزن : فخلاه الموت والحياة ، أي وإذا كانت الحياة سوهي أحمد حالى الزمان غير محمودة لأنها تقطع بالحزن على الراحلين ، فماذا ترجى من الزمان ؟ وقال الواحدي : أي لارضاء عند زمان أحمد حاله البقاء وهو غير محمود لأن معجله بلاء ومؤجله فناء ، وإن شئت قلت أحمد حاله البقاء ، ومن بقى شاب ، والشيب مكروه مذموم . فيكون كما قال محمود الوراق :

يَهْوَى الْبَقَاءَ فَإِنْ مَدَّ الْبَقَاءَ لَهُ وَسَاعَدَتْ نَفْسَهُ فِيهِ أَمَانِيهَا

أَبْقَى الْبَقَاءَ لَهُ فِي نَفْسِهِ شُغْلًا مِمَّا يَرَى مِنْ تَصَارِيفِ الْبَلَاءِ فِيهَا

(٤) عجم العود : عضة ليعرف أصلب هو أم رخو ؟ وعجمت عوده : بلوت أمره

وخبرت حاله . قال :

أَبَى عُوْدُكَ الْمَعْجُومُ لِإِصْلَابَةِ وَكَفَاكَ إِلَّا نَائِلًا حِينَ تُسْأَلُ

يقول : قد طالت صحبتي للزمان ، وقد جربني وعرف صلابتي وصبري على نوائبه .

(٥) يقول : في من الجلادة والصبر ما يقارع الخطوب ويدافعها عن توهين ، ومن

مَا كُنْتَ عَنْهُ إِذِ اسْتَعَانَكَ يَا سَيْفَ بَنِي هَاشِمٍ بِمَعْمُودٍ (١)  
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ يَا مَلِكَ الْأَمْلَاقِ طُرّاً يَا أَصِيدَ الصَّيْدِ (٢)  
قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهَا فَأَنْشَرَهُ وَقَعُ قَنَا انْخَطَّ فِي اللَّغَادِيدِ (٣)  
وَرَمَيْتُكَ اللَّيْلَ بِالْجُنُودِ وَقَدْ رَمَيْتَ أَجْفَانَهُمْ بِنَفْسِهِ (٤)

طول الفتى للمحن ما نفي عنى الجزع وصيرنى آنس بالمصائب . وعلى هذا يكون : وما آنسى عطفاً على ما قارع ويجوز — كما قال العكبرى — أن تكون ما — فى وما آنسى — تعجباً . وعبرة الواحدى : فى ما يقارع الخطوب ويؤنسى بالمصائب العظام ، وهو علمه بثواب المصائب كما قال صلى الله عليه وسلم « ليودن أهل العافية يوم القيامة لو أن جلودهم قرضت بالمقاريض . . . لما يرون من ثواب أهل البلاء » والذى آنسه بالمصائب رأيه الذى يره المخرج منها . . . والخطوب جمع خطب : الشدة تلقى الإنسان . والبصية إذا عظمت قيل : مصيبة سوداء .

(١) يقول : لما استعانك وهو فى أسر بنى كلاب أغثته واستنقذته من أيديهم ولم تكن سيفاً معموداً عنه .  
(٢) يا أصيد الصيد ، يا ملك الملوك . وأصل الصيد : داء يأخذ البعير فى عنقه فلا يستطيع معه أن يلتفت يمنة أو يسرة ، واستعمل فى الملك والرجل العظيم صاحب النخوة ، وأصيد أفعال وصف لا أفعال تفضيل والصيد جمعه قال العكبرى : وأصيد الصيد ههنا بمعنى ملك الملوك ولا يكون هنا أعظمهم سيداً لأن ذلك يفتح كما يفتح أعور العور أى أشدهم عوراً ، لأن الخلق والعاهات لا يستعمل فيها أفعال ولا ما أفعالها .  
(٣) اللغاديد : لحمت بين الحنك وصفحة العنق ، وأنشره : أحياء ، قال تعالى « ثم إذا شاء أنشره ، وقنا الخط : الرماح والخط : موضع بالجماعة تنسب إليه الرماح وجعل أسره قبل ذلك موتاً قبل هذه الموتة . يقول : لقد مات قبل هذه الموتة بأسر الخارجى إياه ، فأنشرت من ذلك الموت بطعن الرماح فى لغاديد الأعداء حتى استنقذته منهم .  
(٤) يقول : وأنشره سيرك ليلاً بجنودك لاستنقاذه وقد سهروا خشية هجومك عليهم ، فكأنك رميت عيونهم بالسهل ، ورميت الليل بالجنود إذ سرت فيه بجنودك ، فقوله : ورميك ، عطف على وقع القنا .

فَصَبَّحْتَهُمْ رِعَالَهَا سُزْبًا      بَيْنَ ثُبَاتٍ إِلَى عَبَادِيدِ<sup>(١)</sup>  
تَحْمِلُ أَعْتَادَهَا الْفِدَاءَ لَهُمْ      فَانْتَقَدُوا الضَّرْبَ كَالْأَخَادِيدِ<sup>(٢)</sup>  
مَوْقِفُهُ فِي فِرَاشِ هَامِيهِمْ      وَرِيحُهُ فِي مَنَاخِيرِ السَّيْدِ<sup>(٣)</sup>  
أَفْنَى الْحَيَاةِ الَّتِي وَهَبَتْ لَهُ      فِي شَرَفٍ شَاكِرًا وَتَسْوِيدِ<sup>(٤)</sup>  
سَقِيمَ جِسْمٍ صَحِيحَ مَكْرُمَةٍ      مَنْجُودَ كَرْبٍ غِيَاثَ مَنْجُودِ<sup>(٥)</sup>

(١) الهاء — في رعالها — كناية عن الخيل ، وإن لم تذكر ، والرعال : جمع رعلة القطعة من الخيل ، والضمير للجنود ، والشرب : جمع شارب ، وهو الضامر . والثبات : جمع ثبة ، وهي الجماعة ، والعباديد : الفرق ، ولا واحد لها من لفظها . يقول : انصبت عليهم الخيل صباحا زرافات ووحدانا .

(٢) انتقد الدرامم : قبضها ، والأخاديد : جمع أخدود ، وهو الشق في الأرض ، كنى بما تحمل الأعماد عن السيوف : أى حملوا إليهم السيوف في الأعماد وجعلوها فداءه لأنهم استنقذوه بها ، ولما جعل السيوف فداءً جعل الضرب بها مقبوضاً كما تقبض الدراهم والدنانير التي تدفع عادة في الفداء . يعنى : إن فداء أبى وائل كان ضرباً أثر فيهم تأثير الأخدود في الأرض : أى نالهم جراح واسعة كأنها الأخاديد .

(٣) الفراش : عظام رقاق تلى لحف الرأس ، والهام : الرؤوس . والسيد : الذئب . يقول : إن هذا الضرب يقع في عظام رؤوسهم فتستنشق الذئب والوحوش منه رائحة تدلها فتأتى لأكل لحومهم .

(٤) يقول : إن الحياة التي وهبها له بعد تخليصك إياه من الأسر والقتل أفضاها في بناء الشرف والسيادة شاكرًا لك تلك النعمة — نعمة الحياة — التي أنعمت عليه بها . ويجوز أن يكون التسويد إقراره بسيادة سيف الدولة ، وشاكرًا : حال من ضمير أفنى ، والتسويد : مصدر سوده أى جعله سيداً .

(٥) المنجود : المكروب ؛ ويقال استنجذنى فأنجذته : أى استعان بى فأعنته ، واستنجذ الرجل أى قوى بعد ضعف أو مرض ، ويقال للرجل إذا ضرى بالرجل واجترأ عليه بعد هيبته إياه : قد استنجذ عليه ، وكان المرئى قد أصابته جراحة في الحرب فبقى فيها إلى أن مات . يقول : أفنى بقية حياته سقيم جسم بسبب هذه الجراحة ، مكروباً لتلك الجراحة ، وهو مع ذلك عون المكروب .

مُغَادَا قَيْدَهُ الْحَمَامُ وَمَا      تَخَاصُّ مِنْهُ بَيْنَ مَصْفُودٍ (١)  
 لَا يَنْقُصُ أَهْلًا لِكُونَ مِنْ عَدَدٍ      مِنْهُ عَلَى مُضَيِّقِ الْبَيْدِ (٢)  
 تَهَبُّ فِي ظَهْرِهَا كِتَابِيَهُ      هُبُوبَ أَرْوَاحِهَا الْمَرَاوِيدِ (٣)  
 أَوَّلَ حَرْفٍ مِنْ أَسْمِهِ كَتَبَتْ      سَنَابِكَ الْخَيْلِ فِي الْجَلَامِيدِ (٤)  
 مَهْمًا يُعَزُّ الْفَتَى الْأَمِيرَ بِهِ      فَلَا بِإِقْدَامِهِ وَلَا الْجُودِ (٥)

(١) الحمام : الموت ، والمصفود : المقيد . يقول : بعد أن خلصته من أسر العدو غدا أسيراً للموت . ومن قيد بالموت وصفد به لم يتخلص منه : هذا ، وجملة قيده الحمام : مبتدأ وخبر في موضع نصب كأنه قال ثم غدا هو ، وروى قده الحمام ، والقذ : الغل والقيد ، وروى قده الحمام أى غدا الحمام قده .

(٢) يقول : من هلك من عشيرتك لا ينتقص به عددك لأن الفلوات تضيق باتباعك ومن معك من الجيوش : ومن — في قوله من عدد — زائدة ، وعدد : مفعول يتقص ومنه على : مبتدأ وخبر صفة لعدد ، وعلى هو سيف الدولة .

(٣) الضمير — في ظهرها — للبيد ، وأرواحها : رياحها ، والمراد بالرياح : الرياح النجوى وتذهب . قال ذو الرمة :

يَا دَارَ مِيَةٍ لَمْ يَتْرِكْ بِهَا عِلْمًا      تَقَادُمُ الْعَهْدِ وَالهُوجُ الْمَرَاوِيدُ

يقول : إن جيوشه تطلع على الفلوات وتنتشر فيها انتشار الرياح عند هبوبها . يريد أن جيوشه كثيرة فهي تعم البيد كما تعمها الرياح عند هبوبها ، وهذا على حد قوله :

إِذَا سَارَ فِي مَهْمَةٍ عَمَّهُ      وَإِنْ سَارَ فِي جَبَلٍ طَالَهُ

(٤) أراد بأول حرف من اسمه : العين ، لأن اسمه على . والسنبك : طرف الحافر ، والجلاميد : الصخور . يقول : إن حوافر الخيل لشدة وقعها على الصخور كانت تطبع فيها أثراً يشبه حرف العين في استدراته وقرآغ وسطه .

(٥) يقول : مهما عزاه معز بهذا الميت ، فلا عزاء بجوده وشجاعته : أى لا تقدها فالفتى : فاعل يعز ، والأمير : منصوب بوقوع العزاء عليه ، وتقديره : مهما يعز معز الأمير ، والضمير في به : للميت . وروى — يعز الفتى الأمير — على أن الأمير صفة للفتى ، والفتى : نائب فاعل يعز المبني لما لم يسم فاعله .

وَمِنْ مَنْ أُنَا بَقَاؤُهُ أَبَدًا حَتَّى يُعْزَى بِكُلِّ مَوْلُودٍ<sup>(١)</sup>

وقال يمدحه ، ويذكر هجوم الشتاء الذي عاقه عن غزو خرشنة ، ويذكر الواقعة :

عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدِ  
وَإِنَّ ضَجِيعَ الْخُودِ مِنِّي لِمَاجِدٍ<sup>(٢)</sup>  
يَرُدُّ يَدَا عَن تَوْبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ  
وَيُعْصِي الْهُوَى فِي طَيْنِهَا وَهُوَ رَاقِدٌ<sup>(٣)</sup>

(١) يقول : أمنتنا أن يبقى على الدوام حتى يتقدمه كل من ولد فيعزى بهم قل ابن جني : وهذا دعاء حسن ، كما يقال للمعزى : جعلك الله وارث الجماعة ، وهو أجود في المعنى من قولهم : لا أعاد الله إليك مصيبة أبداً .

(٢) الخود : المرأة الناعمة الحسنة الخلق . يقول : إن اللواتي يعذلن هذه المرأة - التي هي صاحبة الخال على خدها - في لأجل محبتها إياي هن حواسد لها على ، لأنها ظفرت مني بضجيع ماجد .

(٣) يرد : أي بالضجيع ، والظيف : الخيال في النوم . يقول : إنني أعف عنها مع كونني قادراً على ترك العفاف ، وقد صار ذلك سجية لي حتى صرت أعف عن طينها أيضاً إذا زارني في نومي . يصف نفسه بالعففة والرغبة عن مغازلة النساء ، كما قال هذبة :

وَمَآئِي لِأَخْلِي لِلنِّتَاةِ فِرَاشِهَا وَأَصْرِمُ ذَاتَ الدَّلِّ وَالقَلْبُ آفٍ  
قال ابن جني : لو قدر على أن يقول موضع قادر : يقظان أو مستيقظ لكان أجود في الصناعة ، ولكنه لم يقدر . قال أبو الفضل العروضي : هذا النقد - نقد ابن جني - غير جيد ، وذلك أنه لو قال يقظان أو ساهر : لم يزد على معنى واحد ، وهو الكف في حالة النوم واليقظة ، وإذا قال قادر : زاد في المعنى أنه تركها صلف نفس وحفظ مروءة لا عن عجز ورهبة ، ولو أن رجلاً ترك المحارم من غير قدرة لم يأنم ولم يؤجر ، وإذا تركها مع القدرة صار مأجوراً . قال : والعجب من أبي الفتح يقصر فيما فرض على نفسه من التفسير ويغطيء ثم يتكافى النقد ، وقال في قوله وهو راقد : إن الراقد قادر أيضاً

مَتَى يَشْتَقِي مِنْ لَاعِجِ الشَّوْقِ فِي الْحَشَى  
مُحِبُّ لَهَا فِي قُرْبِهِ مُتَبَاعِدٌ<sup>(١)</sup>  
إِذَا كُنْتَ تَحْشَى الْعَارَ فِي كُلِّ خَلْوَةٍ  
فَلَمْ تَتَّصَبَّاكَ الْحَسَانَ الْخَرَائِدُ<sup>(٢)</sup>  
أَلْحَ عَلَى السَّمِّ حَتَّى أَلْفَتْهُ وَمَلَّ طَيْبِي جَانِبِي وَالْعَوْدُ<sup>(٣)</sup>

أن يتحرك في نومه ويصيح ، وليس هذا بشيء ، ولم يقله أحد ، والقدرة على الشيء أن يفعله متى شاء ، فإن شاء فعل وإن شاء ترك ، والنائم لا يوصف بهذا ولا الغشى عليه ولا يقال للنائم إنه مستطيع ولا قادر ولا مرید ، وأما عصيانه الهوى في طيفها فليس باختيار منه في النوم ، ولكنه يقول لشدة ماثبت في طبعي وغريرتي صرت في النوم كالجارى على عادتي .

(١) اللاعج : المحرق ، يقال : هوى لاعج ، لحرقة القواد من الحب ، ولعج الحب والحزن فؤاده يلعج لعجا ، استحر في القلب ؛ ولعجه الضرب ، آلمه وأحرق جلده ، قال عبد مناف بن ربح الهذلي .

مَآذَا يَغْيِرُ أَبْنَتِي رِبْعٍ عَوِيْلُهُمَا لَا تَرْقُدَانِ وَلَا بُؤْسِي لِمَنْ رَقَدَا  
إِذَا تَأَوَّبَ نَوْحٌ قَامْتَا مَعَهُ ضَرْبًا أَلِيمًا بِسَيْتٍ يَلْعَجُ الْجِلْدَا

« يغير : ينفع ؛ أى لا يغنى بكاؤهما على أبيهما من طلب تأرته شيئا ، والسبت : جلود البقر المدبوعة واحتاج إلى حركة اللام من الجلد فكسره » والحشا : ما اضطمت عليه الضلوع . وقوله في قربه : حال من فاعل متباعد . يقول : متى يجد الشفاء من الشوق المحرق محب لهذه المحبوبة إذا دنا منها بشخصه تأى عنها بعفاهة ؟ وعبارة ابن جنى : يريد متى تشفى مما بك وأنت كلما قدرت امتعت ؟

(٢) تصباك ، تدعوك إلى الصبوة ، والخرائد ، الحيات . ينكر على نفسه صبوته إلى الحسان مادام يخشى العار في الخلوة بهن . يقول : إذا كنت في الخلوة بهن تنأى عنهن وتعف ، فمالك ولعشق الحسان والزراع إلهن ؟

(١) ألح عليه : لازمه . ويقال : ألح عليه بالسألة ، وألح الرجل على غيره في التقاضى إذا واطب ؛ وسحاب ملحاح : دائم ، وألح السحاب بالمكان : أقام به مثل ألت ؛ وألحت

مَرَرْتُ عَلَى دَارِ الْحَبِيبِ فَحَمَمَتُ  
جَوَادِي وَهَلْ تَشْجُو الْجِيَادَ الْمَعَاهِدُ<sup>(١)</sup>  
وَمَا تُنْكِرُ الدَّهْمَاءَ مِنْ رَسْمِ مَنْزِلِ  
سَقَّتْهَا ضَرْبَ الشَّوْلِ فِيهَا الْوَلَائِدُ<sup>(٢)</sup>  
أَهْمُ بِشَيْءٍ وَاللَّيَالِي كَأَنَّهَا تَطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأَطَارِدُ<sup>(٣)</sup>

الناقة وألح الجمل : إذا لزما مكانهما فلم يبرحا كما يحرن الفرس ؛ وكله من اللزوق .  
والعوائد : جمع عائدة ، وهي التي تعود للمريض . يقول : لارمني السقم فلا يفارقني حتى  
لقد ألفتة ، وقد ملني طبيبي وعوائدي لشدة ما بي من السقم .

(١) يقال : فرس جواد للذكر والأنثى . والمحممة : دون الصهيل ، كالتنحنج .  
وشجاء يشجوه : إذا أحزنه ؛ وأشجاء إذا غصه . والمعاهد جمع معهد ، وهو الموضع  
الذي عهدت به شيئا ، وتسمى ديار الأجابة : معاهد . يقول : مررت على دار الحبيب  
فحممت جوادى حينما إليها لأنها عرفتها . ثم استفهم متعجبا فقال : وهل الديار تشجى  
العجاوات كما تشجى الإنسان ؟ ! وقد أخذ أبو الحسن التهامي هذا وزاد  
عليه فقال :

بَكَيْتُ فَحَمَّتْ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جِيَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارُهَا  
ثُمَّ زَادَ السَّرِيَّ الرَّفَاءَ عَلَى هَذَا فَقَالَ :

وَقَفْتُ بِهَا أَبْكِي وَتُرْزِمُ نَاقَتِي وَتَصْهَلُ أَفْرَاسِي وَيَدْعُو سَحَامَهَا

(٢) ما : استفهام إنكارى والفرس الدهماء : السوداء . والضرب : اللبن الخائر  
يحب من عدة لقاح . والشول : النياق التي بعد عهدها بالتناج نجف لبها . والوليدة :  
الجارية التي تخدم . نفى التعجب ورجع عنه . يقول : كيف تنكر الفرس الدهماء رسم  
منزل أقامت به تسقيها الولائد فيه لبن النياق فألفتة ؟ وقال الواحدى : « ما » ههنا نفى .  
(٣) عن كونه : أى عن حصوله . يقول : أريد الأمر الخطير وأحاول فعله والليالي  
تدافنى عنه وتحول بينى وبينه ، فكأنها بذلك تطاردنى عن الوصول إليه ، وأنا  
أطاردها عن حيولتها بينى وبينه .

وَحِيدٌ مِنَ الْخُلَانِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ<sup>(١)</sup>  
 وَتُسَعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ<sup>(٢)</sup>  
 تَنَنِّي عَلَى قَدْرِ الطَّعَانِ كَأَنَّهَا مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ<sup>(٣)</sup>  
 مُحَرَّمَةٌ أَكْفَالُ خَيْبِي عَلَى الْقَنَا مُحَلَّةٌ لَبَائِهَا وَالْقَلَائِدُ<sup>(٤)</sup>

(١) وحيد: خبر مبتدأ محذوف: أي أنا وحيد؛ وروى وحيدا - على أنه حال من ضمير أم - يقول: إن مطاوبي عظيم، ومن ثم لا أجد من يساعدنني على ما أطلب، لأن المطلوب إذا كان عظيما قل من ينهض بالمساعدة عليه، والخلان: جمع خليل: كـرغيف وـرغفان (٢) الغمرة: الشدة « والسبوح: الفرس التي كأنها تسبح في جريها، يقول: وتعينني على توارد الغمرات في الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال لها منها أدلة عليها وفي الشطر اثنان من كثرة التكرار - وهو قوله لها منها عليها - ما قد يعاب به ولها خبر مقدم عن شواهد؛ والجملة: صفة؛ وعليها: متعلق بشواهد؛ ومنها: حال، (٣) المراود: جمع مروود، وهو حديدة تدور في اللجام - من راد يرود: إذا ذهب وجاء. يقول: إن هذه السبوح - لئين مفاصلها - تميل مع الرماح كيفما أتجهت شبه مفاصلها في سرعة استدارتها - إذا لوى عنانها لدى الطعان - بمسار الرود يدور مع حلقتة كيفما أدبرت، كما قال كشاجم:

وَإِذَا عَطَفْتَ بِهِ عَلَى مَرَاوِدِهِ لِتُدِيرَهُ فَكَأَنَّهُ بَرَكَارُ<sup>(١)</sup>

وهنا قال الواحدى: أخطأ القاضى - يريد القاضى أبا الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني - في هذا البيت، وزعم أن هذا من المقلوب، وقال: إنما يصح المعنى لو قال كأنما الرماح تحت مفاصلها مراود؛ وعنده أن الرود مثل المسكحلة، شبه الرماح في مفاصلها بالميل في الجفن يفعل فيها كما يفعل الميل في العين، وهذا فاسد، لأنه يخص الفاصل، وليس كل الطعن في المفاصل لأنه قال تنني على قدر الطعان، وإذا كانت الرماح ومفاصلها كالميل في الجفن فلا حاجة إلى تثنيها.

(٤) اللبات: أعالي الصدور. ومحلة القلائد: أي مواضع القلائد من الأعناق.

(١) البركار والبيكار: آلة ذات ساقين لرسم الدوائر - البرجل -

وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمُهَنْدُ فِي يَدِي مَوَارِدَ لَا يُصْدِرْنَ مَنْ لَا يُجَالِدُ<sup>(١)</sup>  
وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَجْمَلِ الْقَلْبُ كَفَّهُ  
عَلَى حَالَةٍ لَمْ يَجْمَلِ الْكَفَّ سَاعِدُ<sup>(٢)</sup>  
خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ  
فَلِمَ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ<sup>(٣)</sup>  
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ  
وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ<sup>(٤)</sup>

يقول : إنه يخوض الحرب فتتال الرماح من صدور خيله وأعناقها ولا تتال من أعجازها لأنه لا يهرب منها .

(١) يقول : وأورد نفسي في الحرب — وسيفي في يدي — موارد مهلكة لا يصدر واردها حياً ما لم يكن جلداً شجاعاً مثلي — أو ما لم يقاتل مثلي — وعبارة ابن جني : من وقف مثل موقفي في الحرب ولم يكن شجاعاً جلداً ، هلك . هذا : والواو في والمهند : واو الحال ، والمهند : السيف الهندي ، أو السيف المشحوذ .

(٢) يقول : إن قوة الضرب إنما تكون بالقلب لا بالكف ، فإذا لم تقو الكف بقوة القلب : لم تقو بقوة الساعد وقوله : على حالة ، صالحة يحمل .

(٣) يقول : إن من عداه من الشعراء يدعون الشعر ، والقصائد له ، لأن كلامهم لا يستحق أن يسمى شعراً . ولعله يريد أنهم يأخذون شعره ويدعونه لأنفسهم : وإذن : فهو الشاعر في الحقيقة ، أما غيره فهو شاعر بانتحال شعره . وعبارة الواحدي : يريد كثرة من يرى من الشعراء المدعين وأن له التحقيق باسم الشاعر لأنه هو الذي يأتي بالقصائد لا هم . قال ابن جني : لو قل : فكلم منهم الدعوى ومنى القصائد لكان أحسن وأشد مبالغة ، لأنها تدل على كثرة فعلهم .

(٤) في هذا البيت من البديع حسن التخلص . يقول إنه في الشعراء كسيف الدولة في السيوف ، فكل منهما منقطع النظير — وإن كاله أشباه ونظائر في التسمية — وهذا كما يقول الفرزدق :

وقد تلتقى الأسماء في الناس والسكنى كثيراً ولكن فرّقوا في الخلائق

لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبِيعِ فِي الْحَرْبِ مُنْتَضِي  
وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدٌ<sup>(١)</sup>  
وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدٌ<sup>(٢)</sup>  
أَحْقَهُمْ بِالسَّيْفِ مَنْ ضَرَبَ الطَّلِيَّ وَبِالْأَمْنِ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَاةُ<sup>(٣)</sup> أَرِيدُ

(١) انتضى السيف سله وجرده . يقول . إنه ليس كسيوف الحديد التي تنتضي وتعمد ، وإنما ينتضيه في الحرب كرم طبعه وما آثره الله به من الشجاعة والأثفة ، ويعمده ما تعوده من العفو والإحسان . هذا : وكما يقال : انتضى السيف . يقال : نضاه أيضاً ، ونضاه الحضاب : ذهب لونه ونصل ، ونضوت البلاد : قطعتها . قل تأبط شراً ولكنني أروى من الخمر هامتي وأنضوا الغلاً بالشاحب المتشلسل<sup>(١)</sup>

(٢) يقول : لما رأيت الناس دونه في المنزلة تيقنت أن الدهر ناقد لهم يعطي كلا على قدر ما يستحقه ، وهذا على خلاف ما يفعل الدهر ، لأن الدهر يرفع من لا يستحق ، ويحط من يستحق ، فهو على العكس مما قال المتنبي .

(٣) الطلي : الأعناق ، وهذا كالمترج لما ذكره في البيت السابق . يقول : إن أحق الناس بأن يتقاده السيف أو يكون صاحب سيف وإمارة : من كان ضارباً للأعناق - أي شجاعاً - وأحقهم بأن يأمن جانب عدوه من هانت عليه الشدائد وغمرات الحروب . وعبارة بعض الشراح : لا يستحق أن يحمل سيفاً إلا من يضرب به الأعناق : وقوله وبالأمن : يروى وبالأمر : أي يتولى أمور الناس ، أو بمنصب الإمارة . هذا : وقد أسلفنا أن الطلي : الأعناق ، وقيل : أصول الأعناق . الواحدة طلية ، ويقال الطلاة أيضاً ، وأطلى الرجل والبعر إطلاء فهو مطل : مالت عنقه لدوت أو لغيره قال :

وسائلة تسائل عن أبيها فقلت لها وقعت على الخبير

تركت أباك قد أطلى ومالت عليه القشمان من النور

وفي الحديث « ما أطلى نبي قط » أي مامل إلى هواه وأصله من ميل الطلاء أي

(١) يعنى بالمتشلسل الرجل المتخذ اقليل اللحم الخفيف ، والشاحب - على

هذا - يريد به الصاحب ، وقيل : يريد به السيف . قال الأصمعي : هو سيف يقطر منه

الدم ، والشاحب : الذي أخلق بجفنه .

وَأَشَقَى بِلَادِ اللَّهِ مَا الرُّومُ أَهْلَهَا      بِهَذَا وَمَا فِيهَا لِمَجْدِكَ جَاحِدٌ<sup>(١)</sup>  
شَنَنْتَ بِهَا الْغَارَاتِ حَتَّى تَرَ كَتَمَهَا      وَجَفَنُ الَّذِي خَلْفَ الْفَرَنْجَةِ سَاهِدٌ<sup>(٢)</sup>  
مُخَضَّبَةٌ وَالْقَوْمُ صَرَعى كَانَهَا      وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ مَسَاجِدُ<sup>(٣)</sup>  
تُنَكَّسُهُمُ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالَهُمْ      وَتَطْعُنُ فِيهِمْ وَالرَّمَاحُ الْمَكَائِدُ<sup>(٤)</sup>

الأعناق إلى أحد الشقين ؛ والطلاء : ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه ، وبعض العرب تسمى الحمر : الطلاء . يريد بذلك تحسين اسمها لا أنها الطلاء بعينها . وفي الحديث : « سيشرب ناس من أمتي الحمر يسمونها بغير اسمها » يريد أنهم يشربون النبيذ السكر للطبوح ، ويسمونه طلاء تخرجاً من أن يسموه خمراً . والطلاء : القطران ، وكل ما طليت به ، والطلا : الولد من ذوات انظف والحف والجمع أطلاء .

(١) يقول : إن أشقى بلاد الله البلاد التي أهلها الروم ، وشقاؤها إنما هو بهذا : أي بكونك تضرب الطلى ولا تسكترت لغمرات الحروب ، ومع هذا فهم كلهم معترفون بمجديك ولا يجحدون ما أنت عليه من الشجاعة والإقدام .

(٢) شن الغارة : صبا عليهم وفرقها من كل وجه ؛ والفرنجية : قرية بأقصى بلاد الروم . يقول : صيبت الغارة على بلاد الروم فشاغ خوفك فيهم جميعاً حتى بات الذي في أقصى بلادهم لا ينام خوفاً وإن كان بعيداً عنك .

(٣) يقول : إن هذه البلاد ملطخة بدمائهم كأنها مساجد مخلقة — أي مطوية بالخلوق : ضرب من الطيب أعظم أجزاءه الزعفران — وهم مقتولون طريحون فيها كأنهم سجد على الأرض ، وإن لم يسجدوا حقيقة . فقوله : مخضبة — بالرفع — خبر ابتداء محذوف ، ومن نسه جعله حالا من الضمير في تركتها . والقوم صرعى : روى والحيل صرعى ، وصرعى : جمع صريع : أي طريح ، ومساجد : خبر كأن ، والجملة المعترضة : حال .

(٤) يقول : تنزلهم منكوسين من جبالهم التي تحصنوا بها ، فهي لهم بمنزلة الخيول السابقة . وتأتي عليهم بكيدك : يعني أنه يكيد لهم حتى ينزلوا فيوقع بهم فيقوم فيهم كيدك مقام الرماح . ولك أن تقول والسابقات جبالهم : أي أنك تنزلهم منكوسين من خيولهم التي كأنها الجبال يستعصمون بها فتكسهم عنها . وعبرة الواحدى : تطعنهم برماح من كيد وتنزلهم عن خيولهم منكوسين ؛ ونكسه : قلبه ، والسابقات ؛ الخيول .

وَتَضْرِبُهُمْ هَبْرًا وَقَدْ سَكَنُوا الْكُدَى  
كَمَا سَكَنَتْ بَطْنَ التُّرَابِ الْأَسَاوِدِ<sup>(١)</sup>  
وَتَضْحِي الْحُصُونُ الْمَشْمَخَرَاتُ فِي الذَّرَى  
وَخَيْلِكَ فِي أَعْنَاقِهِنَّ قَفْلَانِدُ<sup>(٢)</sup>  
عَصَفْنَ بِهِمْ يَوْمَ اللَّقَانِ وَسَقَمَهُمْ  
بِهَنْزِيْطٍ حَتَّى أَيْبَضَ بِالسَّبِيْ أَمْدُ<sup>(٣)</sup>  
وَأَلْحَقْنَ بِالصَّفَصَافِ سَابُورًا فَانْهَوَى  
وَذَاقَ الرَّدَى أَهْلَاهُمَا وَالْجَلَامِدُ<sup>(٤)</sup>

(١) الهبر : تقطيع اللحم ؛ والكدى : جمع كدية ، وهى الأرض الصلبة . وأصلها فى البئر يصل إليها الحافر فيقف عندها لصلابتها ، فيقال : أ كدى أى انقطع ، قال تعالى « وأعطى قليلا وأ كدى » قيل أى وقطع القليل ؛ وقيل أمسك عن العطية وقطع ، قالوا : وأصله من الحفر فى البئر ، يقال للحافر إذا بلغ فى حفر البئر إلى حجر لا يمكنه من الحفر : قد بلغ إلى الكدية ، وعند ذلك يقطع الحفر . والأساود : الحيات العظيمة : يقول : وتعمن فى تقطيعهم بالسيوف وقد اكتمنوا تحت الصخور وفى المغاور والكهوف كما تكمن الحيات فى التراب .

(٢) المشمخرات : المرتفعات . والذرى : أعلى الجبال . يقول : وتضحى الحصون العالية الشائعة فى رؤوس الجبال وخيلك محيطة بها إحاطة القلائد بالأعناق وروى ابن جنى : القلائد - بالتعريف -

(٣) اللقان : وهزيط من بلاد الروم ، وأمد : بلد بالثغور مما يلي الروم بينها وبين ديار بكر . يقول : عصفت بهم خيلك وأمت عليهم هلاكا يوم أغرت عليهم بهذا المكان وساقنهم أسارى حتى أبيضت أرض أمد بكثرة من حصل بها من الأسارى من الجوارى والغلمان ، فالضمير فى عصفن للخيل ، وتطلق الخيل ويراد بها الفرسان .

(٤) الصفصات وسابور : حصنان منيعان للروم ، وانهوى : هوى وسقط . يقول : وألحقن - أى الخيل - أحد الحصنين بالآخر فى التخریب حتى سقط مثله ، وهلك أهل الحصنين وحجراتهما ، لأنه أحرقهما بالنار فصارت الصخور رمادا ، فجعل ذلك هلاكا وقوله : وانهوى . قال الواحدى : هو غريب فى القياس ، لأن انفعل إنما يبنى مما الثلاثى منه متعد ، وهذا غير متعد ؛ وفى الفصحى من الكلام : هوى قال تعالى « والنجم إذا هوى » .

وَعَلَسَ فِي الْوَادِي بَيْنَ مُشَيِّعٍ      مُبَارَكٌ مَا تَحْتَ الثَّمَامِينَ عَابِدٌ<sup>(١)</sup>  
 فَتَى يَشْتَهِي طُولَ الْبِلَادِ وَوَقْتَهُ      تَضَيِّقُ بِهِ أَوْقَاتُهُ وَالْمَقَاصِدُ<sup>(٢)</sup>  
 أَخُو غَزَوَاتٍ مَا تَغِبُّ سَيْوفُهُ      رِقَابَهُمْ إِلَّا وَسَيْحَانُ جَامِدٌ<sup>(٣)</sup>  
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الظُّبَا      لَمْ يَشْفَتِيهَا وَالشُّدَى النَّوَاهِدُ<sup>(٤)</sup>  
 تَبَسَّكَ عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيقُ فِي الدُّجَى      وَهُنَّ لَدَيْنَا مَلَقِيَّاتٌ كَوَاسِدُ<sup>(٥)</sup>

(١) غلس : سار غلسا ، أى آخر الليل ؛ وبهن : أى بالحيل ، والمشيع : الجرىء المقدم ، وما تحت الثمامين : الوجه ، والثمام : ما يكون على الوجه . والتلم عادة العرب في أسفارها ؛ وعن الثمام الثانى : ما يرسله على الوجه من حلق المقر . ومبارك الوجه عابده ، هو سيف الدولة .

(٢) يقول : إنه يتمنى أن تكون البلاد أوسع مما هى والزمان أطول . لأن الأوقات تضيق بما يريد ، وما يقصد إليه من البلاد يضيق بهمته وجيوشه ؛ وهذا كقوله الآتى :

تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هَمَمٌ      مِلَّةُ فُؤَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا  
 فَإِنْ أُنِيَ حَظُّهَا بِأَزْمَنَةٍ      أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا

وعبارة ابن جنى : يشتهى طول البلاد والزمان ليظهر ما عنده من الفضل والكمال وهو مع ذلك تضيق به أوقاته ومقاصده : أى تضيق عن همته .

(٣) أغب فلان القوم وغب عنهم : إذا جاءهم يوما وغاب عنهم يوما ، وسيحان . نهر ببلاد الروم ، وهو غير سيحون . يقول : هو مقيم على غزو الروم لا تفارق سيوفه رقابهم إلا إذا اشتد البرد وجمدت أنهارهم ، لأن ذلك يحول دون غزوه إياهم .

(٤) الظبا - جمع ظبة - حد السيف . واللمى : سمرة في الشفة تستملح . ونهد اشدى : ارتفع . يقول : إنه عصف بالروم وآتى عليهم حتى لم يبق منهم إلا النساء ، فقد حماها للمنى النسوى من حد السيف ، وقد أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال :

فَمَا أَبْقَيْتَ إِلَّا مَخْطَفَاتٍ      حَمَى الْإِخْطَافُ مِنْهَا وَالنَّهْدُ

« الإخطاف : الضمور » .

(٥) البطاريق : قواد الروم . يقول : إنه أسر بنات البطاريق فهن يكون عليهن

بِذَا قَضَيْتِ الْأَيَّامَ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا      مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ<sup>(١)</sup>  
وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنْكَ فِيهِمْ      عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَنَّ دَمًا أَجْرِيَتْهُ بِكَ فَأَخِرُ      وَأَنَّ فَوَادًا رُغِنَتْ لَكَ حَامِدُ<sup>(٣)</sup>  
وَكُلُّ تَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى      وَلَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ<sup>(٤)</sup>  
نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ      لَهْنَتْ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ<sup>(٥)</sup>

ليلا ، وهن لدينا في دار الإسلام مطروحات ذليلات لا يرغب فيهن ، وبكاه : بمعنى بكاه  
والتشديد للمبالغة .

(١) وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

مَا إِنْ تَرَى شَيْئًا لَشَيْءٍ مَحِيًّا      حَتَّى تَلَا فِيهِ لَأَخْرَ قَاتِلًا

وهو معنى قديم ، ولكن التنبؤ صاغه أبداع صياغة وأوجز .

(٢) موموق : محبوب . والمقة : المحبة ، وفيهم : صلة موموق ، وعلى : بمعنى مع ،  
والشاكد : المعطى ، شكده يشكده ويشكده شكدا : أعطاه أو منحه ، والإقدام : الشجاعة .  
يقول : أنت على قتلك إياهم محبوب فيما بينهم حتى لكأنك تعطيهم شيئا ، وذلك من  
شرف الشجاعة لأن الشجاع محبوب حتى عند من يقتله .

(٣) يقول : ومن شرف الإقدام أن الدم الذي تسفكه يفخر بأنه سفك بيدك ، وأن  
القلب الذي تحيفه بحمدك إعجابا بشجاعتك ، كما يقول القائل :

فَإِنْ كُنْتُ مَقْتُولًا فَكُنْ أَنْتَ قَاتِلِي      فَبَعْضُ مَنَايَا الْقَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

(٤) يقول : إن كل أحد يعرف طرق الشجاعة والكرم ، لأنه لا خفاء بهما ،  
يد أنه إنما يسلك طريقهما من قادته نفسه إليهما وكان مطبوعا عليهما . يعني أنك أنت  
محبول عليهما ، ومن ثم تفودك نفسك إليهما .

(٥) قال الواحدى : هذا من أحسن ما مدح به ملك ، وهو مدح موجه — أى  
ذو وجهين — وذلك أنه مدحه في المصراع الأول بالشجاعة وكثرة قتل الأعداء فقال :  
نهبت من أعمار الأعداء بقتلهم ما لوعشته لكانت الدنيا مهنة يقاتك فيها خالدًا ، وهذا  
هو الوجه الثانى فى المدح — أنه جعله جمالا للدنيا تنها الدنيا يقاته فيها ، ولو قال : ما لو  
عشته لبقيت خالدًا : لم يكن المدح موجها . وقال الربيعى : المدح فى هذا من وجوه :

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لَوَاهِ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدٌ<sup>(١)</sup>  
وَأَنْتَ أَبُو الْهَيْجَاءِ ابْنُ حَمْدَانَ يَا أَبَنَهُ تَشَابَهُ مَوْلُودَ كَرِيمٍ وَوَالِدِ<sup>(٢)</sup>  
وَحَمْدَانَ حَمْدُونَ وَحَمْدُونَ حَارِثٌ وَحَارِثُ لُقْمَانَ وَلُقْمَانُ رَاشِدٌ<sup>(٣)</sup>

أحدها : أنه وصفه بنهب الأعمار لا الأموال. الثاني : أنه كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم خلد في الدنيا . الثالث : أنه جعل خلوده صلاحاً لأهل الدنيا بقوله لهنت الدنيا . الرابع أن قتلاه لم يكن ظالماً في قتلهم لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها فهم مسرورون ببقائه ، فلذلك قال لهنت الدنيا : أي أهل الدنيا ، وقال ابن جنى : لو لم يمدحه إلا بهذا البيت لكان قد أبقى ما لا يمحوه الزمان .

(١) يقول : أنت للملك بمنزلة السيف ؛ ولكن الضارب بك هو الله ، وأنت لدين راية الله سبحانه الذي عقدها وأحكمها .

(٢) أبو الهيجاء : كنية عبد الله بن حمدان ، والد سيف الدولة . والهيجاء : الحرب تمد وتقصر - يقول : يا ابن أبي الهيجاء أنت أبو الهيجاء . يريد قوة الشبه بينهما ، حتى كأنه هو . وذلك قوله \* تشابه مولود كريم ووالد \* .

(٣) هؤلاء آباء سيف الدولة : يقول : أنت تشبه أبك ، وأبوك يشبه أباه ، وأبوه أباه . الخ ، أي أن كل واحد من آبائك يشبه أباه في كرمه وسأر محاسنه ، وقد عاب الصاحب هذا البيت قال : لم نزل نستحسن جمع الأسماء في الشعر ، كقول الشاعر :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّمْتَ عُرُوشَهُمْ بِقَتِيلَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ

واحتذى هذا الفاضل حذوهم فقال : وأنت أبو الهيجا - البيتين - وهذا من الحكمة التي ذكر أرسطو وأفلاطون لهذا الخلف الصالح . قال ابن فورجة أما سبك البيت فأحسن سبك : يريد أنت تشبه أبك ، وأبوك كان يشبه أباه ، وأبوه أباه . فأنت أبوك إذ كان فيك أخلاقه ، وأبوك أبوه - إلى آخر الآباء - فليت شعري : ما الذي استقبحه ؟ فإن استقبح قوله : وحمدان حمدون : فليس في حمدان ما يستقبح من حيث اللفظ ، بل والمعنى ، كيف يصنع والرجل اسمه هكذا وهكذا آباؤه ؟ وبعد : فللعلامة العكبري هنا كلمة لمناسبة ترك المتنبي صرف حمدون تثبتها هنا - حسبما شرطنا على أنفسنا في هذا الشرح - قال العكبري السكوفي : ترك صرف حمدون وحارث ضرورة ، وهو جائز عندنا ، غير جائز عند بعض البصريين ، وواقنا الأخفش وابن برهان

والفارسي ، ونحننا : إجماعنا على جواز صرف ما لا ينصرف في الشعر ضرورة ، فذلك جوزنا ترك صرف ما ينصرف في الشعر ، وقد جاء كثيراً في أشعارهم . قال الأخطل : -

طلب الأزارق بالكتائب إذ هوت بشيب غائلة النفوس غدور<sup>(١)</sup>

فترك صرف شيب ، وهو منصرف ، وقال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه :

نصروا نبيهم وشدوا أزره بخنين يوم تواكل الأبطال<sup>(٢)</sup>

فلم يصرف حيناً ، وهو مصروف ؛ وقال الفرزدق :

إذا قال غاوٍ من تنوخ قصيدة بها جرب عدت على بزوبرا<sup>(٣)</sup>

فترك صرف زوبر وهو منصرف ، وقال الآخر :

والى ابن أم أناس أرحل ناقتي عمرو فتبلغ حاجتي أو تزحف<sup>(٤)</sup>

(١) من قصيدة للأخطل يذكر فيها ما جرى بين سفيان بن الأبرد نائب الحجاج ، وبين شيب بن يزيد رأس الأزارقة — طائفة من الخوارج — وفاعل طلب : يعود على سفيان المذكور ، والأزارق : مفعول ؛ وغائلة : فاعل هوت ؛ وغدور : بدل من غائلة .

(٢) تواكل الأبطال : أي تخاذلهم واتكلمهم على غيرهم .

(٣) يروي هذا البيت لابن الأحمر ، هكذا :

\* وإن قال غاوٍ من معد قصيدة \*

ويقال أخذ الشيء بزوبره : أي بجميعه فلم يدع منه شيئاً ، فهو يقول : نسبت إلى بكلمها ولم أقلها ، وقيل بزوبرا : أي كذباً وزوراً .

(٤) بعده :

ملك إذا نزل الوفود ببابه عرف فوموارد مزبد لا ينزف

وقد صححنا هذين البيتين على كتاب سيوبه ، وشارح شواهد الإمام الشنمري الأندلسي . وقد نسبهما صاحب اللسان لبشر بن أبي خازم ، وأخطأ النسخ فوردي اللسان على غير هذه الصورة الصحيحة . وورد في سيوبه أناس — بالتونين — وهو خطأ . وعمرو : بدل من ابن أم أناس ، وملك : بدل من عمرو ؛ وتزحف — يقال

= وعمرو هو ابن حجر الكندي - فترك صرف أناس ، وهو منصرف وأم أناس هي بنت ذهل بن شيان ، وقال الآخر :

أؤمل أن أعيش وأن يومي بأول أو بأهون أو جبار  
أو الثاني دبار فإن يفتني فمؤنس أو عروبة أو شيار

فترك صرف مؤنس ودبار ، وهما مصروفان ، فهذه أسماء الأيام في الجاهلية : أول : الأحد ، وأهون : الاثنين ، وجبار : الثلاثاء ، ودبار : الأربعاء ، ومؤنس : الخميس ، وعروبة : الجمعة ، وشيار : السبت ، وقول الآخر :

قالت أميمة ما لثابت شاخصاً عارى الأشاجع ناحلاً كالنصل<sup>(١)</sup>

فترك : صرف ثابت ، وهو مصروف ، وقول العباس بن مرداس السلمي :

وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع<sup>(٢)</sup>

وبهذه الرواية جاء في الصحيحين ، وليس بعد الصحيحين شيء يرجع إليه ؛

وقول الآخر :

وقائلة ما بال دوسر بعدنا صحاً قلبه عن آل ليلي وعن هند

فترك صرف دوسر ، وشواهدنا كثيرة ، وأما القياس فإذا جاز حذف الواو المتحركة

للضرورة كبيت الكتاب :

أزحف البعير أعياء فرسنه - ما قابل الحافر - يمدح عمرو بن هند الملك ، وأم أناس بعض جداته ؛ والموارد : مناهل الماء المورودة . شبه بها عطايها ، وجعله كالبحر المزبد لكثرة جوده ، ومعنى يترف : يستفد ماؤه .

(١) الأشاجع : مفاصل الأصابع ، واحدها أشجع . وعارى الأشاجع : أى خفيف

اللحم ، وقيل : الأشاجع رؤوس الأصابع : وقيل : عصبها . والنصل : السيف .

(٢) من أبيات لا بن مرداس . يعاتب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أعطى

رجالاً من المؤلفات قلوبهم أكثر مما أعطاه ؛ ومنهم عيينة بن حصن الفزارى والأقرع بن

حابس : [ راجع سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٤٠ التجارية ، والخزاعة ج ١

ص ١٤٥ ط السلفية ]

أُولَئِكَ أَنْيَابُ الْخِلَافَةِ كُلِّهَا      وَسَائِرُ أَمْلَاكِ الْبِلَادِ الزَّوَائِدُ<sup>(١)</sup>  
أَحْبَبُكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ      وَإِنْ لَأَمْنِي فِيكَ الشَّهَى وَالْفَرَاقِدُ<sup>(٢)</sup>  
وَذَاكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ      وَلَيْسَ لِأَنَّ الْعَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدٌ<sup>(٣)</sup>

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ<sup>(١)</sup> لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوٌ الْمِلَاطِ نَجِيبٌ<sup>(١)</sup>  
فجواز حذف النون للضرورة أولى ، والواو من هو متحركة ، والتنوين ساكن ،  
ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من حذف المتحرك ، ولهذا الذي ذكرناه ، وصحته ،  
واقفنا أبو علي وأبو القاسم بن برهان ، ولم ينكره أبو بكر بن السراج . وحجة  
البصريين أن الأصل في الأسماء : الصرف . فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن الأصل  
إلى غير الأصل ، والتبس ما ينصرف بما لا ينصرف .

(١) الزوائد من الأسنان : التي تنبت خلف الأضراس . يقول : إن هؤلاء الذين  
ذكرهم هم للخلافة بمنزلة الأنياب ، تمتنع الخلافة بهم امتناع السبع بنابه ، أما بقية الملوك  
فهم بمنزلة الزوائد ، لا حاجة للخلافة بهم .

(٢) السهى : نجم خفي من بنات نعش الصغرى ؛ ومنه المثل — أربها السهى  
وتربى القمر — والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى  
منه ، فهما فرقدان ، وإنما جمع على إرادة كل نجم يشبههما . جعله بين الملوك كالشمس  
والبدر ، وغيره من الملوك كالتجوم الخفية ؛ يقول : إنى أميل إليك بهواى وإن لأمنى  
فى ذلك من لا يبلغ منزلتك . وعبارة ابن جنى : جعله بالنسبة إلى أعدائه كالشمس  
والقمر إلى السهى والفرقدين .

(٣) الباهر : البارع قال ذو الرمة .

(١) قال الإمام الشنمري شارح شواهد سيويه - : يصف الشاعر بغيراً ضل عن  
صاحبه فيئس منه وجعل يبيع رحله ، فبينما هو كذلك سمع منادياً يبشر به - إنما وصف  
ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن . والملاط ماولى العضد من الجنب .  
ويقال للعضدين : ابنا ملاط . ووصفه برخاوته لأن ذلك أشد لتجافى عضديه عن كركرته  
صدره أو زوره - وأبعد له من أن يصيبه ناكث أو ماسح أو ضئب ؛ وهذه كلها آفات  
وأعراض تلحقه إذا حك بعضده كركرته - ومعنى يشرى : يبيع . وهو من الأضداد .

فإنَّ قَلِيلَ الْحُبِّ بِالْعَقْلِ صَالِحٌ وَإِنَّ كَثِيرَ الْحُبِّ بِالْجَهْلِ فَاسِدٌ<sup>(١)</sup>

---

وقد بهرت فلا تخفى على أحدٍ إلا على أكرمٍ لا يعرف القمر<sup>(١)</sup>  
وعيش بارد : رغد هنيء يقول : إن ذلك الحب إنما هو لظهور فضلك على غيرك  
لا لطيب العيش عندك ؛ إذ أن العيش قد يطيب عند غيرك ولكن لا يظهر فضله ظهور  
فضلك فلا يستحق الحب ، وعبارة ابن جنى : محبتي لك لفضلك لا للخير الذي  
أصيه عندك .

(١) الجهل : الحق . قال المكبري : يريد : أنا أحبك بعقل فينتفع بي ؛ وغيري  
يحبك بجهل فلا ينتفع به . . ثم قال : ولو قال التنبي بالعلم صالح ، لكان أمدح وأحسن  
في صناعة الشعر ، لأن الجهل ضد العلم والعقل ضد الحق :

---

(١) تقدم أنه من أبيات يمدح بها ذو الرمة عمر بن هبيرة . وقبله :  
ما زلت في درجات الأمر مرتقياً تنمى وتسمو بك الفرعان من مضراً  
[ وروى : حتى بهرت ] .

---

انتهى الجزء الأول ، ويليه - بعون الله وتوفيقه - الجزء الثاني وأوله :  
وقال يمدح سيف الدولة بعبد الأنصبي الخ  
لكل امرئ من دهره ماتعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

## فهرست الجزء الأول

صفحة	صفحة
١٥٦	٣
١٥٦	١٧
١٦٠	٢٠
١٦٨	٦٨
١٦٩	٨١
	٩٠
	٩٥
	٩٦
	٩٧
	٩٨
	١٠٢
	١٠٤
	سرقات المتنبي
	١٠٥
	١٠٧
	١١١
	١١٢
	١١٦
	١٢٦
	قافية الهمزة
	١٣٤
	١٣٨
	١٤٠

مقدمة الطبعة الأولى

» » اثنائية

سيرة المتنبي

ترجمة المتنبي بقلم أحد معاصريه

شراح المتنبي - ابن جني

الواحدى

ابن فورجه

ابن القطاع الصقلی

ابن الإفيلي

الصاحب ابن عباد

أبو بكر الخوارزمي

العميدى - صاحب الإبانة عن

سرقات المتنبي

ابن وكيع

الخطيب التبريزي

العسكري

ابن الشجري

القاضي الجرجاني

أبو العلاء المعري

قافية الهمزة

القلب أعلم يا عدول بدائه

عذل العواذل حول قلب التائه

أتسكر يا ابن إسحاق إخائي

أمن ازديارك في الدجى الرقباء

ماذا يقول الذى يعنى ... ذى السماء

إنما التهتات للأكفام

الأكل ماشية الخيزلى

لقد نسبوا الحيام إلى علاء

أسامرى ضحكة كل راء

قافية الباء

لعبنى كل يوم منك حظ ... عجاب

تجف الأرض من هذا الرباب

فدينك أهدى الناس سها إلى قلبى

لا يحزن الله الأمير فإنى ... بنصيب

فدينك من ريع وإن زدتنا كربا

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا

أحسن ما يخضب الحديد به والغضب

أيدرى ما أرابك من يريب

بغيرك راعيا عبث الذئاب

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب

فهمت الكتاب أبر الكتب

أبا سعيد جنب العتابا

لأحبق أن يملأوا ... الأكوبا

لأى صروف الدهر فيه نعاب

دمع جرى قفضى فى الربيع ماوجبا

بأبى الشموس الجانحات غواربا

صفحة  
٣٤٥ أنظر بجودك ألفاظا تركت بهامك بيوتا  
٣٤٦ فدتك الخيل وهي مسومات  
٣٤٧ سرب محاسنه حرمت ذواتها

قافية الجيم

٣٥٩ لهذا اليوم بعد غد أريج

قافية الحاء

٣٦٣ بأذنى ابتسام منك تحيا القرائح  
٣٦٤ أنا عين السود الججاج  
٣٦٥ جلا كما بي فليك التبرج  
٣٨٠ جارية ما لجسها روح  
٣٨٠ يقاتلني عليك الليل جدا. السلاح  
٣٨١ أباث كل مكرمة طموح  
٣٨٢ وطارئة تتبعها المنايا ... الجناح

قافية لدال

٣٨٤ ماسدكت علة بمورود  
٣٩٠ عواذل ذات الخال في حواسد

صفحة

٢٦١ إنما بدر بن عمار محاب  
٢٦٣ ألم ترأيها الملك للمرجى... السحاب  
٢٦٤ ياذا المعالي ومعدن الأدب

٢٦٤ ضروب الناس عشاق ضروبا  
٢٧٣ المجلسان على التميز بينهما. الأدبا  
٢٧٣ تعرض لي السحاب وقد قلنا. السحابا

٢٧٣ الطيب مما غنيت عنه... طيبا  
٢٧٤ أيا ما أحيسنها مقلة... أعجب

٢٧٤ أعيدوا صباحي فهو عند الكواعب  
٢٨٨ من الجآذر في رى الأرعاب

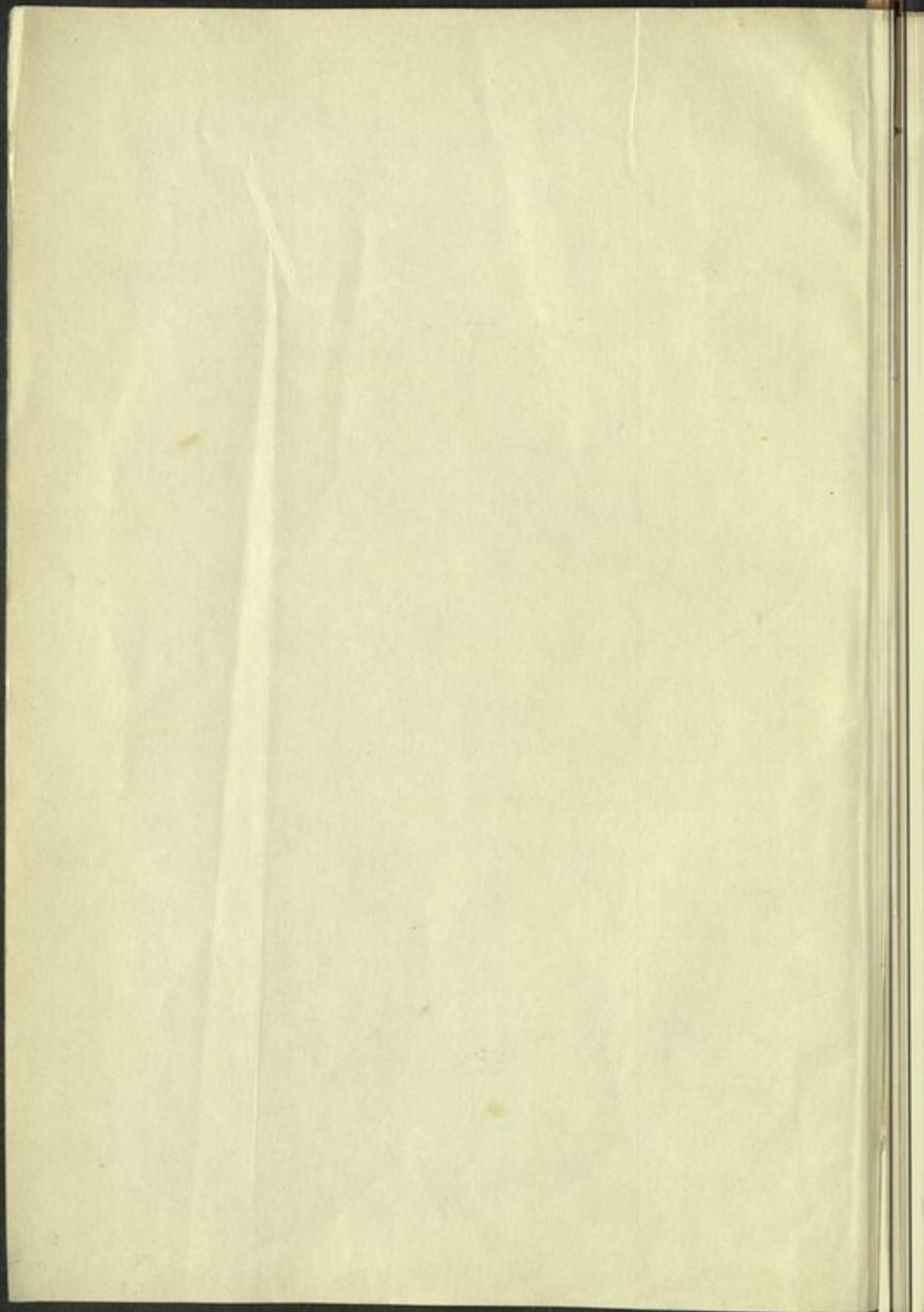
٣٠١ أغلب فيك الشوق والشوق أغلب  
٣١٣ متى كن لي أن البياض خضاب

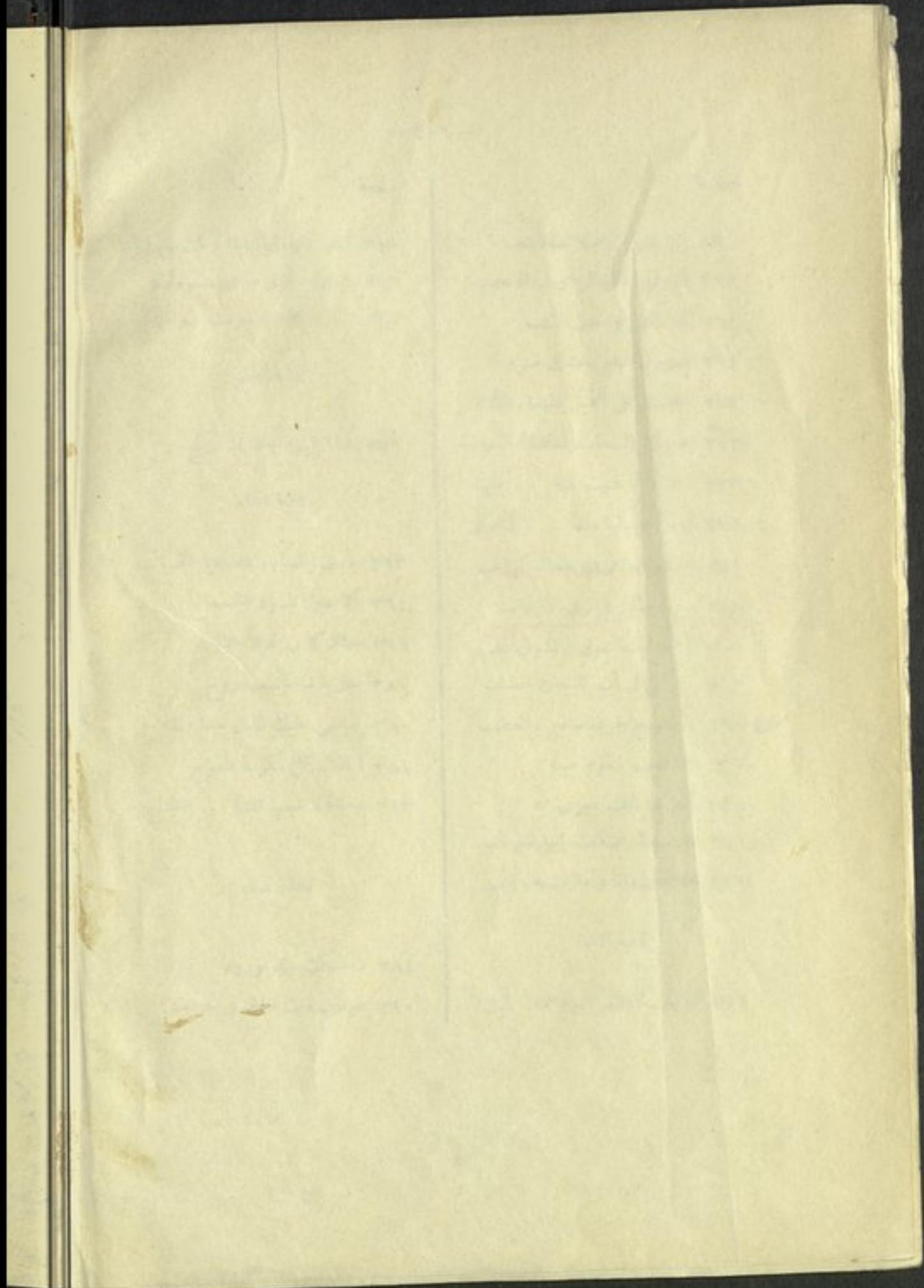
٣٢٨ لقد أصبح الجرد المستغير. العطف  
٣٣٠ ما أنصف القوم ضبه

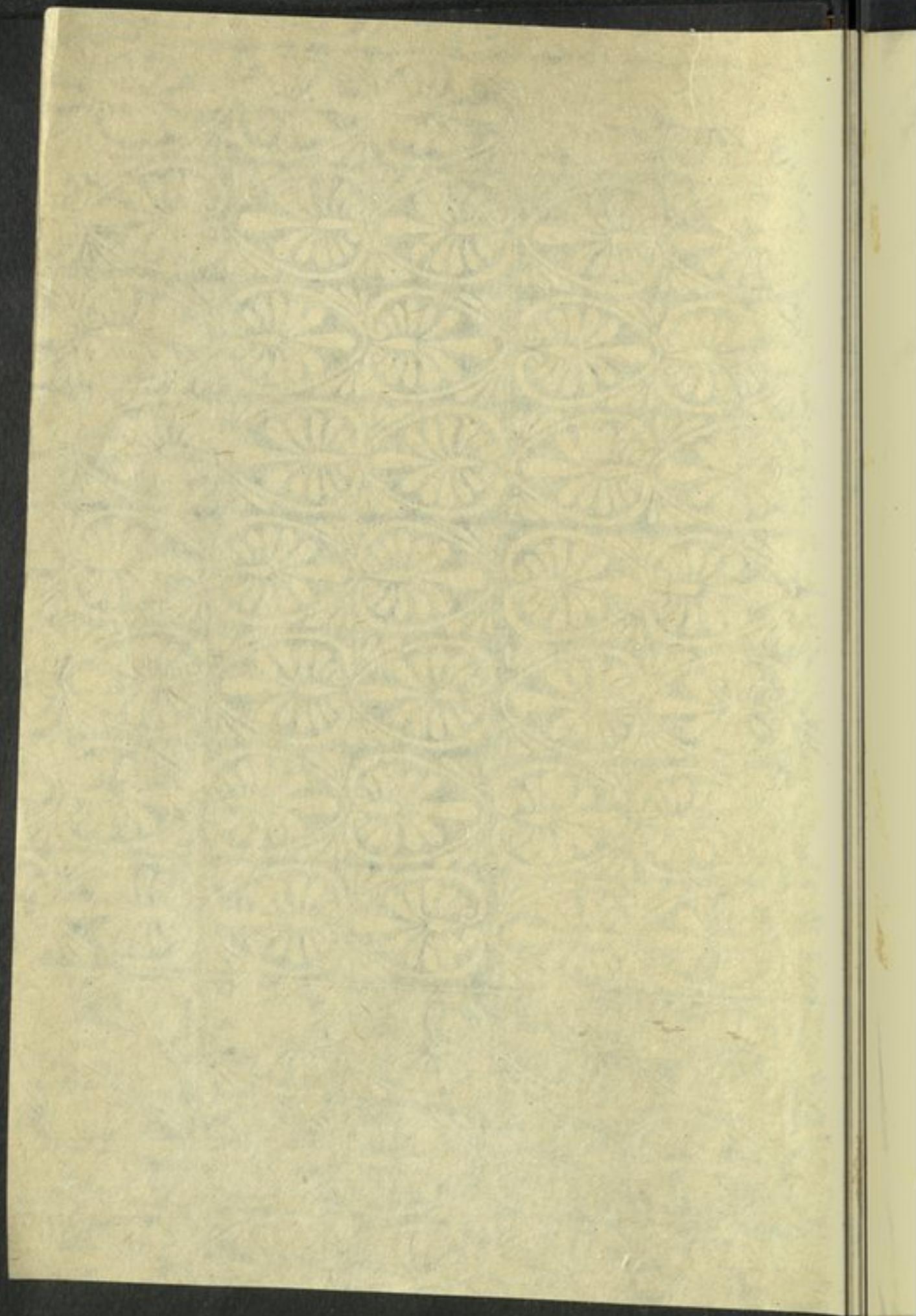
٣٣٥ آخر ما الملك معزى به  
٣٤١ لما نسبت فكنت ابنا لغير أب

٣٤٢ لحا الله وردانا وأما أنت به. شعلب  
قافية التاء

٣٤٥ لنا ملك لا يطعم النوم همه. اميت







DATE DUE

JAFET LIB.  
10 JUN 2005  
Circulation Dept. 2

JAFET LIB.  
30 JUN 2009  
Circulation Dept. 2

JAFET LIB.  
17 MAY 2007  
Circulation Dept. 5

JAFET LIB.  
13 JUN 2011  
Circulation Dept. 3

JAFET LIB.  
14 MAY 2008  
Circulation Dept. 4

JAFET LIB.  
31 MAY 2010  
Circulation Dept. 4

البروفيسر، عبد الرحمن

شرح ديوان المتنبي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01035103

DATE DUE

